

سعادة المستهدي
بسيرة الإمام المهدي
تأليف
ماعيل عبد القادر الكردفاني
تحقيق
دكتور محمد ابراهيم أبوسليم
دار الجيل
بيروت



سعادة المستهدي
بسيرة الإمام المهدي

سَعَادَةُ ٱلمُسْتَهدِي
بسِيرَةِ الأمَامِ ٱلمهْدِيِ

تأليف
إسْماعِيل عَبد القَادِر الكردفاني
تحقيق
الدّكتُور محمّد إبْراهِيم أبُوسلِيم

دار الجيل
بيروت

الطبعة الثانية

١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م

مقدّمة الكتاب

مثلما كانت وفاة المهدي المفاجئة فاجعة أليمة بالنسبة لأنصاره كانت ، بنفس القدر ، دافعاً لهم للقيام بحركة نشطة في مضمار الثقافة لأن الفقد العظيم الذي أحسوا به جعلهم يركزون جهودهم لجمع آثاره والتعريف بحركته وتركيز دعوته الدينية والعمل على الابقاء على النظام الذي بناه عن طريق القلم بينما انصرف الخليفة عبد الله يجد للابقاء على جذوة الدعوة وتوطيد النظام بالأداء السياسي والإداري ثم العسكري. ففي السنوات القليلة التي تلت وفاة المهدي تولت مطبعة الحجر المتواضعة التي غنمها الأنصار يوم سقوط الخرطوم اصدار عدد كبير من المطبوعات . لقد طبع راتب المهدي عدة طبعات لتعميق الروح الدينية . كذلك طبع عدد من الكتيبات التي تحوي جملة منتقاة من رسائل المهدي بغرض الدعاية . وقد ركزت فكرت الكتيبات على إبراز الرسائل التي تبين كيفية أداء بعض العبادات والرسائل التي تخص أسس الدعوة وأهدافها ثم الرسائل التي تدور حول مقام الخليفة عبد الله ومركزه ، باعتباره الشخص المؤيد من قبل المهدي في حياته ، وخليفته الطبيعي بعد وفاته .

ثم صدرت السلسلة الرئيسية من منشورات المهدي المطبوعة ، وهي سلسلة تتكون من أربعة مجلدات : المجلد الأول خاص بأسس الدعوة ومراميها وأهدافها ، والمجلد الثاني خاص بالنواحي السياسية المباشرة ونشر الدعوة ، ولذلك يركز على الانذارات التي أرسلت الى المخالفين وعلى البيانات التي أرسلت

لكبار أعوان المهدي وأتباعه عامة . والمجلد الثالث يختص بالآداب العامة والخاصة والأحكام . أما المجلد الرابع فيحوي عدداً من خطب المهدي، ولكنه غير كامل ، نظراً الى أنهم توقفوا عن إكماله .

ولقد وضعت هذه السلسلة نموذجاً لمصنف الرسائل ، والذي يعد الآن المستودع الرئيسي لرسائل المهدي . ثم أقبل الناقلون الذين كانوا ينقلون المخطوطات على تصنيف مصنفات الرسائل ، وبفضل هؤلاء سارت حركة تدوين رسائل المهدي خطوات بعيدة وبلغت حداً من الشمول والدقة.ثم أقبل التاتاي ليجمع أقوال المهدي وما كان يستشهد به من الآيات والأحاديث والأمثال والشعر وجوامع كلمه وبعض تفاسيره . وبذلك وضع التاتاي أساس مجالس المهدي . ثم جاء آخرون وحذوا حذوه . وكان ما يعرف الآن بمجالس المهدي .

وقد صدرت عن المطبعة كتب أخرى : « الآيات البينات في ظهور مهدي الزمان وغاية الغايات » للحسين إبراهيم زهرا وكتاب « الأنوار السنية الماحية لظلام المنكرين على الحضرة المهدية » للحسن سعد محمد العبادي . وكان هذان المؤلفان قد كتبا في عهد المهدي ، وهما يعالجان قضية المهدية ويبينان أن مهدي السودان ، محمد المهدي بن عبد الله ، هو حقيقة المهدي المنتظر الذي ظلت الخليقة تنتظر ظهوره . وكتاب ثالث هو « نصيحة العوام للخاص والعام من إخواني أهل الإيمان والإسلام » الذي وضعه أحمد العوام أثناء حصار الخرطوم . وكتاب رابع هو فتوحات الواقدي ، غير أن طبعه لم يكمل .

إن هذه الحركة النشطة كانت مرتبطة بالحالة النفسية التي تولدت عن وفاة المهدي . وقد هدفت الى جمع آثاره المكتوبة والمقولة بغرض المحافظة عليها كما

هدفت إلى نشر ما يمت الى مهديته بصلة بغرض توطيد الدعوة والابقاء على جذوتها متوهجة [1] .

وهذا الكتاب الذي نحققه ونقدم له بهذه المقدمة ، وهو « سعادة المستهدي بسيرة الإمام المهدي » [2] لاسماعيل بن عبد القادر الكردفاني ، ثمرة من ثمرات هذه الحركة .

المؤلف :

لقد ورد ذكر اسماعيل في مراجع قليلة : فمؤلفات هولت لا تشير اليه كلية . وموسوعة ريتشارد هل عن شخصيات السودان لا تذكره . وكتيب ارمـــاين وليز ، مدير المخابرات في السودان سابقاً ، عن الطوائف الدينية تغفل عنه كلية . وقد سكت ونجت عن الكلام عنه في كتابه عن المهدية في السودان وفي تقاريره ، وحتى عندما تكلم عن وثائق عفافيت وأشار الى أن جملة منها قد كتبت للاستفادة منها في تسجيل الحوادث في ديوان الخليفة لم يذكر عن هذا المؤلف أو عن كتابه شيئاً . كذلك لا يجيء ذكره في التقرير الذي أعده ونجت عن حوادث السودان والحالة فيه من واقع أقوال سلاطين باشا بعد هربه من السودان.وقد جاء ذكره في وثائق المخابرات الحربية المصرية على ضخامتها واتساعها وشموليتها مرة واحدة ، وذلك في التقرير الذي كتبه عنه نعوم شقير باللغة الانجليزية بعنوان « مذكرة عن اسماعيل عبد القادر وسيرة

(١) قلنا : راجع في ذلك كتاب : الحركة الفكرية في المهدية للدكتور محمد إبراهيم أبو سليم ، وسوف نشير الى هذا المصدر فيما يلي بقولنا : الحركة الفكرية .

(٢) قلنا : سوف نشير الى هذا الكتاب فيما يلي بقولنا : السيرة .

المهدي » والمؤرخ في ٢٥ مايو سنة ١٨٩٥ . ولم تتح لنا الظروف أن نقف على هذا التقرير ولكن أهميته تتضح من خلال ما يذكره حاييم شاكد في مقاله الجيد عن « سعادة المستهدي » . ومن الملاحظ أن نعوم لم يذكره في تقاريره بعد ذلك ولم يهتم بأمره ، وحتى عندما تم فتح السودان وأعد ذلك التقرير الشامل عن واقعة ام درمان وعن دولة المهدية وما خلفته من وثائق وآثار ، وهو التقرير رقم (٦٠) في سلسلة التقارير الشهرية السرية للمخابرات الحربية المصرية لم يحفل بذكره . بل إن نعوم يسكت عنه حتى عندما يعد تقريراً قائماً بذاته عن وثائق المهدية التي عثر عليها بعد واقعة أم درمان . ومن الواضح انه لم يضف في تاريخه كثيراً على ما أورده في التقرير اللهم إلا تفصيل المكيدة التي نصبها أحمد على قاضي الإسلام لالقائه في التهلكة . ولعله فيما عدا ذلك لجأ الى إعادة صياغة ما جاء في التقرير وألغى بعض ما كان مبالغاً في الصياغة «!» .

وعلى ذلك يمكننا أن نقول إن اهتمام نعوم ومكتب المخابرات الذي كان يعمل به قد اكتفى بالحصول الذي ورد في التقرير الذي أشرنا اليه وبالحصول على نسخة من سعادة المستهدي والطراز . وهذا أمر طبيعي لأن إدارات المخابرات لا تهتم بالأمور إلا إذا كانت قائمة وبالشخصيات إلا اذا كانت عاملة ومؤثرة .

وقد ورد اسم إسماعيل في وثيقتين أشرنا إليهما في مكان آخر وهما الوثيقة الصادرة عن محاكمة الخليفة شريف وسجنه (١) ، والوثيقة الخاصة بمصادرة المراكب وأيلولتها الى بيت المال (٢) . غير أنهما لا يضيفان إلا القليل الى ما هو معروف عنه وعن حياته .

وتصديق محكمة الإسلام الذي ينقله حفيده حسين المفتي في كتابه « تطور

---

(١) تاريخ نعوم ص ١١٦٩ .

(٢) هولت : وثائق المهدية وما يتصل بها مقابل صفحة ١٩٥ .

نظام القضاء في السودان » [1] لا يفيدنا عنه بشيء سوى أنه كان من نواب محكمة الإسلام .

وهناك القول بأن مجلة الجوائب المصرية قد نشرت له قصيدة نال بها جائزة في إحدى المسابقات الشعرية ولكننا لم نقف على هذا الشعر أو أي خبر نشر له في الجوائب أو غيرها .

وقد حثنا حفيده حسين المفتي على الحصول على نص القصيدة من مجموعة مجلة الجوائب التي يعتقد أنها محفوظة بدار الكتب المصرية ولكن لم تتح الفرصة لنا للبحث عنها ولسنا نعرف إن كانت مجموعة هذه المجلة محفوظة بها أم لا .

وإسماعيل نفسه يكتب بطريقة متباعدة عن نفسه فلا يذكر شيئاً عن نفسه أو أُسرته بطريقة مباشرة . وكل ما أمكن أخذه من السيرة لا يتعدى حادثين: أولهما ما يعني اشتراكه في واقعة شيكان [2] وثانيهمـــا وجوده في معسكر الجنزارة أثناء حصار الأبيض [3].

وقد تكلم عنه الشيخ محمد عبد الرحيم في موسوعته [4] ، ولكنه يقف حيث يقف نعوم شقير في تاريخه وسلاطين ولا يضيف عليهما شيئاً .

وقد نقل كتاب شعراء السودان لسعد ميخائل قصيدته المشهورة : سمت قبة المهدي مجداً وسؤدداً ، وقدم لها بمقدمة تعريفية [5]. وهذه المقدمة تعد في

---

(١) حسين سيد احمد المفتي : تطور نظام القضاء في السودان ص ١٦١ . سوف نشير الى هذا المصدر فيما يلي بقولنا : القضاء .

(٢) السيرة ص ٨٤ و ٢١٢

(٣) السيرة ص ١٧٧ .

(٤) موسوعة محمد عبد الرحيم – انظر ترجمة إسماعيل عبد القادر .

(٥) شعراء السودان ص ٣٩ - ٤١ .

نظرنا ، رغم اقتضابها وإغراقها في الاسلوب البياني ، من أوفى ما كتب عن المؤلف . ويورد حفيده حسين المفتي ترجمة مختصرة لحياته في كتاب « تطور نظام القضاء في السودان » ويشير اليه إشارات متفرقة [1]. وقد روى لنا عن عزمه على وضع كتاب كامل عن حياته .

إن المصادر الرئيسية عن الكردفاني هي تقرير نعوم الذي سلفت الإشارة اليه وتاريخ نعوم وكتاب السيف والنار لسلاطين وكتاب تطور نظام القضاء لحفيده حسين المفتي ومقالتا حاييم شاكد : « مخطوطة سيرة مهدي السودان » و « صورة مهدي السودان في مخطوطة سيرة وحيدة باللغة العربية » . ان هاتين المقالتين تحاولان استخلاص ما يمكن استخلاصه من السيرة ومما يسوقه نعوم وسلاطين .

وهكذا يمكننا أن ننتهي إلى أن المصادر التي روت عن حياته تعد قليلة ، بل يمكننا أن نرد ما هو معروف عنه إلى أربعة مصادر هي نعوم شقير وسلاطين وسعد ميخائيل وحفيده حسين . وإذا ما نظرنا إلى المعلومات المتوفرة عن المؤلف ومداها فسنجد أن هناك فجوات كبيرة في حياته لم يصلنا عنها شيء . وبعض أطراف حياته تذكر كأمر عابر ، مثل مولده وتعليمه . ومرد هذا ، في نظرنا ، إلى أن الرواة لم يحفلوا بتفاصيل حياته مثلما حفلوا بخبر كتابه والنكبة التي حلت به وإلى أنه هو نفسه لم يرو لنا شيئاً عن نفسه أو حياته . ومما زاد الأمر غموضاً أنه لم ينل في المهدية إمارة ولا اشترك بوجه ظاهر في واقعة أو حادثة . وكان منصب الافتاء الذي تولاه في التركية والقضاء في المهدية لا يثير الرواة . وغالب الرأي عندنا أن إسماعيل يعيش حياته الثانية معنا لكونه ألف في تاريخ المهدية ولأن نكبته كمؤرخ أو شحص كان مقرباً إلى الخليفة قد

---

(١) القضاء ص ١٣٩ - ١٤٤ ، ١٤٩ ، ١٥١ ، ١٦١ .

خلق إثارة في الأذهان ووجهاً دراميا يرويه الناس عن طبائع الخليفة ونوبات الغضب على اللصيقين به .

ولد إسماعيل بن عبد القادر بمدينة الأبيض حوالي ١٢٦٠ هـ/ ١٨٤٤ [١] . وتربى في جو إسلامي . فهو حفيد إسماعيل بن عبد الله المشهور بالولي ومؤسس الطريقة الإسماعيلية من بنته عائشة [٢] . وكان لإسماعيل الولي ولد كثير من البنين والبنات ، ولكن لم يشتهر منهم إلا أحمد الأزهري ومحمد المكي . أما أحمد فهو شقيق والدة إسماعيل بن عبد القادر [٣] ، ولذلك كانت رعايته له واستصحابه معه إلى مصر ليتعلم في الأزهر . وكان موقفه إزاء المهدية على النقيض من موقف الأسرة كلها . فقد ألف رسالة [٤] في نقض مهدية المهدي ونادى ببطلانها ودعا الناس إلى الوقوف بجانب السلطة التركية . وقد طبعت هذه الرسالة بمطبعة الحجر في الخرطوم ووزعت على الناس تعزيزاً للحملة على المهدي وتقوية لموقف الحكومة منه . وقد عين أحمد الأزهري بعد ذلك قاضياً ومفتياً لغرب السودان وتوجه مع تجريدة عسكرية ليحتل منصبه ولكنه قتل على يد أنصار المهدي في واقعة صغيرة قرب باره في ١٨٨٢ [٥] .

وأحمد هذا مشهور بالأزهري لانتسابه إلى الأزهر الشريف طالباً ومدرساً ، وقد ورث هذا اللقب عنه ابنه اسماعيل الأزهري ، مفتي العهد الثنائي المشهور ، وحفيده إسماعيل الأزهري .

---

(١) شعراء السودان ص ٣٩ ، القضاء ص ١٣٩ .

(٢) القضاء ص ١٣٩ .

(٣) موسوعة محمد عبد الرحيم : انظر ترجمة إسماعيل عبد الله الولي .

(٤) انظر نصها في تاريخ نعوم ص ٩٦١ وما يلي .

(٥) تاريخ نعوم ص ٦٩٦ ، الحركة الفكرية ص ٢٠٢ .

أما محمد المكي فهو الابن الأكبر لإسماعيل الولي ، وقد خلف أباه في رئاسة السجادة الإسماعيلية وأبوه ما زال على قيد الحياة ، وقد بقيت هذه الرئاسة في بيته إلى هذا اليوم . وكان محمد المكي من المؤيدين لحركة المهدي ومن أقوى المناصرين للخليفة عبد الله (١) . وقد عهد اليه الخليفة ، لثقته القوية فيه ، تربية أحمد بن محمد عثمان الميرغني الأوسط . ومن شواهد مكانته عند الخليفة أنه أهدى اليه بغلة الامبراطور يوحنا ، التي غنمت في واقعة القلابات ، بسرجها وكل متعلقاتها (٢) .

هذا من جهة أمه أما عن خبر أبيه فلا نعرف إلا القليل . وقد توافقت المصادر كلها ، ما عدا تطور نظام القضاء ، على أن تورد اسم المؤلف بغير اسم الجد . وإسماعيل نفسه يسقط اسم هذا الجد في كل المواضع التي ذكر فيها اسمه . وحتى في خطبة السيرة وخطبة الطراز (٣) وفي ختمه يكتفي اسماعيل باسمه هو واسم أبيه فقط (٤) .

وقد جاء في كتاب الإسلام في السودان (٥) أن والد المؤلف هو إسماعيل الولي ، ولكن هذا خطأ بالتأكيد لأننا نعرف أن إسماعيل الولي هو جده من

---

(١) هولت : دولة المهدية ص ١٣٦ - ١٣٧ .

(٢) موسوعة محمد عبد الرحيم : انظر ترجمة إسماعيل عبد الله ومحمد المكي ، الطراز ص ٦٣ . انظر عن إسماعيل الولي وأحمد الأزهري ومحمد المكي المصادر التالية : الإسلام في السودان لترمنجنقهام ، الاولياء والصالحون لهولت ، الطوائف الصوفية في السودان للدكتور عبد القادر محمود ، مصادر متنوعة بدار الوثائق المركزية .

(٣) السيرة ص ٦٣ الطراز ص ١ .

(٤) انظر هذا الختم في وثيقة إدانة الخليفة شريف الاصلية وانظر أيضاً القضاء ص ١٦١ وانظر وثيقة اعلام المركب في هولت : وثائق المهدية وما يتصل بها مقابل ص ١٩٥ .

(٥) ترمنجنقهام : الإسلام في السودان ص ١٠٧ .

أمه . وقد سمي المؤلف – فيما نحتمل – على جده هذا . وقد ذكر لي حفيده مكي أبو ، مدير عام بوليس السودان حالياً ، وأحد المهتمين بتاريخ الأسرة ، أن والد المؤلف اشتهر بلقب عبد القادر شيخ الجلابه ، ولو صح هذا الخبر فانه يجعله في محيط العاملين في حقل التجارة . ويذكر سعد ميخائيل أن أباه كان حياً عندما كان إسماعيل في الفاشر وأنه أسرع بالعودة الى الابيض بحجة مرض والده المتقدم في السن [1] .

ولا يذكر حسين المفتي شيئاً عن والد الكردفاني ولا عن جده ، ولكنه يفيدنا بنسب الكردفاني: « هو اسماعيل المشهورباسماعيل المفتي بن عبد القادر بن عبد الله بن داود بن سليمان من قبيلة الصواردة المعروفة بشمال السودان » [2] .

ولنا أن نتساءل : لماذا سكتت المصادر وسكت المؤلف نفسه عن الكلام عن أبيه وعن ذكر اسم الجد . هـــل لأن الوالد كان رجلاً خامل الوجاهة أو كان من المكانة الاجتماعية على وضع لا يسر أن يذكر ؟ لانخال الأمر كذلك . اذ لو كان الأمر كذلك لما أمكن له أن يصاهر بيتاً مرموقاً وأن يتزوج بنت إسماعيل "ولي . وانما الأمر عندنا مربوط بظاهرة عامة تتصل بأسماء أغلب مشاهير السودان في القرن الماضي وهي الاكتفاء باسم الشخص واسم أبيه كأحمد عليويونسالدكيم وأحمد سليمانأو الاكتفاء بالنسبة إلىالأب فيقال ود فلان (لا يستعمل السودانيون لفظ ابن إلا قليلاً) ثم بعد ذلك ينسب المرء إلى الموطن أو مكان الدراسة أو القبيلة إذا دعت الحال فيقال الكردفاني والسناري والمكي والمدني والأزهري والانقريابي والمحسي الخ . وفي نظري أن الأصل في ذلك راجع إلى كيفية تداول الأسماء في الألسن إذ يكتفي المرء باسم الشخص أو باسمه منسوباً إلى أبيه ثم انتقلت الظاهرة الى المصادر المكتوبة . وعلى ذلك

---

(١) شعراء السودان ص ٤٠ .

(٢) القضاء ص ١٣٩ .

فان سكوت المصادر عن اسم جد المؤلف أمر طبيعي ، وإغفال المؤرخ عن ذكر أبيه وعن اسم جده لا يعني الاعادة كانت متبعة في عصره أو ظاهرة لم تكن مستغربة على الأقل .

وأغلب المؤرخين يذكرون أن الكردفاني ينتسب إلى قبيلة البديرية وفيهم إلى فرع الدهمشية [١] . ولكن حفيده حسين يرى أن أجداده من قبيلة الصواردة [٢] ، نسبة الى قرية صوارده بريفي السكوت . وعند سعد ميخائيل انه عباسي [٣] . وقد تردد القول بأنهم من دبة الفقراء بالمديرية الشمالية . والبعض يقول بأنهم من الغرب ومثل هذا لا ينبغي أن يشغلنا كثيراً ، على الأقل في هذه المقدمة .

تلقى إسماعيل المراحل الأولى من تعليمه في خلوة جده بالأبيض [٤] ثم أخذه خاله أحمد الأزهري إلى مصر وألحقه بالأزهر الشريف.ويذكر حفيده حسين أن عمره كان عندئذ ١١ عاماً [٥] . وقد اختلفت المصادر حول طول إقامته في مصر . ففي تقرير نعوم أنه قضى بها ١٦ سنة [٦] . وفي تاريخه انه قضى ٨ سنوات [٧] وفي رأي ماكايكل ومحمد عبد الرحيم وسعد ميخائيل أنه قضى ١٢

---

(١) موسوعة محمد عبد الرحيم : انظر ترجمة إسماعيل بن عبد الله الولي ، وانظر أيضاً موسوعة هل ، وشاكد ص ٥٢٨ .

(٢) القضاء ص ١٣٩ .

(٣) شعراء السودان ص ٣٩ .

(٤) القضاء ص ١٣٩ ، شعراء السودان ص ٣٩ .

(٥) القضاء ص ١٣٩ .

(٦) تقرير نعوم ص ٢ نقلاً عن شاكد .

(٧) تاريخ نعوم ص ١١٧٦ .

عاماً [١] . وعند حفيده حسين أنه مكث هناك أكثر من عشر سنين [٢] . وقد أورد شاكد مختلف الروايات دون أن يؤيد إحداها [٣] .

وعندنا أن هناك خلطاً بين إقامته وإقامة خاله أحمد الأزهري ، ولكن ليس هناك وجه لترجيح قول على آخر .

ويقال إن اسماعيل قد بلغ شأواً عظيماً من النجابة وانه كان على قدر كبير من المكانة بين طلاب الأزهر . يقول نعوم في تقريره أنه عرف بين أترابه بالذكاء وانه بلغ مرتبة عالية في الأدب العربي ، ثم يضيف أنه مشهور بالقاهرة وأن علماء الأزهر يعطونه مقاماً كبيراً [٤] . ثم يقول في تاريخه أنه اشتهر هناك بالنجابة والذكاء [٥] . أما سلاطين فيكتفي بذكر أنه تلقى تعليماً حسناً بالأزهر [٦] . ويقول سعد ميخائيل في كتاب شعراء السودان : « لتلقي العلم هنا فأخذ على فطاحلته (يقصد الازهر) المعروفين حينذاك قسطاً وافراً منه واشتهر بين مشائخه بالذكاء المفرط وسرعة التحصيل على حداثة سنه فخطا خطوات واسعة في سائر العلوم التي كانت مقررة بالازهر المعمور وقتها – إلا أنه برز في علوم الآلة بأنواعها وفي الميراث والتاريخ . وكان له القدح المعلى في الأدب وحفظ أشعار العرب وملحهم وأمثالهم وسرعة الخاطر وجودة

---

(١) ماكمايكل : تاريخ العرب في السودان جـ ٢ ص ٦١ ، وموسوعة محمد عبد الرحيم، وشعراء السودان ص ٣٩ .

(٢) القضاء ص ١٤٠ .

(٣) شاكد ص ٥٢٩ .

(٤) تقرير نعوم ص ٢ .

(٥) تاريخ نعوم ص ١١٧٦ .

(٦) سلاطين ٣٠٩/٢٢٣ .

البديهة مغرماً بالشعر »[1] وقد روى لي حفيده حسين المفتي ، أنه اشترك في مسابقة شعرية نظمتها مجلة الجوائب المصرية وفاز بجائزتها الاولى . ومما يلفت النظر هنا أن المؤلف يذكر هذه المجلة في كتاب الطراز ويشير إلى بعض ما جاء فيها[2] ، الأمر الذي يوحي أنه كان من قرائها .

وجاء في كتاب حفيده أنه : « حفظ القرآن الكريم بالأزهر وجود قراءته فيه على جماعة من القراء هناك والتحق بالأزهر طالباً في الحادية عشرة من سنه وتلقى دروسه في مختلف العلوم على كبار العلماء . وهناك اشتهر بالذكاء والنجابة والتفوق على الاقران . وكثيراً ما جعل أساتذة الازهر تلميذهم إسماعيل حكماً بينهم فيما يحصل بينهم من اختلاف في المسائل العلمية . وبعد أن مكث بالازهر أكثر من عشر سنين أتم علومه هناك فمنحه علماء الازهر الإجازات العامة والخاصة وعلى رأسهم العالم العلامة الشيخ حسن الطويل المصري كبير علماء الازهر إذ ذاك »[3] .

ويذكر هذا المصدر نفسه أنه أخذ بعد الإجازة العلمية « يلقي دروسه في الأزهر في المنطق وفي علمي المعقول والمنقول وغير ذلك من العلوم »[4]، وهو المصدر الوحيد الذي ذكر انه درّس في الازهر .

ويدل أسلوبه الذي كتب به السيرة والطراز أنه كان على مستوى يتفق مع أخبار نجابته وتحصيله في الازهر .

ثم عاد اسماعيل الى السودان متخذاً درب الاربعين في صحبة قافلة تجارية

---

(١) شعراء السودان ص ٣٩ .

(٢) الطراز ص ٣٤ .

(٣) القضاء ص ١٣٩ - ١٤٠ .

(٤) القضاء ص ١٤٠ .

متجهة الى دارفور ، وقد مر على الفاشر ولقي بها تكريماً عظيماً . يقول سعد ميخائيل : « فمر على سلاطينها وقت ذاك فأكرموا وفادته ومنحوه الهبات الوفيرة من الرقيق والمال عندما تحققوا علمه وحسبه وطلبوا إليه أن يتأخر معهم لبث العلم في ديارهم فأقام قليلاً في نشره بينهم حتى تخرج على يده كثير من أهالي تلك الجهة ... ثم اعتذر عن الإقامة ورجا منهم أن يسمح له بمواصلة سيره إلى وطنه لمشاهدة والده الذي بلغه خبر مرضه وهو في اخريات عمره »[١].

ولما بلغ الأبيض عينته الحكومة المصرية مفتياً لديار كردفان[٢] . وهناك قول بأنه كان يقوم بالتدريس بالإضافة إلى وظيفة الافتاء وأن عدداً قد تخرج على يديه[٣] . وقد بقي في هذه الوظيفة حتى تركها بنفسه وانتقل إلى جانب المهدية عندما عسكر المهدي في كابا وأرسل ينذر أهل الأبيض بما يحيق بهم إن لم يسلموا إليه . وهناك دليل في السيرة يمكن أن يؤخذ منه أنه خرج فيمن خرج إلى كابا ولكن تحديد تاريخ خروجه على وجه الدقة أمر بعيد لأن الناس قد تتابع خروجهم في أيام متتالية . ويمكن القول بما يشبه التأكيد بأن خروجه كان قبل ٢٣ شوال[٤] لأن خروج أهالي الأبيض إلى المهدي قد تكامل في هذا اليوم .

وليس لدينا فيما يرويه المؤلف أو ما ترويه المصادر ما يفيدنا عن سبب تحوله من جانب الحكومة إلى جانب المهدي ، ولكن من الممكن

---

(١) شعراء السودان ص ٤٠ .

(٢) شعراء السودان ص ٤٠ ، القضاء ص ١٤٠ ، مذكرة نعوم ص ٢ .

(٣) القضاء ص ١٤٠ .

(٤) يذكر الكردفاني في السيرة أن الناس قد تتابع خروجهم وأن الخروج قد تكامل في ٢٣ شوال ، وهذا يعني انه قد خرج قبل هذا التاريخ : انظر السيرة ص ٢٠٦ — ٢٠٨

ان نقترح ثلاثة احتمالات : أولها برمه من النظام السياسي السائد مثله في ذلك مثل كثير من المفكرين في مصر ، وثانيها الرغبة في الانضمام إلى المهدي لاعتقاده فيه وإيمانه بمهديته . ومما يقوي هذا الاحتمال موقف خاله محمد المكي وبقية أفراد الأسرة – ما عدا أحمد الأزهري – من المهدية ومؤازرتهم لها منذ مراحلها الأولى حتى نهايتها . أما الاحتمال الأخير فهو موقف الضرورة باعتبار أن النظام التركي سيزول وأن حكم المهدية سينتصر وأن من الحكمة الانحياز إلى المهدية قبل فوات الأوان . فالأمر أمر تقية وسياسة وليس أمر ايمان . وفي موقف المؤلف من بعض قضايا المهدية ، كما يأتي ذكرها في مكان آخر من هذه المقدمة ، ما يشجعنا على الميل الى هذا الاحتمال .

انضم اسماعيل إذاً إلى المهدي قبل واقعة الجمعة المشهورة ولكننا لا نعرف شيئاً عن اشتراكه في هذة الواقعة . وقد أوضح المؤلف بما يفيد أنه كان بمعسكر الجنزارة ، وهو المعسكر الذي استقر به المهدي بعد واقعة الجمعة وضرب منه الحصار على الأبيض ، يقول : « فإنا شاهدنا وقوع الجلل في محل النزول المذكور (يقصد الجنزاره) مراراً من المدينة المذكورة » .[1] وقد حضر المؤلف واقعة شيكان التي هزمت فيها قوات هكس ، ودليلنا على ذلك أنه يقول : « وقد شاهدت الحرق المذكور في تلـــك الأجسام في غزوته عليه السلام للطاغية الهكسي » [2] . ثم صحب المهدي إلى الخرطوم واستقر به المقام في أم درمان [3] .

ويبدو أنه عمل في حياة المهدي في القضاء . فقد روى حسين المفتي أن

---

(١) السيرة ص ١٧٧ .

(٢) السيرة ص ٨٤ و ٢١٢

(٣) تاريخ نعوم ص ١١٧٦ .

المهدي انتدبه ومعه الشيخ محمد البدوي ليرافقا السيد محمد عبد الكريم الذي كلف بفتح سنار ليقوما بتعيين القضاة في الجهات التابعة لعمالته [١] . ويروي نفس المصدر اسمه ضمن قضاة أم درمان [٢] ، كما يذكر من أقربائه في مجموعة قضاة الأقاليم إسماعيل الأزهري الذي تولى القضاء في منطقة الكاملين والباقر ابن إسماعيل الولي الذي كان قاضياً على جهة السبيل بالجزيرة [٣].

ويقول في موضع آخر إن الخليفة عبد الله انتدبه للفصل في المنازعات التي تقع بين كبار التعايشة على اختلاف أنواعها حتى الجنائية منها [٤] . ويظهر من تصديق صادر من محكمة الإسلام أنه كان أحد نواب هذه المحكمة [٥] . وقد جاء في كتاب سلاطين أنه كان قاضياً [٦] . وجاء في تقرير نعوم أنه كان نائباً لقاضي أم درمان [٧] ، ويعني به قاضي الإسلام أحمد علي ، وإن كان من المظنون عندنا أنه بلغ منصب نائب قاضي الإسلام بعد تأليف السيرة . ومن الملاحظ أن نعوم أسقط الإشارة الى توليه القضاء عندما تكلم عنه في تاريخه . وربما كان ذلك لأن أمر توليه القضاء لم يعد يهمه وهو يؤرخ للمهدية كلها ، أي أن إغفال ذلك لا يعني نفياً لواقعة التولية نفسها . وقد روى سعد ميخائيل أنه تولى القضاء بأم درمان في عهد الخليفة [٨] . ومما يرجح هذا الأمر إشارته

---

(١) القضاء ص ١٣٢ .

(٢) القضاء ص ١٤٩ .

(٣) القضاء ص ١٥٠ .

(٤) القضاء ص ١٥١ - ١٥٢ .

(٥) القضاء ص ١٦١ .

(٦) سلاطين ص ٣٠٩ - ٢٢٣ .

(٧) شاكد ص ٥٣١ .

(٨) شعراء السودان ص ٤٠ .

الكثيرة في السيرة والطراز الى قاضي الإسلام أحمد علي . ومما يدل على وجاهته بين العلماء والكتاب أنه كتب تقريظاً لرسالة الحسن سعد العبادي التي طبعت في ١٣٠٤ هـ بمطبعة المهدية أي قبل قيامه بكتابة السيرة [١] . ويؤكد هذا ما ذكره سعد ميخائيل من أنه ظفر بمكانة عالية عند الخليفة عقب توليه القضاء وان ذلك مهد الى تكليفه لوضع السيرة [٢] .

ويذكر سلاطين أنه نال حظوة عظيمة لدى المهدي عندما أعد جانباً من تاريخه [٣] ومع أن هذه الواقعة مشكوك في أمرها فإنها تفيدنا بأن إسماعيل كان على شيء من الوجاهة في عهد المهدي .

وقد ظل حاله على ما كان عليه حتى كان تأليف السيرة فارتفعت مكانته وعلا شأنه . يقول نعوم في تاريخه : « وعلت منزلة إسماعيل عبد القادر ونفذت كلمته » [٤] . ويقول سعد ميخائيل : « وبعد وفاة المهدي صحب خليفته عبد الله التعايشي فولاه منصب القضاء بأم درمان واصطفاه لنفسه وبلغت منزلته عنده الدرجة القصوى . ولما تحقق فيه العلم أشار عليه بتأليف سيرة في المهدية تكون جامعة لجميع حوادثها وتطوراتها من يوم نشأتها الى فتوح الخرطوم ... ووقعت هذه السيرة من قلب الخليفة الموقع الحسن فقربه اليه كثيراً واتخذه خليلاً له في أخص خلواته وطار صيته في المهدية وعلت منزلته عند خليفتها الى درجة جعلت أصحاب الغايات يشون به لديه [٥] .

---

(١) الأنوار السنية ص ٢٦٢ - ٢٦٥ .

(٢) شعرء السودان ص ٤٠ .

(٣) سلاطين ص ٣٠٩ - ٢٢٣ .

(٤) تاريخ نعوم ص ١١٧٧ .

(٥) شعراء السودان ص ٤٠ .

ومما يدل على أن السيرة قد وجدت مثل هذه الاستجابة أنه أسرع بتأليف كتاب الطراز .

وهناك دليل آخر على ما بلغه المؤلف من المكانة بين العلماء والقضاة والأعيان . فاسمه يظهر في المركز الرابع بين العلماء والقضاة الذين نظروا في أمر الخليفة شريف وأصدروا وثيقة إدانته [1] . وهو يأتي بالتحديد بعد أحمد علي قاضي الإسلام والسيد محمد المكي وعبد القادر أم مريوم . وفي إعلام صدر عن العلماء والاعيان والقضاة بصدد ضم المراكب الى بيت المال [2] يظهر اسمه في المركز الثالث ، أي بعد أحمد علي وعبد القادر أم مريوم . وقد صدر الإعلام في ٢٣ شعبان ١٣٠٩ هـ الموافق ٢٣ فبراير ١٨٩٢ . أما وثيقة الإدانة فقد صدرت في ١٣٠٩ هـ ولكننا لم نجد تاريخاً معتمداً لليوم والشهر .

ثم جاءت النكبة في السنة التالية . وعلى ما يقول سلاطين فإن الخليفة قد عهد لجماعة من العلماء ليحققوا فيما نسب اليه ، ولما تحقق ذلك وضع في الحديد ونفي الى الرجاف [3] . وكانت هناك قوة بقيادة عربي دفع الله متجهة الى الجنوب على سفينتين فأرسل المؤلف في معيتها ضمن عدد من المسجونين ممن يتصلون بحركة الاشراف ، وكان من بين هؤلاء محمد خالد زقل . وقد أبحرت السفينتان من أم درمان في ١٢ أغسطس ١٨٩٣ . ثم وبعد أن تعطلت الحملة في الطريق بسبب حرب الشلك وصلت الى الرجاف في ٢٢ أكتوبر سنة ١٨٩٣ [4] . وقد نقل اسماعيل مع المسجونين الآخرين الى جزيرة قصاد الرجاف

---

(١) تاريخ نعوم ص ١١٦٩ .

(٢) هولت : وثائق المهدية وما يتصل بها مقابل صفحة ١٩٥ .

(٣) سلاطين ص ٣٠٩ - ٣١٠ / ٣٢٣ - ٣٢٤ .

(٤) تاريخ نعوم ص ١١٧٧ ، الحركة الفكرية ص ٢٠٢ .

ليبقى بها في ضيق وكرب حتى توفي في أواخر ١٣١٦ هـ (يوافق ذلك أوائل ١٨٩٧) . ويقال ان مرفعينا اختطفه وهو ملقى على مرقده لا يستطيع حراكاً من شدة الجوع . ولكن أقرباءه ينفون هذا الوجه من نهايته [١] .

وقد لحقت النكبة بتأريخه – أي بالسيرة والطراز معاً – اذ صدر أمر الخليفة بأن يحرق أينما وجد فأحرقت نسخه ما عدا نسخه وحيدة اقتناها نعوم شقير وهي النسخة المحفوظة في مكتبة جامعة درم والتي عليها الاعتماد الآن [٢].

ترى لماذا غضب الخليفة على اسماعيل بعد أن قربه اليه ورفع من شأنه ثم دفع به الى ذلك المصير البشع ، ليموت جائعاً مهملاً في أقاصي البلاد أو ليخطفه مرفعين وهو لا يستطيع حراكاً ! لماذا يفعل ذلك وهو العالم المقرب وصاحب كتاب السيرة الذي أعجب به الخليفة ! لماذا هذه القسوة وهو ابن أخت محمد المكي أحد أقرب المقربين الى الخليفة ؟ هناك عدد من الروايات تروى في هذا الصدد .

يقول سلاطين أن مرد نكبة اسماعيل هو غروره الذي جعله يشبه علاقته بالخليفة عبد الله بعلاقة اسماعيل المفتش بالخديوي اسماعيل ، وأن الخليفة عندما بلغه هذا التشبيه انتابه الغضب الشديد ، وأنه عهد الى بعض العلماء ليحققوا فيما نسب اليه [٣] . ويروي نعوم في تقريره أن الخليفة نكب به لان لسانه قد انزلق وتعرض الى الخليفة بسوء [٤] . ويبدو من اشارة شاكد [٥] أن هذا التقرير

---

(١) الحركة الفكرية ص ٢٠٢ .

(٢) سلاطين ص ٣١٠ – ٣٢٤ ، تقرير نعوم ص ١ ، الحركة الفكرية ص ٢٠٢ – ٢٠٣ .

(٣) سلاطين ص ٣٠٩ – ٣١٠ / ٣٢٣ – ٣٢٤ .

(٤) شاكد ص ٥٣١ .

(٥) شاكد ص ٥٣٢ .

لا يتعرض الى تفاصيل ما نسب اليه . ويرجع سعد ميخائيل بالسبب الى الوشاية ولكن دون أن يذكر ماهيتها ومصدرها ، يقول سعد : « وعلت منزلته عند خليفتها الى درجة جعلت أصحاب الغايات يشون به لديه ، وكانت الوشاية آخذة مأخذها حين ذاك ، ففعلت هذه الوشاية فعلتها في نفس الخليفة »[١] .
أما نعوم في تاريخه فقد ألقى التبعة كلها على أحمد علي قاضي الإسلام ، يقول : فحسده القاضي أحمد وسلط عليه بعض أخصائه فسعوا به عند الخليفة فشهد بعضهم أنه سمعه يقول : كيف تطاق أن تسلم أمور الرعية كلها إلى رجل جاهل غشوم مثل عبد الله التعايشي . وشهد آخر عليه أنه قال : إني والخليفة كإسماعيل باشا المفتش مع إسماعيل باشا الخديوي . وقال آخر إنه ملأ السيرة مغامز تحط من شأن المهدية وتدل على إنكاره إياها[٢] » .

وهكذا تتفق المصادر على إرجاع سبب النكبة إلى الوشاية ، وقد ساقت لذلك ، على اختلاف بينها ، ثلاثة عناصر : أنه قال بجهالة الخليفة عبد الله وعدم أهليته للخلافة . والقول بأنه ملأ السيرة بالمغامز التي تحط من شأن المهدية . ثم القول بمقارنة علاقته بالخليفة بالعلاقة بين إسماعيل المفتش والخديوي إسماعيل . وأول هذه العناصر قد يلحق بالحركة المناوئة للخليفة فينسب المؤلف الى حركة الاشراف . وهذا ما نعالجه أدناه . والثاني نعالجه عند الكلام عن أسلوب التأليف . وكلا الأمرين لا يمكن إثباتها أو نفيها بوجه محقق . أما الثالث ، فقد وصف سلاطين تأثيره على نفس الخليفة ، اذ أن ذلك في تقديره يجعله في مصاف والخديوي والذي هو مجرد « تركي » بدلاً من أن يكون خليفة للمهدي والذي هو خليفة الرسول ويبعده كلياً عن النظرية الدينية التي تقوم عليها الخلافة . وعندنا أن استعارة إسماعيل بالمفتش لم يقصد به النيل من الخليفة أو

---

(١) شعراء السودان ص ٤٠ .

(٢) تاريخ نعوم ص ١١٧٧ .

تخفيض مكانته إن صح أنها صدرت منه وإنما القصد منها الكناية عن علو مرتبته وقربه من الخليفة وقوة تأثيره عليه . ومثل هذه الاستعارة لا يبعد أن يصدر من شخص تعلم في مصر وعرف ما كان للمفتش من نفوذ وتأثير على الخديوي .

وقد روى لي ميرغني السيد الباقر ، وهو قاض شرعي سابق ومن أحفاد اسماعيل عبد القادر ، وجهاً آخر للنكبة فقال : إن الخليفة روى في مجلس الآباء : إن اسماعيل الكردفاني أخونا وحبيبنا وما عمل لينا أي حاجة ولكن كلما أستشيره في موضوع من المواضيع يبدي لي آراء كثيرة وأجد رأيي فيها أضعف الآراء فخشيت أن ينحاز الى الجانب المناوىء لنا وهو جانب الاشراف فيرجح كفته فأحببت أن أبعده .

هذه الرواية تبرز ثلاث نقاط : أولها أن اسماعيل لم يقم بعمل ايجابي يمس الخليفة ، وأن سبب النكبة لا يرجع الى الوشاية ، وإنما الى ملاحظة الخليفة الشخصية ومعرفة مكمن الخطر فيه . وثانيها رجاحة عقله واعتراف الخليفة بتفوقه عليه وهذا أمر نستبعد صدوره من الخليفة . وثالثها أنه اتقى شره بأن أبعده حتى يبعد فرص احتمالات استفادة الطرف المعادي له منه . أي أن نكبته مرتبطة بحركة الاشراف .

ولقد أبدى حاييم شاكد [1] وجهة نظر جديدة إزاء أسباب النكبة . فهو يرفض أن يكون أحمد علي قد لعب الدور الذي يروى عنه ، لأنه يرى بشكل قاطع أن اسماعيل لم يصل قدراً من المرتبة والنفوذ ما يجعله خطراً عليه . ولذلك فإنه يرى بعد أن يستعرض ما رواه سلاطين ونعوم أن ما ذهبا إليه ، حتى وإن أصاب الحقيقة ، يبدو مستنداً على الاشاعات التي تصور نهاية اسماعيل

---

(١) شاكد ص ٥٣٢ .

أكثر من كونه تفسيراً للأسباب الحقيقية لسقوطه . ثم يقول إن مرد التحول الذي طرأ على وضع اسماعيل قد يبدو في الأمر الذي توافق صدوره مع أمر النفي بجمع نسخ تاريخه – أعني السيرة والطراز – وإعدامها وذلك بالرغم من أن هذا التاريخ كان مغالياً في مدح الخليفـــة . وفي احتماله – وهو احتمال يسوقه بكثير من التحفظ – أن الخليفة قصد أن يقضي على هذا التاريخ لأنه حوى تمجيداً لشخصيات بخلافه وركز على دورها في بناء المهدية . وعلى ذلك فإن المقصود هو الكتاب وليس الكاتب .

وفي نظرنا أنه لا يمكن نفي التهمة عن أحمد علي بهذه السهولة . والقول بالفارق بين أحمد علي واسماعيل في المكانة والحظوة لا يكفي ، إذ ربما كان مثل هذا الرأي غير ماثل في ذهن أحمد علي ، أو كان لا يعير هذا الفرق اهتماماً طالما أنه يرى مجرد احتمال . وقد وضح من المركز الذي يحتله اسمه في وثيقة إدانة الخليفة وإعلام المراكب أنه لم يكن بعيداً عن مركز أحمد علي بقدر كاف يطمئن رجلاً حذراً وحاذقاً في المؤامرة مثل القاضي أحمد .

ثم إن إبعاد أحمد علي عن المسرح لا يكفي لرفض روايات نعوم وسلاطين . إذ ربما يكون هناك غيره ممن أثارت مكانة اسماعيل حفيظتهم فسعوا بالوشاية وإثارة نوازع الخليفة . ويمكن أن نذكر هنا أن اسم أحمد علي لا يذكر بالتحديد إلا في تاريخ نعوم ، أما المصادر الأخرى بما فيها تقرير نعوم فلا تذكر اسماً معيناً .

كذلك يمكن أن يقال إن تاريخ إسماعيل لم يكن منتشراً إلى هذا القدر الخطير . فهو لم يطبع كما طبعت رسائل زهرا والعبادي والعوام وإنما ظل مخطوطاً ، والمخطوط لا يشجع على الانتشار السريع الواسع . وظاهر من

إشارة سلاطين [1] أن عدد نسخه كان قليلاً . ولو كان ما نسخ منه كثيراً لما بلغ الفعل به هذا المدى ولنجا منه أكثر من هذه النسخة الوحيدة . واذا كان هدف الخليفة هو القضاء على الكتاب فقد كان ميسوراً أن يفعل ذلك دون أن يمس المؤلف بسوء .

وواقعة صدور أمر إعدام الكتاب مع أمر نفيه لا تكفي للدلالة على أن النقمة كانت على الكتاب ثم امتدت الى المؤلف ، اذ يمكن أن يقال اعتماداً على نفس المنطق ان النقمة كانت على المؤلف ثم جرت الى الكتاب . بل من الواضح من خلال الملابسات ان القصد هو الكاتب وان الغضب عليه قد استتبع الغضب على ما هو متصل به . ومن الظواهر الغريبة في أمر نكبته أنها لم تترك أي اضطراب في العلاقات بين الخليفة وبين خاله محمد المكي .

ويمكن أن نضيف الى ذلك ان كتاب المؤلف قد كشف عن كثير من ارتباطاته الأمر الذي أوجد مجالاً للقول بأنه متباعد عن الروح السائدة . فهو يظهر موقفاً متعاطفاً مع أسرة الميرغني ويعتبرهم من أهل الديانة مع أنهم أعداء للنظام . وهو لا يمس الأشراف أو يدينهم بشكل ملموس وإن كان يؤكد في كل مناسبة تخطر على باله المركز الديني للخليفة وما يستتبع ذلك من الانقياد له والخضوع لأوامره . ومع أنه كان حريصاً على ألا يثير عصبية البقارة وعلى أن يمدح قادتهم مثل حمدان والزاكي طمل وعثمان آدم الا أن صورتهم لا تبدو مرضية بالنسبة للدور الذي لعبه قادة الاشراف وأولاد البلد في معارك المهدية الأولى ، وهو الدور الذي يروي المؤلف تفاصيله بحكم معالجته لسيرة المهدي . ومن الملاحظ بشكل واضح أن يعقوب لا يظهر في المسرح بصورة تليق بمركزه المتأخر. وعلى ذلك فإن السيرة كانت تحمل صورة لمرحلة ماضية تثير حساسيات المرحلة الباقية . وفي نظري أن حاييم شاكد محق في ملاحظته هنا .

---

(١) سلاطين ص ٣٠٩ / ٢٢٣ .

على أن هذه الارتباطات ، كما تبدو من واقع عرضه للحوادث ، والقول بانه كان يمدح ويغمز ويطعن في المهدية في مواضع ظاهرها مدح وباطنها شك ، كانت كفيلة بأن يدعو الى إثارة الظنون حوله وحول ولائه للخليفة وبأن يجعل احتمال انضمامه الى الاشراف احتمالاً ماثلاً . وهذا في نظرنا هو الذي أدى الى نكبته وربط نفيه مع نفي محمد خالد زقل وزملائه من الأشراف .

مصادر المؤلف :

ان مؤرخ المهدية في وقتنا هذا يجد مصادره ومراجعه ميسرة . ففي دار الوثائق المركزية بالخرطوم عشرات الآلاف من الوثائق الأصلية التي خلفتها المهدية بالإضافة الى مئات من ملفات المخابرات المصرية الحربية والتي تتضمن معلومات هائلة عن حركة المهدية وعن السودان في فترة المهدية . وتوجد مجموعات أخرى من الوثائق بجامعة درم . وكل هذه الوثائق مرتبة ولها مراشد وكشافات تيسر الاستفادة منها . وتوجد مجموعة طيبة - وإن كانت قليلة — من الأبحاث حول هذه الوثائق ، تصفها وتعرف بها وبمحتوياتها .

وهناك العشرات من الكتب والمقالات التي وضعت عن هذه الفترة .

اما اسماعيل عبد القادر فقد كانت حاله عندما ألف السيرة والطراز على النقيض . فهو أول من ألف كتاباً في تاريخ المهدية ، ولذلك لم يكن أمامه كتاب مؤلف يهتدي به أو يسير على منواله أو يأخذ عنه المادة التاريخية . وكانت وثائق المهدية بعيدة عن التناول ولم تيسر للدراسة على نحو ما هي ميسرة اليوم بحكم أنها لم تجمع ولم ترتب . ولعل جيل المؤلف لم يكن ينظر الى هذه الوثائق مثل نظرتنا اليها كمصدر للتاريخ بل لعلهم كانوا يفضلون روايات الرواة وأحاديث المشاهدين وما يسوقه المشتركون في الوقائع والحوادث من الأمراء وعلية القوم .

ولذلك كانت الكيفية التي حصل بها على المادة التاريخية حالة فريدة تستحق أن تدرس وأن يعنى بها عناية خاصة .

ولعل إدراك المؤلف نفسه لهذه الحالة الفريدة هو الذي جعله يكرر في كل طرف من أطراف كتابيه المصادر التي اعتمد عليها للحصول على المادة التاريخية وكيفية تناوله لها.

وقد ذكر المؤلف المصادر التي اعتمد عليها في صورة مجملة في السيرة عندما قال : « وإنما تكلمنا على اليسير من سيرته عليه السلام حسبما اطلعنا عليه ورويناه من الثقات من أصحاب المهدي عليه السلام على قدر الطاقة والإمكان وما فتح به علينا المنان »[1]. ويمكننا أن نعلم من هذا الاجمال أن مصادره ثلاثة أنواع . أولها الاطلاع ، وهو يكون على سبيلين : اطلاعه بنفسه على الحوادث ووقوفه على الاخبار باعتباره مشاهداً ومعاصراً مهتماً ، واطلاعه عن طريق القراءة . وثانيها ما يسميه الفتح ، والمقصود به هو جانب التأليف — جمعاً واستنتاجاً واستقصاء واستخراجاً وعرضاً . وقد تعرضنا الى هذا الأمر عندما تكلمنا عن أسلوب المؤلف ومنهجه في التأليف في مكان آخر من هذه المقدمة ، فلا نعيد الكلام هنا . أما النوع الثالث فهو الرواية وقد كان عليها جل اعتماد المؤلف .

الاطلاع :

وهو كما قلنا اثنان ، المشاهدة الشخصية والقراءة . أما المشاهدة فكانت قدراً عظيماً ، وخاصة فيما يختص ببعض جوانب السيرة . ولعل أوضح مثال

---

(١) السيرة ص ٣٧٦ .

لذلك تلك الصورة الدقيقة التي يرسمها عن مدينة الأبيض وما جرى فيها قبيل حصارها ، إذ لا شك عندنا أن وصفه لما كان يجري داخل المدينة من المواقف ومن الاستعدادات يعتمد قبل أي مصدر آخر على مشاهدته الشخصية ووقوفه على الأمور بحكم وجوده في المدينة في تلك الأيام العصيبة .

ومع أن المشاهدة الشخصية كانت مهمـــة بقدر عظيم في تصور عديد من المواقف والصور فإن أثرها لا يبدو بشكل مباشر عندما يروي المؤلف عن هذه المواقف أو يحاول رسم هذه الصور ، ذلك لأن المؤلف يباعـد بين نفسه وبين ما يرويه حتى أنه لا يكاد يذكر نفسه إلا في موضعين، وحتى في الموضعين يذكر نفسه بطريقة عابرة [1].

وفيما عدا هذين الموضعين لا نكاد نتبين وجوده . حتى أنه لا يذكر عن نفسه شيئاً عندما يشير الى واقعـــة التأليف أو فراغه منه مع أن عادة بعض الكتاب قد جرت على أن يذكروا عن أنفسهم عندما يبدأون كتبهم أو يأتون الى ختامهـــا . كذلك لا يذكر المؤلف شيئاً عن أقربائه الذين كانوا بالأبيض وخرجوا منها فيمن خرج للقاء المهدي مع أن خاله محمد المكي كان يلعب دوراً بارزاً بين الجماعة التي تميل الى جانب المهدي . وقد خرج على رأس الخارجين .

ونخال أن هذا التباعد مقصود ، ذلك لأن ظهور المؤلف في الصورة كان في أعراف المؤلفين من أمثاله يعد إقحاماً لشخص المؤلف في السيرة واستبداداً بالنفس. وفي ذلك تقليل من شأن سيرة المهدي في حين أن الأنصار كانوا ينظرون إلى هذه السيرة بقدر عظيم من التقديس . والتواضع في مثل هذه المواضع أليق بالمؤلف الحصيف . وفيما فعله ود ضيف الله عندما اعتذر لنفسه قبل أن يسوق ترجمته في مقدمة الطبقات مثل لتواضع المؤلف وإكبار لمن يكتب عنهم .

---

(١) السيرة ص ٨٤ و ٢١٢ .

أما المؤلفات التي وقف المؤلف عليها واستفاد منها عندما ألف السيرة فبعضها مذكور في السيرة والبعض الآخر غير مذكور ولكن يمكن إدراكه بالاستنتاج .

فهو يذكر في السيرة : الراتب والامداح والمراثي ونصيحة العوام وجامع المنشورات .

أما الراتب [1] فكتاب دعوات وتوسلات ، ولا نخال أنه أفاد المؤلف بمادة تاريخية ، ولكنه ينوه به باعتباره أثراً عظيماً وعملا روحياً مجيداً .

والمقصود بالأمداح القصائد التي قالها الشعراء في مدح المهدي سواء كان بالفصحى أو باللهجة العامية . ونحن نخالف المؤلف عندما يزعم أن هذه المدائح قد جمعت أو أفردت في الدواوين ، ونقول إنها لم تجمع بهذا النحو الى هذا اليوم . ولعل ما ذهب اليه قد يعني وجود الرغبة في جمع المدائح على النحو الذي جمعت به رسائل المهدي . وعلى أي ، فانه لا يبدو من واقع السيرة أن المؤلف قد استند في جمع المادة التاريخية على قصائد المديح ، كما يبدو واضحاً انه لا ينقل طرفاً منها .

وكذلك الأمر بالمراثي التي قيلت في وفاة المهدي ، فانها لم تجمع في الدواوين على نحو ما يروي المؤلف [2] ، ولكنها كانت كثيرة . وقد نقل المؤلف منها مرثية واحدة هي مرثية إبراهيم شريف الدوليبي [3] . وفي ظننا أنه لم يجد غيرها عند التأليف فاقتصر عليها .

---

(١) السيرة ص ٩١ .

(٢) السيرة ص ٣٩٩ .

(٣) السيرة ص ٣٩٧ — ٣٩٩ .

أما كتاب نصيحة العوام فيطرح قضية هامة وهي بطلان خلافة آل عثمان من الوجهة الشرعية وإثبات شرعية الخروج عليها وقتالها وبالتالي بطلان السند الشرعي لنظام الخديوية في مصر وجواز القتال من أجل اسقاطها ، وهي قضية تتفق مع حال المهدي ومناداته بالقضاء على نظام الترك بحد السيف . وقد ذكر المؤلف العوام ونصيحته فقال : « ثم بعد كتبي هذا وجدت الرسالة المسماة بنصيحة العوام للخاص والعام عند التكلم على واقعة أبا ما لفظه ...[1] » وبعد أن نقل الشطر الذي يريده تكلم عن العوام كلاماً قصيراً . وفي نظرنا ان ما أخذه المؤلف من نصيحة العوام كان قليلاً ، لقلة ما في هذا الكتاب من المادة التاريخية المتعلقة بسيرة المهدي . ولعله يأخذ عنه ما يرويه عن فتوى بعض علماء مصر بتأييد ثورة عرابي . وقد احتج المؤلف عليهم لأنهم جوزوا الخروج على سلطة الخديوي في حالة عرابي ثم أنكروه بالنسبة للمهدي[2] مع أن الأمر واحد .

ويذكر المؤلف جامع المنشورات فيقول في موضع : « ومن أراد الاطلاع على جميع ذلك فليراجع جامع المنشورات »[3] ، ويقول في موضع آخر : « وأما جميع منشوراته عليه السلام ، فيضيق عنها نطاق هذه الورقات . فانها تحتوي على عدة مجلدات كما يعلم ذلك من الاطلاع على جامع المنشورات[4] » .

وقد وضح لنا من نصوص المنشورات التي ينقلها أنه ينقل منشور الدعوة من كتاب المنشورات وأنه ينقل رسالة المهدي الأولى الى غردون من الطبعة الاولى من كتاب الانذارات . ولكنه بالتأكيد لا ينقل منشور المهدي عن

(١) السيرة ص ١٣٤.

(٢) السيرة ص ١٥٧ .

(٣) السيرة ص ١٠٥.

(٤) السيرة ص ٣٧٦ .

منصب الخليفة عبد الله ومكانته من الاجزاء المطبوعة . وفي ظننا أنه نقل نصه من مصنف مخطوط . كذلك ينقل المؤلف نص رسالة المهدي إلى النجومي وحمدان مع أنه لا يرد في الاجزاء المطبوعة . وهذا يؤكد أن مصنفاً مخطوطاً كان متوفراً له .

ومما يلفت النظر ما يرويه عن إنذار المهدي لأهل الأبيض . فهو يذكر أن المهدي كتب إنذارين ، أحدهما لمدير الأبيض والآخر لأعيان الأبيض ولكن الحقيقة أنه كتب إنذاراً واحداً ووجهه للحكام والأهالي معاً . وهذا أمر غريب لأن الكردفاني كان بهذه المدينة عندما جاءها هذا الإنذار . ثم إنه يقول : « ولم أقف الآن على الكتابين المذكورين حتى نكتبهما في هذه السيرة ولعلي نجدهما بعد ذلك فنثبتهما بخطهما (يقصد بحرفهما) كما التزمنا بذلك ». ووجه الغرابة في هذا أن الإنذار وارد في كتاب الانذارات ونحن نرى أحد وجهين ، إما أن هذا الكتاب لم يكن متوفراً لديه أثناء الكتابة وإما أن المؤلف لم يعرف أن هذا الانذار وارد فيه .

على أنه يجوز لنا مما تقدم ومن استعانة المؤلف في الطراز بما صدر من المنشورات المطبوعة أن علمه بما طبع كان جيداً وأنه وقف على مصنفات مخطوطة وعلى وثائق أصلية صدرت من المهدي .

وهناك مصادر بغير هذه اعتمد عليها المؤلف وإن لم يورد ذكرها بشكل ظاهر . ومن قبيل ذلك مجالس المهدي ، وهي مصنفات تعنى بجمع مأثورات المهدي ، اذ يفهم من إشارة غير مباشرة اليها أن المؤلف وقف عليها [1].

ويورد المؤلف مادة تتعلق بالمهدي المنتظر والأحاديث الواردة فيه . وقد

---

(١) السيرة ص ٩٨ .

كانت هذه المادة متداولة في السودان في تلك الفترة . وقد وضع في موضوعه عالمان من علماء المهدية سفرين جليلين هما الآيات البينات والانوار السنية . ومن المؤكد أنه وقف على السفر الاخير وذلك بدليل انه كتب تقريظاً يرد في نهاية هذا الكتاب . وهناك احتمال في أنه وقف على الآيات البينات وعلى المصادر الأخرى المتداولة في موضوع المهدي والمهدية .

وقد استفاد المؤلف استفادة غير مدركة الحد من ديوان المهدية ، فهو يذكر ختم المهدي [١] . وقد تبين لنا أنه وقف على المنشور الذي أصدره الخليفة مصوراً فيه انقياد الاتباع له بانقياد المصلين لامامهم . كذلك نعتقد أنه حصل على وصف وقائع شرق السودان من هذا الديوان .

وقد كان أهم مصدر اعتمد عليه رواة الاخبار من الأمراء والأعيان . وقد روى نعوم أن الخليفة كتب الى جميع العمال في الجهات فأرسلوا اليه التقارير الوافية عما جرى على أيديهم من الوقائع والفتوحات وجمع اليه من كان في أم درمان من القواد والمحاربين . وسواء صح أن اسماعيل أخذ عن هؤلاء بهذه الصورة أم لم تصح فإن المؤكد هو أنه أخذ جل مادته من هؤلاء الرواة .

وقد أشار الكردفاني نفسه إلى هؤلاء كلما ذكر واقعة من الوقائع ، يذكرهم أحياناً في أول كلامه وأحياناً يذكرهم في آخره . وحتى تلك التي نعتقد أنه أخذها عن نصوص مكتوبة ينسبها الى الرواة . وهو غالباً يشير الى الرواة بالثقة أو الثقات . ثم إنه يذكر صراحة أنه بعد أن يجمع مادته من مصادر متفرقة يجمعها في سياق واحد . وقد لاحظ شاكد بحق أن إشارته إلى الثقات قبل واقعة الجمعة أكثر من إشارته اليهم بعدها ولكننا نختلف معه عندما يعزو ذلك الى أن المؤلف كان بعد هذه الواقعة مشاهداً للحوادث . وعندنا أن هذا

---

(١) السيرة ص ١٠٧ .

راجع الى طبيعة الفترة التي سبقت واقعة الجمعة وغموضها وقلة مصادرها المكتوبة واعتماد المؤلف في وصفها على الرواية وحدها .

ولعل أهم مصدر مكتوب استعان به الكردفاني وصف وقائع شرق السودان والذي يعرف بدفتر وقائع عثمان دقنه . وكان الظن بي أن هذه الوقائع من وضع محمد المجذوب بن الطاهر المجذوب ولكني في النهاية تشككت في الأمر واعتبرت أن محمد المجذوب قد يكون كاتب الوقائع أو قد يكون ناقلاً عن كاتب آخر .

والذي يبدو ان خطابات في وصف وقائع الشرق قد أعدت وأرسلت الى المهدي . ويبدو أن ذلك كان بناء على إلحاح المهدي ومؤاخذته الأمير عثمان دقنه لعدم إرساله أنباء الحركات . ففي رسالة من المهدي إلى عثمان دقنه يشكو المهدي من قلة مكاتباته ويطلب أن يمده بالأخبار ويشير الى ما بلغه عن القضاء على الجردات الأربعة والعجائب التي وقعت ثم يرسل له جواباً من محمد خالد زقل يسرد فيه وقائعه وطالباً منه أن يفعل مثله [1] . ويبدو أن عثمان قد تأثر بذلك وعزم على عرض الوقائع ومن ثم جاءت هذه الخطابات الموجهة الى المهدي والتي وصفت الوقائع وصفاً طويلاً . وهذه الخطابات غير مؤرخة ولكنها صادرة احتمالاً بعد تاريخ خطاب المهدي الذي عاتب فيه عثمان ورجا أن يخبره بوقائعه أي بعد ٢٠ جماد أول سنة ١٣٠١ هـ وقبل رمضان سنة ١٣٠٢ هـ وهو تاريخ وفاة المهدي .

وقد وجدت مصدرين عن هذه الخطابات . أما أولهما فشتات من "ورق وقصاصات حصلت عليها من أحد أحفاد خليل بادي بباره . وكان خليل بادي أمير مطبعة المهدية بينما عمل أخواه فوزي محمود وأحمدي محمود في ديوان

---

(١) المرشد الى وثائق المهدي رقم ٢٥٦ - رسالة من المهدي الى عثمان دقنة في ٢٠ جماد أول ١٣٠١ / ١٨ مارس ١٨٨٤ .

المهدي والخليفة . وكان مع هذه الأوراق والقصاصات بعض قصاصات أخرى هي بقايا دفاتر صادر ووارد وخطابات وهي بالتأكيد من أوراق ديوان المهدية . والجزء الخاص بوقائع الشرق مكتوب بخط أحد كتاب الديوان ويبدو أنه جزء من سجل الوارد . وعلى ذلك فإن النص الذي يرد فيه هو النص المطابق لما ورد من الشرق أصلا .

وتتكون الكراسة من سبع ورقات من الحجم الكبير ، وورقه مأخوذ من دفتر حسابات من النوع الذي يعرف بدفتر الأستاذ . ويبلغ المكتوب ١٣ صفحة وفي كل صفحة ٣٥ سطراً . وكتابتها واضحة ومقروءة إلا في بعض مواضع قليلة . ويرد فيه ثلاثة خطابات كلها من عثمان دقنه الى المهدي . أما الخطاب الأول فيبدأ بوصول عثمان الى الشرق موفداً من قبل المهدي وينتهي بذكر واقعة تهشيم وملخص للوقائع التي سلف وصفها . ويرد الخطاب الثاني بعد الأول مباشرة (ص ١١) وهو يبدأ بعودة المحاربين من تهشيم إلى هندوب . إلا أن الجزء الأكبر من هذا الخطاب قد سقط . وما بلغنا منه يبلغ ٢٨ سطراً فقط وهو قليل بالقياس الى طول الخطاب الأول . وفي الصفحة التالية (ص ١٢) نجد الخطاب الثالث ، وقد سقط أوله ، غير أن هذا السقط لا يتعدي الديباجة واسم الراسل ، وهما معروفان عندنا سلفاً . وقد بدأ الوصف بواقعة صغيرة في اربعات . ثم انتهى الخطاب (في ص ١٣) بقوله : « وإلى هنا انتهى ما كان من أخبار هذه الجهة ، ولنذكر أخبار أهالي الهباب (يقصد الحباب) من الجهة اليمانية » ثم يتوقف . ويبدو من هذا التوقف ان الخطاب غير كامل وأن نقل بقيته قد أرجىء لسبب من الأسباب .

ومن حسن الحظ أن الكردفاني وقف على نصوص كاملة. وعلى ذلك يمكننا أن نعوض ما يسقطه الدفتر .

ولقد أشار ونجت في مذكراته التي كتبها بعد واقعة عفافيت الى هذا الدفتر

ويبدو واضحاً من وصفه لها أن حالته المدنية عندها كانت مثلما هي الآن ، أي أن عدد الصفحات لم يتغير . وقد أورد في كتابه ترجمة الخطاب الأول [1] بينما ترك الخطابين الآخرين بحجة أنه نقل مضمونها في صلب كتابة . ولكن السبب الحقيقي الذي حدا به هو أن الخطابين كانا ناقصين الى حـــد لا تفيد ترجمة ما تبقى .

والظاهر أن الكردفاني قد وقف على هذه الخطابات . والاحتمال الاكبر هو أنه وقف على النص الذي ورد الى الديوان. وعندما قارنا بين نص الكردفاني ونص كراسة المجذوب ونص القصاصات وجدنا بعض اختلافات . والاختلاف بين الكراسة وبين القصاصات قليل لأنه لا يعدو تعديل لفظ بلفظ او تعبير بتعبير . أما الفرق بينها وبين الكردفاني فيتعدى أحياناً الى المادة ذاتها اذا كانت تمس بعض ما لا يرغب .

كيف استقى الكردفاني معلوماته عن هذه الوقائع ؟ لقد اعتمد عليها اعتماداً كلياً ونقل عنها نقلا مباشراً ولكنه لم يشر اليها ولم يذكر أنه وقف على مصدر مكتوب بل اكتفى بقوله إنه أخذ عن الثقة من الأصحاب [2] كعادته في المواضع المختلفة . ولكن هذا الطرف من المخطوط متميز عن الأطراف الأخرى بحكم أنه يورد وقائع مفصلة ومدعمة بأسماء الاعلام والأماكن والتواريخ وإعداد الجيوش المتحاربة والقتلى والأسرى .

ويكاد الكردفاني أن ينقل من هذا المصدر لفظاً لفظاً إلا عندما يختلف عنه في رأي . فالوقائع تشير الى أتباع المهدي الذين يحاربون تحت راية عثمان بلفظ

---

(١) ونجت: المهدية في السودان المصري ص ٥٠٩ - ٥٢١ .

(٢) السيرة ص ٢٨٢ .

الفقرا بينما يشير اليهم الكردفاني بلفظ الأصحاب . وفي هذا تطور واضح في الاصطلاح . ففي الوقت الذي كتبت فيه الوقائع كانت الثورة ثورة دينية ، أي ثورة فقرا ، وكان أغلب المحاربين في الشرق هم أتباع المجاذيب ولذلك سماهم صاحب الوقائع الفقرا . أما الكردفاني فلا يرى صفة (الفقرا) وإنما يرى فيهم صفة الاصحاب وذلك لأن نفوذ الفقرا قد قل ، وقد ذاب نفوذ المجاذيب قليلاً. والأمر قد أضحى دولة أصحاب المهدي من فقرا وغيرهم . وقد تطور الأمر في العهد الثناني وصار التعبير الشائع هو الأنصار . أما أعداء الانصار فقد سموهم الدراويش أو المهدويين وما الى ذلك من التعابير .

وهناك اختلاف أيضاً إزاء الختمية . فالختمية قد عملوا بكل جهد للوقوف ضد المهدية وقد عاونوا كثيراً في التحريض عليها بالحيلة والعمل المباشر . وكانت المنافسة بينهم وبين المجاذيب شديدة وحامية . ولما جاءت المهدية وقف المجاذيب معها وعملوا لنشرها ولذا تطاحن المجاذيب والختمية واصطدموا في المهدية مثلما تطاحنوا من قبل واصطدمت مصالحهم . ولما تعرض صاحب الوقائع لوصف المعارك سجل نشاط الختمية المناوىء وأوضح دورهم بشكل بارز . وهذا حق لا مراء فيه . غير أنني ألمح أن الكاتب ، وهو من المجاذيب ، لأن هؤلاء كانوا مسيطرين على ديوان دقنة ، حاول أن يعرض أمرهم بشكل بارز لأنهم أعداؤه وينبغي إظهار دورهم العدائي لحلفائه ولأن إبراز هذا الجانب يخدم قضية المجاذيب في معسكر المهدي ويضر بموقف الختمية لأنه يظهر الأوائل بمظهر الحليف المؤيد ويظهر الآخرين بمظهر العدو اللدود . أما اسماعيل الكردفاني فقد وقف موقفاً مغايراً . فجده اسماعيل الولي هو تلميذ محمد عثمان الميرغني ، جد الختمية ، في الطريقة ، وكانت العلاقة بين الختمية والاسماعيلية وثيقة . وكان خاله محمد المكي هو المشرف على أحمد الميرغني وعلى تربيته بتكليف الخليفة عبد الله . ولذلك فإنه حاول أن يحافظ على هذه العلاقة التاريخية والأثرية عن طريق السكوت عن تصرفات الختمية . فهو يحاول قدر

جهده أن يسقط دورهم في الوقائع وأن يتفادى ذكرهم . أما إذا اضطر بحكم أن الواقعة مهمة وكبيرة فإنه يشير اليهم بقوله بعض **أهل الديانة** . وتعبير **أهل** الديانة تعبير جديد وطريف . فالمهدية تعرف الانصاري التابع للمهدية وهو المسلم الصحيح . أما ما عداه فكافر . فاذا جاء الكردفاني ووضع تعبيراً يضع هؤلاء الخارجين في داخل الديانة أي الإسلام دون أن يكونوا من أصحاب المهدي ومع أنهم يشهرون السيف أمامهم فإن تعبيره هذا يدل على تعاطف واضح وعلى وضعية لرجال الدين المخالفين تختلف عن موقف المهدية إزاءهم .

وهناك اختلاف في تقدير الوقائع ، إذ يعتبر الكردفاني واقعة قباب وحصار سنكات وواقعة بنت وحصار توكر وواقعة التيب واقعة واحدة لانه قال في نهايتها : « انتهى ما يتعلق بقباب كلها تحت باب سرية عثمان » . وهذا يختلف عن الوضع في الوقائع اذ اعتبر كلاً منها واقعة منفصلة . كذلك نجد اختلافاً إزاء واقعة كسلا . فالوقائع تتكلم عن وقائع كسلا كواقعة وتفرد لها كلاماً متصلا . أما الكردفاني فقد ذكر كسلا ضمن الوقائع [1] وعقب بأنه سيأتي بيان تسليم أهلها . ومع ذلك فإنه لا يذكر الواقعة في ملخص واقعات عثمان دقنه [2] وإنما يفرد لها كلاماً بعد ذلك [3] . والأمر أن الوقائع عدت وقائع كسلا ضمن وقائع الشرق ولذلك أوردتها ضمنها وأعطتها حيزاً بمقدار ذلك . أما الكردفاني فيبني بناءه على أساس الوفد الذي أرسله المهدي ولذلك يأخذ الكلام عن كسلا مكاناً مستقلاً عن وقائع دقنه لأن السيرة مبنية على أساس

---

(١) السيرة ص ٢٦٧ .

(٢) السيرة ص ٢٧٧ – ٢٧٩

(٣) السيرة ص ٢٨٢ .

السرايا والبعوث وليس على الجبهات . وقد جاء كلامه عن كسلا مقتضباً . وفي نظرنا أنه فعل ذلك ليتفادى ذكر الختمية ولأنه لا يهتم بالوقائع التي تقع في الجبهات قبل وصول السرايا والبعوث .

اذاً نستطيع أن نقول إن الكردفاني يرى وقائع الشرق في وجهين ، وجه بقيادة عثمان دقنه ، ووجه بقيادة الوفد الذي أرسله المهدي لاستلام كسلا .

أعماله :

كان أبرز أعماله كتابيه سعادة المستهدي والطراز ، وقد تكلمنا عنهما كثيراً في هذه المقدمة وفي مقدمة الطراز — فلا حاجة بنا الى مزيد هنا .

وهناك كلمة تقريظ لكتاب « الأنوار السنية الماحية لظلام المنكرين على الحضرة المهدية » للحسن سعد العبادي . وقد وردت هذه الكلمة في نهاية الكتاب [1] ، وهي تتكون من مقدمة قصيرة تتلوها قصيدة تنوه بشأن الكتاب وكاتبه وتؤرخ تاريخ كتابته على الوجه الذي كان شائعاً في ذلك الزمن ، أي باستعمال حروف الجمل .

ثم قصيدته المشهورة في قبة المهدي : سمت قبة المهدي مجداً وسؤدداً . وقد نقلها في السيرة [2] .

ويقال إن له قصيدة نشرت في مجلة الجوانب المصرية بعد أن فازت بالمرتبة

---

(١) الأنوار السنية ص ٢٦٢ - ٢٦٥ .

(٢) السيرة ص ٤٠٢ وما بعدها .

الاولى في مسابقة شعرية أجرتها هذه المجلة . وكان اسماعيل عندها طالباً بجامعة الأزهر .

ويذكر حفيده حسين المفتي مؤلفاته فيقول : « كما ان المؤلف قد وضع قبل ذلك (يقصد قبل سعادة المستهدي) وبعد ذلك عدة كتب علمية وتاريخية منها كتابه « الطراز المنقوش ببشري مقتل (الصواب قتل) يوحنا ملك الحبوش » ولم يطبع كتبه لعدم إمكان ذلك اذ ذاك وضاعت كلها في أيام الثورة المهدية كما ضاعت عدة قصائد له منها قصيدته التي أنشدها عام ١٨٩٠ م الموافق ١٣٠٨ هـ في رثاء خاله العلامة السيد البكري بن الشيخ اسماعيل الولي ومطلعها :

الى متى أنت بالآمال مغرور   وخالك السيد البكري مقبور

ولم يبق من قصائده الا ما حفظه بعض الناس . ومن ذلك هذه القصيدة التي أنشدها في عهد المهدية في سنة ١٣٠٥ هـ الموافق ١٨٧٧ »[1] ثم نقل قصيدة « سمت قبة المهدي » .

وقد اشترك اسماعيل مع عدد من العلماء والأعيان في إصدار وثيقتين من أخطر وثائق المهدية وهما الاعلام الصادر بشأن محاكمة الخليفة شريف والقضاء بسجنه والاعلام بصدد ضم المراكب الخاصة الى بيت المال . والاعلام الأول مشهور وقد نقله نعوم شقير في تاريخه وتوجد منه نسخ مطبوعة بمطبعة الحجر بدار الوثائق المركزية ، ويرد نصه أيضاً في كتابنا « منشورات المهدية » . اما الثاني فتوجد منه نسخة وحيدة ، وقد ظهرت مصورة مقابل صفحة ١٩٥ في مقال الدكتور هولت عن وثائق المهدية وما يتصل بها .

غير أنه من الصعب أن نعتبر الوثيقتين من أعماله . فهما أولاً : وثيقتان

---

(١) القضاء ص ١٤٣ .

رسميتان ، وقد صدرتا لإقرار إجراءين اتخذا بوجه رسمي باشتراك عدد كبير من العلماء والأعيان ، وبالتالي لا يصح أن نعتبرهما عمل فرد منهم . وهما ثانياً : مجهولان من ناحية الإنشاء ، لأننا لا نعرف الكاتب أو الكتاب الذين أسهموا في كتابة نصيهما . قد يكون اسماعيل كاتبهما ، وقد يكون مشتركاً مع غيره في كتابتهما ، وقد لا تكون له صلة بالتحرير قط ، اذ كل ما في الأمر أنه أحد العلماء والأعيان الذين تتكلم باسمهم الوثيقتان .

تاريخ السيرة :

أرجع سلاطين تاريخ السيرة الى عهد المهدي . فهو يذكر أن الكردفاني كتب جانباً من السيرة وعرضه على المهدي وأن الأخير اغتبط بما كتب الكردفاني وطلب إليه أن يواصل الكتابة حتى يؤرخ الوقائع كلها كما حصلت وأنه طلب من الأمراء أن يعطوه البيانات . ولما توفي المهدي عينه الخليفة مؤرخاً وطلب اليه مواصلة الكتابة [١] . ولكننا لم نر مصدراً آخر يشارك في هذا الرأي .

والقول بأنه عين مؤرخاً يحتاج الى دليل ، ذلك لأننا لا نعهد مثل هذه الوظيفة في المهدية . وكان عمل الكردفاني في السلك القضائي كما بينا . ويبدو لنا أن سلاطين تأثر في ذلك بما يعرفه عن مؤرخي القصور في أوربا .

أما نعوم فيذكر أنه كتب في عهد الخليفة ، ويقول بأنه كتب طرفاً وعرضه على الخليفة فشجعه الأخير على مواصلة الكتابة [٢] . وهذا الرأي يتفق مع ما يذكره المؤلف نفسه [٣] .

---

(١) سلاطين ٣٠٩/٢٢٣ .

(٢) تاريخ نعوم ص ١١٧٦ .

(٣) السيرة ص٦٤.

ويذكر المؤلف ان كتابة السيرة قد تمت في ٢ ربيع أول ١٣٠٦ هـ[١] ولكنه لا يذكر بدء الكتابة . وقد ذكر شقير في تقريره أن التأليف قد استغرق نحو ثلاث سنوات [٢] بينما ذكر في التاريخ أنه أخذ عشر شهور [٣] . ومع أننا لا نجد دليلا قاطعاً للترجيح بين الرأيين أو لبيان رأي مختلف فإننا نميل الى الرأي الأخير ، ذلك لأن أسلوب الكتاب يدل على أنه كتب بنفس واحدة وفي وقت متقارب .

ويذكر الكردفاني صراحة أنه وضع السيرة بتكليف الخليفة فيقول : « وقد أشار إلي من سعدت الأكوان بامتثال راسمه واستنارت البلدان بنيران هدايته ومعالمه .... الخليفة الأكبر وارث مقام الاصطفاء .... سيدنا الخليفة عبد الله بن محمد خليفة الصديق ... أن أجمع بعضاً من سيرته عليه السلام » [٤] .

وقد روى حسين المفتي [٥] عن ظروف التأليف ما يلي : اجتمعت بالعلامة الأستاذ الشيخ المجذوب مدثر إبراهيم الحجاز من علماء السودان والمدرس بالمعهد العلمي بأم درمان . اجتمعت معه بمنزله بمدينة بربر في شهر ديسمبر ١٩٥٣ وكنا نتكلم في مسائل علمية وبعد أن تم الموضوع أخبرني أنه قد سمع من سيادة والده المرحوم الشيخ مدثر ابراهيم سليمان الحجاز أن خليفة المهدي لما رأى ضرورة وضع كتاب في سيرة المهدي انتهز فرصة وجود جميع العلماء بمجلسه

---

(١) السيرة ص ٤٠٢ .

(٢) شاكد ص ٥٣٣ .

(٣) تاريخ نعوم ص ١١٧٦ .

(٤) السيرة ص ٣ .

(٥) القضاء ص ١٤٢ .

بالجامع فخاطبهم جميعاً بقوله « من منكم أيها الأنصار يقوم لنا بوضع كتاب عن سيرة المهدي عليه السلام ، قال لهم ذلك وهم جاثون على ركبهم منكسو الرؤوس . فسكت الجميع قليلا ثم قالوا للخليفة لا يستطيع أحد أن يقوم بذلك خير قيام غير إسماعيل عبد القادر . فوافق الخليفة على ذلك . ثم شرع المؤلف في تأليف الكتاب » هذه الرواية تؤكد بأن بحثاً قد جرى عن تأليف السيرة بعد وفاة المهدي وأن الاختيار قد وقع على اسماعيل وأنه شرع في التأليف بعد أن أمره الخليفة . غير أني لا أتصور أن يسأل الخليفة الجمع بهذه الكيفية كما لا أتصور أن يتفق رأي الجميع ، وهم جاثون على الركب ، بأن لا أحد يستطيع أن يقوم بذلك خير قيام إلا الكردفاني .

وإذا ما انتقلنا إلى دواعي التأليف فإن أول ما يذكر هو هذا التكليف الذي جاءه من الخليفة . ثم هناك الدواعي الشخصية ، وهي ليست أقل أهمية عن تكليف الخليفة . وهي : (أ) كما أن سيرة الرسول قد بقيت بفضل تسجيل الصحابة لها فإن سيرة المهدي تبقى بالتسجيل [1] (ب) ان بيان سيرة المهدي واذاعتها بين الناس من أوكد الأمور الدينية [2] (جـ) ان هذا البيان هو الذي يحفظ هذه السيرة الجليلة من التحريف [3] (د) وإن نشر السيرة يؤدي الى تأكيد محبة الاتباع : « تأكيداً لمحبتهم وزيادة في تصحيح عقيدتهم وليزدادوا إيماناً مع إيمانهم ويحوزوا بذلك مزيد بيان على بيانهم » [4] (هـ) زيادة الرجاء لان ينتظم في سلك أصحاب المهدي بفضل هذه السيرة وما يناله منها من الثواب والشرف [5] . ومع أن الكتاب وجد استقبالاً طيباً ودفع بصاحبه إلى مكانة

---

(١) السيرة ص ٦٣.

(٢) السيرة ص ٦٣.

(٣) السيرة ص ٦٣.

(٤) السيرة ص ٨٣ .

(٥) السيرة ص ٦٤.

مرموقة ، مما دعاه إلى تأليف كتابه الآخر عن الحرب الحبشية ، إلا انه لم يقدر له أن يطبع في المطبعة . ويبدو لي أن السبب يعزى إلى توقف المطبعة عن طبع الكتب نسبة إلى شح الورق .

وقد تولى محمد أحمد هاشم (بمعاونة شخص آخر) نقل نسخته في ١٠ محرم ١٣٠٨هـ الموافق ٢٦ أغسطس ١٨٩٠ [١] ، وهي النسخة الوحيدة التي بقيت من الكتاب. أما النسخ الأخرى ، وهي لم تكن كثيرة فيما يفهم من إشارة سلاطين وفيما يؤخذ من ظروف النقل العملية ، فقد أحرقت بأمر الخليفة أثناء النكبة التي حلت بالمؤلف .

وقد تمكن نعوم من شراء النسخة الوحيدة منه بعد مجهود كبير وكان ذلك في ١٨٩٥ وهو بمصر . يقول نعوم في ذلك : « وقد بلغني خبرها (يعني السيرة) وأنا في قلم المخابرات في مصر أتحرى وقائع الثورة من الضباط والعساكر الذين نجوا من الأسر فبحثت عنها مستعينا بالتجار الذين يترددون إلى السودان حتى ظفرت بها فإذا هي مع كثرة ما فيها من الاطراء والتملق للمهدي وخليفته ، وقد ضمنت الحقيقة أحسن تضمين وانطبقت حقائقها على ما تحريت جمعه في مصر فزدت به ثقة واستشهدت بالسيرة في مواضع كثيرة من التاريخ » [٢] .

ولقد كان تقدير نعوم له عظيماً ويبدو ذلك مما كتبه عنه في تقريره . وهو يضع المؤلف في مصاف ابن الأثير وابن الفدا وابن خلدون والمقريزي . وبعد ذلك اختفى الكتاب حتى ظهر ضمن مجموعة وثائق ونجت باشا التي أهداها ابنه

---

(١) الطراز ص ١٨٣ — لا يذكر الناقل واقعة نقله ولا زمنها في السيرة ، وهذا قد يعني أنه يعتبر السيرة والطراز عملاً واحداً ، وهو الرأي الغالب فيما بينا .

(٢) تاريخ نعوم ص ١١٧٦ .

الى مكتبة كلية الدراسات الشرقية بجامعة درم بانجلترا · ويبدو لي من ذلك أن مكتب المخابرات هو الذي اشترى السيرة وليس نعوم بشخصه وأنها بقيت ضمن مجموعة كتب ومذكرات المخابرات التي بقيت عند ونجت [1] وأهديت إلى هذه المكتبة .

ومنذ ظهوره هناك بدأ يلفت أنظار المؤرخين ويدخـــل ضمن اهتماماتهم . وكان أكثر من اهتم به الدكتور حايم الذي أرسل إلي مشكوراً دراسته المنشورة عن السيرة ومقالاً آخر عن صورة مهدي السودان كما يستوحيهـــا من السيرة . وقد استعنت ببحثه الاول كثيراً ولكني لا أعلم ان كان قد أجرى تحقيقاً لنصوص السيرة نفسها .

ومما يجب ملاحظته أن من تكلموا عن السيرة أغفلوا ذكر كتاب الطراز . وقد قمت بتحقيق الكتاب الاخير بالاشتراك مع الأستاذ محمد سعيد القدال بتكليف شعبة أبحاث السودان .

وصف السيرة :

توجد النسخة الوحيدة من السيرة في مكتبة الدراسات الشرقية بجامعة درم بانجلترا تحت رقم : صندوق ٩٩ /٦ ومع السيرة كتاب الطراز . وتوجد أوراق تتعلق بالسيرة تحت رقم : صندوق ٢٤٧ / ٤ .

وتتكون النسخة من ٤٠٥ صفحة . ومسطرتها تتفاوت بين ١٥ و ٢٤ سطراً لتعاقب ناقلين . وصفحاتها مرقمة ومعقبة معاً . وقد سقطت ورقة واحدة (ص ٨٣ / ٨٤) بينما تكررت صفحة أخرى ، وربما وقع هذا التكرار

---

(١) انظر : Hill, Richard : Provision al Hand-list, : Durham : Sudan Archive

في النسخة المصورة التي اعتمدت عليها . وقد جاء في أولها العنوان كاملاً كما يرد في نهايتها تاريخ الفراغ من التأليف . أما تاريخ النقل فلا يذكر . وكذلك لا يذكر تاريخ بدء كتابة السيرة . كذلك يغفل الناقلان ذكر اسميهما . ولكننا نعلم أن أحدهما هو محمد أحمد هاشم [1] الذي تولى أيضاً نقل كتاب الطراز ، وقد تولى نقل الصفحات ١ إلى ٢٨٠ و ٣٠٥ إلى ٣٠٨ و ٣٦٩ إلى ٤٠٥ بينما تولى الآخر نقل الصفحات ٢٨١ إلى ٣٠٤ و ٣٠٩ إلى ٣٦٨ . وظاهر أن الشق الاكبر من من نقل الأول . ويأتي في الهامش بعض التعليقات والتنبيهات ، ولكنها قليلة وعديمة الجدوى .

وتتكون مادة السيرة من أربعة عناصر رئيسية :

أولها التعريف بأجزاء الكتاب والظروف التي دعت إلى وضع السيرة .

وقد جاء ذلك كله في خطبة الكتاب . أن السيرة ، فيما يذكر صاحبها في الخطبة وفيما يظهر من السياق ، تتكون من مقدمة وثمانية أبواب وخاتمة . ويضاف إليها الخطبة نفسها .

أما الثاني فهو الجانب الذي يتصل بفكرة المهدية . وقد أتى الكردفاني بمعظم ما يتعلق بهذه القضية في الطرف الأول من الكتاب (المقدمة والباب الأول الى الثالث). وكانت الخطة التي سار عليها هي عرض الأحاديث الواردة في المهدي المنتظر وشروطه وأقوال السلف عنه ثم بيان مطابقة كل ذلك في شخص مهدي السودان : محمد المهدي بن عبد الله ، وذلك فيما يتصل بأوصاف الخلقة البشرية والخلق النفسي وظروف المولد والنشأة كالنسب والاسم ومكان

---

(١) ثبت لنا ذلك من مضاهاة خط السيرة والطراز بخط محمد أحمد هاشم الذي يوجد نموذج من خطه بدار الوثائق المركزية .

الظهور ووقته ثم سيرته . ثم تكلم عن الخلافة الكبرى التي تقلدها المهدي وهي الخلافة الكاملة للرسول والتي بشر بها بعض الصوفية ، كما تكلم عن العصمة وإلغاء المذاهب وإبطال الطرق وعن وراثة المهدي للنبي وعن وزراء المهدي وعن علامات المهدي واقتفائه لأثره .

وفي ظننا أن محصول الكردفاني عن المهدي والمهدية كان محصولاً طيباً وأنه نجح – بالقياس الى الحيز الذي خصصه – في أن يعطي تفصيلات كثيرة .

ونأتي الى العنصر الثالث وهو قصة المهدي والثورة المهدية والوقائع التاريخية التي وقعت في حياة المهدي .

لقد تكلم المؤلف عن حياة المهدي الأولى وأعطى تفصيلات وافية عن دعوته السلمية للاصلاح (الباب الثالث الى الخامس). ثم أخذ يتتبع وقائع المهدية من أبا إلى قدير ثم الى كابا متتبعاً تحركات المهدي . ثم يتوقف قليلاً ليروي عن حروبات كردفان . وعند ذكر التيارة يخرج عن خطته ليتكلم عن المنا إسماعيل حتى مقتله . ثم يعود ليصف مدينة الابيض واستحكاماتها ويروي الكثير عن أهلها وحوادثها الداخلية . وينبغي أن نلاحظ هنا أنه يصف الحالة بتباعد مع أنه كان مشاهداً وكان من بين من كانوا بالمدينة ثم خرج منها فيمن خرج ليلحق بالمهدي .

وبعد أن يفرغ من الأبيض ينتقل إلى شيكان ليصف اندحار هكس وقواته ثم يورد خطابات المهدي إلى غردون وأهل الخرطوم . وكأني به يوحي بأن واقعة شيكان هي التي فتحت طريقه إلى الخرطوم . ثم ينتقل ليصف وقائع الشرق . وهناك ينبغي أن ندرك ثلاثة أمور : فهو أولاً : ينقل مادته نقلاً مباشراً من وصف وقائع الشرق الذي حصل عليه ، وهو ثانياً : يتحاشى أن

يمس الختمية أو أن يبين دورهم في مقاومة المهدية [1] وهو ثالثاً : يقسم موضوعه إلى قسمين بحيث تأتي حركات عثمان دقنه تحت الكلام عن سريته ويأتي أمر تسليم كسلا تحت الكلام عن الوفد الذي أرسله المهدي ليشرف على تسليم قواتها . انه يتعرض إلى حوادث كسلا عندما يعرض لحوداث الشرق الأخرى [2] بحكم اتصالها ولكنه يسقط أمرها في ملخص الوقائع [3] وهو يذكر أنه سيذكر تسليم المدينة تحت الكلام عن وفد زهرا وعالم . وعندما يأتي إلى هذا يقتضب في الكلام إلى حد بعيد[4]. وبخطاب المهدي إلى عفت ينتهي كلامه عن الشرق . ومنه يتجه إلى أقصى الغرب ليصف حوادث دارفور ، وقد عرض نقاطاً مهمة فيما يتصل بها . ثم ينتقل إلى بربر ثم إلى حرب الدائر ثم إلى سرية أبي قرجه إلى البحرين ، أي فداسى والخرطوم ، ثم إلى سرية النجومي لاحكام الحصار على الخرطوم . وبعد أن يفرغ من ذلك ينتقل إلى القلابات ليصف سرية محمد ولد أرباب. غير أن حساسية الحرب الحبشية واهتمامه بحمدان يدفعانه إلى الاستطراد الذي يخرج به خارج نطاق السيرة .

يأتي الكردفاني بعد ذلك بوقائع الشريف محمود في كورتي ونواحيها .

ثم يعود إلى معسكر المهدي ليصف زحفه إلى الخرطوم . وقد تتبع مسيره إلى مرحلتين ، أولاهما من الأبيض إلى الرهد . وفي الرهد يتبين أن خطة

---

(١) يتعرض نعوم في تاريخه (ص ٩٠٤) الى تفاصيل نشاط المراغنة (الختمية) في مقاومة المهدية في الشرق ، وهو يرويها على وجه البطولة . وهكذا كانت النظرة في أوائل العهد الثنائي. أما نظرة الكردفاني فمختلفة . وكذلك نظرة صاحب الوقائع - أي أن الظروف السياسية تكيف وجهات النظر حيال الحوادث .

(٢) السيرة ص ٢٦٧ .

(٣) السيرة ص ٢٧٧ - ٢٧٩.

(٤) السيرة ص ٢٨٢ .

السيطرة على السودان قد وضعت ، إذ منها تخرج السرايا لجهات مختلفة . والمرحلة الثانية هي مرحلة المسير من الرهد الى أبي سعد . ويتلو ذلك وصف وقائع أم درمان والخرطوم . ثم يأتي الكلام عن سرية موسى الحلو وواقعة أبي طليح . ويأتي الكلام عن فتح دنقلا ثم حملة محمد عبد الكريم وحوادث مدينة سنار . ولعجبنا يأتي الكلام هنا باستفاضة ، ويتصل حتى سقوطها في عهد الخليفة عبد الله . وكانت واقعة سنار آخر الوقائع .

أما العنصر الرابع فهو ما يتصل بخلافة الخليفة عبد الله ، وهو يأتي في آخر الكتاب استطراداً من وفاة المهدي ، وغرضه من ذلك اثنان : بيان أن المهدية متصلة وأنها لم تتوقف بوفاة المهدي ، ثم وضع الخليفة عبد الله في صورة الرجل المثالي والخليفة الشرعي للمهدي .

وكما عرضنا في مقدمتنا لكتاب الطراز فإن الكردفاني يتعرض إلى بعض المواضع الحساسة بحذر وذكاء حتى لا يمسه سوء أو مداراة منه لمواقفه الخاصة . ولعل أظهر هذه المواضع موقفه إزاء الختمية عندما يعرض حوادث شرق السودان . وقد سبق الكلام في ذلك . ولكن لا بـــد أن نكرر أن موقفه المتسامح إزاء الختمية ينبـــع من الارتباط الأسري الذي يربط بين المراغنة والإسماعيليين . ثم نضيف إلى ذلك أن قضية المنافسة بين الختمية والمجاذيب وهي التي كانت خلفية الصراع في الشرق وتـــدفع بكاتب الوقائع إلى إبراز جانب الختمية بهذا المقدار ، لم تكن تهم الكردفاني بقدر . بل يمكن أن نقول بشيء من الثبات أن تسامحه إزاء المعارضين كان أوسع من هذا المدى بحيث يظن أنه لم يكن يؤمن بتفكير المخالفين ، كما كانت قاعدة المهدي تتطلب ، فها هو يصف أحد رجال الدين وهو عبد النبي عبد الوالي بأنه من أهل الديانة [1] . ويمكننا أن نعتبر مثل هذه النظرة أمراً طبيعياً بالنسبة لرجل تعلم في الأزهر .

---

(١) السيرة ص ١٩٦ .

وانظر موقفه إزاء حسين باشا خليفة مدير بربر . إنه يسقط دوره في حوداث بربر وسقوطها كما يسقط ذهابه إلى المهدي وأخذ البيعة على يديه ثم إرساله إلى صعيد مصر بعد أن عين عاملا عمومياً على العبابدة . وفي رأينا أن هذا يعبر عن الموقف الرسمي إزاءه . فهو ليس عدواً يذكر وليس صديقاً تذكر صداقته ، وقـــد أخفقت فيه فراسة المهدية ، ولكنه على أي حال بعيد عن المسرح وليس في موقفه ما يضر. وهناك أيضاً ما يثيره ذكره في أوساط العبابدة وعلى رأسهم رئيس البريد .

وموقفه إزاء سلاطين هو نفس الموقف الرسمي حياله لأنه عند صدور السيرة كان من ملازمية الخليفة . وفي اعتبار الكردفاني أن إسلامه صحيح بل إنه كان مسلماً حقيقة من قبل إعلان الإسلام . كذلك يتوافق موقفه مع موقف المهدي الذي يؤمن بحسن إسلام المسيحيين وغيرهم الذين أسلموا على يديه وأخذوا البيعة عنه على اعتبار أنهم تنوروا بنور الإسلام وتنعموا ببركات المهدية .

أما عن التعايشة فإنه يذكر قادتهم ويشيد بمواقفهم ولكن دون أن يتدخل في علاقاتهم الداخلية . ولكن يؤخذ عليه هنـــا أن الأمير يعقوب لا يظهر في الصورة كما ينبغي. ثم إنه يذكر أحمد علي قاضي الإسلام عدة مرات ، وهو الراوية الوحيد الذي يذكر باسمه باستثناء الخليفة . وكان أحمد علي من بطانة الخليفة كما كان رئيس الكردفاني في سلك القضاء .

ولأن أمرهما يرتبط بموضوع الخلافة فإنه لا يذكر الخليفة شريف والخليفة علي الحلو إلا قليلاً . وهو لنفس السبب يبتعد عن نزاع الاشراف ، وحتى لا يتهم بأنه متعاطف معهم فإنه يركز على شخص الخليفة وعلى الانصياع لأوامره .

وحرب القلابات يثير اهتمامه الخاص فيستطرد في الكلام فيها · ومرد ذلك أن هذه الحرب قد أثارت مخاوف الناس . فكأن الكردفاني يريد أن

يتعاطف مع الموقف الرسمي ويبين أن جنود الخليفة يغزون الحبشة بقيادة حمدان .

وهو ينحرج من ذكر اسم جورجي [1] اسطمبوليه ، الذي توسط بين المهدي وبين قوات الأبيض حتى سلموا له ، لأنه لا يريد أن ينسب مثل هذا الفضل لمسلماني .

وهو لا يتكلم عن الخليفة إلا استطراداً من بعض مواقف متصلة بالمهدي أو بحوادث السيرة ، أي حسبما يقتضي السياق ، ولكنه يركز كاميرته في مواضع حساسة ، كموقفه من المهدي في الحرب ، والبيعة لـــه بعد وفاته وبيان مزاياه الشخصية ومسانده الدينية ، وهو يكرر دائماً التحذير للمخالفين .

والمواضع التي من هذا القبيل كثيرة ، ونحن نترك تقصيها للقارىء .

وينبغي أن نشير الى قضية هامة وهي وجود مغامز في الكتاب يطعن بها الكاتب في شخص الخليفة عبد الله . غير أن الوصول بهذه القضية الى نهاية مقررة ليس متاحاً لأن الكاتب لا يقول بذلك ، فيما يتهم ، بشكل مباشر وانما يبالغ في الشكر حتى يصل إلى الذم . واننا نكتفي بأن نعرض مثلين لما يعد من هذا القبيل . يقول الكاتب : « ... ان خليفته رضي الله عنه موفق للصواب وممنوح بالحكمة وفصل الخطاب وثم بينهما سر لا يعلمه إلا اللطيف الخبير . وقد قال صلى الله عليه وسلم في حق سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه (الاشارة هنا للخليفة عبد الله بطرف خفي) مـــا فضلكم أبو بكر بكثرة صلاة ولا صيام ولكن بشيء وقر في صدره أو كما قال . وللخليفة المهدي مع المهدي عليه السلام من هذا المعنى مشرب روي ومورد هني . فافهم ذلك

---

(١) السيرة ص ٢١٧ .

واسلك من التسليم أسلم المسالك » [1] . ويقول في مكان آخر : « وأنى لمثلي مع قصوره وجمود قريحته وفتوره مع قلة اطلاعي وقصور باعي الاحاطة بصفاته (يقصد الخليفة عبد الله) وآخر كالاته بل جميع ذلك ليس في الطاقة البشرية ولا يحيط بتفاصيل حمله الا خالق البرية . فلنمسك عنان الأقلام عن السير في هذا الميدان الذي تاهت فيه أفهام الاعلام ونسأله سبحانه وتعالى أن يديم لنا ولسائر الأمة أيام سيدنا خليفة المهدي عليه السلام [2]» .

ولا بد لنا من أن نتعرض الى المنهج الذي يتبعه الكردفاني في بناء السيرة .

فكتابه ليس سيرة بالمعنى المفهوم وليس تاريخاً بمعنى التاريخ وإنما هو شيء يجمع بينهما بغرض التمجيد لبطولات المهدية في عهد المهدي والوصول بها الى خلافة الخليفة عبد الله . والخطة الرئيسية التي يسير عليها هي أن يبدأ السيرة بالمهدي وأن يتتبع حركاته حتى وفاته أما الوقائع التي تقع بعيـــداً عنه فهو يوردها تحت السرايا والبعوث . وتبـدأ الوقائع من لحظة التقاء الغزوات والسرايا والبعوث بالأعداء دون اكتراث بما وقع قبلها أو بالخلفيات السياسية والادارية للعدو . وهكذا نجد أنفسنا أمام الشلالي وراشد أيمن وهكس دون ذكر مقدمات عنهم وعن ظروف مجيئهم . كذلك تبدأ السرايا عملها مباشرة في بربر وفداسي ودنقلا والقلابات دون ذكر لخلفيات الحوادث وما جرى في تلك الأقاليم حتى وصول تلك السرايا . ونحن لا نكاد نلمس اختلافاً إلا فيما جرى في دارفور ، اذ يهتم المؤلف بالوقائع التي حصلت قبل زحف محمد خالد زقل عليها ، ولا يفوت القارىء الحصيف أن الاهتمام هنـــا مركز لشخص محمد خالد .

ومع أن موضوع الكتاب ينتهي بوفاة المهدي فإنه يستطرد في مواقف معينة

(١) السيرة ص ١٣١.

(٢) السيرة ص ٣٩٦ .

لما بعد وفاته إما لاتمام الصورة وإما لأن الموضوع يهمه لسبب من الاسباب .
ومثل ذلك استطراده في الكلام عن حوادث القلابات ، وكلامه عن سنار حتى سقوطها ، وكلامه عن تسليم كسلا ، وما يسوقه عن اعتلاء الخليفة عبد الله .

وينقل الكردفاني جملة من رسائل المهدي وهدفه من ذلك أمران : أولهما أن يكمل صورة الحوادث التي يرويهـا بإبراز الرسائل المتعلقة بها . يقول الكردفاني في ذلك إزاء خطاب المهدي (يعتقد أنهما خطابان ولكن هذا غلط) إلى أهل الابيض : « ولم أقف الآن على الكتابين المذكورين حتى نكتبهما في هذه السيرة ولعلي نجدهما بعد ذلك فنثبتهما بخطهما (يعني بحرفهما) كما التزمنا بذلك في خطاباته عليه السلام للملوك وغيرهم »[1]. وثانيهما بيان نماذج الرسائل بحيث يتبين القارىء أسلوب الرسائل ونمط الكتابة. ويجيء هذا في الباب الثامن، إذ يعرض ثلاثة رسائل هي : منشور الدعوة ، وقد سبق أن نقله عند الكلام عن الدعوة ونشرها ، ومنشور المهدي عن مكانة الخليفة عبد الله الدينيـة ومنصبه في التنظيم ، ومنشور عن الغنائم ومنع الغلول .

ويتبين لنا من النماذج التي ينقلها في الحالين أنه كان متمكناً من هذه الرسائل يعرفها ويعرف مناسبات صدورها ويعرف ما تهدف اليه ويستطيـع أن يضعها في مكانها المناسب . إلا أننا نأخذ عليه أنه لم يتخـذ الرسائل مصدراً للمادة التاريخية ويعتمد عليها في بناء السيرة ومناقشة القضايا المختلفة التي تعرض لها . وعلى ذلك فإن الرسائل التي يوردها ليست مربوطة ببناء الموضوع وليست لبنة من لبناته وإنما هي مجرد حلية تكمل الصورة وتزين البناء .

والمؤلف مؤمن ، على الأقل فيما يظهر ، بالقضية التي يكتب عنها ، فإذا أعوزته الحيلة لجأ إلى الاصطناع المنهجي في التأليف ليقوي حجته كاللجوء الى

---

(١) السيرة ص ٢٠٣ .

الأسلوب الخطابي ، أو الوصف الذي يخرج عن حدود الزمن والحساب أو خلق الشواهد والأدلة خلقاً . ويكفينا من ذلك أن نرجع القارىء إلى ما يقوله عن رجل المهدي في الطريق [1] وما يذكره عن أمان الله [2] وعن تصويره لتواضع الخليفة في الطراز .

وعندما يتعرض إلى الوقائع التاريخية فإنه يضع لها أسس التصنيف ثم يرتبها بعد ذلك . هناك ترتيب الوقائع على أساس الجهات بحيث تأتي وقائع كل جهة في مكان ثم ترتيب وقائع الجهات حسب قربها . وهناك الترتيب على حسب تصنيفه الموضوعي بحيث تأتي الغزوات على حدة والسرايا على حدة والبعوث على حدة ثم هناك الترتيب على حسب المناسبة بحيث يستطرد من نقطة إلى غيرها دون أن يكون هناك ضابط موضوعي او زمني على النحو الذي فعله عندما استطرد من التيارة إلى المنة ومواقفه ومقتله .

ثم هناك الترتيب حسب التتابع الزمني بحكم أن الحوادث تتطور مع مضي الزمن وان الوقائع تتلو بعضها بعضاً . لقد حاول الكاتب أن يضع موازنة للحوادث والوقائع حسب هذا التصنيف ووضعها وضعاً موزوناً ، حتى إننا نعهد خلال كلامه عن وقائع المهدي ووقائع الأقاليم وانتقاله من طرف إلى طرف ومن جهة إلى جهة ومن خلال عملية البناء الموضوعي للسيرة على أساس الغزوات والسرايا والبعوث عملا متكاملا من الناحية الفنية وصوره متكاملة ومرئية وموزونة لتاريخ المهدية في عهد المهدي .

وقد أفادنا في أماكن متفرقة ببعض قواعد منهجه وأسلوبه في التأليف . ومع أننا قد شرحنا منهجه وبينا أسلوبه فلا بأس من أن ننقل بعض أقواله في هذا الصدد . يقول عن ترتيب الغزوات : « وكان الأوفق ضم الغزوات جميعها

---

(١) السيرة ص ٣٣٦ .

(٢) السيرة ص ٣٣٨ .

في محل واحد ليسهل تناولهـــا لمن يريد الاطلاع على سيرة المهدي عليه السلام ولكن إنما قدمنا بعضاً على هذا الباب وأوقفنا كل غزوة في محلهـــا على حسب ترتيبها في الوجود والاسبقية ليتلو بعضها بعضاً فيكون أحسن في سياقها . ونحن إن شاء الله نتكلم عن المشاهير من السرايا والبعوث عند المناسبات الداعية لذكرها »[١] .

ويقول عن الوقائع وترتيبها وأنماطها ما يلي : « وقد كان أمر الجهاد يدور على الغزوات والسرايا والبعوث وذلك من عهد النبوة ، فكل عسكر حضره النبي صلى الله عليه وسلم بنفسه الكريمـة يقال له غزوة وما لم يحضره بل أرسل فيه بعضاً من أصحابه يقال له سرية . وما افترق من السرية يقال له بعثاً . وقد كان عدد مغازي المهدي عليه السلام التي خرج فيها بنفسه تسعاً وهي غزوة أبا ثم غزوته عليه السلام لمحمد سعيد لما بلغه أنه قصده بأبا ولم يجده هناك ثم غزوته للمختار بن الزبير الكناني ثم غزوته لراشد مدير فشودة ثم غزوته لجبل فنقر ثم غزوته ليوسف حسن الشلالي ثم غزوته لمدينة الابيض ثم غزوته للطاغية الهكسي ثم غزوته لمدينة الخرطوم . فجملة غزواته عليه السلام تسعة كما تقدم . وجميـع غزواته وقع فيها القتال من أصحاب المهدي عليه السلام إلا غزوته لمحمد سعيد وغزوته لجبل فنقر فلم يقع فيهما قتال أصلاً كما تقدم فيهما »[٢].

وعن الوفود التي جاءت الى المهـــدي يقول : « ثم تتابعت الوفود ... وسيأتي إن شاء الله ذكر ما تيسر ذكره من الوفود في هذه السيرة عنـــد ذكر المناسبات الداعيـــة الى ذلك لأن الغرض الأهم هنا هو التكلم على الوفود الذين وفدوا عليه وهو بجزيرة أبا »[٣] .

---

(١) السيرة ص ٢٢٢ .
(٢) السيرة ص٢٢١ ـ ٢٢٢ .
(٣) السيرة ص.١١٠.

ويشير الى مصادره وما أخذه عن الرواة وما فعل بما أخذ فيقول : « وقد حدثني بواقعة أبا جماعة من أصحاب المهدي عليه السلام الثقات وكل منهم قد حدثني بعض الحديث فاجتمع حديثهم فيما سقته »[1] . ويقول في مكان آخر: « حدثني بحديث الهجرة المذكورة جماعة من أصحاب المهدي عليه السلام الثقات »[2].

وفي التبويب نلاحظ أنه قد يتخذ تقسيماً أصغر من الباب ، ففي الباب السابع مثلاً يضع كل غزوة على حدة ويعتبر الكلام عنها فصلاً ، مثل : واقعة راشد وواقعة فنقر وواقعة الشلالي ثم المسير الى الابيض .

وقد اعتبر الكردفاني عمله جمعاً ، فهو في اعتباره ليس تأليفاً ، يقول : « ... باتمام ما يسره سبحانه وتعالى على يد العبد الحقير المعترف بالعجز والتقصير من جمع هذه السيرة ... »[3] أي أنه يجعل فرقاً بين العمل الوجداني كالشعر مثلاً وبين الاعمال التي تصف الوقائع التاريخية التي هي ليست من إنشاء الكاتب. وربما كان تباعده عن الحوادث عند وصفها نابعاً من هذا الموقف . ثم لاحظ تواضع المؤلف إزاء المهدي وإزاء سيرته حيث يقول : « هذا وليعلم المحب لجناب هذا السيد المكرم والوسيلة إلى نيل السعد الأفخم أنه لا سبيل لنا إلى استقصاء جميع ما يتعلق بسيرة المهدي عليه السلام في هذا الكتاب لأن ذلك ليس في الطاقة وإنما تكلمنا على اليسير من سيرته عليه السلام حسبما اطلعنا عليه ورويناه من الثقات من أصحاب المهدي عليه السلام على قدر الطاقة والامكان وما فتح به علينا المنان[4] » .

---

(١) السيرة ص ١٣٢.
(٢) السيرة ص١٢٩.
(٣) السيرة ص ٣٩٩ .
(٤) السيرة ص ٣٧٦ .

وعلينا أن نلاحظ أيضاً أن ثقافة المؤلف ، وهي أزهرية ، قد انعكست في تأليفه . انظر كلامه عن ختم المهدي [١] وعن المسجد وعن قبة المهدي وعن الراتب وطبعاته واهتمامه بنظم الكتابة (فيما يذكره عن رسائل المهدي) وبالجيوش وترتيب الواقعات وخططها وسائر ما يتصل بالنظم السلطانية والحربية .

ويقتضي المقام أن نذكر شيئاً عن أسلوبه في الكتابة وإن كنا قد قلنا في ذلك ما يكفي في مقدمة الطراز . فالكردفاني يكتب كتابة رجل متمكن من اللغة العربية وآدابها . وهو يلجأ إلى الأسلوب الخطابي عند الكلام عن المعارك والمواضع الحساسة المثيرة كوفاة المهدي مثلاً ، فأسلوبه هنا بليغ ومجلجل . أما في الحوادث العادية فيتقيد بالسرد كثيراً . وهو إن أعوزه الدليل لجأ إلى الخلق وإلى الخرافة وإلى الكلام المطول الذي يعطينا القليل . وهو يلجأ في حالات كثيرة إلى السجع وإلى اللعب بالألفاظ . كما يحاول أن يصف أعداد الجيوش بما يفيد التناهي . وإننا نكتفي بأن نورد بعض فقرات تقوم شاهداً على ما ذكرنا :

- وفي الشفا في ذلك ما فيه لأمراض القلوب شفا [٢]
- إذ ذاك أوفق بالغرض واجدر بإصابة سهم المقصود للغرض [٣]
- وفي منشوراته عليه السلام من هذا ما يغني اللبيب عن الإيضاح ويكفي المسترشد بأنوار صحبه عن الاستصباح بالمصباح [٤]

---

(١) السيرة ص ١٠٧.

(٢) السيرة ص ١٠٧.

(٣) السيرة ص ١٠٦.

(٤) السيرة ص ١٠٧.

– هاجرت إلى قديرٍ لإظهار قدرة الله [١]

– ما يكل عنه الوصف ويقف دون غايته الطرف [٢]

– تقفوه الصفاح وطريداً تتلوه الرياح [٣]

– وعلم دموع العين كيف تصوب [٤] .

خاتمة

لقد كان كتاب المستهدي أول كتاب يؤلف في تاريخ المهدية وكان بذلك فتحا في هذا الباب . فكتاب ونجت عن المهدية في السودان المصري صدر عام ١٨٩٩ وتاريخ نعوم صدر في سنة ١٩٠٣م و كتاب نيوفيلد : سجين الخليفة ، قد صدر في ١٨٩٩ ، والسيف والنار لسلاطين صدر في ١٨٩٦ م و كتاب أهرولد الذي ترجمه ونجت وأصدره باسمه ظهر ١٨٩٢ . أما كتاب السيرة فقد فرغ من تأليفه في ١٨٨٩ .

ويكتسب الكتاب أهميته لتناوله المهدية من الداخل . وبغض النظر عن موقف المؤلف ودرجة إيمانه بحركة المهدي وبالتالي موقفه من الخليفة ورأيه فيه فالأسلوب الذي اتبعه المؤلف عند تناوله للمهدية من الداخل عكس نظرة الأنصار إلى حركتهم وإيمانهم الراسخ بها وبقيادتها .

إن المستهدي من هذه الناحية يحمل الروح الذي انتظم المهدية وبمبالغة

---

(١) السيرة ص ١٤٠.
(٢) السيرة ص ١٥٨ .
(٣) السيرة ص ١٧٥ .
(٤) السيرة ص ٣٨٧ .

شديدة لإرضاء الخليفة بينما نزع المؤرخون بعده وعلى رأسهم نعوم روح الحركة وألقوا جسدها وعرضوا القضية على الوجه الذي كان يتصوره الطرف الآخر .

والغرض من التأليف يوضحه المؤلف في خطبة الكتاب عندمــــا يقول : « ... إن صاحب الزمان المنتظر هو خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما ورد بذلك الأثر . فوجب على الكافة من أهل الإسلام بيان سيرته عليه السلام وإذاعتها للخاص والعام ، إذ هي من أوكد الأمور الدينية وبها يحصل الفوز برضاء رب البرية ، وبذلك تحفظ عن التحريف في غابر الأزمان ولا يعتريها خلل بتعاقب الملوان »[١] .

ويقارن المؤلف عمله هذا باعتناء (فضلاء الأنام) بالسيرة النبوية وحفظهم لها عن الضياع (على توالي الأعصار) .

إن سمة التأليف كما نرى عربية إسلامية والمؤلف عنــــد الكلام عن المهدي يتوخى صورة المهدي المنتظر وصورة الرسول . ومع تعاقب الفصول وفي أكثر من موضع في الكتاب تتحدد ملامح الكردفاني كمؤلف ، ومؤرخ وجامع ، وسياسي .

ومن السهل التعرف على طبيعة المصادر التي اعتمد عليها المؤلف ، فهو يفرط في السرد عند اعتماده على المصادر المسموعة ، أما عنــــد اعتماده على المصادر المكتوبة فهو يعمد الى الايجاز في السرد والى الدقة والتركيز في إثبات البيانات .

ولقد توفر للمؤلف عند وضعه للكتـــاب عدد من المصادر إلا أنه لم يهتم بعرض السيرة بقدر ما اهتم بتمجيد المهدية ، ومع ذلك فقد استطاع أن يحافظ على خلفية الاحداث . ووزع الأجزاء بتقدير سليم مع مبالغة في الوعظ والكلام

---

(١) السيرة ص ٦٣.

عن الخليفة ، والتحذير من الغلول ذلك لأن من أغراض التأليف أيضاً التربية والارشاد .

إن المستهدي مصدر هام من مصادر كتابة تاريخ المهدية ، وتاريخ علم التاريخ في السودان . وقيمة أي مصدر تاريخي يقررها قدمه وقربه من الحوادث التي يتناولها أو استخدامه لكتب مفقودة أو قديمة . ولقد كان للكتاب السبق في تسجيل بعض الاخبار المعاصرة لها . ولا ينقص من قيمته أخذ الكثير عنه وتحريفه بينما ظل هو ضائعاً منسياً لفترة من الزمن .

لقد اتبعنا في تحقيق نص السيرة نفس الأسلوب الذي اتبعناه في كتاب الطراز . وليس لدينا ما نضيفه إلا أن نعتذر عن القصور في تحقيق نصوص الاحاديث النبوية . والواقع أن ذلك لم يكن متاحاً لكثرة الاحاديث التي رويت عن المهدي وكثرة الاختلاف بينها في الرواية . وإننا إزاءها نكتفي بأن نحيل القارىء الى مقدمة ابن خلدون وإلى الآيات البينات والانوار السنية للعبادي وزهرا .

وكنا قد رتبنا في مبدأ الأمر على أن نورد تراجم الأعلام كاملة ولكننا وجدنا أن بعضها لا يستحق الترجمة وأن أغلب من يستحق قد ترجم لهم — وإن كان باختصار —في كتب التراجم مثل موسوعة هل وموسوعة محمد عبد الرحيم . وإننا ننصح القارىء بالعودة إليهما حيث يقصر جهدنا .

ولما كان الكردفاني يتبع التقويم الهجري حسبما كان متبعاً في مجتمعه ، وكان القارىء المعاصر قد تعود على التقويم الميلادي ، فإننا بينا مـــا يقابل تواريخه بالتاريخ الميلادي . على أننا قد تغاضينا عما يذكره نعوم ، ويقره عليه هولت ، عن أن تقويم الأنصار يختلف بيوم عن التقويم الهجري العام .

وإنه لواجب محبب إلى النفس أن نذكر كل الذين عاونوا في إخراج هذا

الكتاب بهـــذه الصورة وأن نعترف لهم بالفضل . ونود أن نذكر على وجه الخصوص مكتبة الدراسات الشرقية بجامعة درم بانجلترا التي سمحت بالاطلاع على أصول الكتاب ونشره ، والمجلس القومي لرعاية الآداب والفنون بالخرطوم للتكرم بنشر الكتاب ، وجملة من زملائي ، السيد محمـــد صالح حسن الذي عاونني كثيراً في مراجعة المقدمة ، والسيدين مبارك محمـــد عثمان وأحمد محمود اللذين عاونا بجهدهما المشكور في ضبط الأصل وزميلنا سابقاً أحمد سلامه الذي تولى نقل النص عن النسخة المصورة .

الخرطوم ٢١ / ٣ / ١٩٧٢ محمد إبراهيم أبو سليم


مسطورات
MUSTORAT

خطبـة الكتاب [1]

بسم الله الرحمن الرحيم .

الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم .

الحمد لله الذي أطلع شموس الهداية بظهور بشرى سيد البشر ، وأنـار الوجود بمطالع كواكب السعود ، فاستبانت معالم التوفيق لمن سلك مسالك أهل التصديق ، ولمولاه شكر ، والصلاة والسلام على القائل في ظلال المعارف وعلو الهمة القائل : « المهدي مني ، يملأ الارض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً » وناهيك بهذه المنة لسائر الامة ، وعلى آله وأصحابه الفائزين برؤيـة وجهه الحسن المسلسلين لأحاديث سيرته الصحيح منها والحسن .

وبعد ، فيقول الراجي رحمة مولاه القادر ، العبد الضعيف اسماعيل بن عبد القادر [2] [٢] [3] أن السيرة النبوية مما اعتني بجمع البعض منها الجم الغفير من فضلاء الأنام وقلدوا بغرائد عقودها الذرية عاطل جيد الأيام ، فكانت للعيون قرة ، ولجبهة سالف الدهر غرة ، حتى حفظت بـذلك عن الضياع على توالي الأعصار وسارت سير القمرين في سائر الأمصار ، وأمنت من التغيير والتبديل ، وعدت من واجبات الديانة المتلوة جيلاً بعد جيل .

---

(١) قلنا : لقد أثبتنا هذا العنوان هنا ، مع انه لا يرد في الأصل ، من وحي ما جاء في وصف أجزاء الكتاب أسفله .

(٢) قلنا : هكذا اسمه على التوالي بغير ذكر جده في كل المصادر. انظر ترجمته في المقدمة.

(٣) قلنا : مثل هذا الرقم على السطر يعني أن كاتب المخطوط قد انتقل في هذا الموضع من صفحة إلى أخرى .

وإن صاحب الزمان المنتظر هو خليفة رسول الله صـــلى عليه وسلم ، كما ورد بذلك الأثر . فوجب على الكافة من أهل الإسلام بيان سيرته عليه السلام وإذاعتها للخاص والعام ، إذ هي من أوكد الأمور الدينية وبها يحصل الفوز برضاء رب البرية ، وبذلك تحفظ عن التحريف في غابر الأزمان ولا يعتريها خلل ما تعاقب الملوان .

وإن العبد الحقير ممن من الله عليه ، وله الفضل والمنة ، بإدراك زمنه عليه السلام ومبايعته واقتطاف أزهار صحبته التي هي ثمن الجنة . وقد أشار إليّ من سعدت الأكوان بامتثال راسمه ، [٣] واستنارت البلدان بنيران هدايته ومعالمه ، وأشرقت أقمار هديه في سماء السعادة ورفعت منصوبات ألويته على مرفوعات السيادة ، الخليفة الأكبر ، وارث مقام الاصطفاء ، والحائز من خالص خله ، المهدي عليه السلام الحظ الأوفر ، خليفة المهدي عليه السلام ، سيدنا الخليفة عبد الله بن محمد خليفة الصديق ، أدام الله أيامه ، ومكن برهفات العدل في رقاب الطاغين أحكامـــه ، وأشرق شموس هدايته في قلوب الأنام ، وأنار بلوامع أسراره معالم الإسلام ، آمين ، أن أجمع بعضاً من سيرته عليه السلام ، التي سارت بعاطر نفحاتها الركبان ، وشمل عرفها القاصي والدان ، لأن جميع ذلك لا يحصره ذو بيان ولا يحيط به التبيان . وإن ذلك ليس في طوق البشر ، وإنما هو من شأن خالق القوى والقدر . فبادرت لامتثال إشارته التي هي منهاج للسعادة ووسيلـــة لاحراز الزلف الموصلة إلى الحسنى ، وزيادة رجاء أن أنتظم في سلك أصحابه ، ورغبة أن أعد في زمرة محبيه وأحزابه ، ليكون ذلك لي سبيلاً للفوز برضاه علي ورضاء خليفته الأكبر عليه رضوان الملك العـــلام ومنهجاً للسعادة وطريقاً ، وأنال به منال من أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً ، وسميتها « سعادة المستهدي بسيرة الإمام المهدي » . وإني أسأله تعالى ، متوسلا إليه بجاه نبيه الكريم لائذاً بوجاهة وجهه [٤] العظيم ، أن يسهل عليّ ذلك من أنعامه ،

ويعينني على إكماله وإتمامه ، وأن يسلك بي سبيل الرشاد ، ويلهمني الصواب والسداد ، فإني متطفل على ذلك ، ولست من فرسان تلك المهامه والمسالك ، ولكنه ولي التوفيق والهادي إلى أقوم طريق .

هذا وقد رتبتها على مقدمة وثمانية أبواب وخاتمة :

المقدمة في بيان الأحاديث النبوية الصارحة ببشرى ظهور المهدي عليه السلام في آخر الزمان وازدلاف زمنه في الآثار السلفية عند الكافة من أهل الإيمان .

الباب الأول في تحقيق اتصافه عليه السلام بما ورد في هذا الشأن عن سيد الأنام وحوزه لمنازل الكمال كما قضى بذلك العيان لدى الخاص والعام .

الباب الثاني في ذكر نبذة من أخلاقه الشريفة وجملة دالة على كمالاته المنيفة وحفظ الله تعالى له عليه السلام من صغره الى بلوغه منازل الشرف ورقيه إلى أعلى مراقي القرب والزلف وما خص به من خصائص الصفـــات ، وأتحف به من بدائع الكرامات .

الباب الثالث في بيان عباداته المنبئة عن كمال تشريف الله تعالى له في سابق أزله برفع منار فضله وإعلاء مقاماتـــه إلى أن أكرمه الله تعالى باظهاره مهدياً للبرية وليحوزوا باتباعه واقتفاء آثاره كل أمنية .

الباب الرابع في رعايته الخلق لدين الحق وأمره لهم بالقيام بنصر دين الله وترك ما كان عليه الجماهير من العكوف على الضلال ومنابذة أهل الأهواء والبـــدع وردعهم وردهم الى المنهـــج الاقوم ومخاطباته للملوك والامراء ورؤساء القبائل والمنتمين الى الديانة وما [٥] يتبع ذلك .

الباب الخامس في اجتماع القبائل عليه تصديقاً بمهديته وقياماً بواجب نصرته وتتابع الوفود عليه أفواجاً أفواجاً إلى أن أنجز الله وعده .

الباب السادس في أول وقائعه مع الترك وانتصاره عليهم ، وذلك بعد الإنذار لهم ، وإقامة الحجج لهم والبراهين الساطعة ، للدخول في الدين المستقيم ، وحصول النفور منهم ، ونصب حبائل المكائد دوماً لعداوته وإطفاء لنوره – ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون .

الباب السابع في ذكر هجرته عليه السلام مع السابقين من أصحابه الاعلام، من جزيرة أبا التي هي محل ظهوره بالمهدية إلى وصوله إلى جبل ماسا بلصق بجبل قدير حسبما أمر به على السنة والهواتف الالهية والخطابات النبوية وما يتصل بذلك من جهاده للأتراك هنالك وغيرهم ممن أعرض عن قبول دعوته وحاد عن سماع كلمته ، وغزوته عليه السلام لمحاربة الأتراك بمدينة الأبيض بكردفان ، لغاية تسليمهم ودخولهم تحت الطاعة ، بعد ما مسهم من أليم المحاصرة التي أفضت بهم إلى المهالك والاضاعة .

والباب الثامن في ذكر غزاوته وسراياه وبعوثه وما يتصل بذلك من فتوح المدائن العظيمة على يده عليه السلام ويد أمراء سراياه والتبرك بذكر نبذة من منشوراته التي هي آية من الآيات وبينات تتلى إلى يوم تطوى السموات .

فالخاتمة ، نسأل الله حسنها ، وتشتمل على إتمام نعمته [٦] تعالى عليه بنقلته له إلى ما أعده تعالى له من الكرامة لديه وبيان خلافة خليفته الأكبر الذي أحيا الله به الأنام وشيد بثاقب عزمه دعائم الإسلام حجة الله في أرضه القائم بأداء نقله وفرضه الرحمة المبعوثة للعباد الذي طهر الله به الأرض من ظالم الظلم وأزاح به الفساد مشيد المسجد[1] الذي تشد إليه الرحال

(١) قلنا : يعني بالمسجد جامع الخليفة المشهور بأم درمان . ويبدي المؤلف اهتماماً بهذا المسجد ويعده من إنجازات الخليفة الكبيرة ، فيشير إليه هنا ثم يتكلم عنه بتفصيل فيما يلي ثم يذكره في كتاب الطراز منوهاً بعظمته وجلاله.

وروضة الهداية التي أزهرت أفنانها بعبادة ذي الجلال الفرد الأكبر والناموس الأطهر خليفة المهدي عليه السلام سيدنا الخليفة عبد الله بن محمد خليفة الصديق أدام الله تصديقه في قلوب البرية وأحيا بأنوار هدايته الملة المحمدية ، آمين يا رب العالمين .

أسأله تعالى متوسلاً إليه بوجاهة وجه نبيه الكريم ورسوله ذي القدر العظيم أن يوفقني لإتمام هذا العمل ويعصمني من الزيغ والخطل ، إنه على ما يشاء قدير ، وبالاجابة جدير .


مسطورات
MUSTORAT

المقـــدمة

فالمقدمة في بيان الأحاديث النبوية الصارحة ببشرى ظهور المهدي عليه السلام في آخر الزمان وازدلاف زمنه في الآثار السلفية عند الكافة من أهل الإيمان .

اعلم ، وفقنا الله وإياك ، يا ذا اللب السليم السالك مسالك أهل التسليم : انه لما كان من سنة الله التي لا تتبدل وعادته الإلهية التي لا تتحول رجوع الأمور إلى مبتداها بعد بلوغها غاية منتهاها اقتضت الحكمة الأحدية والارادة الصمدية إحياء أمر النبوة التي كان بها ظهور الحق والهدى بعد انتشار غياهب الغواية والعمى وذلك بظهور بشرى سيد الأنام الذي أحيا الله به معالم الإسلام [٧] سيدنا الامام الفاطمي[١] المنتظر محمد المهدي بن عبد الله عليه من الله أزكى تحاياه وبذلك صدع النعل وأخبر به النبي من قبل ونوه بقدره الشريف وبيان مجده المنيف . فقال من لا ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحي يوحى[٢] : المهدي مني أجلى الجبهة أقنى الأنف يملأ الأرض قسطاً وعدلاً ، كما ملئت جوراً وظلماً ، يعيش يا خمساً أو سبعاً أو تسعاً . وقال صلى الله عليه وسلم : لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطول الله ذلك اليوم، حتى يبعث الله فيه رجلاً ، مني أو من أهل

---

(١) قلنا : قال الإمام لأنه – حسب مفهوم نظرية المهـــدي عن إمامته – إمام المسلمين بمعنى الامامة الكبرى ، وقال الفاطمي لأن المهدي المنتظر مشروط فيـــه أن يكون من نسل الرسول أي من ذرية فاطمة بنته .

(٢) قلنا : الاحاديث في المهدي المنتظر كثيرة روتها كتب الحديث غير المتشددة . وقد أنكرها الكثيرون . انظر مقدمة ابن خلدون الفصل الثاني والخمسين .

بيتي ، يواطىء اسمه اسمي ، واسم أبيه اسم أبي ، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً . وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، أنه قال : ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم : بلاء يصيب هذه الأمة ، حتى لا يجد الرجل ملجأ ، يلجأ إليه من الظلم ، فيبعث الله رجلا من عترتي ، فيملأ به الأرض قسطاً وعدلاً ، كما ملئت ظلماً وجوراً ، يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض . وعن أم سلمة رضي الله عنها ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر المهدي فقال : نعم هو حق ، وهو من ولد فاطمة . وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، أنه قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تقوم الساعة حتى تمـــلأ الأرض جوراً وظلماً وعدواناً ثم يخرج من أهل بيتي رجل يملؤها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وعدواناً . وقال صلى الله عليه وسلم : المهدي منا أهل البيت يصلح الله به في ليلة . وعن علي رضي الله عنه أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم : أمنا المهدي أم من غيرنا يا رسول الله ؟ قال بل منا ، به يختم الله كما بنا فتح . وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال حدثني خليلي أبو القاسم صلى الله عليه وسلم [٨] قال : لا تقوم الساعة حتى يخرج عليهم رجل من أهل بيتي فيضربهم حتى يرجعوا إلى الحق . وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : المهدي طاووس أهل الجنة . وروى الطبراني عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : المهدي من ولدي وجهه كالكوكب الدري اللون لون عربي والجسم جسم إسرائيلي يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً. وعن جابر رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من كذب بالمهدي فقد كفر .

فهذه خلاصة الأحاديث النبوية التي خرجها الأئمة في شأن المهدي عليه السلام وخروجه في آخر الزمان .

أمـــا الآثار السلفية الناطقة بالبرهان في شأن صاحب الزمان فمنها : ما أورده بعض السلف عن علي رضي الله عنه فقال : قال علي رضي الله عنه ونظر

إلى ابنه الحسن : إن ابني هـــذا سيد كما سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيخرج من صلبه رجـــل يسمى باسم نبيكم يشبهه في الخلق ولا يشبهه في الخلق يملأ الأرض عدلاً . وعن محمد بن الحنفية قال : كنا عند علي رضي الله عنه فسأله رجل عن المهدي فقال : ذلك يخرج في آخر الزمان إذا قال الرجل الله الله قتل ويجمع الله له قوماً قزع كقزع السحاب يؤلف الله بـين قلوبهم فلا يستوحشون إلى أحد ولا يفرحون بأحد دخل فيهم عدتهم على عدة أهـــل بدر لم يسبقهم الأولون ولم يدركهم الآخرون .

وقال صاحب الفتوحات المكية [1] في المهدي : انه يكون معه ثلاثمائة وستون رجلا من رجال الله الكـــاملين ، وهذا الخليفة من عترة رسول الله صلى الله عليه وسلم من [٩] ولد فاطمة ، اسمه اسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكنيته كنية جده حسن بن علي ، يبايعه العارفون بالله من أهل الحقائق عن شهود وكشف بتعريف إلهي رجال إلهيون يقيمون دعوته وينصرونه : هم الوزراء ، يحملون أثقال المملكة ويعينونه على مـــا قلده الله تعالى . ثم قال : فإن الله يستوزر له طائفة خبأهم في مكنون غيبه أطلعهم الله كشفاً وشهوداً على الحقائق ، وهذا الخليفة يفهم منطق الحيوان ويسري عدله في الإنس والجان .

وقال بعض السلف : ولم تزل البشرى تتابع به عليه السلام من أول اليوم المحمدي وتضاعفت بتباشير أهل الحقيقة بتقريب وقته ، يجدد الله به الاسلام

---

(١) قلنا : صاحب الفتوحات المكية يقصد به محيي الدين بن عربي . وهو : محيي الدين محمد بن علي بن عربي ٥٦٠ - ٦٣٨ هـ (١١٦٥ - ١٢٤١) ميلادية وهو من كبـــار الصوفية . ومن الاوائل الذين وضعوا فكرة وحدة الوجود . وقد كان عالماً متبحراً في آراء الشيعة فنقـــل آراءهم الى التصوف . وقد نظم دولة الأولياء تقوم على القطب والابدال والاوتاد وغيرهم ، وقد أخذ هذه الفكرة عن الاسماعيلية . عرض للمهدية وفصلها ورتبها وألف فيها كتابه « عنقاء مغرب ». ويختلف الناس في اسم شهرته فيقال العربي وعربي ، ويفضل البعض عربي تمييزاً له عن ابن العربي المصري .

ويظهر العدل ويصير له ملك الأرض فيقوي المسلمين ويظهر دين الحنيفية ، ومدة حكمه بضع والبضع من ثلاث إلى تسع ، وجاء ذكر أربعين ، وفي بعض الروايات سبعين . وأما الأربعون فإنها مدته ومدة خلفائه القائمين بأمره من بعده .

فهذه خلاصة ما جاء في الآثار السلفية ، فعض عليها بالنواجذ ان كنت ذا بصيرة وروية .

وبالجملة فالأحاديث الواردة في حق الامام المنتظر قد بلغت مبلغ التواتر فلا يرتاب فيها إلا من حاد عن سنن سنه حميد البشر ، جعلنا الله ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ويتوسلون إليه بجاه أكرم الخلق عليه في إيقاظ كل ذي غفلة وسنة ، فإنه لا إله غيره ولا خير إلا خيره .

الباب الاول

الباب الاول في تحقيق اتصافه عليه السلام [١٠] بما ورد في هذا الشأن عن سيد الانام وحوزه لمنازل الكمال كما قضى بذلك العيان لدى الخاص والعام

اعلم أن الله جلت قدرته وعظمت سنته لما أراد إسعاد أهل القرن الثالث بعد الالف من السنين وإلحاقه بالقرن الذي تشرف بوجود سيد المرسلين أخرج تلك الدرة المصونة والجوهرة التي هي في صدف عالم الغيب مكنونة إلى عالم الظهور وأبرز حقيقتها الذاتية من سبحات الجلال الى منصة الجمال المكلل بتاج الفضل المأثور ، فظهر سيدنا محمد المهدي بن عبد الله عليه السلام في ذلك القرن روحاً وجسماً ، فأحيا به الله الاسلام بعد ما صار رسماً بل اسماً ، وخص القريب المجيب إقليم السودان بإظهار هذا السيد الحبيب فيه ليكون ذلك جبراً لخاطرهم الكسير وزخراً معدوداً لهم من هول ذلك اليوم العسير ، إذ هم أضعف أهل الاقاليم وأعجزهم عن درك الفضائل والتعاليم ، فحبانا ذو الفضل العظيم بظهور هذا السيد الكريم . فطالما انتظرته الاوائل وأبكتهم واجفات الشوق عليه بكل دمع هاطل ، حتى صار أهل الكمال من أهل الأجيال يفرضون لديهم وجوده ويتعرضون لنفحاته الرحمانية ويلتمسون جوده ويخاطبون بلسان الذل والانكسار ويودون لقاءه ولو بإتلاف المهج وملابسة الاخطار .

من هنا يتضح للعاقل اللبيب والفطن الاريب أن ما ذكر علم من أعلام مهديته وسر مودع في مكنون مزيته ، وأنه عليه السلام مخلوق من [١١] الأنوار النبوية ، وخليفة الرسول عليه الصلاة والسلام المقتفي لتلك الآثار

المصطفوية. وذلك أن الله سبحانه وتعالى أظهر محمداً حبيبه وصفيه صلى الله عليه وسلم في قريش ، وهم إذ ذاك يعبدون الحجر ويسجدون للشمس والقمر ، فخصهم الله بظهور ذلك الحبيب الذي هو من ذي العرش قريب ، فنال من تبعه منهم السيادة واعتلى على مدارج الشرف والسعادة ، ولله في خلقه حكمة بالغة يظهر لأهل العناية سرها ويضوع لمن خص بالسعادة نشرها . وأنت هداك الله إذا تأملت بعين البصيرة وزكت منك السريرة تجد جميع ما ورد في الآثار النبوية مطابقاً ومتحققاً في السلالة الهاشمية سيدنا محمد المهدي بن عبد الله .

فإنه عليه السلام من آل بيت النبوة والدرة الفريدة التي هي في صدف المكرمات مخبوة . وإن أباه عبد الله من ولد الحسن بن علي رضي الله عنهما أماً وأباً ، وأمه من جهة أمها حسنية وأبوها عباسي . هذا وقد رأينا أن نسرد نسبه عليه السلام إلى الحسن السبط بن علي رضى الله عنهما كما أجمع عليه الثقات [1] من ذوي الدراية بنسب المهدي عليه السلام فنقول :

هو سيدنا محمد المهدي بن عبد الله بن فحل بن عبد الولي بن عبد الله بن محمد ابن حاج شريف بن علي بن أحمد بن علي بن حسب النبي بن صبر بن نصر بن عبد الكريم بن حسين بن عون الله بن نجم الدين[2] [١٢] بن عثمان بن موسى بن أحمد بن

---

(١) قلنا : روي هذا النسب قبل ظهور المهدي . وكان الاشراف يعرفون بهذا اللقب ونسبتهم إلى ذرية النبي قبله أيضاً ، فهو ليس من مستحدثات المهدية لاثبات شرط من شروط المهدي وهو كون المهدي من ولد فاطمة بنت الرسول . وقد ورد نصه في تاريخ نعوم وفي كتاب جهاد في سبيل الله وفي قصيدة من ١٨ بيتاً ألفها الشيخ محمد الامين القرشي القاضي الشرعي السابق والذي كان على اتصال وثيق بالسيد عبد الرحمن المهدي . وقد طبعت القصيدة في صفحة واحدة لتعلق على الحائط ووزعت على نطاق واسع . انظر نصها في دار الوثائق المركزية وفي كتاب جهاد في سبيل الله .

(٢) قلنا : يذكر كتاب جهاد في سبيل الله أن نجم الدين هذا هو الوزير الفاطمي والذي ينسب إليه باب الوزير المشهور بالقاهرة .

أبي العباس[1] بن يونس بن عثمان بن يعقوب بن عبد القادر بن الحسن العسكري بن علون بن عبد الباقي بن صخرة بن يعقوب بن سيدنا الحسن السبط ابن الامام علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه .

وإنه عليه السلام أجلى الجبهة أقنى الأنف ووجهه كالكوكب الدري ولونه عليه السلام يميل إلى السمرة كما هي لون العرب . وما جالسه أحد وماشاه[2] إلا طال عليه عليه السلام . وهذا مشاهد للجم الغفير من الأمة الذين سعدوا برؤية ذاته الشريفة وتمتعوا بمطالعة أنوار طلعته المنيفة ، وهم عدد يربو على ما يثبت به التواتر .

وقد ملأ الارض قسطاً وعدلاً ، بعد ما ملئت جوراً وظلماً من الأتراك الذين انتهكوا حرمات الدين ، وضربوا الجزية على المسلمين وفشا فيهم الزور والبهتان ، وأطاعوا الشيطان وعصوا الرحمن ، وتسارعوا إلى محو رسوم الاسلام ولم يراقبوا الله في أمة سيد الانام ، إلى أن أظهر الله هذا الامام المرتضى ، وسيف الله المنتضى ، فأباد الظلم وأهله وأقلع الباطل أصله وفصله ، فطابت البلاد واستراحت العباد . وألقى الاسلام بجرانه إلى الأرض ، وعم العدل طولاً والعرض ، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وتقال يوم الهول [١٣] الاكبر العثرات .

---

(١) قلنا : يسقط المؤلف أحمد بن موسى وأبي العباس وكذلك يفعل نعوم شقير . وقد أثبته كتاب جهاد في سبيل الله والشيخ محمد الامين القرشي في قصيدته التي أشرنا إليها . وينص كتاب جهاد في سبيل الله على العباس بدل أبي العباس وهو غلط مطبعي .

(٢) قلنا : ماشاه يعني مشى معه أي صحبه في الطريق ، والقصد هنا طوله .

وإنه عليه السلام عاش فينا خمس سنين [1] كما أخبر بذلك الصادق الامين ، وسنزيد هذا المقام وضوحاً ، في محله إن شاء الله تعالى .

ومعلوم أن اسمه موافق لاسم النبي صلى الله عليه وسلم ، فقـــد كان أولاً يدعى بمحمد أحمد بتركيب الاسمين لحوز آثار المزيتين . ثم أمره سيد الوجود صلى الله عليه وسلم بالاقتصار على الجزء الاول ، أعني محمداً ، كما قال المهدي عليه السلام : حصلت أوامر من النبي صلى الله عليه وسلم بتغيير اسمي بمحمد المهدي. فإنه صلى الله عليه وسلم قال[2] في بعض حضراته إني كنت أسمى محمد فلما بلغت الرسالة والنبوة سميت رسول الله ونبي الله كذلك أنت كنت تسمى محمد أحمد فلما حصلت لك المهدية يقال لك المهدي أو كما قال : واسم أبيه موافق لاسم أبي النبي صلى الله عليه وسلم .

فهو مطلع شموس المعارف النبوية ومجلى الصفات الاحمدية ومظهر أسراب التجليات العلوية والفرع المثمر من الدوحة العلوية ، زاده الله شرفاً وتعظيماً وإجلالاً ومهابة وتكريماً .

إعلم ، أيها المحب لهذا الحبيب المكرم الباحث عن تفاصيل جمـــل جمال صورة هذا السيد السند المعظم ، أن الله قد أكمل له المحاسن الخلقيـــة وملأه بأحاسن الصفـــات [١٤] الصورية لتكون ذاته الكريمة متأهلة لحلول النفس الكاملة ومهبطاً لتنزلات سحب الرحمات الهاطلة ، وذلك لها بطريق الوراثة

---

(١) قلنا : انظر طول عهد المهدي في الأحاديث التي أوردها أعلاه . هذا وما يلي محاولة من المؤلف للتوفيق بين ما جاء في تلك الأحاديث من العلامات الخاصة بالمهـــدي المنتظر وبين المهدي الذي يكتب سيرته .

(٢) قلنا هذا نص حضرة تغيير الاسم نقله المؤلف بحرفه – انظر كتـــاب الاحكام ص ١٤٤ .

المحمدية والنسبة بالذات الاحمدية وأنت إذا تأملت في دقائق ما أودع من الكمالات في ذاته المنيرة وعلمت يمن طلعته التي تخجل شمس الظهيرة تيقنت أنه عليه السلام قد حاز ذلك الجمال الأوفر وتحلى بحلى محاسن الاصطفاء الاكبر .

فإنه عليه السلام أزهر اللون أدعج العينين أهدب الاشفار أبلج أزج الحاجبين ، إذا افتر ضاحكاً افتر عن مثل سنا البرق ، واسع الجبين واسع الصدر عظيم المنكبين ضخم العظام رحب الكفين والقدمين سائل الاطراف متماسك البدن معتدل الخلق مفلج الاسنان ، وغير ذلك من صفاته السنية . فسبحان من أطلع شمس الجمال من أفق جبينه وأنشأ غيث المكرمات من غمائم يمينه .

أخبرني الثقة أنه سمع المهدي عليه السلام يقول أول ظهور المهدية وشقاق الناس في كون المهدي عليه السلام كيف شبهه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فاهتم ليلة خليفة الصديق من [١٥] كلام الناس ، فرأى النبي صلى الله عليه وسلم ، ووجد شبهنا له على التمام لغاية العروق الظاهرة على يدنا ظاهرة على يده عليه الصلاة والسلام . أسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يجعلنا من خاصة خواصه أهل الاختصاص وينظمها في سلك محبيه ذوي الاخلاص .


مسطورات
MUSTORAT

الباب الثاني

الباب الثاني في نبذة من أخلاقه الشريفة وجملة دالة على كمالاته المنيفة وحفظ الله تعالى له عليه السلام من صغره إلى بلوغه منازل الشرف ورقيه إلى أعلى مراقي القرب والزلف وما خص به من خصائص الصفات وأتحف به من بدائع الكرامات .

قد بان بما قدمناه واتضح مما تلوناه أنه عليه السلام كامل في الخلقة الانسانية، مهبط للتجليات الرحمانية ، حاز من كمال الخلقة وحسن الصورة ما لم يحم حوله حائم ولا زاحمه في ميدان تلك الكمالات مزاحم . فهو على الانتهاء في كمالها والغاية القصوى في اعتدالها . وأما أخلاقه عليه السلام المعنوية وصفاته الباطنية فمما لا يحيط بتفاصيل حملها إلا رب البرية . فهاك نبذة من أخلاقه الغرر وشمائله التي تخجل نظيم الدرر [١٦].

كان عليه السلام دائم البشر سهل الخلق لين الجانب ، ليس بفظ ولا غليظ ولا فحاش ولا عياب ولا مداح . قد ترك نفسه من المراء وما لا يعنيه ، وترك الناس من ثلاث : لا يذم أحداً ولا يعيبه ولا يطلب عورته . ولا يتكلم إلا فيما رجى ثوابه . ويصبر على الجفوة في منطقه وحسالته . عنده الناس في الحق سواء . مجلسه مجلس حلم ، ولا يواجه أحداً بما يكره . يتفقد أصحابه ويسأل عنهم ، فمن كان غائباً دعى له ومن كان حاضراً زاره ومن كان مريضاً عاده . أفضل الناس عنده أعمهم نصيحة ، وأعظمهم عنده منزلة أحسنهم مواساة . لا

يجلس ولا يقوم إلا عن ذكر[1]. يعطي كل واحد من جلسائه نصيبه حتى لا يحسب جليسه أن أحداً أكرم عليه منه ، وما جالسه أحد إلا صابره حتى يكون هو المنصرف عنه . يصل الرحم ويحمل الكل ويقري الضيف ويعين على النوائب . قد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم أباً وصاروا عنده في الحق سواء . أوسع الناس صدراً وأصدقهم لهجة وألينهم طبيعة وأكرمهم عشرة . ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصلح . متخلقاً بالقرآن المجيد عاملاً بما فيه من الاجتهاد في طاعة الله والخضوع له والانقياد لأمره والشدة على أعدائه والتواضع [١٧] ولين الجانب والرحمة لاوليائه ومواساة عباده وإرادة الخير لهم والحرص على كمالهم والاحتمال لاذاهم والقيام بمصالحهم وإرشادهم إلى ما يجمع لهم خيري الدنيا والآخرة . ذا حلم وعلم وصبر وشكر وعدل وزهد وتواضع وعفو وعفة وتقوى وحياء ومروءة وجود وسماحة وشجاعة وصمت إلا عن ذكر الله وتؤدة ووقار ورحمة بالمؤمنين . يقبل عذر المعتذر . وما وضع أحد فمه في أذن له إلا استمر مصغياً له حتى يفرغ من حديثه . أكثر الناس شفقة على خلق الله وأرأفهم بهم وأرحمهم بهم . يركب الحمار ويردف خلفه ويجلس على الارض ويأكل مع الخادم ويحمل حوائجه بنفسه من السوق . يحب الطيب ويستعمله . ويحب في الثياب ما خشن ، ومن الطعام ما خشن ، إلى غير ذلك من أخلاقه الفاضلة وصفاته الكاملة التي اتصف بها مما يضيق عنه نطاق التعبير ولا يدري كنهه إلا اللطيف الخبير ، فأكرم بها من أخلاق تناسقت في سمط السعادة جواهر آياتها وانتظم في سلك السيادة منثور درر بيناتها وأزهار شمائل يسرح طرف الناظر في خمائل روضها العاطر وسماء فضائل عم البرية سحاب خيرها الماطر .

وجدير لاخلاق نبوية وشمائل مصطفوية ألا تحل إلا في ذات [١٨] طاهرة

(١) قلنا : يقصد ذكر الله .

ومهجة باهرة محفوظة من عهد الصغر[1] مما يشين ويحدث الكدر لتأهيلها لما يريد الله من كرامته حتى كان عليه السلام من صغره أحسن الناس خلقاً وأصدقهم حديثاً وأعظمهم أمانة وأكملهم ديانة . فجميع ما أبديناه متحقق فيه عليه السلام من صغره إلى بلوغه المنزلة التي أكرمه الله بها عند من تتبع مجاري أحواله واطراد سيره . وتشريف الله تعالى لهذا الامام المنتظر وعنايته به أكثر من أن يحاط به . ولما رفعه الله إلى المقامات السنية ورقاه إلى أعلى المعالي العلوية وخصه بالوراثة المصطفوية وأظهره مهدياً لكافة البرية أفاض عليه من خصائص الصفات وبدائع الكرامات ما لم يدركه مسابق ولا جرى في حلبة اطراده لا حق ، فأظهره مولاه وأحيا به الدين وشيد به ما اندرس من شريعة سيد المرسلين فأحيا به بعد الضلالة وعلم به بعد الجهالة . خلق جميل زاهر وسحاب ندى له ماطر وبحر أفضاله زاخر وفضله غزير متكاثر ، وفعله باهر ، وجنده قاهر ، يعدل في الرعية ويفصل في القضية ، تفرح به العامة أكثر من الخاصة ، ألف الله به بين قلوب أهل الايمان ، جرت الملاحم بين يديه ، وذلك من [١٩] علاماته الدالة عليه . فهوا الداعي الى الله بالهداية والسيف الماحي لظلم الظلم والحيف. أباد الظلم وأهله وأظهر العدل وأبان فضله . له ملك يسدده وإلى صوب الصواب يرشده . من قاتله قتل ومن نازعه خذل . أظهر من الدين ما هو الدين عليه في نفسه ما لو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حياً لحكم به . يقفو أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يخطىء، كما ورد في الأثر .

ومن هنا يظهر للعامل[2] المنور بأنوار أهل التسليم الخالي من الرعونات النفسية

---

(١) قلنا : يشير المؤلف هنا الى العصمة وهي أمر يطول فيه الكلام وخاصة عند المتصوفة والشيعة إذ يذهبون الى أن الله يعصم الانبياء والاولياء والائمة فلا يقعون في اثم ، واختلف في مدى ذلك ، فالبعض يقول بأن العصمة في الكبائر فقط وآخرون بأنها في الكبائر والصغائر ، والبعض بأنها تكون بعد الرسالة أو الولاية والبعض بأنها منذ الصغر وهكذا . والذي عليه المؤلف أن عصمة المهدي منذ الصغر في الكبائر والصغائر .

(٢) قلنا : هكذا في الاصل ونحسب ان المقصود هو للعاقل .

والخلق الذميم الحكمة في رفع المذاهب [1] وعدم العمل بما فيها في زمنه عليه السلام ، لكونه يأخذ من مشكاة النبوة – بغير واسطة – جميع الأحكام . فهو ترجمان الحضرة النبوية والواسطة العظمى بيننا وبين النبي صلى الله عليه وسلم في تبليغ جميع الأحكام الإسلامية : فنتوضأ كما رأيناه يتوضأ ونصلي كما رأيناه يصلي، وهكذا جميع العبادات بل والعادات من غير نظر لما تدون بالمذاهب ولا التفات . وقد قال صلى الله عليه وسلم : صلوا كما رأيتموني أصلي ، والمهدي عليه السلام هو المبلغ لنا عنه عليه الصلاة والسلام . فوجب على الكافة من أهل الإسلام العمل بما جاء عن المهدي عليه السلام . [٢٠] لأن فعله كفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم . ويحرم على الأمة مخالفته عليه السلام في أمر ما . قال الله تعالى في حق نبيه عليه الصلاة والسلام : « قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله » . فكما لا ينال العبد محبة الله [إلا بمحبة رسوله فإنه لا ينال محبه الله] [2] ورسوله إلا باتباع المهدي عليه السلام في كل ما جاء به ولا يجد في نفسه حرجاً ولا ضيقاً وإلا وقع في المهالك وعد يوم الحشر في جملة الهوالك . قال الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً [3] » . وللمهدي عليه السلام من هذه الآية بطريق الوراثة المحمدية الحظ الأوفر ، فافهم إن كنت ذا بصيرة ! وهو عليه السلام ذو رحمة في الغضب فلا يغضب إلا لله ، ولا يتعدى في حال غضبه إقامة حدود الله ، وبإقامة الحد يزول عنه الغضب .

وبالجملة فمزاياه الزواهر ونيرات هدايته البواهر يحار فيها الوصف ويقف دون غايتها الطرف . وأنت هداك الله إذا تدبرت ما أمليناه عليك وتفكرت

---

(١) قلنا : يشير المؤلف إلى الحكمة في إلغاء المهدي للمذاهب .

(٢) قلنا : هذه الاضافة من عندنا عوضاً عن كلام نحسب أنه سقط في هذا المكان .

(٣) قلنا : سورة النساء الآية ٦٥ .

فيما أبديناه إليك تحققت أنه الإنسان الكامل الممنوح ببدائع الكرامات التي حظرت على من سواه من كل واصل .

وليعلم [٢١] المحب الصادق والعاقل الذي هو بما عند مولاه واثق أن سيرتنا هذه المطرزة بجواهر أخبار هذا الامام المنتظر المبشر به من لدن حضرة سيد البشر لم نجمعها لمن في قلبه مرض من مهديته ولا لطاعن في عظيم مزيته وإن كان فيها ما يفحم ويرغم أنفهم ويبطل اعتراضهم ويزيل أمراضهم بل جمعناها لأهل محبته المصدقين بمهديته ليكون ذلك تأكيداً لمحبتهم وزيادة في صحيح عقيدتهم وليزدادوا إيماناً مع إيمانهم ويحوزوا بذلك مزيد بيان على بيانهم .

فلذا أثبتنا فيها من أصول كراماته وباهر آياته ما يدل على عظيم قدره عند مالك أمره . وإذا تأمل المنصف بعين الاعتبار ونظر بعين البصيرة قبل رؤية الأبصار فيما قدمناه من جميل آثاره وحميد أخباره وبراعة علمه ورجاحة عقله وحلمه وجملة كماله وجليل خصاله وشاهد حاله الراجح وصواب مقاله الناصح لم يحـــتر في صحة مهديته وصدق دعوته ، وعلم أن المتصدي لإثبات مهديته كالمتصدي لإقامة الدليل على وجود النهار وذلك [٢٢] ممـــا لا يلتفت إليه ذو رؤية ولا استبصار ، شعراً :

وليس يصح في الأذهان شيء إذا احتاج النهار إلى دليل

وحيث استبان لك صدق ما قلناه واتضح لديك حقيقة ما أبديناه فاعتبر ما جرى لأعدائه عليه السلام في الملاحم من حرق النار لأجسامهم ولها ضوء ودخان . وقد يسمع لتلك النار صوت ودوي . ويشاهد في تلك الأجساد تكميش بأسباب الحرق حين تكون لحومهم كالشواء . وإنما حصل لهم ما ذكر إظهاراً لحقيقة حالهم وتعجيلاً لعقوبتهم كما أخبرني بـــذلك الثقة عن المهدي عليه السلام . وتلك النار تخرج من محلات طعن الرماح وضرب السيوف . وهذا

ممـــا تواتر وشهد به كل من أدرك تلك الملاحم . وقد شاهدت الحرق المذكور في تلك الأجسام في غزوته عليه السلام للطاغية الهكسي [1] قائد جيش الترك لمحاربة المهدي عليه السلام ، فإني رأيته في تلك الغزوة [2] بعيني رؤية ظاهرة وأطلعت عليه بعضاً ممن كان معي في تلك الغزوة فشاهده مشاهدة عيانية لا شك فيها ولا امتراء بين الأنام وقضت به [٢٣] المشاهدة عند الخاص والعام . وهذا من أكبر كراماته ووافر آياته .

وفي خلدي أن هذا من خصائصه عليه السلام التي خصه الله بها من بين سائر الأنام ، إذ لم يسمع بمثل هـــذا ولم ينقل إلينا من أول عهد الإسلام إلى هذا الأوان أنه حصل على يد غير صاحب الزمان ، والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم . ولعل الحكمة في عدم ظهور مثل هذا في عهد السالفين وظهوره في عهد الإمام المنتظر ، هي أن الله جلت قدرته لما علم في سابق أزله أن المهدي لا يظهر إلا في آخر الزمان وأن أمهـــات الشرور ومهمات المفاسد الأغلب وجودها في آخر الزمان – كما أخبر بذلك الصادق المصدوق عليه أفضل الصلاة وأتم السلام من الملك الديان – وأن هـــذا المقام الأعظم – أعني مقام المهدية – ربما يتطرق إليه أهل الدعاوى الذين أزرى بهم الغلط وحب الظهور فيدعون هذا المقام النفيس وينتحلون هذا المنصب العالي بسبب ما هم عليه من التلبيس ، أوجد سبحانه وتعالى هذا الخارق على يد هذا الامام المنتظر سيدنا محمد المهدي بن عبدالله وخصه به لئلا يكون للناس على الله حجة [٢٤] في أمر المهدي عليه السلام . وذلك أدحض لحجة المبطلين وأقمع لثائرة المنتحلين !

---

(١) قلنا : هو الجنرال هكس باشا ، وهو ينطق في لسان السودان عادة بيـــاء يقولون هكسي ، وعلى ذلك جرى قلم الكاتب .

(٢) قلنا : يقصد بالغزوة واقعة شيكان المشهورة التي انتصر فيهـــا المهدي على جيوش الحكومة التركية ـ المصرية بقيادة هكس باشا .

فاستمسك ، أرشدنا الله وإياك ، بهذه العروة الوثيقة وشد يدك على هذه الحكمة التي هي بالقبول خليقة .

واعتبر أيضاً ما وقع في عهد المهدية من ظهور نار بألسنة الرماح وأطراف السيوف إذا سلت من أغمادها ، وتلك النار لها ضوء واضح ولسان بالحقيقة فاضح ، وذلك بالليل . والغالب ظهور تلك النار عند إرادة غزوة أو إرسال سرية وهي من العلامات المشعرة بحصول النصر . وهذا أمر اتفقت على مشاهدته الجماهير حين بلغ مبلغ التواتر الذي لا يشك فيه أحد .

وأنا أرى ذلك أيضاً من خصائص كراماته عليه السلام إذ لم نسمع بمثل هذا ولم ينقل إلينا في غابر الازمان أصلاً . قلت : وأما الرماح فإنها من أعظم آلات الجهاد التي عليها مدار الحروب . ويكفي في بيان فضلها قوله صلى الله عليه وسلم : « عليكم برماح القنا فإن الله يزيد بها في الدين ويمكن لكم في البلاد ». وقوله صلى الله عليه وسلم : « جعل رزقي تحت ظل رمحي ». ولذلك أكد سيدنا خليفة المهدي عليه [٢٥] السلام في الاستكثار من الرماح وحث الاصحاب على حملها وحرض على ملازمتها في جميع الحالات . لأن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر بأن الله يزيد بها في الدين ويمكن بها في البلاد .

هذا واعتبر أيضاً ما شوهد في غزواته عليه السلام عند حصول الملحمة من تراكم جثث القتلى من الاعداء في ساعة واحدة حتى كأنهم التل الكبير وذلك من غير فعل أحد من الجيش بهم ذلك ، فتراهم صرعى متراكبين بعضهم على بعض كهيئة تل عال .

والعلم لله أن ذلك من فعل الملائكة أو غيرهم من أهل الغيب الذين أيد الله مهديه بهم وأنهم يكونون معه في سائر حروبه . وقد نص عليه السلام في بعض منشوراته التي نشر الله بها الهدى على العباد وعم نفعها على جميع البلاد أن الله سبحانه وتعالى أيده بعدد وافر من الملائكة وأرواح الاولياء ومن الجن ، وأنهم

يكونون معه في سائر حروبه ولا يفارقون جيشه المنصور كما سيأتي . وعندي أن تلك أيضاً من باهر كرامته التي لم تقع لغيره عليه السلام .

واعتبر أيضاً ما شوهد على بيض الدجاج وورق الاشجار وبعض الاحجار من رسم اسمه عليه السلام مقروناً بوصفه بأنه المهدي مسطوراً ذلك بيد القدرة الازليـــة [٢٦] مما لا يتصور وقوعه من سائر البرية ، وذلك أمر قضت به المشاهدة والعيان ولا ينكره إلا محروم من مواهب الرحمن .

هذا وأما ما وقع على يديه من البركة في الطعام ببركة لمسه له حتى أشبـــع الكثير من الناس وفيضان الآبار والمناهل التي كانت في غاية من قلة الماء ، وذلك الفيضان بسبب نزوله عليه السلام عليها ، وغير ذلك من كراماته الجمة فسنأتي عليها إن شاء الله في خلال هذه السيرة عند المناسبة اللائقة بالمقام .

والموفق إلى سبيل الخيرات ونيل جزيل الميراث لا يحتاج في التصديق إلى تعداد كثرة الكرامات بل يكتفي بما قل ودل ، بـــل من أدركته الالطاف الالهية وشملته العناية الربانية لا يحتاج في تصديقه إلى كرامة أصلاً ويؤمن بالغيب من غير ترديد ولا ريب لينتظم في سلك من مدحهم الله في محكم كتابه حيث قال ولقوله يهتدي المهتدون – « الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقنـــاهم ينفقون [والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون] أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون »(١).

هدانا الله والمسلمين إلى سواء الطريق وسلك بنا وبهم في التسليم لجناب مهديه عليه السلام مسالك أهل التوفيق ، آمين [٢٧] .

(١) سورة البقرة الآية ٣ ـ ٥

الباب الثالث

الباب الثالث في بيان عباداته المبنية عن كال تشريف الله له
في سابق أزله برفع منار فضله وإعلاء مقاماته إلى أن
أظهره الله تعالى مهدياً للبرية ليحوزوا باتباعه واقتفائه كل أمنية .

ولما منح الله هذه السلالة الهاشمية والبضعة الطاهرة المصطفوية الترقي في معارج السعادات وأوصلها الى حظائر القرب والكرامات وسبقت له من الله العنايات وأخرجت له من خزائن المنن العطيات وأشهده الحق على جمال أحديته وأطلعه على كال صمديته حبب إليه الخلوة والعزلة عن الناس لكيما يطهره عما عليه أهل الميل من الأدناس فيتفرغ لما يلقي إليه قلبه ويطهر من دنس الاغيار لبه فيصفو أو تشرق عليه أنوار الحكمة المعرفة بالله تعالى . فلم يكن شيء أحب إليه عليه السلام من أول النشأة الانسانية من الخلوة والانفراد عن الناس ، ولا سيما إذا كانوا على باطل كما عليه أهل الزمن ، لأن بالخلوة يخشع القلب ويترك المألوف من مخالطة أبناء الجنس المؤثرة في البنية البشرية . ومن ثم كانت الخلوة صفوة الصفوة ومهذّبة لأهل الغفلة والجفوة . فلذا ألف عليه السلام الخلوة والعبادة من عهد الطفولية إلى أن أكرمه [٢٨] الله بالمهدية . فلم يزل لسانه رطباً بذكر الله المنان ملازماً بثاقب عزماته وصدق توجيهاته لتلاوة القرآن عاملاً بأحكامه متأدباً بآدابه معتبراً بأمثاله وقصصه وحسن تلاوته نابذاً الدنيا وراء ظهره ، لم يلتفت إلى ما حوته من زخارفها الفانية ، مقبلاً على شأنه مجانباً لأهل زمانه مستغرقاً أوقاته في طاعة مولاه ، شاكراً له على جزيل ما أولاه .

فهو على الغاية في الخمول والتواضع والورع والزهد والقناعة وحسن الخلق مع الرضاء التام بجميع المقادير الالهية مستسلماً منقاداً لنفوذ الاحكام الربانية . وما اجتمع عليه أحد إلا دله على الله بحاله ومقاله مع قيامه عليه السلام بواجب الصحبة والنصيحة لمن صحبه ولو لحظة واحدة . يأمر كل من اجتمع عليه بالمعروف وينهاه عن المنكر ويحثه على مكارم الاخلاق والتمسك بالشرع المطهر والكف عن محارم الله والبدع وعما يخل بالمروءة مع المجاهدة للنفس في كل لمحة ونفس والرياضة التامة التي لا تصدر إلا ممن أكرمه الله تعالى بالوراثة المصطفوية مقبلاً بكليته على الله معرضاً عما سواه غزير الدمعة طويل العبرة ذا الدمعة السائلة والفكرة التي هي في مصنوعات الله جائلة ، يبكي [٢٩] في صلاته حتى يرحمه من كان معه ، كثير السهر ، لا ينام من الليل إلا قليلاً ، وفي غالب الاوقات يستغرق الليل كله بالقيام إلى الصباح . ولما رأى افتشار الباطل وعموم الفساد واتساع الخرق وعدم المجيب لداعي الحق فر بدينه لله من محل إقامته الوطنية إلى أن وصل عليه السلام بجزيرة أبا من جزائر البحر الابيض بالجهة الجنوبية ، وذلك سنة ستة وثمانين بعد المائتين والالف [١] ، كما أخبرني بذلك بعض الثقات . فأقام مع أهله هناك حسب الهواتف الربانية وما أمر به على لسان الحضرة المصطفوية وأظهر الدين وأحيا سنة سيد المرسلين ودعا الناس إلى دين الحق ، فأجابه منهم أهل السعادة ومن خص في الازل بالمقام الأسنى واستوجب الحسنى وزيادة .

---

(١) قلنا : يوافق ذلك سنة ١٨٧٠ ، وقد ذكر هولت (دولة المهدية طبعة ثانية ص ٤٦) هذا التاريخ أيضاً . الواقعة التاريخية إذا صحيحة ولكن الملابسات التي يرويها المؤلف ليست دقيقة . فالمهدي عندما ذهب إلى الجزيرة أبا لم يذهب فراراً بدينه ولم يكن قد بدأ دعوته وإنما ذهب مع إخوته الذين انتقلوا إلى هذه الجزيرة لوفرة الخشب فيها . ثم نمت أفكاره هناك تبعاً للظروف التاريخية (انظر تاريخ نعوم ص ٦٣٩) .

وفي خلال ذلك يتعبد ببطون الكهوف والغيران [1] مستغرقاً في مقام المشاهدات التي خصه بها المنان . ولم يزل صائماً النهار قائماً الليـل محافظاً على صلاة الجماعه محافظاً على أوامر الله مجتنباً لنواهيه في جميع أحواله الظـاهرة والباطنة سائراً إلى مولاه بالغداة والعشية سيراً يعجز عنه سائر البرية يأمر من [٣٠] كانوا معه بذلك ويرشدهم إلى اوضح المسالك ويحثهم على دخول الخلوات ويراقبهم بعين البصر والبصيرة في سائر الحـالات ، وهم أقوام من بلاد شتى ومن قبائل شتى ادخرهم الله في ملكوت غيبه لصحبته وتأييد امره ونصرته . وهم الرجال الالهيون الذين اختارهم الله للمبادرة لنصرة هـذا الجوهر المكنون والسر المصون . بذلوا نفوسهم لنصرته وتحملوا اثقال مملكته . أجابوا دعوته وصدقوا كلمته : واسطة عقدهم الفريد ، وثمرة طلحهم النضيـد ، محيي رسوم العدل ، الناطق بالحكمة والفضل ، المؤيد بالخضر عليه السلام ، الممنوح بتـاج الولاية الكبرى من بين سائر الانام ، أول الامة تصديقاً بالمهدية ، الحائز تيجة [2] هذه المزية ، من أحيا الله به الامة وكشف به الغمة ، خليفة المهدي عليه السلام

---

(١) قلنا : يشير المؤلف هنا إلى غار المهدي بالجزيرة أبا . وكان للمهدي ثلاثة مواضع يتعبد فيها ويسمي كل موضع غاراً . فالأول غار الشتاء وهو على شاطىء النيل الأبيض ، وهو الغار الذي قابله فيه أبو السعود . وفي هذ الغار دفن بعض شهداء واقعة أبا . وقد بني حوله مسجد ، ويظهر مكان الغار في المسجد في شكل مستطيل عليه رمل . وهو مكان يتعبد فيه الانصار ويتبركون . وفي حوش المسجد خلوة لتعليم القرآن في نفس الموضع الذي كانت فيه خلوة المهدي لتعليم القرآن . وفي الجانب الشرقي مكان منزل المهدي ، وبعض آثاره ظاهر إلى اليوم . وغار الصيف كان فيمغارة حجرية قصاد غار الشتاء وهو الآنداخل الماء. وغار الخريف وكان في داخل الجزيرة وموضعه ظاهر الآن داخل سراي السيد عبد الرحمن وبه سمي هذا الموضع من الجزيرة فيقال حلة الغار .

(٢) قلنا : نص المؤلف على هذا اللفظ هنا وفي مكان آخر (ص ١٥١) وربما كان المعنى التاج أو التيجان . فيكون المعنى المقصود الثمرة أو الخلاصة أو الكمال .

سيدنا الخليفة عبدالله بن محمد خليفة الصديق[1] ، أدام الله أيامه مشرقة الانوار وألبس الدنيا من حلل عدالته وعميم مراحمه ملابس الميراث وكال الاستبصار ، آمـــين .

هذا وفي أثناء تلك العبادات وملازمة الخلوة التي هي أسعد مناهج السعادات يخرج عليه السلام سائحاً مع بعض السابقين من [٣١] أصحابه الاعلام لانذار الامة [2] وتبشيرهم ودعايتهم إلى الله وتحذيرهم ونهيهم عن المنكرات وإزاحة تلك البدع والضلالات وأمرهم بالسير إلى رب البريات واصلاح العمل وخلوص النيات ثم يعود إلى محل إقامته جزيرة أبا . وهكذا ديدنـه الشريف ومنهجـه

---

(١) قلنا : هو الخليفة عبد الله بن محمد ، ولد في سنة ١٨٤٦ وهو من قبيلة التعايشة في جنوب غرب دار فور . وقد هاجر مع أهله واستقروا في دار الجمع . كان والده من « فقراء » المنطقة . بعد وفاة والده هاجر الخليفة عبد الله إلى الجزيرة وهناك التقى بالمهدي وصدق بدعوته واشترك معه في حروباته . وأصبح بعد موقعة قدير قائداً للراية الزرقاء التي تضم أبناء الغرب . وقـــد لعب الخليفة عبد الله دوراً بارزاً في المهدية حتى إن البعض كان يعتبره صاحب الفكرة والدعوة . وعند وفاة المهدي خلفه في قيادة الحكم والدعوة ونسبة لتمرّد بعض القبائل عليه ومنافسة الأشراف له في السلطة فقد أرغم الخليفة عبد الله أهله البقارة على الهجرة ليكونوا سنداً له . وقد أدى هذا بجانب الاضطرابات التي حدثت في زمنه إلى حدوث المجاعة الكبرى . في عهده أصبحت أم درمان مدينة كبيرة وصارت عاصمة للدولة . وقد استطاع الخليفة عبد الله أن يمد نفوذه عن طريق القوة مما أفقده الكثير من الأعوان كما أن قمعه العنيف لمعارضيه قد أوجد نوعاً من السخط والشعور بالمرارة . كذلك تعرض الخليفة عبد الله لضغط خارجي من الحبشة والايطاليين من الشرق ، والانجليز والمصريين من الشمال والشمال الشرقي والفرنسيين وسلاطين حوض تشاد من الغرب والبلجيكيين من الجنوب الغربي . واستمر هذا الضغط طوال فترة حكمه حتى كانت موقعة كرري فوضعت حداً لدولته .

(٢) قلنا : كانت سياحته في أول الأمر داخل إطار نشاط الطريقة السمانية ثم صارت لنشر دعوته الاصلاحية ثم صارت منذ منتصف ١٢٩٨ تمهيداً لنشر المهدية . ولكن المؤلف يسوقها كلها جملة واحدة بمعنى انها كانت لدعوة المهدية .

المنيف مستغرقاً في الله تعالى لا ينفك عن ملازمة صلاة أو تذكير بقرآن أو نشر عظة للقاصي والدان أو قراءة ورد أو ابتهال إلى الله تعالى بدعاء وتوجيهات أو سعي بنفسه الكريمة في قضاء حوائج الامة وملابسة لما في اصلاحهم من الامور المهمـــة ، لا يخرج عن طاعة الله في حال من الاحوال كما هو دأبه من النشأة الانسانية والفطرة الخلقية .

وبالجملة فهو السر الجامع الفرقاني المخصوص بمواهب القرب من النوع الانساني تلفتت أنفس المقربين إلى نفائس نفحاته وتطاولت أعناق الواصلين إلى استنشاق نسماته .

واعلم ، أرشدنا الله وإياك إلى سلوك جادة التحقيق ومنحنا بلطفه تبصرة تهدينا إلى سبيل أهل التوفيق ، أنه لا سبيل لنا أن نستوعب في هذه السيرة أنواع عباداته التي هي فوق الطاقة البشرية ونستقصي [٣٢] تعداد محاسنها التي أعجزت سائر البرية . كيف وهو المتعبد في البر والبحر والقانت لمولاه في السهل والوعر . وما ذكرناه من عباداته المنيفة وأحواله الشريفة إنما هو قطرة من بحر وشذرة من قلائد نحر ، فإن جميعها لا يحصره العد ولا يقف عباب سيبها الشامل للانام عند حد . ويكفي العاقل الموفق لطريق الهداية الناهج منهاج أهل العناية في كمال جمال مناهج عباداته التي صار ضوء فجرها في سائر البرية وسرى شذاها في آفاق نفائس الانفس الزكية راتبه [١] عليه السلام الذي

---

(١) قلنا : الراتب عبارة عن جملة أدعية وتوسلات وآيات قرآنية كتبهـــا المهدي وأمر أتباعه بتلاوته صباحاً ومساء . وقد طبعت منه عدة طبعات بمطبعة المهدية الحجرية في عصر الخليفة عبد الله ثم طبعت مرات بالمطابع الحديثة . وبدار الوثائق المركزية عدة نسخ خطية جميلة . وقد شرحه في كتاب سماه « عقود الدرر في شرح راتب الامام المهدي المنتظر » ، الشيخ محمد علي بن البشير بتكليف خاص من السيد عبد الرحمن . ويقع هذا الشرح في ٣٥٠ صفحة من الحجم المتوسط ، وهو مطبوع بالقاهرة حوالي سنة ١٣٧٧ هـ / ٧ – ١٩٥٨ . وشرحه في المهدية حسين زهرا ، وشرحه محفوظ بدار الوثائق المركزية .

. لأ الخافقين باشراق لوامع أنواره وعم المشرقين بمحاسن غرائب عجائب أسراره انهلت غمائم تجلياته على رياض قلوب العارفين فأينعت أزهارها وطابت للمحبين رقائق الحقائق ثمارها ، فهو منهاج العابدين والموصل لمن اقتفى أثر صاحبه لحضرة رب العالمين ، أشرق من أفق أسرار الرسالة وتجلى لأهل العناية بمناجاة ذي العظمة والجلالة . فهو مما يحظى العبد عند مولاه بقراءته ويعد في زمرة المناجين بادامته ويشعر بذلك فعله عليه السلام وحثه لاصحابه بملازمة استعماله صباحاً ومساء وناهيك بمنشوره [٢٣] عليه السلام الوارد في ذلك [١]. هذا ومما يزيد ترغيباً في هذا الراتب الجامع لافراد محاسن العبادة المتكفل لمن لازم قراءته بحسب النية بالحسنى وزيادة قول مورد الحقائق الازلية ومنبع ينابيع الحكم التي شهد بها سائر البرية سيدنا خليفة المهدي عليه السلام أن الطريق الموصلة إلى الله تعالى الآن محصورة في أشياء ذكر منها [٢] هذا الراتب العظيم الشأن ، نسأل الله تعالى التوفيق لملازمة ذلك مع سائر الاخوان . آمين .

ولما بدأ عليه السلام بأوائل خصال المهدية وتباشير الوراثة المصطفوية وذلك على ألسنة الهواتف الالهية والخطابات النبوية أخبر بذلك بعض أصحابه الخواص

---

(١) قلنا : حث المهدي على قراءة الراتب في عدد من مناشيره ولسنا ندري بالقطع أي هـذه المناشير يقصد المؤلف ولكننا نحتمل انه يعني منشوره الموجه في ١٥ ربيع أول ١٣٠٢ هـ / ٣ يناير ١٨٨٥ إلى أحبابه وأصحابه جميعاً من أمراء ومن معهم – انظر المرشد الى وثائق المهدي رقم ٤٩٦ . وفيما يتعلق بالراتب ونصوصه وفضله والحث على قراءته عموماً انظر المرشد الى وثائق المهدي تحت باب الراتب .

(٢) قلنا : لم يصل الينا شيء من هذا القبيل ، ولكن المؤكد أن المقصود بالأشياء الأمور التي تبين الانصياع للخليفة عبد الله بالتزام شعائر المهدية كالراتب والحضور الى المسجد للصلاة وهو ما أشار اليه الخليفة في بعض رسائله بصفوف الصلاة والالتزام بها متخذاً الصفوف التي تقف خلفه للصلاة دليلاً على اتباعه والتسليم له . انظر كتاب الطراز عند الكلام عن المسجد وانظر في كتاب منشورات المهدية الرسائل ٢٢ و ٢٣ و ٢٥ .

الحائزين لكمال القرب ومزيد الاختصاص . وأول الناس علماً بذلك وتصديقاً به خليفته الاكبر وناموسه الاطهر سيدنا الخليفة عبد الله بن محمد خليفة الصديق ثم الامثل فالامثل من أصحابه الكرام ومحبيه الفخام ، حتى صار يخاطب بذلك بعض أصحابه الذين هم بالجهات ويحثهم على القيام بنصرة الدين والهجرة والانضمام إليه [١]. ولما دان طلوع فجره وظهور أمره وإضاءة نبراسه واحكام أساسه أظهره الله تعالى مهدياً للانام وداعياً للكافة من الناس [٣٤] أجمعين ، وبرزت له الطلعة المحمدية والذات المصطفوية فرآها عليه السلام بعيني رأسه يقظة وأخبره صلى الله عليه وسلم بأنه الخليفة الاكبر والمهدي المنتظر وأن من شك في مهديته فقد كفر وأجلسه على كرسيه وقلده بسيفه وغسل قلبه بيده الشريفة وملأه إيماناً وحكماً ومعارف منيفة . وأخبره بأن من حاربه يخذل في الدارين وأن ماله وأولاده غنيمة للمسلمين . وأخبره بأن الأمة تهتدي[٢] به بدون المشقة التي حصلت له صلى الله عليه وسلم وأتباعه ، وأنه مخلوق من نور عنان قلب النبي صلى الله عليه وسلم . وسيأتي إيضاح جميع ذلك من منطوق خطاباته الدالة على كمال تصديقه وجميل صفاته [٣].

وانصداع فجر المهدية وانتشار ضوئها على سائر البرية في شهر الله رمضان[٤]

---

(١) قلنا : كتب المهدي بدعوته الى عدد كبير من معارفه من رجال الدين وقابل بعضهم وزارهم ، وقد رد عليه البعض مؤيداً والبعض معارضاً . ولم يصلنا من محرراته في هذه الفترة شيء وكذلك الحال بالنسبة لما كتب اليه . ويقال إن محمد سعيد باشا مدير كردفان أحرق جملة منها عندما ذهب الى أبا بعد هجرة المهدي الى كردفان .

(٢) قلنا : في الأصل : تهدى ، وما عليه المهدي في منشوراته : تهتدي ، وهذا ما عليه السياق .

(٣) قلنا : انظر ما يذكره المهدي عن صفاته هذه وما أخبر به في منشورات الدعوة . انظر مثلاً المرشد الى وثائق المهدي رقم ٢٠ ، ٣٥ ، ٣٦ .

(٤) قلنا : بدأت المهدية سراً في ربيع الثاني ١٢٩٨ ، وقد ورد ذلك في حضرة من =

الذي هو من شهور عام ثمانية وتسعين بعد المائتين والالف من هجرة من خلقه الله على أكمل وصف . وعمره عليه السلام إذ ذاك دون الأربعين سنة بلا شك[1].

وقد أخبرني الثقة أنه سمع المهدي عليه السلام يقول إن الله أظهرك بالمهدية قبل الاربعين كرامة للخليفة عبد الله . قلت وهذا مقام طويت أسراره عن الافهام وحجبت أنواره فلم يحم حول ميدانها إلا المنور بنور [٣٥] الملك العلام فاعتبر بذلك واسلك من التسليم أسلم[2] المسالك .

= حضرات المهدي. ثم اكتملت المهدية في أول شعبان من نفس السنة وكلف برسالته، وقد جاء ذلك في خطابه الى محمد الطيب البصير والذي وصف فيه مشهد تنصيبه (المرشد الى وثائق المهدي رقم ١٣) وظل الأمر مكتوماً الا بين أخصائه حتى بلغ أمره الحكومة في أوائل رمضان ، ثم كانت مهمة أبي السعود واعلان المهدية علناً على أثرها ثم كانت واقعة أبا . وقد اعتبر المؤلف هذا الإعلان وعده بدء المهدية : انظر إنذاره الى الحكمدارية (المرشد الى وثائق المهدي رقم ١٩) ولاحظ التعليق حول تاريخ الانذار وعن تطور الدعوة من السرية الى العلنية وانظر الحركة الفكرية في المهدية ص ١٦ – ٢٠ .

(١) روى على المهدي في ذلك فقال : « ... ويدعم هذه الرواية أن الفكي حمد الصادق أخبرنا أن المهدي حدثه في رجب عام ١٢٩٨ هـ ابان وجوده معه بالجزيرة أبا أن عمره ثمان وثلاثون سنة آنذاك . وأخبرني المرحوم أحمد سليمان المحسي في معرض ذكر فضل خليفة المهدي وعظمته أن المهدية كانت ستأتيه في عام ١٣٠٠ هـ عندما يبلغ عمره الأربعين سنة لان كل الاعمال العظيمة تأتي بعد تمام الاربعين ولكن مجيئه قدمها سنتين ولو تأخر عشر سنوات لتأخرت عشر سنوات » – الجهاد في سبيل الله صفحة ٢ – هناك ثلاث نقاط مهمة في هـــذه الروايات (١) فضل الخليفة عبد الله (٢) الفكرة القائلة بأن المهدي المنتظر يظهر في رأس القرن في أوله أو آخره ، لذلك كان النص على آخر القرن أي سنة ١٣٠٠ هـ بأنه موعد ظهور المهدية المنتظرة ثم محاولة التوفيق بين هذا الموعد وبين ظهور المهدي قبله بسنتين . (٣) أهمية سن الاربعين بالنسبة للداعي لما أن الرسالة قد أتت الرسول وهو في سن الاربعين ولما يعتقد أن كل الاعمال العظيمة تأتي بعد تمام الاربعين وقد حاول الانصار هنا ان يضعوا سبباً لحصول المهدية قبل ان يبلغ المهدي هذا العمر .

(٢) قلنا : في الاصل : اسم . وما رويناه هو المقصود .

وجاهد من أظهر خلافه [1] إلى أن هدى الله به من الدلالة وأنقذ به من الجهالة وأزاح به الفساد وطهر به البلاد وأقام شعائر الدين وأحيا سنة سيد المرسلين .

وأنت ، هداك [الله] إلى صوب الصواب ونفى عن قلبك وقلوب جميع المسلمين في هذا المهدي الشك والارتياب ، إذا تأملت بعين البصيرة وتخلقت باخلاق هذه السيرة ظهر لك أن ظهوره عليه السلام بجزيرة أبا علم من أعلام مهديته وأكبر شاهد على كمال مزيته . وذلك لما ورد واشتهر وشاع وانتشر أن علم المهدي كعلم الساعة ، وأنه يأتيكم بغتة من جهة لا تعرفونها وعلى حالة تنكروها ، ولا سيما ولم يرد نص قاطع عن الصادق المصدوق بتعيين زمان الظهور ولا مكانه فظهوره من هذه الجزيرة أعني جزيرة أبا على هذه الحالة التي لم تعهد سالفاً أكبر دليل على صدقه في أنه الامام المنتظر المبشر به من لدن حضرة سيد البشر [2]. فاعتمد ذلك والجأ إليه تعالى في أن يسلك بنا في التسليم لجناب هذا السيد الحبيب أوضح المسالك إنه ولي التوفيق ، والهادي إلى أقوم طريق .

---

(١) قلنا : هكذا في الاصل والاحسن أن يقول الخلاف أو المخالفة .

(٢) قلنا : هذا جهد لا طائل منه . ويستوي فيه أن يظهر في أبا أو الدامر أو القدس ، اذ الحجة فيه الظهور في أي مكان طالما أن الرسول لم يحدد زمناً أو مكاناً. وكان الأحرى بالمؤلف أن يحتج بأن ظهوره جائز في أي مكان وأي زمان لأن الرسول لم يحدد مكاناً ولم يوقت زمناً وهو ما عليه المهدي في منشوراته وانه بالتالي لا يقدح في مهدية المهدي الظهور في الجزيرة أبا ، وذلك بدل القول بأن ظهوره في أبا علم من أعلام مهديته وأكبر شاهد على كمال مزيته لما أنه يرى أن النبي لم يحدد لظهوره مكاناً ولا زمناً .



مسطورات
MUSTORAT

الباب الرابع

الباب الرابع في دعايته الخلق لدين الحق [٣٦] وأمره لهم بالقيـــام لنصرة دين الله وترك ما كان عليه الجماهير من العكوف على الضلال ومنابذة أهل الاهواء والبدع وردعهم [وردهم] [١] إلى المنهج الاقوم ومخاطبته للملوك والامراء ورؤساء القبائل والمنتمين إلى الديانة وما يتبـع ذلك .

واعلم أن الله تعالى لما اصطفى هذا السيد الجليل وخلع عليه خلـــع المهدية وخصه بما عمه به من فضله الباهر وحباه بالوراثة المصطفوية وحمله من أعباء هذه الخلافة ما حمله على رضا العباد وسخطهم صار يدعو الناس سراً إلى الله وإلى القيام بنصر الدين وانقاذ معالم الاسلام من وهد الدروس إلى ربوة ذات قرار ومعـــين وترك البدع والاخلاق الذميمة التي كان أهل الزمان عاكفين عليها ولا سيما المنتمين إلى الديانة من حب الجاه والرياسة والتملق وأكل الدنيا بالدين واتخاذ الطرق الموصلة إلى الله شبكة لاصطياد الدنيا كشبكة الصيادين بل هم أضر على الامة من ذلك وردعهم من ذلك وأمرهم بالتخلي عن جميـع الرذائل والتحـــلي بأنواع الكمالات والفضائل ويحثهم على الجهاد لاعلاء كلمة الله والهجرة من أماكن المعصية إلى الانضمام إليه والقيام معه على إحقاق الحق وإبطال الباطل [٢] . واستمر عليه السلام يدعو النـــاس كذلك مع ما يصيبه [٣٧] ويلقاه من

---

(١) قلنا : انظر هذا اللفظ في ما يلي

(١) قلنا : انظر في ذلك المرشد إلى وثائق المهدي رقم ٥ إلى ١٤ .

بعض الناس من الاذى له عليه السلام وللسابقين من أصحابه الاعلام صابراً على الشدائد والمشقات متلقياً بالقبول والتسليم والرضا لتلك المصائب والصدمات ، لأن للمهدية أثقالاً لا يتحملها إلا صاحب الوراثة المصطفوية الممنوح من الله بهذه المزية ، إلى أن أمر بإظهار دعوته وإعلان مهديته [1] فأعلن ذلك وقام يدعو الناس جهراً إلى الله تعالى لاحياء الدين وتقويم سنة سيد المرسلين والقيام بنصرة الحق ومنابذة أهل البدع وردعهم وردهم إلى المنهج الاقوم وهو الدين الخالص الذي كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحـــابه رضوان الله عليهم أجمعين . وذلك بموافقة الكتاب والسنة لأن الاعمال إذا لم تكن موافقة للكتاب والسنة تكون مردودة . فمضى عليه السلام إلى ما أمر به من دعائه الناس لاحياء الدين ونصرة الحق وإقامة قسطاس العدالة في الخلق وما زال سائراً معهم على هذا المنهج القويم آمراً لهم بالسير على الصراط المستقيم ناهياً لهم عن البـــدع والمنكرات محذراً لهم سوء عاقبة البغي والضلالات إلى أن هدى الله به الأمة وكشف به عنهم الغمة ولطف بهم ففازوا بمحاسن الادب والشيم وحازوا نتائج المواعظ والحكم . وقـــد فاز أصحابه عليه السلام بحوز هذه المزية والتحقوا بأصحاب [٣٨] خير البرية كما أخبر بذلك عليه السلام وناهيك بهذه المزية للخاص والعام .

وأنت إذا تأملت ما منحه الله تعالى به من جوامع الكلم وخص به من

---

(١) قلنا : ذكر المهدي أن المهدية جاءته في ربيع ١٢٩٨هـ ويمكن اعتماد ذلك بدء المهدية السرية . ثم استكملت المهدية عناصرها ونصب محمد أحمد مهدياً في حضرة وقعت في أول شعبان ١٢٩٨ . وبعد هذه المرحلة ازداد العزم على نشر الدعوة واتسع نطاق الاتصالات . واتخذت الدعوة علنيتها بالبرقية التي أرسلها المهدي إلى الحكمدارية . ثم تمت البيعة العلنية العامة للقبائل المتحالفة معه بعد مهمة أبي السعود الأولى .

بدائع الحكم[١] وشاهدت [٢] دلالته للانام وعلمت هدايتـــه للخاص والعام وتأملت حسن سيره وإنبائه بأحوال الدار الآخرة واسدائه للعباد أنواع الميراث الفاخرة قضيت بأن مجال هذا الباب في حقه عليه السلام متسع جداً لا تبلغ سوابق اليراع في مضمار غايته حداً ، والموفق لطريق الصواب يكتفي من باب دعايته عليه السلام إلى الله بما فيه عظة لأولي الالباب .

هذا ولما كانت المخاطبة بالمكاتبات من السنن المأثورة عن سيد الوجود ، والمهدي عليه السلام هو خليفته والمقتفي لآثاره التي شملت كل موجود ، وأرسل عليه السلام كتباً لأهل الاسلام يدعوهم فيها إلى الله وإحياء سنة سيد الانام ، وهي كثيرة جداً ، وقد رأينا أن نذكر بعضاً منهـــا في هذه السيرة على وجه التبرك ، فمنها ما لفظه :

بسم الله الرحمن الرحيم .

الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم .

وبعد ، فمن العبد المفتقر إلى الله محمد المهدي بن عبد الله إلى أحبابه في الله المؤمنين بالله وبكتابه.

أما بعد فلا يخفى تغير الزمن وترك السنن ولا يرضى بذلك ذوو الايمان والفطن ، بل أحق أن يترك لذلك الاوطار والوطن لإقامة الدين والسنن . ولا يتوانى عن ذلك عاقل لكون غيرة الاسلام للمؤمن[٣] [٣٩] تجبره .

---

(١) قلنا : جمع بعض أصحاب المهدي جملة وافية من جوامع كلمه وحكمه والأقوال التي كان يستشهد بها وما كان يجري على لسانه دائماً في مصنفات تعرف بالمجالس .

(٢) قلنا : في الأصل : وشاهدته ، وما رويناه هو الصواب .

(٣) قلنا : الصواب أن يقول لكون غيرة المؤمن للاسلام تجبره .

ثم ، أحبابي ، كما أراد الله في أزله وقضائه تفضل على عبده الحقير الذليل بالخلافة الكبرى من الله ورسوله ، وأخبرني سيد الوجود صلى الله عليه وسلم بأني المهدي المنتظر ، وخلفني عليه الصلاة والسلام بالجلوس على كرسيه مراراً بحضرة الخلفاء الاربعة والاقطاب والخضر عليه السلام وأيدني الله تعالى بالملائكة المقربين وبالاولياء الاحياء والميتين من لدن آدم إلى زماننا هذا . وكذلك المؤمنين من الجن . وفي ساعة الحرب يحضر معهم أمام جيشي سيد الوجود صلى الله عليه وسلم بذاته الكريمة . وكذلك الخلفاء الاربعة والاقطاب والخضر عليه السلام . وأعطاني سيف النصر من حضرته صلى الله عليه وسلم ، وأعلمت أنه لا ينصر علي معه أحد ولو كان الثقلين الانس والجن . ثم أخبرني سيد الوجود صلى الله عليه وسلم بأن الله جعل لك على المهدية علامة وهي الخال على خدي الأيمن وكذلك جعل لي علامة أخرى : تخرج راية من نور تكون معي في حالة الحرب يحملها عزرائيل عليه السلام فيثبت الله بها أصحابي وينزل الرعب في قلوب أعدائي ، فلا يلقاني أحد بعداوة إلا خذله الله .

ثم قال لي صلى الله عليه وسلم : إنك مخلوق من نور عنان قلبي ، فمن له سعادة صدق بأني المهدي المنتظر . ولكن الله جعل في قلوب الذين يحبون الجاه النفاق فلا يصدقون حرصاً على جاههم . قال صلى الله عليه وسلم : حب المال والجاه ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل . وجاء في الأثر : إذا رأيتم العالم يحب الدنيا [٤٠] فاتهموه على دينكم . وجاء في بعض كتبه القديمة : لا تسأل عني عالماً أسكره حب الدنيا فيصدك عن طريق محبتي فأولئك قطاع الطريق على عبادي .

ولما حصل لي ، يا أحبابي ، من الله ورسوله أمر الخلافة الكبرى ، أمرني سيد الوجود صلى الله عليه وسلم بالهجرة إلى ماسة بجبل قدير . وأمرني ان

أكاتب بها جميع المكلفين أمراً عاماً . فكاتبنا [1] بذلك الأمراء [2] ومشايخ الدين فأنكر الأشقياء وصدق الصديقون الذين لا يبالون فيما لقوه في الله من المكروه وما فاتهم من المحبوب المشتهى ، بل ناظرون إلى وعده سبحانه وتعالى بقوله : « تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين [3] » .

وحيث إن الامر لله والمهدية أرادها الله لعبده الفقير الحقير الذليل محمد المهدي بن عبد الله فيجب بذلك التصديق لإرادة الله . وقد اجتمع السلف والخلف في تفويض العلم لله ، فعلمه سبحانه وتعالى لا يتقيد بضبط القوانين ولا بعلوم المتفننين [4] بل يمحو [5] الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب قال تعالى : « ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء ، وعنده مفاتح الغيب ، لا يعلمها إلا هو ، لا يسأل عما يفعل ، وربك يخلق مـــا يشاء ويختار ، يختص برحمته من

---

(١) قلنا : في أصل المخطوط : وكاتبنا . والصواب ما رويناه اعتماداً على نص كتاب المنشورات .

(٢) قلنا : يقصد بالأمراء حكام المناطق عامة ، وقد استعمله المهدي في تنظيمه للدلالة على أعوانه ممن يتولون أمراً من أمور الدعوة سواء كان دينياً أو إدارياً ثم جعله مقتصراً على التنظيم العسكري بينما أطلق على من يتولون الأمور المدنية لفظ العامل . انظر في ذلك « دولة المهدية » للدكتور هولت ص ١٢١ .

(٣) سورة القصص الآية ٨٣ .

(٤) قلنا : المتفننين في كتاب المنشورات وفي كتاب منشورات المهدية . وفي نقل المؤلف المتقننين .

(٥) قلنا : هكذا في سائر المصادر ، وفي نقل المؤلف : يمح .

يشاء والله ذو الفضل العظيم » وقد [1] قال الشيخ محي الدين بن [٤١] العربي [2] في تفسيره على القرآن العظيم : علم المهدي كعلم الساعة والساعة لا يعلم وقت مجيئها على الحقيقة إلا الله . وقال الشيخ أحمد بن ادريس [3] : كذبت في المهدي أربعة عشر نسخة من نسخ أهل الله . ثم قال : يخرج من جهة لا يعرفونها وعلى حال ينكرونها .

وهــذا لا يخفى علمكم أن التأليفات الواردة في المهدي منها الآثار وكشف الأولياء [4] وغير ذلك . فيتخلف كل منها كما علمتم من أنه : يمحو [5] الله ما يشاء [6] ، الآية . ومنهـا الأحاديث : فمنها الضعيف والمقطوع والمنسوخ

---

(١) قلنا : هذه مجموعة آيات يرويها المهدي وكأنها آية واحدة ، وهو يفعل مثــل ذلك عندما يبلغ قمة الاثارة . وقد أقحم قبل قوله لا يسأل واوا على سبيل الاضافة لوصل ما يلي بالآية السابقة إلا أننا رأينا حذفه حتى لا يلتبس على القارىء فيحسب الواو من الآية . ولفظ « ربك » ساقط في الموضــع الذي بين العلامتين وقد وضعنا بين كل آية وأخرى فاصلة . والآيات هي بالترتيب : ٢٥٥ سورة البقرة ، ٥٩ سورة الأنعام ، ٢٣ سورة الانبيـــاء ، ٦٨ سورة القصص ، ١٠٥ سورة البقرة .

(٢) قلنا : انظر التعريف أعلاه . ويقصد بتفسيره كتاب الفتوحات المكية .

(٣) قلنا : هو أحمد بن ادريس الفاسي مؤسس الطريقة الادريسية أو الاحمدية المنتشرة في السودان ومصر والصومال والحجاز واليمن . وهو صاحب مدرسة بالاضافة إلى كونه مؤسس طريقة . وتلميذه محمد عثمان الميرغني الختم ومحمد المجذوب الصغير لهما نفوذ عظيم في السودان . ومن تلاميذه محمد بن علي السنوسي مؤسس الحركة السنوسية بليبيا . هاجر إلى مكة وأقام بها ودرس في التصوف وسلك في دعوته مسلكاً أثار عليه علماء مكة مما اضطره إلى الرحيل الى اليمن وقد مات ببلدة العصير هناك في سنة ١٨٣٧ .

(٤) قلنا : يقصد بالآثار الاحاديث النبوية المروية في موضوع المهدي المنتظر . أما كشف الأولياء فما رواه الأولياء بالفيض أي دون سند مكتوب .

(٥) قلنا : هكذا في سائر المصادر ، وفي نقل المؤلف : يمح .

(٦) سورة الرعد الآية ٣٩ .

والموضوع . بـــل الحديث الضعيف ينسخه الصحيح ، والصحيح ينسخ بعضه بعضاً كما الآيات تنسخها الآيات . وحقيقة ذلك على ما هي عليها لا يعرفها إلا أهل المشاهدة والبصائر .

هذا وقد أخبرني سيد الوجود صلى الله عليه وسلم بأن من شك في مهديتك فقد كفر بالله ورسوله ، كررها صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات . وجميع ما أخبرتكم به من خلافتي على المهدية الخ [١] فقد أخبرني به سيد الوجود صلى الله عليه وسلم يقظة في حال الصحة خالياً [٢] من الموانع الشرعية ، لا بنوم ولا جذب ولا سكر ولا جنون ، بل متصفاً بصفات العقل، أقفو [٣] أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأمر فيما أمر به والنهي عما نهى عنه .

والهجرة المذكورة بالدين واجبة كتاباً وسنة . قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم [٤] » . وقال صلى الله عليه [٤٢] وسلم : من فر بدينه من أرض إلى أرض وإن كان شبراً من الأرض استوجب الجنة ، وكان رفيق أبيه خليل الله إبراهيم ونبيه محمد عليهما الصلاة والسلام . وإلى غير ذلك من الآيات والأحاديث . واجابة داعي الله واجبة ، قال تعالى : « واتبع سبيل من أناب إلي [٥] » . فإذا فهمتم ذلك فقد أمرنا جميع المكلفين

---

(١) قلنا : الخ هكذا في نقل المؤلف وكتاب المنشورات وهو اختصار : الى آخره .

(٢) قلنا : في نقل المؤلف خالي . وفي كتاب المنشورات كما روينا .

(٣) قلنا : أثبت المؤلف وكتاب المنشورات ألفاً بعد الواو وهذا خطأ املائي . وقوله أقفو وما بعده جملة جديدة وليست متصلة بالجملة الدالة على حالة تلقيـــه عن الرسول وإن كان المهدي ينتقل اليه دون توقف .

(٤) سورة الانفال الآية ٢٤ .

(٥) سورة لقمان الآية ١٥ .

بالهجرة إلينا لأجل الجهاد في سبيل الله أو إلى أقرب بلد منكم لقوله تعالى : « قاتلوا الذين يلونكم من الكفار[1] ». فمن تخلف عن ذلك دخل في وعيد قوله تعالى : « قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم[2] » الخ . وقوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض ، أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة » الخ الآيتين[3] » . فإذا فهمتم ذلك فهلموا إلى الله[4] للجهاد في سبيله ولا تخافوا من أحد غير الله لأن خوف المخلوق من غير الله يعدم الإيمان بالله، والعياذ بالله من ذلك. قال تعالى: « فلا تخشوا الناس واخشون[5] » . وقال تعالى : « فالله أحق أن تخشوه[6] » . لا سيما وقد وعد الله في كتابه العزيز بنصر من ينصر دينه . قال تعالى : « إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم[7] » . وقال تعالى : « إلا تنصروه فقد نصره الله[8] » .

وحيث إن لم تجيبوا داعي الله وتبادروا لإقامة دين الله تلزمكم العقوبة عند

---

(١) سورة التوبة الآية ١٢٣ .

(٢) « « « ٢٤ .

(٣) « « « ٣٨ - ٣٩ .

(٤) قلنا : قوله « إلى الله » زيادة في المخطوط ولسنا نعلم إن كان ذلك من المؤلف أم من الناقل . ومثله لفظ الجلالة « الله » أدناه بعد سبيله وقد حذفناه .

(٥) سورة المائدة الآية ٤٤ ، قلنا : وقد وقع خطأ في نقل الآية فورد واخشوني بدل واخشون .

(٦) سورة التوبة الآية ١٣ ، قلنا : وقد وقع خطأ في نقل الآية فورد « والله » بدل « فالله ». وهذا الخطأ وارد في الجزء الاول من مناشير المهدي .

(٧) سورة محمد الآية ٧ .

(٨) سورة التوبة الآية ٤٠ .

الله [٤٣] تعالى لأنكم أدلة الخلق وأزمتها [١] فمن كان مهتماً بإيمانه ، شفيقاً بدينه ، حريصاً على أمر ربه أجاب الدعوة واجتمع مع من ينصر دينه . وليكن معلومكم أني من نسل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأبي حسني من [جهة] أبيه وامه .[و] أمي كذلك من جهة أمها ، أبوها عباسي ، والعلم لله أن لي نسبة إلى الحسين [٢] .

وهذه المعاني [٣] الحسان تكفي لمن أدركه [الله] بالإيمان ، فلا عبرة لمن يراها ولم يصدق بها . هذا والسلام [٤] .

ومن أراد الاطلاع على جميع ذلك فليراجع جامع المنشورات [٥] ، فإن فيها تبصرة لأولي الابصار وتذكرة للمؤمنين الذين هداهم الله لاتباع سنة النبي المختار .

وليعلم المحب لهذا الجناب الفخيم السالك مسالك أهل الهداية والتسليم الموفق

---

(١) قلنا : من الواضح أن الخطاب في هذا الموضع موجه الى رجال الدين وزعماء المناطق أي ما يسميهم أعلاه : الامراء ومشايخ الدين .

(٢) قلنا : انظر نسبته أعلاه ، ص ١١ .

(٣) قلنا : في المخطوط « المعان » والصواب ما روينا .

(٤) قلنا : لا ينقل المؤلف تاريخ الرسالة . وفي ظننا أن ذلك راجع الى كونه ينقل النص من كتاب المنشورات ، فالرسالة هناك بغير تاريخ - وتاريخ النص الاول أي الموجه الى دفع الله بقوى هو شوال ١٢٩٨ الموافق ٢٨ أغسطس - ٢٥ سبتمبر ١٨٨١ . أما تاريخ النص الذي ينقله فيأتي قبل ١٦ شعبان ١٢٩٩ الموافق ٣ يوليو ١٨٨٢ . انظر تعليقنا في المرشد الى وثائق المهدي رقم ٣٥ .

(٥) قلنا : يقصد أجزاء المنشورات التي طبعت بمطبعة الحجر بأم درمان في ١٣٠٤ هـ وما بعدها . وهي عبارة عن سلسلة رئيسية تتكون من أربعة أجزاء وعدة مصنفات صغيرة . وقد نشرتها دار الوثائق المركزية السودانية مصورة . ولمنشورات المهدي فهرس نشرته الدار أيضاً وهو : المرشد الى وثائق المهدي والذي أشرنا اليه مراراً . انظر أيضاً هامش ص ٣٧٣ .

لسلوك سبل الميراث الناهج مناهج أهل السعادات أن مخاطبات المهدي عليه السلام للأمة وإنقاذهم بها من الغمة هي من سنة الله في أصفيائه وعادته الجارية في خلاصة خلقه وأوليائه ، لأن مرجعها إلى التبشير والانذار والدعاية إلى إحياء مراسم الملة التي شرعها الواحد القهار والدلالة إلى اتباع مناهج السادة الأبرار ، وفي ذلك من التخلق بأخلاق [رسول] الله والاتباع لسنة رسول الله ما لا يخفى على ذي فطنة [٤٤] وروية وعارضة منيرة زكية . قال الله تعالى : « وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً [١] » وقال جل شأنه : « لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل [٢] » . وكتب السير النبوية طافحة بذكر مخاطباته صلى الله عليه وسلم للأمة . فمن تأمل ما قلناه وأمعن الفكر فيما أبديناه تحقق عنده أن أفعال المهدي عليه السلام وأقواله بل جميع حركاته وسكناته مؤيدة بالكتاب والسنة ، لأن صاحبها ذو العصمة التي شهد له بها أفضل الخلق ، ولله الفضل والمنة .

هذا وقد [٣] رأينا أن نؤخر ذكر مخاطباته عليه السلام للملوك والأمراء لمحل المناسبات الداعية لذكرها في هذه السيرة إذ ذاك أوفق [٤] بالغرض وأجدر بإصابة سهم المقصود للغرض .

وأنت إذا دققت الفكر في مخاطباته وأمعنت النظر في لذيذ مكاتباته وجدتها جارية على منهج المخاطبات النبوية للأمة بما يفهمون . فقد كان صلى الله عليه وسلم يخاطب كل قوم بلغتهم وبما يليق بحالهم لتفهيمهم المعنى المقصود بأسهل طريق . لأنه عليه الصلاة والسلام مبعوث رحمة للعباد . [و] من ضمن تلك الرحمة مخاطبتهم بما يفهمون .

---

(١) سورة الاسراء الآية ١٥ .

(٢) سورة النساء الآية ١٦٥ ، قلنا وقد وقع خطأ في نقل الآية فذكر الرسول بدل الرسل .

(٣) قلنا : سقط الواو هنا وقد أثبتناه . انظر نفس التعبير في صفحة ٤٩ .

(٤) قلنا : في الاصل « وفق » والسياق على أوفق .

وإن كان بلاغته عليه الصلاة والسلام لا تقف عند حد [٤٥] ولا يحيط بتفاصيل جملها العد . وفي الشفا من ذلك ما فيه لأمراض القلوب شفاً . وكان ذلك رأفة بالأمة وشفقــة عليهم . والمهدي عليه السلام كذلك ، لانه خليفته صلى الله عليه وسلم وقافى اثره . فقد كان عليه السلام يخاطب الناس بمـا يعرفون من لغتهم ، كما هو واضح في مخاطباته ، ليكون ذلك أسرع إلى إرشادهم وأبين إلى مقصودهم ومرادهم .وهذه رحمة من الله بعباده حيث تفضل عليهم بهذا الامام المنتظر ليوصلهم إلى رضاء الله في أسرع من لمح البصر .

[وأنت] إذا أشرقت شمس هذا البيان في سمـاء بصيرتك اتضح لك أن جميع ما يوجد في مخاطباته عليه السلام بعد صحة عزوه إليه مما لم يكن مألوفاً وواضحاً لبعض الأفهام فهو محمول على أن المقصود منه تفهيم الأمة وسهولة إرشادهم الى الوصول الى الله بأسهل طريق ، كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك مع العباد . سمعت عن ثقة روى عن المهدي عليه السلام انه قال إن النبي صلى الله عليه وسلم يتكلم معنا الآن بكلام اهل زمننا هذا ، أقول أي باللغة المتعارفة الآن والألفاظ الدائرة في الاستعمال بين الناس [٤٦] في هذا الأوان لكيما[١] يفهموا ويعوا المقصود بأسهل وجـه فيصلوا إلى الله في أسرع وقت . وفي منشوراته عليه السلام من هذا ما يغني اللبيب عن الإيضاح ويكفي المسترشد بأنوار صحبه عن الاستصباح بالمصباح . وتمام المناسبة الداعية إلى بيان الخاتم الذي يختم بـه الكتب المذكورة نتكلم عن خاتمه عليه السلام الذي كان يختم به الكتب فنقول : قـد كان للمهدي عليه السلام خواتم يختم بهـا الكتب المذكورة وغيرها وآخرها خاتم منقوش فيه ثلاثة أسطر : « لا إله إلا الله » ، سطر . و « محمد رسول الله » ، سطر . و « محمد المهدي بن عبد الله » ،

---

(١) قلنا : في الأصل لكيما ما .

سطر . وهو المستعمل إلى وفاته عليه السلام [١]

---

(١) قلنا : استعمل المهدي في الفترات المتعاقبة من حياته أربعة أختام . وقد وصف المؤلف الختم الأخير . وقد أغفل ان هناك سطراً رابعاً يذكر فيه التاريخ وهو ١٢٩٢ . كذلك يخطأ المؤلف في نص الاسم المنقوش فيقول محمد المهدي بن عبد الله والصواب محمد المهدي عبد الله يسقط لفظ « ابن » وهذا السقط مضطرد في كل اختامه . انظر كتاب الحركة الفكرية في المهدية ص ١١٣ وما يلي ، وانظر بحثنا عن اختام المهدية بالانجليزية بعنوان : A chapter on the Mahdist Seals وهو تحت الطبع .

الباب الخامس

الباب الخامس في اجتماع القبائل عليه تصديقاً بمهديته وقياماً بواجب نصرته وتتابع الوفود إليه أفواجاً أفواجاً إلى أن أنجز الله وعده ونصر عبده .

ولما أراد الله إظهار سيدنا محمد المهدي عليه السلام وإعزاز أمره عند الخاص والعام سخر الله له القبائل إنجازاً لموعده له عليه السلام بالنصر على أعدائه على لسان أفضل الخلق صلى الله عليه وسلم فأتته قبائل العرب وغيرهم يضربون إليه من كل فج [١] ، فوفدت عليه قبيلة دغيم ، وهي أول قبيلة وفدت عليه عليه السلام وهو بأبا ، وفيهم محمد ولد بلال وموسى [٤٧] ولد محمد حلو [٢] ومهلة ولد محمد ، وكان هؤلاء الثلاثة رؤساء القوم ، فبايعوه عليه السلام بيعة رابحة ، فقال لهم خيراً ودعا لهم بخير. وقدم عليه عليه السلام وفد كنانة وفيهم البشير ولد عجب الفيه و ابراهيم بن أبي عائشة وعلي ولد عويضة وهؤلاء رؤساء القوم ،

---

(١) قلنا : جاء في كتاب جهاد في سبيل الله (ص ١٠٦) أنه كان من بين رجال المهدي مجموعة من الزنوج حملوا السلاح الناري فأمر عليهم السيد محمود عبد القادر وعبد الرحمن محمود . وذكر المؤلف أيضاً وفد الفلاتة . وهؤلاء جميعاً غير عرب . وقد ذكر المؤلف وفود القبائل ثم بعض الاعيان . ويلاحظ عدم التزام الترتيب الزمني .

(٢) قلنا : موسى محمد حلو : من قبيلة دغيم وهو أخ الخليفة علي محمد حلو . وهو من كبار قادة رايته . اشترك في حصار الخرطوم ثم أرسل بعد سقوطها لصد الحملة الانجليزية القادمة عبر صحراء البيوضة ومن ثم قتل في واقعة أبي طليح في ١٨٨٥ .

فبايعوه عليه السلام ، فقال لهم خيراً ودعا لهم بخير وقدم عليه وفد الحسنات وفيهم عبد القادر ولد مدرع واحمد ولد عبدالله ولد حلاب ومحمد نور ولد عبدالله ولد حلاب وهؤلاء رؤساء قومهم ، فبايعوه عليه السلام ، ودعا لهم بخير . وقدم عليه وفد العمارنة وفيهم أبو بكر ولد عامر والناير ولد محمود وآدم ولد كوكو وهؤلاء رؤساؤهم ، فبايعوه عليه السلام ، ودعا لهم بخير . وقدم عليه وفد دويح وفيهم علي وبركات والعبيد أبناء محمد سعيد وهم رؤساء القوم فبايعوه ، وقال لهم خيراً ، وأثنى عليهم بخير . وقدم عليه وفد فلاتة وفيهم آدم ولد الأعيسر والسماني وهما من أعيان قومهما ، فبايعوه عليه السلام ، ودعا لهم بخير . وقدم عليه عبد الرحمن النجومي [1] وافداً بجزيرة أبا ، وعبد الله التجاني [2] وعبد الله ولد حسن وأحمد ولد جبارة [3] وبايعوه عليه السلام ، فقال لهم خيراً وأثنى عليهم بخير .

ثم تتابعت [٤٨] الوفود عليه عليه السلام من جهات شتى وقبائل شتى وبلاد متباعدة حتى أنجز الله وعده ونصر عبده . وسيأتي إن شاء الله ذكر ما تيسر ذكره من الوفود في هذه السيرة عند ذكر المناسبات الداعية إلى ذلك ، لأن الغرض الأهم هنا هو التكلم على الوفود الذين وفدوا عليه وهو بجزيرة أبا .

---

(١) قلنا : من أوائل المنتسبين إلى المهدي . وقد جاء بعد واقعة أبا واستقر مع المهدي نهائياً . لعب أدواراً رئيسية في وقائع كردفان . تولى حصار الخرطوم في مراحله النهائية . وبعد الفتح ذهب الى بربر لمطاردة الحملة الانجليزية ثم استدعي للمشاركة في حصار سنار إلا أنه بلغها بعد أن سقطت . عمل بقية عمره في الجبهة الشمالية وتولى الحملة المشهورة على مصر وقتل في واقعة توشكي في ٣ أغسطس ١٨٨٩ .

(٢) قلنا : أصله جعلي . وكان أول أمين لختم المهدي . وقد قتل في واقعة الجمعة بالابيض في ٨ سبتمبر سنة ١٨٨٢ .

(٣) قلنا : جاء والده مع جيش اسماعيل باشا واستقر في السودان . وقيل إنه كان مؤمناً بالمهدي (انظر المرشد الى وثائق المهدي رقم ٥٥) وكان أحمد ابنه ممن انضم الى المهدية منذ بواكير أيامها . وقد عين قاضياً للاسلام في قدير . وظل في هذا المنصب حتى قتل في واقعة الجمعة بالابيض فى ٨ سبتمبر سنة ١٨٨٢ .

وليعلم المحب لهذا الجناب الفخيم السالك مسالك أهـــل التسليم ، أن الله جلت قدرته وعظمت على البرية منته قد منـــح مهديه المكرم وحبيبه المعظم الاقتفاء لآثار صاحب الرسالة فأظهر أمره وشد أزره وأنجز له الوعد ، وتم له السعد بتسخير هؤلاء القبائل ومن معهم من المستضعفين الذين شادوا عماد الدين ودمروا جيوش الملحدين وبذلوا مهجهم في اعلاء كلمة الله تعالى ، وما ابتغوا بذلك بديلاً : فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً . وذلك له عليه السلام بطريق الوراثة المصطفوية والاستنان بسنة المبعوث لسائر البرية . فقد كان صلى الله عليه وسلم لما دعى الناس إلى توحيد الله تعالى والدخول في دين الله بادر لاجابته من أراد الله له السعادة ، والأغلب منهم المستضعفون من القبائل وأفذاذ الناس الذين عليهم [٤٩] الاستكانة وعدم الجبرية . وما زالوا يدخلون في سلك المهدية إلى أن أنجز الله وعده ونصر عبده . قال صلى الله عليه وسلم : ان الله زوى لي الارض مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتي ما زوى لي منها [١] . وهذا الفاطمي المنتظر سيدنا محمد بن عبد الله هو [٢] خليفته صلى الله عليه وسلم قد أتحف بخصائص هذه الزلف وخص بالارتقاء لمـــدارج هذا الشرف ، فهو الموعود بأن يبلغ ملكه مشارق الأرض ومغاربها من بين سائر أصفياء الأمة المحمدية ، فلم يحم حول هذه المزية ، فأمته صلى الله عليه وسلم التي يبلغ ملكها مشارق الأرض ومغاربها لعل المراد بهـــا المهدي [٣] عليه السلام . وعبر عنه في الحديث الشريف بلفظ الأمة إشارة إلى أنه عليه السلام جمع خصال

---

(١) قلنا : استشهد المؤلف بهذا الحديث في كتـــابه الآخر : الطراز المنقوش ص ١ . انظر تعليله للحديث هناك .

(٢) قلنا : يبدو أن كلمة « هو » زيادة هنا .

(٣) قلنا : في الاصل « المهدية » والصواب « المهدي » .

الكمال الموجودة في الامة . وقد قال الله تعالى ان ابراهيم كان أمة فسمى الله تعالى ابراهيم عليه السلام أمة لمـــا جمعه فيه من الكمالات التي لا يعلم كنهها إلا اللطيف الخبير وقد قال الشاعر :

وليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد

هذا وقد أيد الله مهديه عليه السلام عند قيامه بهؤلاء القبائل المستضعفين والافذاذ الذين ليس لهم قدم راسخ في الجاه والتمكين . وهذه سنة الله التي قد خلت في عباده ولن تجد لسنة الله تبديلاً ولن تجد لسنة الله [٥٠] تحويلاً .

وهذا خطاب أبي طالب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم لوجوه قريش وأعيانهم حين حضرته الوفاة حيث يقول : يا معشر قريش ، أنتم صفوة الله من خلقه وقلب العرب ، فيكم السيد المطاع وفيكم المقدم الشجاع والواسع الباع . واعلموا أنكم لم تتركوا للعرب في المآثر نصيباً إلا أحرزتموه ولا شرفاً إلا أدركتموه فلكم بذلك على الناس الفضيلة ولهم بـــه إليكم الوسيلة . صلوا أرحامكم فإن في صلة الرحم فسحة في الاجل وزيادة في العدد ، واتركوا البغي والعقوق ففيهما هلكت القرون قبلكم . أجيبوا الداعي واعطوا السائـــل فان فيها شرف الحيـــاة والممات ، وعليكم بصدق الحديث واداء الامانة فان فيهما محبة في الخاص والعام . إني أوصيكم بمحمد خيراً فإنه الامين في قريش والصديق في العرب وهو الجامع لكل ما أوصيكم به . وقد جاءنا بأمر قبله الجنان [١] وأنكره اللسان . والله كأني أنظر الى صعاليك العرب وأهـــل الاطراف والمستضعفين من الناس قد أجابوا دعوته وصدقوا كلمته وعظموا أمره فخاض بهم غمرات الموت فصارت رؤساء قريش وصنـــاديدها أذناباً ورؤساؤها خراباً وضعفاؤها أرباباً . وقد محضته العرب ودادها وأصفت له

(١) قلنا : في الأصل الجناه وقد عدلناه الى الجنان ليستقيم السياق .

فؤادها [و] أعطته قيادها . يا معشر قريش كونوا له ولاة ولحزبه حماة . والله لا يسلك أحد سبيله إلا رشد ولا يأخذ أحد بهديه إلا اسعد. انتهى [٥١] ما قاله أبو طالب لقريش في حق النبي صلى الله عليه وسلم .

فاعتبر أيها العاقل كيف وقع جميع ما قاله أبو طالب في باب الفراسة الصادقة .

وانظر كيف هذه المعرفة التامة بالحق ، وأن النصر يكون بالمستضعفين (١) لأن الله جل شأنه قد يظهر قدرته في أضعف خلقه ليعتبر القوي ويعلم أن العزيز من أعزه الله وأن القوي من قواه الله . ولكن من لم يجعل الله له نوراً فما له من نور . وفي قصة هرقل ملك الروم عندما ورد عليه كتاب النبي صلى الله عليه وسلم يدعوه فيه إلى الاسلام ومحاورته مع أبي سفيان رضي الله عنه وقول هرقل لأبي سفيان وسألتك أأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم وهم أتباع الرسل ، لأن الغالب أن أتباع الرسل أهل الخضوع والمسكنة لا أهل التجبر والاستكبار ، ما يبرد الغلة ويشفي العلة .

وقد أيد الله مهديه عليه السلام بهذه القبائل وغيرهم ونصره بهم على من عاداه ليجريه على عاداته في أوليائه وخاصته ومحبيه وأصفيائه إنعاماً من الله تعالى عليه ونعمة من وافر مبراته أسداها إليه لا بحول منه عليه السلام ولا بحيلة ولا بقوة يقهر بها الرجال ، وما ذاك إلا للسر الذي وضعه الله فيه مع ما كان [٥٢] عليه تلك القبائل من العصبية والحمية والتعادي وشن الغارات ، لا تجمعهم إلفة ولا يمنعهم من سوء فعالهم نظر في عاقبة ولا خوف عقوبة ، فألف الله بمهديه عليه السلام بين قلوبهم وجمع كلمتهم حتى اتفقت آراؤهم وتناصرت

---

(١) قلنا : ساق المؤلف هذا الكلام الطويل عن أبي طالب ليقرر به أن النصر يكون بالمستضعفين . وهذا جهد كثير من أجل أمر بسيط .

القلوب وتتابعت الايدي في التعاون والتناصر على إظهار الحق ، فصاروا يداً واحدة في نصرته وأصبحوا بنعمته إخواناً ، ناظرين إلى طلعتـــه عليه السلام ليذبوا عنه ما يكره ويعاونوه على تقويم الدين . هجروا بلادهم وأوطانهم وجفوا قومهم وعشائرهم في محبته وبذلوا أرواحهم وأموالهم في نصرته ونصبوا وجوههم وصدورهم لوقع السيوف والسهام والرماح والرمي بالرصاص ووطنوا أنفسهم على إصابة ذلك لوجوههم وصدورهم بفرح وسرور واستبشار ومبادرة وإسراع ومسابقة لاجل تنفيذ دعوته وإظهار أمره وشد أزره بلا دنيا يبسطها لهم ولا أموال أطمعهم فيها ولا غرض في العاجل أطمعهم في نيله فيرغبوا بسببه أو ملك أو شرف يحوزونه في الدنيا التي لا تزن عند الله جناح بعوضة . بل كان من شأنه عليه السلام أن [٥٣] يجعل الغني فقيراً لأنه عليه السلام كان يرغب الاغنياء في صرف أموالهم في الجهاد ونحوه من أنواع القرب التي فيها رضا الله ورسوله . ويجعل الشريف مثل الوضيع بتهذيب النفس وعدم الفخر وحسن السيرة وصفاء السريرة والاعراض عن الاسباب المثمرة بنحو الكبر .

من المعلوم أن هذه الامور لا تجتمع لأحد هذه سبيله وسيره بالاختبار العقلي والتدبير الفكري ، لا والذي أظهره بالحق وسخر له هذه الامور منا ولطفاً منه تعالى به، ما يشك عاقل في شيء من ذلك ، وإنما هو أمر إلهي وشيء غالب سماوي خارق للعادات تعجز عن بلوغه قوى البشر ، ولا يقدر عليه إلا من له الخلق والأمر ، تبارك الله رب العالمين ! فلله در أصحابه عليه السلام الذين شادوا الدين وباعوا أنفسهم في الجهاد لاعلاء كلمة الحق المبين فجزاهم الله عن المسلمين خيراً ووقاهم يوم الفزع الاكبر هماً وضيرا . آمين يا رب العالمين .

الباب السادس

الباب السادس في أول وقائعه عليه السلام مع الترك وانتصاره عليهم وذلك بعد الانذار لهم وإقامة الحجج عليهم والبراهين الساطعة للدخول في الدين المستقيم وحصول النفور منهم ونصب حبائل المكائد [٥٤] دوماً لعداوته واطفاء لنوره ، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون .

ولما لمعت من مشكاة[١] مهديته عليه السلام بوارق الحقائق وانقادت لدعوته العامة خواص خلاصة الحقائق واشتهرت صوادح البشائر بهدايته ودعا الناس إلى الله بصدق دلالته بادر لإجابته من سبقت له السعادة الأزلية ودخلوا في الدين المستقيم أفواجاً أفواجاً فنالوا بـــذلك أعظم أمنية . وأول من بارزه بالعداوة ملوك الترك[٢] وأعوانهم ، فإنهم ضنوا بملكهم طلباً لدوام رئاستهم وآثروا ذلك على اتباع الحق الواضح وكفروا به حسداً وعناداً ورداً للحق الذي يجب عليهم اتباعه مع سائر الأمة . فكان ردهم لما أتى به المهدي عليه السلام كرد دعوة

---

(١) قلنا : في الأصل بالتاء المفتوحة .

(٢) المقصود بالترك هنا رجال الإدارة المصرية بالسودان ، وهم كانوا في الحقيقة خليطاً من المصريين وأمم الامبراطورية العثمانية ، ولكن السودانيين أطلقوا عليهم جميعاً لفظ الترك ، وأحياناً كانوا يطلقون اللفظ على كل رجل أبيض . فاللفظ هنا لا ينصرف إلى عنصر الترك خاصة وإنما الى المجموعة الحاكمة عموماً والمقصود بالملوك هنا ولاة الإدارة في السودان .

النبي عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام من الملك العلام ، فاستوجبوا بذلك المقت الأبــدي والطرد عن ساحة الاحسان السرمدي [1] واستحقوا العقوبة وباؤوا بإثم عظيم .

والحامل لهم على ذلك حب الجاه والرئاسة التي تمكنت من قلوبهم حتى صرفتهم عن قبول الحق الذي هو كفلق الصبح وغاب عنهم أن المهدي عليه السلام [٥٥] من جملة أخلاقه النبوية وشمائله المصطفوية أن يكرم أهل الفضل ويؤلف أهل الشرف وأنه يكرم كل كريم قوم ويوليه عليهم بعد صدق الاتباع والانقياد والتربية والإرشاد . وهذا دأبه عليه السلام مع الجميع . فلو انقادوا للحق واتبعوه بصدق نية وسلامة طوية لكان يوليهم على قومهم كما فعل بغيرهم من أهل الرفعة والشأن الذين أتوه مسلمين منقادين فنالوا التربية والتمكين . ولكن لله في خلقه حكمة بالغة تقصر عن درك حقيقتها العقول وتتضاءل عند فهم معانيها أفهام الفحول .

فأرسلوا له عليه السلام وهو بجزيرة أبا شخصاً من أعيان دولتهم يدعى[2] أبا السعود .

قلت : وفي مجيء أبي السعود أولا فأل حسن لنا معشر الأصحاب المنتظمين في سلك المهدية وشؤم على الطائفة الضالة من الطريقة المحمدية . فإن لسان الحال ينادي بأنه المهدي عليه السلام هو أبو السعود ، لأن كل سعد مجموع فيه عليه السلام وناشىء منه فلا تنال سعود الدنيا والآخرة إلا باتباعه ، لأنه وارث رسول الله صلى الله عليه وسلم وقافي أثره [٥٦] فمحبته محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبغضه كبغض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والعياذ بالله تعالى من

---

(١) قلنا : في الأصل السمردي .

(٢) قلنا : في الأصل : يدعا .

ذلك . فهو عليه السلام كالأب للسعود ، فكما أن الابن لا يوجد إلا بالأب فكذلك لا توجد السعود لمن أدرك المهدية إلا بالمهدي عليه السلام ، فهو عليه السلام أبوها ، لكونه تحصل به أي بمتابعته . ويكفي هذا المعنى عند أهل البصائر في حصول الفأل الحسن .

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يعجبه الفأل الحسن في جميع الأشياء . فنحن نتخلق بأخلاقه صلى الله عليه وسلم في ذلك وأجدر بما قلناه في حصول الفأل الحسن . وأما الشؤم المفهوم من هذا الاسم على الطائفة الضالة عن طريق الهدى فهو أنه يفهم بطريق الإشارة من عنوان هذا اللفظ : إن ملوك الترك أبوا السعود أي امتنعوا من قبول السعود ولم يرتضوا بها والممتنع من قبول السعود ليس له إلا النحوس ، فلذا خالفوا المهدي عليه السلام فعاد خلافهم له عليه السلام شؤماً عليهم وأذهب ملكهم وجعلهم أحاديث للفائزين وعبرة للمعتبرين .

هذا فوصل أبو السعود بالوابور لجزيرة [٥٧] أبا محل المهدي عليه السلام يوم الأحد الحادي عشر من شهر رمضان عام ثمانية وتسعين بعد المائتين والألف هجرية [١] وأدخل عليه عليه السلام في خلوته ومحل عبادته [٢] بعد الاذن له بالدخول . فلما مثل بين يدي المهدي عليه السلام سلم عليه فرد عليه السلام وأمره بالجلوس . فاستأذن المهدي عليه السلام بعد ما جلس في الكلام . فقال له عليه السلام : تكلم . فقال له إن الباشا بلغه أمر المهدية واستبشر بذلك والآن

---

(١) قلنا : يوافق ذلك ٧ أغسطس ١٨٨١ .

(٢) قلنا : يقصد بذلك الغار الذي كان يتعبد فيه . انظر تاريخ نعوم ص ٦٥٢ وانظر جهاد في سبيل الله ص ٨ — ١٠ .

يطلب حضورك معي عنده بمدينة الخرطوم لتأييدك والقيام معك واتباعك [1] .
هذا الذي أرسلني إليك هو ولي الأمر الذي تجب طاعته . فقال له عليه السلام أما ما طلبته من الوصول معك إلى كبرائك فهذا مما لا سبيل إليه وأنا ولي الأمر الذي تجب طاعته على جميع الأمة المحمدية والانقياد لما جئت به من الله تعالى .
وأقام له البراهين النيرة والحجج الباهرة الدالة على صدقه عليه السلام وأنه المهدي المنتظر . ولـــين له القول ولاطفه على قدر ما يسعه عقله ويدله على طريق الرشاد . فإنه عليه السلام يخاطب الناس على قدر عقولهم كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يخاطب الناس على قدر عقولهم .

ولما رأى المذكور حلم المهـــدي عليه السلام وصبره على [٥٨] الجفوة في منطقه كما هي الاخلاق النبوية تمادى في الكلام وأظهر ما كان في ضميره وقال له ارجع عن هذه الدعوى فانك لا تطيق حرب الحكومة ولم نر معك من يحارب الحكومة ويقاتلها . فقال له عليه السلام وهو يبتسم أنا أقاتلكم بهؤلاء، وأشار للخليفة الاكبر خليفة المهدي عليه السلام سيدنا الخليفة عبد الله بن محمـد خليفـة الصديق وباقي الخلفاء [2] ومن كان حاضراً معه في ذلك المجلس من أصحابه السابقين رضوان الله عليهم أجمعين. ثم إن المهدي عليه السلام قال مخاطباً لاصحابه الكرام أنتم راضون بالموت في سبيل الله فبادر خليفة المهدي عليه السلام سيدنا

---

(١) قلنا : يقصد محمد رؤوف باشا حكمدار السودان آنذاك . والقول بأن أبا السعود ذكر استبشار الحكمدار بالمهدية وطلب الحضور بالخرطوم لتأييده والقيام معه واتباعه أمر لا يرد الا في هذا المصدر . وقد أكدت المصادر التي وقفنا عليها ، أن أبا السعود حاول مراجعة المهدي ومن معه ليرجع عن دعواه وانه جاول اثناءهم .

(٢) قلنا : لا يذكر اسم الخليفة في هذا المشهد في تاريخ نعوم ولا في الجهاد سبيل الله . والاغلب أن المؤلف أقحم اسمه لينال رضاه . ومن الخطأ الإشارة في هذا الوقت الى الخلفاء لان المهدية لم لم تعرف الخلفاء بالمعنى الوارد الا في وقت متأخر .

الخليفة عبد الله : نحن راضون بالموت في سبيل الله وباذلون أرواحنا في رضاء الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ومهديه عليه السلام . وأجاب الباقون كذلك . فالتفت عليه السلام إلى أبي السعود وقال له قد سمعت ما أجابوا به .

قلت : وفي إرسال ملوك الترك للمهـــدي عليه السلام الرسول المذكور ومحاورته بما ذكز أسوة نبوية ووراثة محمدية وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما دعا الناس قاطبة إلى [٥٩] توحيد الله تعالى ووصلت دعوته صلى الله عليه وسلم إلى كسرى ملك فارس كتب كسري إلى بعض أمرائه باليمن أنه بلغني أن رجلاً من قريش خرج بمكة ويزعم أنه نبي فسر إليه واستتبه فإن تاب وإلا فابعث إلي برأسه . فأرسل ذلك الأمير رجلين من الفرس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلما قدما عليه صلى الله عليه وسلم قالا له إن ملك الملوك كسرى بعث إلى أميره يأمره أن يبعث إليك من يأتي بك . وقد بعثنا إليك فإذا أبيت هلكت وأهلكت قومك وخربت بلادك . فتبسم صلى الله عليه وسلم ودعاهما إلى الإسلام ، إلى آخر القصة .

ولما لم تؤثر البراهـــين في رسول الترك المذكور آنفاً تركه عليه السلام ولم يتعرض له بمكروه لكونه رسولاً ، والرسل لا يتعرض لهم بسوء كما هي عادة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين . والمهدي على ذلك النهج المستقيم .

وقد كان المهدي عليه السلام خاطب والي السودان المعين لها اذ ذاك من طرف ملوك الترك بمصر . ولفظ [الخطاب] كما نقل من خطه عليه السلام :

بسم الله الرحمن الرحيم .

الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم .

وبعد فمن عبد ربه محمد المهدي بن السيد عبد الله [1] إلى الحكمدارية .

وبعد ، فعلى مقتضى المكاتبة [2] فالامر المطلوب كشفه أن دعائي الخلق على تقويم السنة والهجرة بالدين مما عليه الطباع الزمنية [3] أمر من سيد الوجود صلى الله عليه وسلم . والاعلام بأني المهدي المنتظر من سيد الوجود صلى الله عليه وسلم مراراً عديدة مع الهواتف الإلهية وعلامات أخبر بها سيد الوجود صلى الله عليه وسلم . فمن تبع صار من المقربين الفائزين ومن خالف خذله الله في الدارين وصده بقدرته التي يعجز عن معارضتها جميع العالمين . وأما المواعظ للمؤمنين فهي مبينة فمن لم يصدق طهره السيف .

وليكن المعلوم أنه أتاني من الحضرتين – النبوية وحضرة الاقطاب – سيف ، وأعلمت [4] أنه لا ينصر علي معه أحد . وأعلم صلى الله عليه وسلم أن من

---

(١) قلنا : هذه الديباجة ليست من الاصل وانما اقحمها الجامعون فيما بعد وذلك واضح من تكرار « وبعد » ومن وضع اسم الراسل في المقدمة على خلاف ما كانت العادة في هذه الفترة . والقطعة برقية أرسلها المهدي الى محمد رؤوف باشا حكدار السودان . وقد ولد رؤوف في ١٨٣١ وقيل إن أباه نوبي وإن أمه حبشية . خدم في الاستوائية ويوغندة ويونيورو وهرر . خلف غردون في ١٨٨٠ حكمداراً على السودان وبدأت ثورة المهدي في عهده . رفع من منصبه لفشله في معالجة ثورة المهدي . اشترك في محاكمة عرابي وتوفي في المنيا في سنة ١٨٨٨ .

(٢) قلت : يفهم من ذلك ان المهدي يرد على مكاتبة من الحكمدار وهذا يؤكد رواية نعوم شقير عن مكاتبة من رؤوف للمهدي في شأن دعوته . وعلى ذلك يكون رؤوف قد كتب للمهدي فلما جاءته البرقية أرسل أبا السعود . انظر في هذه الواقعة : منشورات المهدية ص ٣٠٨ – ٣٠٩ تاريخ نعوم ص ٦٥١ وجهاد في سبيل الله ص ١٢ .

(٣) قلنا : في المخطوط الزمانية والصواب ما ذكرنا .

(٤) قلنا : في المخطوط : وعلمت ، والصواب ما روينا .

أتانا بالعداوة [1] يأخذه الله إما بالخسف أو بالغرق . وذلك اعلام منه صلى الله عليه وسلم . وكل ذلك لم أعمل فيه بشيء من نفسي ولا لغرضي وإنما هو من الله وإلى الله . ومعلوم قوله تعالى : « إن تنصروا الله ينصركم » [2]. وقوله صلى الله عليه وسلم : إحفظ الله يحفظك . احفظ الله تجده تجاهك . وإلى غير ذلك من الادلة الظاهرية والباطنيـــة . وفيما ذكرته كفاية يكتفي بها أولو [3] العناية والسلام . سنة ١٢٩٨ هـ [4] .

[٦١] ولما يئس رسول الترك المذكور مما طلبه ورجع خائباً شرعت ملوك الترك [5] في الاستعداد لمحاربة المهدي عليه السلام وإعمال الحيل والمكائد الموصلة لهم إلى بلوغ مقاصدهم ، ويأبى الله ذلك لأنه عليه السلام محفوظ وبعين العناية الربانية ملحوظ وموعود بأن ملكه يبلغ مشارق الارض ومغاربها كما أشرنا إليه سابقاً [6].

ثم إن المهدي عليه السلام قال لاصحابه الكرام : أيهـــا الناس إن الترك رجعوا لطلب مدد وإنهم يعودون لحربنـــا فمن كان منـــكم خائفاً على أولاده وأمواله فليخرج منا فنحن مسامحون له ، وبيعتنا التي في أعناقكم ليس عليكم

---

(١) قلنا : في المخطوط : بعداوة . والصواب بالعداوة .

(٢) سورة محمد الآية ٧ .

(٣) قلنا : في المخطوط : أهل ، والمصادر تميل إلى أولو .

(٤) قلنا : يأتي بعد هذا لفظ انتهى وقد ألغيناه لأن نظام الفقرات يغنى عن ذكره . ونقلاً عن كتاب منشورات المهدية (ص ٣٠٩) فإن البرقية صدرت قبل ١٠ رمضان سنة ١٢٩٨ الموافق ٧ أغسطس سنة ١٨٨١ .

(٥) قلنا : تعبير ملوك الترك تعبير خاطىء . والمقصود محمد رؤوف ومساعدوه .

(٦) قلنا : يقصد الحديث : ان الله زوى الخ .

فيها حرج ، فاننا لكم مساحون . فإن سلمنا عودوا إلينا وإن كانت الاخرى فقد أحرزتم أبناءكم وأموالكم . فقالوا جميعاً بلسان واحد : يا سيدنا نحن بايعناك على الموت ورضينا بذلك ولا نرغب بنفسنا عن نفسك ، بل نحن معك حيثما توجهت . فافعل ما أمرت به فنحن لك تبع ولك سامعون ولامرك مطيعون يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم . فدعا عليه السلام لهم بخير .

قلت : وفي هذه القصة أسوة نبوية بما حصل في الغزوة البدرية وهي أن النبي صلى الله عليه وسلم [٦٢] لما بلغه رجوع عير قريش من الشام وفيها أموالهم قاصداً مكة قال صلى الله عليه سلم لاصحابه رضوان الله تعالى عليهم أجمعين : هذه عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا إليها لعل الله أن ينفلكموها . فانتدب الناس ، أي أجابوا ، وخرجوا لذلك . فلما كانوا ببعض الطريق أتاه الخبر عن قريش بخروجهم من مكة ليمنعوا أموالهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه . فاستشار النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه وأخبرهم الخبر وقال لهم إن القوم قد خرجوا من مكة مسرعين فما تقولون : العير التي فيها الأموال أحب إليكم أم لقاء العدو ؟ فقال الصحابة رضي الله عنهم : يا رسول الله امض لما أمرك الله به فنحن معك نقاتل عن يمينك وعن يسارك ومن بين يديك ومن خلفك . فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم دعا لهم بخير .

قلت وقد أخبرني من يوثق به أن الامام المهدي عليه السلام قال : واحد من الاخوان الصادقين المعاهدين في أبا حين دعوتهم إلى النفير في الترك الذين أتونا في أبا دعا أصحابه للجهاد فتوقفوا وقالوا له كيف نقاتل الدولة فسمع هاتفاً يقول: فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به ، فأتوا إلينا هو ومن تبعه سريعاً . أقول فهذا ومن معه [٦٣] قد أدركتهم العناية فاندرجوا في سلك أهل السعادة الذين حضروا أبا .

وفي مخاطبة المهدي عليه السلام لأصحابه بذلك الكلام دليل واضح وبرهان

بلسان الحقيقة فاضح على أنه الامـــام المنتظر والمهدي المبشر به على لسان سيد البشر وإنـــه الموعود بالنصر على من عاداه ولو وحده . ولذا أخبر المهدي عليه السلام بأنه أتت إليه البشارة من الله ورسولـــه بأنه يهزم الكفار ولو بشخصه ، إذ هو موعود بذلك على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم ، فهو واثق بمولاه ، شاكر له على جزيل ما أولاه ، ليس له اعتماد على عدة ولا على عدد ولا جيش ولا مدد ، بـــل نصره من الله ، وما النصر إلا من عند الله .

ولما تحقق عند أصحاب المهدي عليه السلام عود الترك للمحاربة كما أخبرهم بذلك عليه السلام قال بعضهم له عليه السلام : نخرج من جزيرة أبا لنكون بجهة الغرب ونستعد للحرب هناك . وكان ذلك القول ليلة الاثنين ثـــاني عشر رمضان المذكور . فقال لهم عليه السلام : للصبح ننظر في ذلك . فلما كان آخر الليل أرسل للخليفة الأكبر خليفة المهدي عليه السلام سيدنا الخليفة عبد الله بن محمد خليفة الصديق وسيدنا الخليفة علي محمد الحلو خليفة الفاروق [١] [٦٤] وباقي الأصحاب . وبعد حضورهم بين يديه أول ما نطق به أن قال : « يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا إلى قوله واصبروا ان الله مع الصابرين [٢] » . فلما تلى لهم هذه الآية قال لهم تأخروا هنا يعني بالجزيرة . ثم قال عليه السلام : أخبرني سيد الوجود صلى الله عليه وسلم بأن الأمر قد قرب وأن الترك يأتون إلينا بعد ثلاثة أيام ، وفي يده المباركة قلم صغير . فقال إن النبي صلى الله عليه وسلم بشرنا . وقال لا تخشوا منهم فإن مثل هذه القشة تقضي فيهم الحاجة [٣].

---

(١) قلنا : انظر أنه لا يذكر الخليفة محمد شريف .

(٢) سورة الانفال الآية ٤٥ - ٤٦ .

(٣) قلنا : نحو هذا قوله « والله والله والله إن قوي يقينكم إن أشرتم بأدنى قشة تنقضي حاجتكم » انظر منشورات المهدية ص ١٤ .

وقد وقع الأمر كما أخبر عليه السلام فإنهم يعني الترك أتوا بعد ثلاثة أيام كما أخبر فصار خبره بذلك مطابقاً للواقع . وهذا من أوضح كراماتـه الدالة على كمال تصديقه في جميع ما أتى به .

ثم أرسل عليه السلام إلى القبائل الذين هم حول الجزيرة المـــذكورة بالجهة الغربية يستنفرهم ويدعوهم إلى الحرب . فأرسل مهلة ولد محمد [1] من قبيلة دغيم من ساداتهم ، ومحمد ولد بلال كذلك لأهاليهم ، وقال لهما : قولا لقومكما من أراد الله والدار الآخرة فليحضر عندنا بدون تأخير . وأرسل رحمة ولد عمر لقبيلة الحسنات بمثل [٦٥] ذلك . وأرسل عبد الله والسماني بمثل ذلك . فحضر الجميع قبل حصول الواقعة امتثالاً لأمره عليه السلام .

وقد قال عليه السلام أن النبي صلى الله عليه وسلم بشره بأن جميع أهل بقعة أبا الذين حضروا ذلك الوقت في ضمان النبي صلى الله عليه وسلم ، حتى الخدم اللاتي للخدمة . فيا لها من بشرى ما أعظمها لمن حضر ذلك اليوم ، والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

ومع ذلك فقد أخبر المهدي عليـــه السلام بأنه جاءت حضرة في أبا تقول امشوا متواضعين ولا تحتقروا المتخلفين ، فقال عليه السلام فعلمت أنهم يجيئون بعد ذلك وينصرون الدين . فهنيئاً لنا معاشر الاصحاب الذين لم ندرك يوم أبا بهذه البشرى العظيمة والمنة الفخيمة .

ثم بعد صلاة العشاء ليلة الجمعة سادس عشر [من] رمضان [2] التفت عليه السلام إلى أصحابه وقال ارجعوا إلى منازلكم ثم عودوا آخر الليـــل لصلاة

---

(١) قلنا : هو المذكور ضمن وفد دغيم آنفاً . وكذلك محمد ولد بلال المذكور بعده .

(٢) قلنا : يوافق ذلك ١٢ أغسطس سنة ١٨٨١ .

التراويح . ثم بعد مدة قليلة أمر بأن ينـــادى في الناس لصلاة التراويح . فحضروا وصلى بهم عليه السلام صلاة التراويح . فلما تمت الصلاة قال عليه السلام : في هذه الليـــلة الترك يحضرون عندنا بالوابور للحرب . ولعل هذا الخبر [٦٦] أتى له من سيد الوجود صلى الله عليه وسلم . وأمر بتجهيز الجيش والاستعداد للحرب . وأن يكون على كل عشرة من الجيش مقدم . وذلك قبل طلوع فجر يوم الجمعـــة المذكورة . وأخذ عليه السلام سيفه من المسجد وأراد الدخول في منزله فرجع بسرعة وقال الترك حضروا بالوابور[١].

ولعل ذلك أيضاً باخبار نبوي ، أو من بعض الناس كما أخبرني بذلك بعض الثقات أن الذي أخبره بذلك رجلان أحدهما[٢] يدعى بركات ولد محمد وثانيهما يدعى آدم ولد الاعيسر . قلت ولا مانع من كون سيد الوجود صلى الله عليه وسلم أخبره بذلك ثم أخبره الرجلان بذلك فيكون خبرهما مطابقاً كما في نفس الامر . والذي تميل إليه النفس وينشرح له الصدر أن جميع الاخبار التي تأتي من المهدي عليه السلام إنما تأتي إليه من سيد الوجود صلى الله عليه وسلم أو ملك الالهام . لكن تارة يقول أخبرني سيد الوجود بذلك وتارة لا يقول ذلك على حسب الاحوال وما يقتضيه المقام . وقد يخبره بعض الناس بأمور في أحوال

---

(١) قلنا : استعد المهدي لملاقاة قوات الحكومة المتوقع حضورها فنظم رجاله تحت خمس رايات وعين مقدمين لجيشه . وقد عد كتاب جهاد في سبيل الله (ص ١٤) بعض مشاهير هؤلاء المقدمين . وكان قد أرسل للقبائل الموالية له فوفد عدد من الرجال .

(٢) قلنا : ذكر كتاب جهاد في سبيل الله (ص ١٣) أن مصطفى ولد سليمان وعبد الرحمن حامد وعثمان صالح بخيت وعثمان حاج شرفي ومحمد حاج شرفي تركوا مراكبهم التي كانوا يصنعونها في الفشاشوية وأسرعوا إلى المهدي فوجدوه يصلي التراويح . ولما فرغ منهـــا أبلغوه أن وابورا تحمل جنوداً وصلت الفشاشوية وهي في طريقه إليه . وقد حملت كادلاء أبا قرجة وشيخ فضله من قرية أم غنيم ومكاوي يعقوب ومحمد أبا شوك وزيادة عبـــد الله من الفشاشوية – انظر أخبار النبي للمهدي ومناقشة المؤلف له أيضاً في الباب السابع في معرض كلامه عن حملة راشد أيمن .

الحرب وعدد وقلة وكثرة وغير ذلك من الاخبار وهو عالم به من قبـــل ذلك لاخبار سيد الوجود بذلك أو ملك الالهام . ولشدة إصغائه للمخبر وإقباله عليه واستماعه لقوله يظن [٦٧] المخبر في نفسه أن المهدي عليه السلام لم يسمعه إلا منه تطييباً لخاطره كما هي عاداته السنية وسيرته السنية .

وعند ذلك أمر بخروج الجيش من الحلة التي فيها النساء والصبيان ، تحرزا عما يشوش عليهم حالة الحرب بحيث يكون الجيش خارج الحلة بالجهة الشرقية . وأمر عليه السلام بتسوية الصفوف ، وأن تكون قبيلة دغيم مما يلي جهة الصعيد أي الجنوب يعني تكون يمين الجيش ، ومهلة ولد محمد يكون يمينهم مما يلي الجهة الصعيدية . وأن تكون قبيلة الحسنات بلصق قبيلة دغيم مما يلي جهة الشمال يعني الجهة البحرية . وأهل البقعة الذين هم بمعية المهدي عليـه السلام ومقيمون معـه سرمداً من آل بيته وغيرهم يكونون بلصق المذكورين ، وهكذا . وبعـــد تعديل الصفوف على وجه الاتصال هكذا وتسوية الجيش حسبما أمر بذلك قال لهم عليه السلام : اجلسوا على الارض ولا تخشوهم ولا تبادروهم بالحرب . فاذا بادروكم قولوا لهم : اللهم أنت ربنا وربهم ، نواصينا ونواصيهم بيـدك ، وإنما تقتلهم أنت [١]. قولوها ثلاثاً . فإذا غشوكم بالضرب [٦٨] فاحملوا عليهم حملة رجل واحد .

ثم إن الترك خرجوا من الوابور وترتبوا على حسب قوانينهم الحربية مشكلين قلعتهم بأوضاع هندسية مترتبين صفوفاً على طبق قواعدهم العسكرية يقودهم الشيطان حتى أوردهم حياض المنية . فأتوا من الجهة الشرقية للحلة قاصدين

---

(١) قلنا : هذا دعاء يقال عند بدء القتال ، وهناك دعاءان آخران للترديد أثناء القتال . وعرف عن أنصار المهدي التكبير أثناء الهجوم على العدو . فالدعاء طلب النصرة من الله ، والصوت لترهيب العدو .

الهجوم على من فيها . فلما رأوا الأصحاب وما هم عليه من الثبات وقد حالوا بينهم وبين الحلة ارتفعوا من جهة شمال الحلة وتوجهوا إلى جهة الصعيد بمقابلة قبيلة دغيم فعند ذلك أطلقوا البنادق فانصب الرصاص على الأصحاب انصباب المطر الغزير . فعند ذلك حمل عليهم أصحاب المهدي عليه السلام بعد أن قالوا اللهم أنت ربنا الخ كما أمرهم المهدي عليه السلام حملة رجل واحد ، مسرعين بقوة عزم وحزم وثبات ودخلوهم وخالطوهم ووقع الالتحام ، فكانت النصرة لهم والهزيمة على أعدائهم الترك . وكان من صنع الله تعالى بالاصحاب وإسعافه بهم وانتقامه من أعداء المهدي عليه السلام أن جعل محل المعركة الذي هلكوا فيه وحلا لكونه قريب عهد بنزول المطر عليه ، فلم يستطع أعداء الله الهروب منه لتورطهم في ذلك الوحل ، ولات حين مناص ! ولم ينج من الترك في محل المعركة إلا الهارب المسرع بالدخول في [٦٩] الوابور ، وقليل ما هم ! وأسر من أسر منهم وعدتهم تسعة . ثم إن بعضاً من الأسرى ارتد راجعاً إلى الترك والبعض منهم صدق بالمهدي عليه السلام وانتظم في سلك الأصحاب ، كما أخبرني بذلك من أثق به .

وأغلب الأصحاب ما معهم سلاح يعول عليه ما هو العصي وشيء قليل من الرماح والسيوف ، والبعض عزل أي لا سلاح معهم . حتى إن الرجل في تلك الوقعة يأتي المهدي عليه السلام فيقول يا سيدي أنا مـــا معي سلاح نقاتل به ، فيقول المهدي عليه السلام خذ لك حجراً أو مدراً . ويقول لبعضهم أيضاً خذ حطبة من حطب الخلوة هناك . حتى إنه يقول لبعضهم لما شكا إليه عدم السلاح خذ لك قشة من الخلوة ، وهكذا . فمن هنا يعلم أن ما حصل في وقعة أبا من خوارق العادات وأن النصر بيد الله لا بعدة ولا بعدد ، وما معهم من الخيل إلا فرس واحدُ لآدم ولد الأعيسر .

ولما كان وقت اللقاء كان المهدي عليه السلام راكباً على الفرس المذكور فطلبه خليفته الأكبر أن ينزل منه فأراد أن ينزل ، فقال بعض الحاضرين من

الأصحاب لا تنزل يا سيدي لأن الوقت مطر وطين وظلمة ، فالأولى أن تكون على الفرس ، فنزل عليه السلام من الفرس كما طلب خليفته الأكبر ، فساعة نزوله منه [٧٠] أتت الرصاصة من العدو فضربت الفرس المذكور حتى وقع على الأرض . فتعجب جميع الحاضرين من توفيق خليفة المهدي عليه السلام سيدنا الخليفة عبد الله رضي الله عنه ، وعلموا أن جميع أفعاله مؤيدة من الله . وكيف لا تكون أفعاله رضي الله عنه موافقة الصواب والخضر عليه السلام لا يفارقه في جميع الأحوال ، كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى .

هذا وقد نصر الله مهديه عليه السلام في الواقعة المذكورة بدون استعداد من الأصحاب لا بالأسلحة ولا خيول ولا دروع ولكن النصر من عند الله لا بعدة ولا بعدد . وبهذا ظهر مصداق قول المهدي عليه السلام كما تقدم بأن سيد الوجود أخبره وبشره وقال لا تخشوا منهم ، فإن مثل هذه القشة تقضي فيهم الحاجة ، وذلك لأن أغلب أصحاب المهدي عليه السلام إذ ذاك لا سلاح معهم يعول عليه كما تقدم . وهذا أيضاً من باهر كراماته الدالة على صدقه فيما أتى به عند ذوي البصائر . لكن ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور .

وفي هذه الواقعة المهدي عليه السلام واقف خلف الجيش ، وذلك بأمر نبوي . أخبرنا الثقة عن [٧١] المهدي عليه السلام أنه قال نحن بأبا مقصودي في حالة الحرابة أكون أمام الجيش لكن أتانا خبر من النبي صلى الله عليه وسلم حالة الحرابة أن أكون خلف أصحابي . وفي الفزعة على العدو أكون وسط الجيش . وفي حالة التوجه لأي محل كان أكون خلفهم لأن نظري لهم خير من نظرهم لي . هذا وخليفة المهدي عليه السلام عن يمين المهدي عليه السلام يحرسه ويقيه بنفسه من وقع الرصاص . وتارة يتقدم المهدي عليه السلام . وتارة يتأخر عنه وتارة يكون يمينه . وتارة يكون شماله ، وهكذا . وفي حالة الحرب جرح المهدي عليه السلام بإصابة الرصاص له في رأس كتفه الأيمن جرحاً شديداً ، حتى اختضب أغلب جسده الشريف بالدم . وقد كان خليفته الأكبر

رضي الله عنه ساعة الحرب يقرب من المهدي عليه السلام ويدنو منه حتى يلصق جسمه بجسمه عليه السلام يقيه بنفسه ، حتى أن يود لو أن رصاصة أتت نحو المهدي عليه السلام تقع عليه هو ويسلم المهدي ، شفقة منه عليه . ولقد كان رضي الله عنه يمس الثياب التي على المهدي عليه السلام إذ ذاك [٧٢] فيجد عليها برودة فيعلم أنها من الندى الساقط آخر الليل لأن الوقت حديث عهد بنزول المطر كما تقدم . وهكذا يفعل إلى أن مس ثيابه عليه السلام مرة فوجد فيها حرارة فعلم أنها حرارة دم ناشىء عن جرح ، وعلم أنه عليه السلام قد جرح فشرع رضي الله عنه يمسح عن المهدي عليه السلام الدم بيده . ولما تكاثر الدم النازل من محل الجرح أخذ خليفة المهدي عليه السلام ثوباً وطرحه على محل الجرح وغطاه به .

أقول : وهذا من ثبات سيدنا خليفة المهدي عليه السلام وحسن رأيه الشامل وتدبيره في مواطن الحرب . وذلك لأن واقعة أبا هذه أول واقعة بين ملوك[1] الترك وبين المهدي عليه السلام . فبادر خليفته الأكبر بتغطية الجرح وستره عن أعين الناظرين لئلا يحصل لهم فشل وتضعضع عن الحرب لا سيما ولم تكن لهم سابقة بمقاتلة الترك إلا في هذه الواقعة .

وهذا من محاسن خليفة المهدي التي منحه الله بها من بين سائر الانام . ولا غرو فهو المؤيد من الله تعالى بصحبة الخضر عليه السلام ، الممنوح بنوال الحقائق التي أعجزت الخلائق فهما ، المحقق [٧٣] المحفوف بسر قوله تعالى : « وعلمناه من لدنا علماً » . ولذا كان محل سره عليه السلام .

---

(١) قلنا : يستعمل لفظ الملوك هنا كما سبق بمعنى الحكام وليس بمعنى الملوك ذوي العروش كما يفهم من معنى اللفظ .

وصلى الصبح جماعة بمسجده صلاة الخوف المشروعة [١]. قلت ولم يصل صلاة الخوف إلا في هذه الواقعة إلى أن انتقل إلى دار الكرامة كما أخبرني بذلك من أثق به . وسبب ذلك أن بعضاً من المنهزمين من محل المعركة دخلوا مع من في الوابور بقرب الحلة وصاروا يضربون الحلة ومن فيها بالمدافع والبنادق . فعند ذلك قسم المهدي عليه السلام الجيش طائفتين · طائفة بمقابلة العدو الذين في الوابور وطائفة صلت مع المهـــدي الركعة الاولى من صلاة الصبح . ثم أتت الطائفة التي كانت بمقابلة العدو بعد انصراف الاولى وتمام صلاتها لمقابلة العدو . وبعد تمام الصلاة مع الطائفة الثانية خرج المهدي عليه السلام مع أصحابه من المسجد لمحاربة من كان من الترك بالوابور .

ولما اشتد الضرب وتتابعت سحب الرصاص وصواعق الجلل غلبت الرأفة الطبيعية والشفقة الجبلية على خليفة المهدي عليه السلام ، فحمله ذلك إلى أن قال للمهدي عليه السلام : أنت تكون في داخل هذا العريش ، لعريش هناك ملاصق لمحل الحرب ، [٧٤]وراجعه حتى أدخله فيه . وهكذا شأن المهدي عليه السلام، فانه لم يخالف أصحابه فيما يرونه حسناً، ولا سيما خليفته الاكبر وناموسه الاطهر، فانه سريع الاجابة لموافقته في جميع ما يقوله له عليه السلام علماً منه عليه السلام بأن خليفته رضي الله عنه موفق للصواب وممنوح بالحكمة وفصل الخطاب .

---

(٢) قلنا : صلاة الخوف تؤدى عندما يكون المسلمون في خطر ويخشى عليهم من العـدو في حالة الصلاة . وهي على أنواع : الأول أن يكون العدو في القبلة . ففي هـــذه الحالة يقف المصلون في صفين فاذا سجد الامام سجد معه صف سجدتيه بينما يحرس الصف الثاني ، فاذا قاموا سجد من حرس ولحقوه وسجد معه في الثانية من حرس في الركعة الاولى وحرس الآخرون ، فإذا جلس سجد من حرس وتشهد بالصفين وسلم . والثاني أن يكون العدو في غير القبـــلة فيصلي الامام بالقوم على فرقتين ، كل منهما يحرس الفرقة الاخرى . انظر فيما يلي الكيفية التي أدى بها المهدي هذه الصلاة .

وثم بينهما سر لا يعلمه إلا اللطيف الخبير . وقد قال صلى الله عليه وسلم في حق سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه ما فضلكم أبو بكر بكثرة صلاة ولا صيام ، ولكن بشيء وقر في صدره ، أو كما قال . والخليفة المهدي مع المهدي عليه السلام من هذا المعنى مشرب روي ومورد هني ، فافهم ذلك واسلك من التسليم أسلم المسالك .

وبعد دخوله عليه السلام في ذلك العريش صار خليفته الاكبر رضي الله عنه يحرسه ويقيه بنفسه كما هي عادته رضي الله عنه من الشفقة التامة والرأفة التي لا مزيد عليها بالمهدي عليه السلام .

وقد كانت هذه الواقعة أول واقعة بين المهدي عليه السلام وبين الترك كما ذكرناه . فلو حصل له عليه السلام أمر فإن نظام الأمة يختل ويضيع تأييد الدين . وقد علمت أن هذا كله لغلبة الشفقة وإلا فخليفة المهدي [٧٥] عليه السلام يعلم أن الله ناظره وناصره على من عاداه ولا يمسه بمكروه إلى أن يعز الله به الدين ويهدّ به ركن الملحدين . ولكن الرأفة حملته رضي الله عنه على ذلك .

ودار الحرب بين الأصحاب وبين الترك الذين بالوابور الى ارتفاع الشمس . ثم انهزم الترك بعد قتل جماعة منهم بالرصاص بأيدي الأصحاب وولوا هاربين على الوابور في البحر .

ولم أقف على أن المهدي عليه السلام قاتل في هذه الواقعة بنفسه الكريمة ، إلا أنه أخبرني بعض الثقات ممن حضر تلك الواقعة وقال لي رأيت المهدي عليه السلام بعد الفراغ من الحرب وسيفه مسلول من غمده أي بيته وهو ملطخ بالدم وعلى ثيابه الدم . ولكن ما شاهدت قتاله حين الحرب ، والعلم لله [١] .

---

(١) قلنا : يهتم المؤلف اهتماماً بالغاً بموضوع اشتراك المهدي بنفسه في القتال أو عدم =

واستشهد في هذه الواقعة ، يعني واقعة أبا ، اثنا عشر رجلاً من الأصحاب ، تسعة من قبيلة دغيم وهم محمد ولد الضواها وعلي ولد نافع ومحمد ولد علي وعلي ولد عبدالله وعلي ولد شاع الدين والبشير ولد محمد ، فهؤلاء الستة استشهدوا في محل المعركة . وإبراهيم ولد علي وبلة ولد محمد وآدم ولد البغدادي ، الثلاثة [٧٦] رفعوا من محل المعركة منفوذي المقاتل وماتوا بعد الواقعة بيومين . فهؤلاء التسعة من قبيلة دغيم . واثنان من اهل البقعة وهما الحاج جمت وعيسى ولد بابكر ومن قبيلة العمارنة استشهد شخص يدعى محمد ولد بلة ، جرح بالرصاص في المعركة وتوفي بعد أيام بأسباب ذلك الجرح . فجملة من استشهد بأبا من الاصحاب إثنا عشر رجلاً كما تقدم بيانهم[١] .

قلت : وقد حدثني بواقعة أبا جماعة من أصحاب المهدي عليه السلام الثقات ، وكل منهم قد حدثني بعض الحديث ، فاجتمع حديثهم فيما سقته من حديث واقعة أبا ، ولله الحمد .

وفي هذه الواقعة التي أعز الله بها الدين وأهله وجدع به أنف الباطل وخرب محله مع قلة الاصحاب إذ ذاك ، فانهم ثلثمائة وزيادة لا تبلغ الخمسين ، والمقلل يقول ثلاثة عشر والمكثر يزيد على ذلك[٢] ، ومع كثرة العدو ، وما كانوا

= اشتراكه. وقد تطرق الى هذا الموضوع أعلاه أكثر من مرة. وواقعة اصابته بالجرح صحيحة. وكذلك وقوف الخليفة عبد الله بجانبه ساعتئذ وتغطيته مكان الجرح بالرداء . انظر تاريخ نعوم ص ٦٥٤ .

(١) قلنا : دفن هؤلاء في غار المهدي ، وهو الغار الاوسط في الوصف الذي أسلفناه . ومكانهم ، وهو مكان الغار ، ظاهر الآن في داخل مسجد الغار ، وهو مزار مهم .

(٢) قلنا : ذكر نعوم أنهم ٣٥٠ رجلاً فيهم تلامذة خلوة المهدي . وذكر كتاب جهاد في سبيل الله أنهم ٣١٣ رجلاً بما فيهم التلامذة . وربما حاول هذا المصدر أن يجعلهم في عدد الصحابة الذين اشتركوا في واقعة بدر . انظر أدناه ص ١٥٢ ولاحظ حذر المؤلف هنا وهناك في بيان ما فوق الثلاثمائة حتى يجعل وجهاً للمقارنة بين واقعة أبا وواقعة بدر .

عليه من القوة والعدة الكاملة والاستعداد الوافر ، أعظم أسوة [١] بالواقعات النبوية ، وأقرب شبه بالواقعة البدرية . وفيها من أعلام مهديه ما [٧٧] تقر به العيون وتنشرح له الصدور وترتاح له نفائس نفوس المحبين لجنابه الفخيم وتنال به الحظ الموفور .

وإنا بتوفيق الله تعالى نوضح ما أشرنا إليه في هذا المعنى ليكون ذلك منهجاً لأهل التصديق والعنـــاية ليتوصلوا به إلى رضا الرحمن وينالوا به الزلفى من فراديس الجنان ، فنقول :

إن المهدي عليه السلام قد جمع الله تعالى له مرتبة الدعوة الى الله تعـــالى بالسيف وإقامة الحجة . وقد أذن الله لمهديه عليه السلام بقتال من خالفـــه ووعده بالنصر على جميـــع من عاداه . فكان ذلك القتال عوضاً من العذاب الذي يستحقه كل من خالف المهدي عليه السلام كالخسف والغرق . والحكمة في ذلك حصول الشهادة لاصحاب المهدي عليه السلام والانتقام من أعدائه بالجهاد . ولذا قال المهدي عليه السلام : جاءنا الخبر : « اليجينا محارب إما أن تخسف به الارض أو يغرق [٢] » ، وبعده جاءنا الخبر بالتخيير بالخسف والغرق أو الجهاد ، فاخترنا الجهاد لأجل « اليموت يموت شهيد » ، هكذا سمعته من بعض الثقات . وقال لي هكذا سمعته من لفظ المهـــدي عليه السلام . قلت : وقـد أخبرني الثقة أنه قال سمعت المهدي عليـه السلام يقول أتانا [٧٨] الخبر في التخيير في جميـــع الاسلحة النارية بين إبطال حركاتها أصلاً حتى تصير بيد أصحابه كالعصي وبين تركها على حالها [فاخترنا الاسلحة على حالها] ليفوز من أكرمه الله تعالى من أصحابنا بالشهادة في الجهاد .

---

(١) قلنا : طالت الجملة وكثرت الجمل الاعتراضية ولو أبعد كل ذلك لصار ما يريده : وفي هذه الواقعة أعظم أسوة الخ .

(٢) قلنا : وانظر نحو ذلك في برقيته إلى الحكدارية حيث يقول : ومن أتانا بالعداوة يأخذه الله إما بالخسف أو بالغرق .

وقد كان النبي صلى الله عليـــه وسلم أذن له في قتال الكفار بقوله تعالى : « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير [1] » . فكان ذلك القتال الذي أذن فيه لرسول الله صلى الله عليـــه وسلم عوضاً من العذاب الذي عوملت به الامم السالفة لما كذبت رسلهم . فما حصل للمهدي عليه السلام من هذا القبيل ، وفيه أسوة جلية ومنقبة هي بالقبول حرية .

وأنت إذا تأملت بعين البصيرة وطابت منك السريرة اتضح لك أن موقعة أبا من حيث كونها حصلت يوم الجمعة السادس عشر من شهر رمضان قريبة الشبه من غزوة بدر في كونها حصلت يوم الجمعة لسبع عشرة خلت من رمضان . وفي نقص هذه الواقعة عن البدرية بيوم ، أعني أن تلك يوم السابع عشر وهذه يوم السادس عشر ، سر لطيف ومنهج من التأديبات الالهية منيف يدركه الحاذق اللبيب ويتفطن لدقيق مرماه الفطن الأريب [٧٩] .

ثم بعد كتبي هذا وجدت في الرسالة المسماة « بنصيحة العوام [2] للخاص والعام » عند التكلم على وقعة أبا ما لفظه : « وكان ابتداؤها أعني الحرب في الليلة السابعة عشر من شهر رمضان سنة ألف ومائتين وثمانية وتسعـــين الخ » وعليه توجه الشبه لما ذكرناه أوضح . وهذا والعوام صاحب الرسالة المذكورة كان من الترك الذين حضروا بالخرطوم بعد واقعة أحمد باشا عرابي مع توفيـــق

---

(١) سورة الحج الآية ٣٩ .

(٢) قلنا : هو كتاب « نصيحة العوام للخاص والعام من إخواني أهل الإيمان والإسلام » لمؤلفه أحمد العوام . وقد طبع بمطبعة المهدية الحجرية بأم درمان سنة ١٣٠٥ . انظر الحركة الفكرية في المهدية ص ١٩٩ وما يلي . وانظر في تاريخ الخرطوم ص ٧٧ موقف العوام من المهدي والمهدية وسبب مقتله .

باشا والي مصر . والعوام المذكور كان من أهل المحبة والتسليم للمهدي عليه السلام كما يعلم ذلك من رسالته المذكورة . وقد ألف الرسالة المذكورة وهو مع الترك إذ ذاك بالخرطوم ، ولما علم غردون باشا بذلك قتل العوام المذكور ، رحمه الله تعالى رحمة واسعة .

هذا وهذه الواقعة لم يكن مع أصحاب المهدي عليه السلام فيها سوى فرس واحد كما تقدم . ومن ضمن ما قيل في واقعة بدر أنه لم يكن مع الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين إلا فرس واحد . وهناك قول في البدرية بوجود فرسين في الجيش . وعليه فالحكمة في نقص هذه من تلك بواحدة غير خافية لمن أنار الله بصيرته[1]. وعدة الاصحاب في هذه الواقعة ثلاثمائة وزيادة ، [٨٠] على ما تقدم . وكذلك عدة أهل بدر رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ثلاثمائة وثلاثة عشر ، وقيل في بيان عددهم غير ذلك . وقد علمت أن عدة من استشهد في هذه الواقعة اثنا عشر رجلاً ، وكان عدة من استشهد يوم بدر أربعة عشر رجلاً . والحكمة في هذه لنظير ما تقدم .

وقد قدمنا أن النبي صلى الله عليه وسلم بشر المهدي عليه السلام بأن جميع أهل البقعة أبا الذين حضروا ذلك الوقت في ضمانته صلى الله عليه وسلم وفي هذا أسوة بما ورد في أهل بدر من قوله صلى الله عليه وسلم : اطلع الله على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ، أو قال : قد وجبت لكم الجنة . وقد أسلفنا أن المحل الذي هلك فيه الترك كان وحلاً لكونه قريب عهد بنزول المطر فلم يستطيعوا الهروب لتورطهم في ذلك الوحل ، وإنما محل موقف

---

(١) قلنا : ربما كان مراده أن الفرق أيضاً فرس واحد .

الاصحاب عند تسوية الجيش وتعديله للقاء فقد كان بعد نزول ذلك المطر عليه شديداً بأبا بحيث إن الاقدام تثبت عليه ولا يحصل لها أدنى خلل ، فكان ذلك المطر نعمة وقوة للاصحاب وبلاء[٨١] ونقمة على الاعداء إذ أصابهم بسببه ما لم يقدروا معه على الفرار إلى أن أهلكهم الله . وقد أرسل الله المطر يوم بدر وثبتت به أقدام الصحابة رضوان الله عليهم حتى لا تسوح في الهيل ، وضر ذلك بالكفار لكون محلهم إذ ذاك كان لينا وأصابهم ما لم يقدروا معه على الفرار حتى أفضى بهم إلى الدمار . ففي هذه الواقعة من هذا المعنى أسوة بذلك اليوم العظيم الشأن .

وأنت إذا تأملت فيما حصل للمهدي عليه السلام من الجرح في ميدان الحرب تيقنت أن هذا الامام المنتظر هو خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقافي أثره وله كمال الاقتداء به صلى الله عليه وسلم ليحصل له كمال المثوبة وزيادة الزلفى لدى الكبير المتعال . وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في غزوة أحد رماه بعض الكفار بحجر فكسر رباعيته وشج وجهه الشريف حتى صار الدم يسيل عليه . وناهيك بهذه الاسوة ما أعظمها وأدلها على كمال وراثة هذا الامام المنتظر وازدلافه من أسنى المقامات المبشر بها من لدن [٨٢] حضرة سيد البشر .

والحكمة في حصول مثل هذا الابتلاء للانبياء وخواص عباده تعالى من الاصفياء هي أن الأجر إنما يكون على قدر ما ينال العبد من المشقه الحاصلة له من المخالفة له وعلى ما يقاسيه منهم ، وله أجر الهداية لمن تبعه ولا أحد أكثر أجراً بعد مقام النبوة من سيدنا محمد المهدي بن عبد الله . فما حصل له من ذلك زيادة في رفع درجاته ووسيلة إلى الله تعالى في اعلاء مقاماته .

وليعلم المحب لهذا الجناب الفخيم السالك مسلك أهل التسليم أن الله أكرم مهديه عليه السلام وجعله قافياً لأثر أشرف الانام . فمن هنـــا يتضح للمؤمن المنور بأنوار أهل التسليم أن المهدي عليه السلام قد يثبت له من الفضائل والمزايا ما لم يوجد إلا في أهل الاصطفاء من خواص الصفوة من العباد . وشاهد ما قلناه الحديث الشريف الوارد من سيد البشر صلى الله عليه وسلم في حق المهدي عليه السلام حيث يقول : إنه يقفو أثري . وهذا يشتمـــل على فنون من أنواع الكرامات وبدائع محاسن الصفات . وحيئذ يستبين كفلق الصبـح وجه ما قلنا من تشبيه هذه الواقعة بالواقعة البدرية [٨٣] ويزول اللبس عن كل من كبا به فرسه عن اللحوق لسوابق هذه الحلبة التي هي لأهل التسليم أكمل مزية .

هذا ومن تتبع محاسن هذه الواقعة يجدها تجل عن الحصر . فما أكرمها من واقعة أيد الله بها مهديه عليه السلام وأعلا بها كعبه على الأنام ! ! اذ كان بها إشراق أمره وظهوره ، وبها استنار بدر هدايته في جبين الدهر وعم نوره .

وقد ذكر الأوائل ان اول من يحارب المهدي عليه السلام الراية العثمانية . فهذه الواقعة التي بين الامـــام المهدي عليه السلام وبين الترك هي اول وقائع المهدي عليه السلام التي شهرت فيها السيوف ، فهي من اعلام مهديته .

قلت : وارواح الترك المقتولين في أبا أخذها صقر وطار بها كما اخبرني بذلك من يوثق به ، وقال انه سمع المهدي عليه السلام يقول : أتانا خبر من النبي صلى الله عليه وسلم ان أرواح ترك أبا أخذها صقر وطار بها ، وأرواح جماعة يوسف ولد الشلالي اخذتها ريح ، وارواح جماعـة هكسي جميعها مسلسلة مع بعضهـا البعض ، والجردة التي بعدها أرواحها كأنها في قبور . ا. هـ.

اقول، وبالله التوفيق : ان امر المهدية جسيم وفضله عظيم وان الله تعالى[٨٤] اختص هذا الامام المنتظر بخواص لم توجد في غيره من اصفياء الامة الخواص . فحينئذ لا مانع من حصول جميع ما اخبر به عليه السلام . فيجب على الكافة من أهل الاسلام تصديق المهدي عليه السلام في جميع مـــا جاء به ليحوزوا فضيلة الايمـان بالغيب حيث مدح الله اهله بقوله تعـالى :«الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون .

[والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلـك وبالآخرة هم يوقنون] اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون » [١] .

وقد أمر المهدي عليه السلام بدفن الشهداء الذين استشهدو في محل الواقعة بثيابهم وهيئتهم التي كانوا عليها ما عدا السلاح الذي كان معهم . فدفنوا ببطون الغيران التي بداخل مسجد المهدي عليه السلام بأبا المعدة للعبادة والانقطـــاع فيها إلى الله تعالى كما هو دأبه عليه السلام ودأب أصحابه الكرام .

وأما القتلى من الاعداء فقد تركوا بالعراء تذري الرياح عليهم حيث اودعوا حواصل الطير وبطون السباع .

وقد صار جمع جميع الأسلحة التي كانت معهم وفرقت لاصحاب المهدي عليه السلام ، وذلك بامر منه عليه السلام .

---

(١) سورة البقرة الآية ٣ ــ ٥ ، قلنا : والمؤلف يسقط الآية الرابعة ولعله خلط بين هذا الموضع وموضع مماثل في سورة لقمان .

الباب السابع

الباب السابع في هجرته عليه [٨٥] السلام مع السابقين من أصحابه الاعلام من جزيرة أبا التي هي محل ظهوره بالمهدية إلى وصوله جبل ماسة بلصق جبل قدير ، حسبما أمر به على السنة الهواتف الالهية والخطابات النبوية ، وما يتصل بذلك من جهاده للاتراك هنالك وغيرهم ممن أعرض عن قبول دعوته وحاد عن سماع كلمته وغزوته عليه السلام لمحاربة الاتراك بمدينة الابيض بكردفان لغاية تسليمهم ودخولهم تحت الطاعة بعد ما مسهم من أليم المحاصرة التي أفضت بهم إلى المهالك والاضاعة .

حدثني بحديث الهجرة المذكورة جماعة من أصحاب المهدي عليه السلام الثقات وكل منهم حدثني بعض الحديث فاجتمع حديثهم في سياق ما أذكره من حديث الهجرة .

قالوا لما فرغ المهدي عليه السلام من يوم أبا ووضعت الحرب أوزارها قال عليه السلام لاصحابه : إن سيد الوجود صلى الله عليه وسلم أمرنا بالهجرة لجبل ماسا [1] بلصق جبل قدير . ثم أمر الناس بالخروج للهجـــرة وخرج بنفسه الكريمة مع الناس من الحلة يعني حلة أبا محل إقامته عليه السلام وذلك يوم الجمعة

---

(١) قلنا : يكتبه المؤلف أحياناً بالألف « ماسا » وأحياناً بالتاء « ماسة » وقد نقلناه حسبما يأتي .

المذكور أعني يوم الواقعة ، وأقاموا حول البحر بمشروع يدعى الطويلة [٨٦] بتلك الجزيرة . وشرع الناس في تعدية النساء والاطفال لجهة الغرب وتركوا غالب ما معهم من الامتعة والاموال ولم يتمكنوا من حملها . وطابت نفوسهم بمفارقة أموالهم ورضيت بترك ديارهم وعماراتهم رغبة فيما أعده الله تعالى لمن خرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ومسارعة لاحراز الثواب الذي ادخره الله تعالى في دار المآب للمهاجرين في سبيل الله . وقد سهل الله لهم ذلك وتجاوزوا البحر سالمين لم يمسهم سوء . ولذا قال المهدي عليه السلام كما رواه عنه بعض الثقات حين خروجي من أبا مهاجراً إلى قدير البحر مقطوع ولا لنا مركب نقطع بها فاجتمعت بالنبي صلى الله عليه وسلم وشاورته في أمري فقال لي عليه الصلاة والسلام ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ، قلت وقد جعل الله لمهديه عليه السلام مخرجاً وسهل له السبيل إلى دار هجرته مع أصحابه رضي الله عنهم ، إذ هو إمام المتقين والمقتفي لآثار سيد المرسلين . وقد حقق الله له تلك البشرى النبوية فلم يصبه مكروه إلى أن وصل إلى دار هجرته ملحوظاً بعين العناية . ومحوطاً بكمال الرعاية .

أقول : وفي مهاجرته إلى قدير فأل [٨٧] حسن مشعر بتمام التأييد الإلهي وأنه مهاجر إلى ذي القدرة التامة التي لا يعجزها شيء . ومعلوم أن من هاجر إلى الله لا يضيعه ولا يخذله بل يؤيده وينصره . وإذا تأمل العاقل اللبيب ، والفطن الذي له سهم لغرض التسليم لجناب المهدي عليه السلام مصيب ، اتضح له أن في هجرته عليه السلام إلى قدير حكماً ومناسبات وإشارات تجل عن الحصر تشعر ذوي البصائر بعاجل النصر ، ولله في أفعاله حكم تعجز عن إدراكها الأفهام ولا يحوم حول حماها إلا المنور بأنوار الملك العلام . أخبرني الثقة أنه سمع المهدي عليه السلام يقول إنما هاجرت إلى قدير لإظهار قدرة الله تعالى فيه .

هذا ثم بعد تعدية النساء والذرية ومن معهم من الجيش قام المهدي عليه السلام ومن بقي معه من خواص أصحابه الأعلام عبروا البحر بالمراكب محفوفاً بالاجلال

محفوظاً بألطاف ذي الجلال واجتمع مع الجيش بجهة الغرب بمقابلة مشرع الطويلة المذكور[1]. ثم ارتحل عليه السلام مع جميع أصحابه من ذاك المحل ونزل بطليح بنهان – اسم موضع . ثم ارتحل ونزل بمحل يدعى أغسيل . ثم ارتحـــل ونزل بمحل يدعى مظلول [88] ثم ارتحل ونزل بمحل يدعى جماس . ومنه ارتحـــل ونزل بمحل يدعى أم دقن . ومنه الى محل يدعى المقارين . ثم ارتحل ونزل بمحل يدعى قور المبيل . ومنه إلى محل يدعى أم لفحة . ثم ارتحل ونزل بمحل يدعى أم شمال . ومنه ارتحل ونزل بمحل يدعى أم قدور . ومنه ارتحل ونزل بمحل يدعى قردود الجلت . ومنه ارتحل ونزل بمحل يدعى دردمي بيوت . ثم ارتحل ونزل بمحل يدعى بأبي صباغة . ثم ارتحل ونزل بمحـــل يدعى أم قفري . ثم ارتحل ونزل بمحل يدعى أم شبيل – منازل الأحامدة . وهناك قابلوا المهدي عليه السلام بالترحيب والإكرام . ثم ارتحل عليه السلام من ذاك المحل ونزل بمحل يدعى الغوال . ثم منه ارتحل ونزل بجبل فيو .

ثم ارتحل ونزل بأبي رجلين وهو[2] اسم منهل بجهات أم طلحة بأرض تقلى. وهناك أتى إلى المهدي عليه السلام يعقوب بن محمـــد أخو سيدنا خليفة المهدي عليه السلام وافداً ومعه جماعة من أقاربه[3] فبايعهم المهدي عليه السلام وقـــال لهم خيراً [89] وأثنى عليهم بخير . وفي إقامته بأبي رجلين المذكور أتت اليه الوفود من تلك الجهات للبيعة فبايعهم عليه السلام .

---

(1) من هنا يبدأ المؤلف في ذكر المواضع التي نزل فيها المهدي منـذ بدأ من مشرع الطويلة حتى قدير . ولم نر مصدراً آخر ذكر هذه المواضع إلا كتاب جهاد في سبيل الله ، وهو لا يذكر إلا عدداً قليلاً منها . انظر صفحة ١٧ وما يلي .

(2) قلنا : في الاصل « وهم » وقد عدلناه الى « وهو » ليستقيم المعنى .

(3) قلنا : ذكر كتاب جهاد في سبيـــل الله أنهم ١٥ نفراً فيهم يعقوب وإخوانه يوسف السناني وهارون ومساعد قيدوم وأحمد علي وحامد علي . وصار أغلب هؤلاء من المشاهير في المهدية .

ثم ارتحل عليه السلام من أبي رجلين المذكور ونزل بالزمزية — اسم لنهر مشهور بأرض تقلي. وهناك بلغ المهدي عليه السلام أن محمد سعيد باشة الأبيض[1] الذي كان مديراً على كردفان أمره عبد الروف[2] حكمدار السودان إذ ذاك بالمسير إلى المهدي عليه السلام بجزيرة أبا وأن يناجزه الحرب .

ذكر سير محمد سعيد إلى المهدي عليه السلام :

ولما وصل محمد سعيد ومن معه من الترك إلى جزيرة أبا ووجد المهدي عليه السلام خرج منها مهاجراً خرب الجزيرة المذكورة وأحرق منازلها وانتهب ما فيها من الأموال التي تركها أصحاب المهدي عليه السلام هناك ، واقتفى أثر المهدي عليه السلام . ولما تحقق المهدي عليه السلام أمر محمد سعيد أرسل من الزمزية ثلاثة أشخاص : وهم جمعة ولد بلال وخويلد ولد الفقيه ومعهما ثالث لم أقف على اسمه ، للوقوف على جليّ أمر محمد سعيد . فعادوا له عليه السلام وأخبروه بحقيقة أمر محمد سعيد . فعند ذلك أمر المهدي عليه السلام أصحابه بالاستعداد لمحاربة محمد سعيد . وقال لهم عليه السلام [٩٠] ننتظرهم هنا ، يعني بالزمزية ، فإن أتوا لنا نحاربهم . فقال له بعض الأصحاب يا سيدي هذا المحل

---

(١) قلنا : يقصد بباشة الابيض مدير كردفان ، فالباشا لقب مصري الا أنه يقابل هنا وظيفة المدير . والأبيض عاصمة المديرية ونسب إليها المدير لأنها مقره . ومثل هذا التعبير كان شائعاً . ومحمد سعيد باشا من ضباط الجيش المصري . وقد عين ١٨٧٩ مديراً لكردفان . وفي ١٨٨٢ طارد المهدي مطاردة فاشلة كما يروي المؤلف . حاصره المهدي بالأبيض حتى سلم المدينة للمهدي كرها . قتل ١٨٨٣ لاتهامه بالاتصال بغردون . يكتب الابيض بياءين في المخطوط وقد رسمناه بالوجه الشائع الآن .

(٢) يقصد محمد رؤف باشا . والإسم على ما رواه المؤلف خطأ .

الذي نحن فيه لم تتمكن فيه من الحرب ، والرأي أن نرتحل لمكان نتمكن فيه من ذاك حين نظفر بالعدو .

قلت : ولعل ذلك المحل كان غير صالح لتعديل الجيش فيه ، إما لضيقه وإما لغير ذلك مما يكون مانعاً من حصول المقصود فيه . فاستحسن المهدي عليه السلام ذلك القول ، وهكذا شأنه عليه السلام وسالف عادته المستمرة . فإنه لم يخالف أصحابه فيما يرونه حسناً ولا سيما في أمر الحرب ، لأن أغلب أمر الملاحم والحروب مبني على الرأي والتجربة والتدبير . فكل ما[1] استحسنه الناس من ذلك يراه عليه السلام حسناً كما كان النبي ﷺ يفعل ذلك مع أصحابه رضوان الله تعالى عليهم أجمعين .

فارتحل عليه السلام مع أصحابه ونزلوا بجبل الكمر بأرض تقلى بإشارة بعض الأصحاب له بالنزول في ذلك المحل لكونه أوفق وأنسب بالمقصود من مصادمته العدو واستئصاله . ثم أرسل المهدي عليه السلام القرشي ولد أحمد الكناني ومحمد ولد أحمد ومحمد ولد علوان والأكرم من دغيم [٩١] طليعة لاستقصاء خبر محمد سعيد والوقوف على حقيقته . فجدوا السير على خيولهم حتى وصلوا إلى محل يدعى الدبة ، محل سوق من أسواق أم طلحة بأرض تقلى . فهنالك اتضح لهم جلياً أن محمد سعيد بمحل يدعى بأبي شديرة من أرض تقلى متربصاً انتهاز الفرصة والهجوم على جيش المهدي عليه السلام لو يجد لذلك سبيلاً . وهيهات أن يجد مقصوده ! بل أخزاه الله ورده خائباً ورجع بخفي حنين .

ثم عادت الرسل المذكورون وأخبروا المهدي عليه السلام بذلك فخرج عليه السلام ، ولم يتخلف عنه أحد من أصحابه ، وقصدوا محمد سعيد إلى أن وصل

---

(١) قلنا : في الأصل فكلما .

عليه السلام إلى محل يدعى بأبي وتد . وبعد وصوله هنالك أتاه الخبر بأن محمد سعيد لما سمع خبر المهدي عليه السلام ، وأنه قصده ولى مدبراً وجد في الهرب قاصداً محل إقامته بمدينة الأبيض ، ومضى كالريح في السرعة وتخلص خوفاً لئلا ينشب بأظفار أصحاب المهدي عليه السلام . وسيأتي أن محمد سعيد هذا قتل بعد فتوح مدينة الأبيض بأمر المهدي عليه السلام لأمور وقعت منه .

وعندما تحقق [٩٢] للمهدي عليه السلام هروب محمد سعيد رجع مع أصحابه الكرام مصحوباً بالألطاف الإلهية الى جبل الكمر .

قلت : وقد أخبرني بعض الثقات أن المهدي عليه السلام حين بلغه أن محمد سعيد قاصد له قال : والله الذي لا إله إلا هو لو حضروا عندنا لعادت بنادقهم في أيديهم كالعصي ولما خرجت منها نار أبداً . وقد سمعت من بعض الثقات الذين مع المهدي عليه السلام في تلك الهجرة يقول لما تحقق عند أصحاب المهدي هروب محمد سعيد وتخلصه من أيدي الأصحاب صار بعض الأصحاب يبكي بالدموع حتى إني رأيت الدموع تنحدر على لحاهم .

قلت : لعل بكاءهم أسف على ما فاتهم من الجهاد في سبيل الله الذي هو وسيلة لنيل الشهادة التي هي غاية مقصود العقلاء ، ولا سيما أصحاب المهدي عليه السلام، فإن طلب الشهادة قد كثر في ألسنتهم حتى صار ذلك شعاراً لهم يعرفون به في كل جهة وفي كل موطن منه من[1] مواطن الحرب . قال ﷺ : والذي نفس محمد بيده لوددت أن أغزو في سبيل الله فأقتل ثم أغزو فأقتل ثم أغزو فأقتل . فهذا دليل على فضيلة الشهادة [٩٣] وتمنيها . وأن العاقل يأسف على فواتها حتى يبكي على ذلك بالدموع السواجم . فجزاهم الله عن الإسلام خيراً ! فلقد صدقوا ما عاهدوا الله عليه . فإن بيعة الأصحاب للمهدي عليه السلام هي كبيعة الله

---

(١) قلنا : في هذا الموضع لفظ زائد في الأصل ، إذ يقول : كل موطن منه من مواطن .

ورسوله . وقد سمعت المهدي عليه السلام يقول قال سيد الوجود ﷺ إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله ورسوله .

ثم ان المهدي عليه السلام ارتحل من جبل الكمر إلى أن وصل لجبل النقارة وأقام فيه عشرة أيام . ثم ارتحل ونزل بمحل يدعى خور بيضا . ثم ارتحل ونزل بمحل يدعى خور أبجلع . ثم ارتحل ونزل بجبل كرن بأرض تقلى أيضاً . ولما نزل المهدي عليه السلام بجبل كرن بلغه أن بعضاً من أهالي تلك البلاد متوقف عن قبول المهدية والدخول فيما دخل فيه الناس ، فكاتب[1] عليه السلام رؤساء تلك البلاد يدعوهم إلى الله كما هو دأبه عليه السلام من الشفقة والرأفة بعباد الله ودعايتهم إلى الدخول فيما دخل فيه الناس لإنقاذ مهجهم من الهلاك الدنيوي والأخروي . وأرسل عليه السلام تلك [المكاتبات] مع رسول لتوصيلها إلى أصحابها ، فأوصل [٩٤] ذلك الرسول الكتاب المرسول من المهدي عليه السلام لرجل يدعى علي بن حمد الكناني من أعيان تلك الجهة . فلما أتاه كتاب المهدي عليه السلام قبله واتبع وصدق بالمهدي عليه السلام . ثم أرسل الكتاب المرسول لشخص من أعيان جبل الجرادة يدعى المختار ولد الزبير الكناني من مقلدة العلماء ، فلما قرأ الكتاب أظهر الامتثال والرضا وفي نفسه شيء . ثم وصل الرسول المذكور لجبل قدير وأوصل الملك ناصر ملك جبل قدير الكتاب المرسول اليه من المهدي عليه السلام . فلما قرىء عليه سلم وصدق بالمهدي عليه السلام .

ولما أوصل الرسول المذكور جميع الكتب التي أمر بإيصالها لمن أرسلت لهم

---

(١) قلنا : لم نقف على رسالة من المهدي موجهة إلى من يشير إليهم الكاتب بالاسم . على أن واقعة الكتابة في ذاتها ليست بعيدة . ومن المحتمل أنه أرسل إليهم نسخاً من منشور الدعوة وهو الذي أورده المؤلف من قبل (ص ٣٨) . وقد كتب المهدي هذا المنشور في هذه الفترة ليعرف به دعوته ويشرح أسسها وأهدافها ومراميها للناس .

عاد راجعاً ، ومر في طريقه بالمختار ولد الزبير المذكور فوجده قد انعكس وانتكس وأظهر النفاق الذي كان منطوياً عليه . ولما تحقق الرسول المذكور حال المختار أخذ منه كتاب المهدي عليه السلام ورجع به إلى المهدي عليه السلام وهو بجبل كرن وقص عليه القصص وأخبره بجميع ما وقع من المختار .

ثم إن المهدي عليه السلام ارتحل مع الجيش ونزل بمحل يدعى بخور أم هشيم ثم ارتحل ونزل [٩٥] بفولة[١] ولد العيدق – اسم محل . ثم ارتحل ونزل بمحل يدعى بخور الودى . وهناك أمر المهدي عليه السلام بترك جميع النساء والذراري وجرد الجيش وقصد جبل الجرادة محل المختار ولد الزبير المذكور ، وهو بقرب جبل قدير . ولما قرب عليه السلام من جبل الجرادة أرسل إلى علي بن حمد الكناني وقال له احضر أنت وجميع من معك لمقابلتنا بجبل الجرادة . ثم وصل المهدي عليه السلام لجبل الجرادة ونزل مع أصحابه حول الحلة التي فيها المختار في ظلال الأشجار وغيرها التي هناك .

هذا والمختار قد كان جمع جموعه بقصد محاربة المهدي عليه السلام . ولما رأى جيش المهدي عليه السلام انخذل وفرق جمعه بعد ما كانوا مصطفين بالحلة عند نزول المهدي عليه السلام ناوين لحربه عليه السلام . ثم إن المهدي عليه السلام أرسل للمختار يدعوه إلى الله ويحذره عاقبة المخالفة فلم ينجح فيه ذلك ورد على الرسول أشنع رد وتمادى على الضلال ومبارزة المهدي عليه السلام بالعداوة . وكل هذا والمهدي عليه السلام يرسل له من يدله على الدخول فيما دخل فيه الناس ، وهو مصر على العداوة . [٩٦] ثم إن بعضاً من إخوان المختار وأقاربه أتوا للمهدي عليه السلام مسلمين ومنقادين ومعتذرين مما وقع من المختار ، وقالوا نحن بريئون من المختار ومن فعله القبيح ، واعتزلوا عنه وبعدوا منه ،

---

(١) قلنا : في الأصل بالتاء المفتوحة : بفولت .

وأحضروا للمهدي عليه السلام أخا المختار من أبيه المدعو البدوي فبايعه المهدي عليه السلام وولاه على قومه المتابعين للمهدي عليه السلام منهم . ولم يبق مع المختار إلا المفسدون وأهل الفتن من قومه . وأغروه على الحرب وهو يعدهم ويمنيهم النصر وما يعدهم الشيطان إلا غروراً . ولما تحقق عند المهدي عليه السلام أن الخذلان قد غلب عليه والعياذ بالله تعالى قال عليه السلام إن المختار قد نزعت منه البركة .

ثم إن علي بن حمد الكناني ومن معه حضروا لمقابلة المهدي عليه السلام حسبما أمرهم بذلك فقام أصحاب المهدي عليه السلام واصطفوا لمقابلتهم والترحيب بهم فظن المختار المخذول أنهم قاصدون لحربه فأمر جماعته بالاستعداد والتهيؤ للحرب ، فاستعدوا . وقد كان بعض أصحاب المهدي عليه السلام ممن [٩٧] له قرابة مع المختار لكونهم من قبيلة واحدة يعني قبيلة كنانة صاروا يجرون أفراسهم تارة إلى الجهة التي فيها علي بن حمد الكناني المذكور حتى يصلوا اليه ويتباشرون معه وتارة يجرونها الى الجهة التي فيها المختار وقومه حتى يصلوا اليه ويقولون له عليكم أمان الله ورسوله ﷺ وأمان المهدي عليه السلام . فبينما هم على تلك الحالة اذ أمر المختار بعضاً من قومه بضرب تلك الخيول بالرصاص ، فأطلقوا عليهم البنادق فأصيب فرسان من تلك الخيول بالرصاص ، مات أحدهما وسلم الآخر بعد جرحه ، وجرح أيضاً أحد الفارسين اللذين على الفرسين المذكورين . ثم تابعوا الرمي بالرصاص على أصحاب المهدي عليه السلام .

ولما تحقق للأصحاب أن المختار بدأهم بالضرب والمحاربة حملوا عليه حملة رجل واحد حتى أخرجوه مع قومه من داخل الحلة وألجأوهم إلى الصعود على جبل الجرادة لكون الحلة المذكورة ملاصقة له وأصحاب المهدي عليه السلام في أثرهم . وهناك قتل المختار المذكور وقتل معه ثلاثة عشر رجلاً من قومه وانهزم الباقون . ثم إن المنهزمين المذكورين طلبوا الأمان [٩٨] من المهدي عليه السلام فأمنهم فأتوه منقادين . وأمر المهدي عليه السلام برد جميع ما أخذ

منهم . وكانت هذه الواقعة أعني واقعة المختار بيوم الاثنين سلخ شهر القعدة سنة ثمانية وتسعين بعد المائتين والألف[1] .

ثم إن المهدي عليه السلام أمر بإحضار النساء وجميع العائلات الذين تركوهم بجبل كرن فأحضروا بجبل الجرادة . وأقام هناك بعد الواقعة سبعة أيام . ثم توجه إلى قدير وكان مقدمه عليه السلام إلى جبل قدير بيوم الاثنين لسبع خلون من شهر ذي الحجة[2] فتلقاه رئيس جبل قدير المدعو الملك ناصر بالبشر والفرح والسرور وأنزله على الرحب والسعة هو وأصحابه . وأمر عليه السلام ببناء المسجد فبنوه وببناء مساكن لأزواجه المباركات فبنيت . وبنى الأصحاب منازلهم وأقاموا فيها حامدين ذا الجلال ما أولاهم من النعم . هذا والمهدي عليه السلام في ذلك المقام يقول بلسان الشكر تالياً لقوله تعالى : « وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً »[3] .

قلت : وفي مقابلة ناصر له عليه السلام عند [٩٩] نزوله بقدير فأل حسن . وقد كان النبي ﷺ يعجبه الفأل الحسن . ولذلك لما وصل ﷺ المدينة المنورة بأنواره عليه الصلاة والسلام سمع منادياً ينادي بغلام له : يا نجيح ، فقال رسول الله ﷺ مخاطباً للصديق الأكبر رضي الله عنه : نجحت يا أبا بكر . وكذلك المهدي عليه السلام يعجبه الفأل الحسن . فنحن نتخلق بتلك الأخلاق الفاخرة لنحوز بذلك شرف الحياة وخير الآخرة .

---

(١) قلنا : يوافق ذلك ٢٤ أكتوبر سنة ١٨٨١ .

(٢) قلنا : في سنة ١٢٩٨ . وهذا التاريخ يوافق ١ نوفمبر سنة ١٨٨١ .

(٣) سورة الاسراء الآية ٨٠ .

واقعة راشد بك مدير فشودة [1] :

وكان في حديثها كما حدثني طائفة من أصحاب المهدي الثقات أنهم قالوا : لما بلغ راشداً مدير فشودة مقتل الترك بأبا جمع جيوشه واستنفر كافة من كان معه من أهالي تلك الجهات التابعة له وقصد المهدي عليه السلام بقدير مريداً لحربه عليه السلام لأن راشد المذكور كان من شجعان الترك وصناديدهم[2] . ولذلك حملته الجراءة وحب الرئاسة والطمع في الازدياد من الرتب الفانية الزائلة[3] أن لو ظفر بمقصوده في المهدي عليه السلام . والله مانع له من ذلك . حتى خرج لحرب المهدي عليه السلام [١٠٠] بدون إذن رئيس دولته ووليه الأكبر منه ، مع أنه لم يكن عندهم في القوانين التركية الحربية الخروج لمثـــل هذا الأمر إلا بإذن من الوالي الأكبر . ولكن سول له الشيطان ذلك حتى اورده حيـــاض المنية وحال بينه وبين كل أمنية . ولما وصل لجبل فنقر أمر أهل الجبل المذكور

---

(١) قلنا : كانت الجزيرة أبا مهد ثورة المهدي تابعة لمديرية فشودة وكان مديرها راشد أيمن . ويبدو أن ذلك خلق بعض الحساسية في نفس راشد . ولما جاءه خبر وجود المهدي بقدير استأذن رؤوفا في الهجوم عليه ولكن رؤوفا لم يسمح له . وقد قام بحملته هذه غير مأذون وربما غره علمه بأن الأنصار كانوا في ضيق وعسر لقلة المؤن . ولا يعرف عن تاريخ حياته إلا واقعته هذه مع المهدي – يكتب المؤلف « بك » بياء بعد الباء .

(٢) قلنا : في الأصل : وصناديهم .

(٣) قلنا : يفسر المهدي واتباعه مواقف أعدائهم وتحركاتهم على منحى دنيوي بغرض الحصول على المال أو المغانم أو الرتب أو المتع الدنيوية . انظر اتهام المهدي للعلماء وكذلك اتهام الخليفة لهم وانظر ما يذكره المهدي في ذلك في خطابه إلى الشلالي وغير ذلك من المواضع . أي أن موقفهم لا يقوم على مبدأ أو فضيلة . ومن الطرف الآخر جاء الاتهام لأنصار المهدي بأن هدفهم هو السلب والنهب والغنائم . فانظر كيف يجرد كل طرف الطرف المناوىء من المبدأ ويرميه بالاثرة الشخصية والمغنم النفسي .

بكتمان مسيره إلى المهدي عليه السلام وتوعدهم بأنه إذا أفلت منهم أحد وأخبر المهدي عليه السلام بمسير راشد اليه عليه السلام لئن عاد ليهلكنهم ، طمعاً من المذكور في مباغتة المهدي عليه السلام والهجوم عليه . ومـــا درى الخبيث أن الخبر يأتي المهدي عليه السلام من سيد الوجود بجميع ما يحصل .

أقول قد قدمنا[1] أن جميع الأخبار التي يخبر بها المهدي عليه السلام إنما تأتي اليه من سيد الوجود ﷺ أو ملك الإلهام . وكأني بغبي جاحد ومعاند عن طريق الرشاد حائد يرتاب فيما قلته فأقول ، وبالله التوفيق : أنه قـــد ورد في الحديث الصحيح أن المهدي عليه السلام يقفو أثر رسول الله ﷺ ولا يخطىء [١٠١] وأنه يحكم بما لو كان رسول الله ﷺ [حياً لفعله وأبدى][2] جميـــع الأمور التي يبديها المهدي عليه السلام للناس . فوجب إذاً أن جميع ما يقوله المهدي عليه السلام إنما يأتي اليه من رسول الله ﷺ لأن المهدي عليه السلام لا يحجب من رسول الله طرفة عين . وقد نقل عن بعض الأولياء الكاملين أنه قال لو حجب عني رسول الله ﷺ طرفة عين لأعددت نفسي من [عامة][3] المسلمين. فهذا كناية عن دوام المشاهدة للطلعة النبوية بدون أدنى حجاب . فـــإذا كان

---

(١) قلنا : انظر ذلك في الباب السادس في معرض كلامه عن مجيء أبي السعود الثاني لجزيرة أبا .

(٢) قلنا : ما بين الحاصرتين من عندنا عوضاً عما نعتقد أنه ساقط .

(٣) قلنا : اقترحنا هنا لفظ « عامة » حتى يستقيم المعنى ، أي كونه سقط من علياء الولاية الى مراتب العامة وصار بغير كرامة أو رتبة . ومن الممكن أن يقال « لما أعددت نفسي من المسلمين » على اعتبار أن الخطأ ليس سقطاً في الموضع الذي اقترحناه وانما في أداة النفي . غير أن الكلام بهذا الوجه يصير سقيماً ومبالغة لا معنى لها ، اذ أن المسلمين العاديين ما زالوا مسلمين بغير الولاية وبغير أن يروا الرسول .

هذا حال ولي من جملة الأولياء فما بالك بسيد الأولياء وتيجة[1] السادة الأصفياء عليه السلام دائم في مقام المشاهدة بحيث إنه لا يحجب عن رسول الله ﷺ أصلاً. فاعتبر ذلك واسلك من التسليم المسالك .

ولنرجع إلى ما نحن بصدده فنقول : ثم إن راشداً أرسل لجبلي كاز وجاز وهما جبلان بطريق المار إلى قدير رسولاً يقول لأهل الجبلين المذكورين : يقول لكم المدير راشد عليكم الأمان نحن ما أتينا اليكم إنما نحن قاصدون الدراويش . وتوعدهم كذلك بأنه اذا أفلت منهم أحد وأخبر المهدي عليه السلام [١٠٢] بسير راشد اليه لئن عاد ليهلكنهم .

فاتفق أن امرأة كنانية تدعى رابحة بنت علي ولد مرعي كانت هنــاك فسمعت بالخبر المذكور فقامت مسرعة حتى وصلت للمهدي عليــه السلام في الثلث الأخير من ليلة الخميس الخامس عشر من شهر المحرم افتتاح عــام تسعة وتسعين بعد المائتين والألف[2] وأخبرته بخبر راشد وبمسيره اليه عليه السلام . فقال بعض من كان هناك من أهل قدير للمهدي عليه السلام يا سيدي إن هذه المرأة كاذبة ومعلومة بالكذب عندنا . فتبسم المهدي عليه السلام وقال لهم إن هذه المرأة صادقة بما أخبرت به . وهم يقولون له إن هــذه المرأة كاذبة وهو عليه السلام يبتسم ويقول لهم إنها صادقة . ثم قال عليه السلام أتانا الخبر في هذه الليلة أن الترك يأتون الينا إمـــا بيوم الجمعة أو بيوم السبت ونقتلهم ونحن منتصرون عليهم .

قلت : وفي مجيء رابحة بنت علي بن مرعي للمهدي عليه السلام فأل حسن يدل على الرعاية والحفظ من الله تعالى للمهدي عليه السلام . وقـــد حقق الله

---

(١) قلنا : انظر نفس اللفظ أعلاه (ص ٨٩) .

(٢) قلنا : يوافق ذلك ٢٨ ديسمبر سنة ١٨٨١ .

للمهدي عليه السلام جميع ذلك . فما أكرمه من فأل حسن ادخره الله تعالى لمهديه صاحب الوجه الحسن ! والله يختص برحمته [١٠٣] من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

ثم إن المهدي عليه السلام أرسل علياً ولد عويضة الكناني وعلياً ولد محمد الدغيمي وعبدالله الرزيقي يلتمسون الخبر ويتحققون أمر راشد . فركبوا خيولهم وتوجهوا يوم الخميس المذكور . ولما أبطأوا على المهدي عليه السلام أردفهم بشخص يدعى الضاوي وأمره أن يلتمس الخبر ويتحقق الامر ويأتي إليه [١] . فأخذ سلاحه وتوجه وذلك بليلة الجمعة السادس عشر [٢] من شهر المحرم المذكور . فلما كان ببعض الطريق سمع حركة في ناحية الطريق فإذا هم الرسل الثلاثة نزلوا في ناحية من الطريق ، ولم يخبرهم بخبره ، بل أخفى نفسه عنهم ، وجد السير إلى أن وصل لمحل راشد ، وتلطف حتى دخل في جيشه وعلم حقيقتهم ورجع . فبينما هو في الطريق عائد إلى المهدي عليه السلام إذ صادف رجلين وذلك قبل طلوع الفجر ، فإذا هما طليعة الترك كانا أرسلا حتى وصلا لقدير محل إقامة المهدي عليه السلام . ولما تحقق عنده أنهما طليعة للترك ، ولعله رأى عليهما علامة الترك من ملابس وغيرها دلته على ذلك ، وبيده بندقة فرمى أحدهما بها فألقاه على الارض قتيلاً ، وفر الثاني هارباً . ثم أخذ بندقة القتيل [١٠٤] وسلبه وألقى القتيل على الطريق معترضاً لينظره الترك عند مرورهم عليه ليكون ذلك أنكى في العدو وأشد إغاظة لهم . فلله دره من

---

(١) قلنا : لا يذكر نعوم شقير أمر الطلائع . وذكر كتاب جهاد في سبيل الله (ص ٢٣) أن المهدي أرسل علي ود عويضة وأحمد ناكاوه والضاوي معاً . وكان أمر الطلائع من المسائل التي تطارح فيها المهدي والشلالي (انظر منشورات المهدية ص ٣١٢) . والضاوي اسمه الكامل ابراهيم الضاوي . وقد خرج طليعة أيضاً ليكتشف جيش الشلالي ونجا من القبض والقتل .

(٢) قلنا : أي في ٢٩ ديسمبر ١٨٨١ .

طليعة قوم ! وحضر وأحضر معه البندقة والسلب المذكورات قبل صلاة الصبح ووضعهما أمام المهدي عليه السلام ، وأخبره بمجيء الترك وقربهم وأنه قتل شخصاً من طلائعهم وها هي بندقته وسلبه هذا .

وأما الاشخاص الثلاثة الذين كانوا أرسلوا يلتمسون الخبر فإنهم بعد وقوفهم على حقيقة جيش راشد ما زالوا سائرين حولهم إلى أن وصلوا معهم لقرب الحلة، يعني محل إقامة المهدي عليه السلام . فعند ذلك تركوهم بالقرب جداً وأتوا وأخبروا المهدي عليه السلام بخبرهم، وذلك بعد صلاة الصبح قبيل طلوع الشمس.

ثم إن المهدي عليه السلام أمر الاصحاب بالخروج من الحلة والاستعداد للحرب فخرجوا مسامتين للحلة من جهة الشرق وعدلوا الصفوف . وأمر عليه السلام بترتيب الجيش ، وأن تكون قبيلة دغيم مما يلي الجهة الصعيدية ، وأن يكون الشهيد [1] محمد أخو الامام المهدي عليه السلام ومن كان معه بلصق قبيلة دغيم مما يلي الجهة الشمالية ، وأن تكون قبيلة كنانة ومن معهم بلصق الشهيد محمد ومن معه بحيث يكونون [١٠٥] مما يلي الجهة الشمالية ، فيكون محمد الشهيد ومن معه في القلب ، أعني قلب الجيش . ثم بعد ترتيب الجيش وتسوية الصفوف حرض المهدي عليه السلام أصحابه ورغبهم فيما أعده الله للمجاهدين . فعند ذلك قويت العزائم وتحدرت العبرات بالدموع السواجم واستبشر الابطال وفرحت بلقاء ذي الجلال ، وإلى دار السلام تشوقوا ونودوا في سرائرهم : « رجال صدقوا » [2].

---

(١) قلنا : هو محمد عبد الله شقيق المهدي الاكبر . وكان صاحب الراية البيضاء ، راية المهدي . وفي رأينا أنه كان الرجل الثاني في أوائل المهدية . استشهد في واقعة الجمعة بالابيض في ٨ سبتمبر سنة ١٨٨٢ ومن ثم يلقبه المؤلف بالشهيد .

(٢) قلنا : يقصد الآية : من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى=

وعند طلوع الشمس طلع جيش العدو يقدمهم راشد ، وليس في فعله براشد! فصبر أصحاب المهدي عليه السلام إلى أن صار العدو أقرب إليهم من مرمى الرصاص . ثم إن راشد أمر جيشه باطلاق البنادق على المهدي عليـــه السلام وأصحابه فأطلقوا عليهم البنادق وانصب الرصاص عليهم كالوابل . فعند ذلك حمل أصحاب المهدي عليه السلام حملة رجل واحد وتواثبوا عليهم بجزم وثبات وقوة عزم وصدق نية ودخلوهم وخالطوهم وقتلوهم شر قتلة ، ولم ينج منهم إلا الهارب ، وقليل ما هم . وقتل راشد وأسر منهم مائة وأحد عشر رجلاً.

واستشهد في هذه الواقعة من الاصحاب نحو الثلاثين منهم : محمد ولد الحاج شرفي ومحمد البكيل .

وقد أخبرني من شهد هذه الواقعة من الثقات أنه رأى المهدي عليه السلام وسيفه ملطخ بالدم وعلى ثيابه الدم وقال لي [١٠٦] لكنني ما رأيته قاتل ، وخليفته الاكبر رضي الله عنه معه في تلك الواقعة بلصقه يقيه بنفسه من وقـع الرصاص كما في واقعة أبا رضي الله عنه وعنا به [١].

وأمر المهدي عليه السلام بدفن الشهداء فدفنوا بما عليهم من الثياب والهيئة ما عدا السلاح . وأما الاسرى فمنهم من ارتد راجعاً إلى الترك ومنهم من ثبت على إيمانه وتصديقه بالمهدي عليه السلام .

= نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا (سورة الاحزاب الآية ٢٣) والمعنى أن سرائرهم تلقت نداءاً لهم بهذا المعنى أي الصادقين على ما عاهدوا . وهذه الآية مما يستشهد به المهدي وأنصاره كثيراً دليلا على حسن بلائهم من أجل الدعوة .

(١) قلنا : عاد هنا الى الكلام حول اشتراك المهدي في الوقائع . انظر أعلاه عند الكلام عن واقعة أبا .

أسأل الله رب العرش العظيم أن يجعلنا من خواص أهل التصديق لجناب مهديه الكريم إنه ولي التوفيق والهادي لأقوم طريق .

غزوته عليه السلام لجبل فنقر :

وهو على يومين من قدير كانوا قد أعانوا راشداً الهالك على حرب المهدي عليه السلام بالرواحل والازواد وبعض من الرجال المقاتلة .

خرج عليه السلام غازياً لهم بنفسه الكريمة ومعه أصحابه رضي الله عنهم . لم يتخلف عنه منهم أحد . وبعد وصوله لجبل فنقر أراد أهل الجبل محاربته عليه السلام ، فألقى الله في قلوبهم الرعب ، فطلبوا الأمان منه عليه السلام ، فأمنهم وعفا عنهم كما هي شيمته الكريمة . ودخلوا تحت الطاعة فرجع عنهم ولم يلق حرباً والله أعلم [1] [١٠٧] .

ذكر واقعة يوسف بن حسن الشلالي [2] :

حدثني بواقعة يوسف بن حسن الشلالي جماعة من أصحاب المهدي عليه السلام وكل منهم حدثني بعض الحديث ، فاجتمع حديثهم في سياق ما أذكره .

---

(١) قلنا : كان مكهم يدعى تيفرا . والظاهر أن مكوك الجبال وأهل الشأن بها كانوا ضد وجود قوة كبيرة تؤثر في ميزان القوى بالجبال أو تؤدي الى إضعافهم وخلق قوة تعلوهم . ولما جاء راشد انتهز بعضهم الفرصة للقضاء على هذا الجسم الوافد الجديد والخلاص من ضغطه العقائدي والمادي . وبفشل حملة راشد فقدوا الامل وأضحى السبيل الوحيد التسليم للمهدي . ولذلك استسلم الملك تيفرا ملك فنقر وسلم سلاحه وأعلن اتباعه – أي أن فشل حملة راشد قد عزز بقاء المهدي في الجبال ووطد مركزه . وقد عادت نفس البلبلة عندما جاءت حملة الشلالي .

(٢) قلنا : يوسف حسن الشلالي : أصله كنزي وكان مولده بالخرطوم . برز في حروب=

قالوا لما بلغ عبد الروف [1] باشا حكمدار السودان بمدينة الخرطوم مقتل راشد ، أنهى مقتله لعزيز الدولة المصرية ، فورد عليه أمره بتجريد العسكر الذين بالسودان وبعثهم لحرب المهدي عليه السلام .

قلت : لعل المانع لعزيز الدولة المصرية من إرسال جيش مصري إذ ذاك كما أخبرني بعض الثقات عدم تمكنه من ذاك بما دهاه من قيام أحمد باشا عرابي عليه وخروجه عن طاعته وشروعه في محاربته بما اجتمع عنده من الجيوش المصريين وأهل قرى الارياف ، وذلك بعد أخذه فتاوى بعض علماء مصر بمقاتلة ومحاربة واليها إذ ذاك ووجوب الخروج عليه ومحاربته . ولكن لم يتم لأحمد عرابي المذكور ما قصده وذلك لاتحاد والي مصر المذكور مع الانكليز ، واستمالة قلوب الجيش المصري عن متابعة عرابي ببذل الرشا من والي مصر والانكليز لهم حتى ردهم إلى طاعته وآل الامر إلى خذلان عرابي والقبض عليه وإيداعه السجن ثم نفيه من بلاد الاسلام وسجنه ببلاد الكفر [١٠٨] وتفريق جموعه وتشريدهم في البلاد [2].

والعجب من علماء مصر المذكورين حيث أفتوا أحمد عرابي بقتال والي

= سليمان الزبير ورقي إلى رتبه اللواء في ١٨٧٩ . قاد الحملة الثانية على المهدي على رأس جيش كبير ولكنه خسر المعركة وقتل في الواقعة نفسها في ٢٩ مايو ١٨٨٢ .

(١) قلنا : صواب الاسم محمد رؤوف . وقد سبقت ترجمته .

(٢) قلنا : لا يبدي المؤلف تعاطفاً كثيراً نحو عرابي باشا على الرغم مما يشاع عن رغبة المهدي في افتدائه بغردون . وموقف المؤلف هنا شبيه بموقف المهدية نحوه عموماً . فهم يقدرون موقفه من الخديو وحكمه ومن الانجليز ويقدرون جهاده ومدركون أن حركته قد عطلت على الخديو توفير الجهد لضرب حركة المهدية . ولكنهم لا يتفقون مع عرابي في مرامي حركتهم ويأخذون عليها على أنها حركة من أجل الدنيا - انظر كتاب تاريخ الخرطوم في معرض الكلام عن أحمد العوام وانظر خطاب الخليفة عبد الله إلى الملكة فكتوريا .

مصر ووجوب محاربته وأنكروا قيام المهدي عليه السلام وحربه للترك وهم شاهدون على ذلك بمقتضى فتاواهم التي استمسك بها أحمد عرابي حتى قاتل والي مصر وحاربه [١]. ففتاواهم المذكورة شاهدة للمهدي عليه السلام على حد قول الشاعر :

ومليحة شهدت لها ضراتها والفضل ما شهدت به الاعداء

وإن كان المهدي عليه السلام لا يحتاج في تصديقه إلى شهادة مع قوله عليه السلام أن سيد الوجود صلى الله عليه وسلم أخبره بأن الترك كفار لا يطهرهم إلا السيف . ففتواهم المذكورة حجة عليهم في إنكارهم لقتال المهدي عليه السلام للترك ، لأنه على مقتضى تلك الفتاوى الصادرة منهم يجب قتالهم على الكافة من أهل الاسلام ، فضلاً عن المهدي عليه السلام الذي جاء بتطهير الارض منهم وممن كان على سيرهم وإزاحة ملكهم ، كما أخبره سيد الوجود ﷺ بذلك . فمن هنا يتضح ، للعاقل اللبيب والفطن الاريب ، صحة ما قاله بعض السلف من أن المهدي عليه السلام يعاديه مقلدة العلماء الموجودون في زمنه عليه السلام ، ولكنهم يدخلون تحت طاعته خوفاً من [١٠٩] سطوته ورغبة

(١) يتعرض المؤلف هنا إلى مسألة الخروج على السلطة الإسلامية القائمة لأن العلماء الذين عارضوا المهدي كانوا يقولون بتكفير من يخرج عن طاعة خليفة المسلمين وبالتالي أنكروا عليه خروجه على الخديو الذي يمثل خليفة المسلمين ومحاربته له . والمؤلف هنا يرد بأن علماء مصر أجازوا على عرابي محاربة الخديو بينما هم ينكرونها على المهدي . وكان المهدي واتباعه على خلاف كبير مع من سموهم مقلدة العلماء ، لأنهم لم يسلموا بأمره أولاً ولأنهم عدوهم من أسباب ما حاق بالمسلمين من تأخر لتواطئهم مع الحكام وقعودهم عن مواجهة الفساد والانحراف . وقد عالج المؤلف هنا طرفاً من هذه القضية . انظر رسالة المهدي إلى علماء مصر (المرشد إلى وثائق المهدي رقم ٧٩٥) .

فيما لديه من المال ، فانه هو والسيف أخوان . فلا ينازعه أحد إلا خذل، نسأل الله السلامة والتوفيق لسلوك سبيل الصدق والتصديق والاستقامة .

ولنرجع إلى ما نحن بصدده فنقول : فجرد حكمدار السودان المذكور جيشاً كثيفاً وجند الجنود [1] وأمدهم بالذخائر والآلات النارية والمهمات الحربية . وقائد الجيش المذكور يوسف باشا حسن الشلالي . وأرسل حكمدار السودان المذكور إلى محمد سعيد الذي كان مدير كردفان بأن يوجه من عنده جيشاً عظيماً لينضم إلى يوسف الشلالي مدداً له لمحاربة المهدي عليه السلام . فبعث بجيش عظيم تحت قيادة محمود أفندي عبد العزيز من شجعان الترك ورؤسائهم ومعه في ذلك الجيش من أهل القوة والشجاعة والاقدام مثل خليفة ولد تيمه وسلطان كنجارة بكردفان وسعد حمزة سلطان مسبعات بكردفان وعبد الله محمد دفع الله وعبد الهادي صبر من أعيان أهل كردفان الموظفين في دولة الترك ومن رؤساء القبائل وغيرهم ما لا يحصى .

وتكامل الجيش المذكور أجمع بمديرية فشودة ، وقيل بمحل يدعى الجبلين قريب من تلك الجهة . والجميع تحت رئاسة يوسف حسن الشلالي ، وهو من أعيان الدولة التركية ورؤسائهم بالأقطار السودانية . وهو جيش جرار، [١١٠] كثير العدد ، قوي المدد ، شديد البأس ، عظيم المراس ، وفيه من الآلات الحربية والاستعدادات العسكرية والأموال والذخائر وأنواع الازواد والملبوسات والحبوب وغير ذلك ما يكل عنه الوصف ويقف دون غايته الطرف . وهم لاعتمادهم على هذه القوة ، التي هي بالنظر لمن نظر الله إليه بعين العناية كلا شيء، متيقنون بالظفر وحصول النصر وغاب عنهم قول الله تعالى : « كم من فئة قليلة

---

(١) قلنا ذكر نعوم شقير أن تعداد هذا الجيش قد بلغ ١٣ بلوكا من العساكر النظامية و ١٥٠٠ رجل من الباشبوزق والخطرية (ص ٦٥٨ / ٦٦٠) .

غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين [١] ، وقوله تعالى : « وما النصر إلا من عند الله [٢] » وقوله جل من قائل : « إن تنصروا الله ينصركم [٣] ».
وقد ختم الله على قلوبهم فلم يتنبهوا لقوله تعالى : « ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الارض يرثها عبادي الصالحون [٤] ».

هذا وقـــد كان المهدي عليه السلام قال أتانا الخبر من سيد الوجود ﷺ بأن الترك يأتون إلينا في قوة شديدة وأنهم مقتولون . وقال : قال لي سيد الوجود ﷺ أخبر أصحابك أن يستعدوا ويقووا عزمهم .

ولما تحقق مجيىء الترك بفشودة قاصدين المهدي عليه السلام أرسل عليـــه السلام بعضاً من أصحابه طلائع يلتمسون الخبر ويقفون على حقيقة الجيش فأتوا إليه بحقيقتهم ثم[١١١] أرسل من الأصحاب طليعة أيضاً وبعد وصولهم لجبل فنقر تصادف هنالك مقابلتهم لجيش الترك فأخذوا منهم أربعة وهم : إدريس ولد بله من أهل الاقدام والشجاعة وعبد الله الزيقي والهلالي المسلمي والرابع لم نقف على اسمه فقتلوهم ، وسلم الباقون وعادوا وأخبروا المهدي بذلك [٥] . ولم

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٤٩ .

(٢) سورة آل عمران الآية ١٢٦ وسورة الانفال الآية ١٠ .

(٣) سورة محمد الآية ٧ .

(٤) سورة الأنبياء الآية ١٠٥ .

(٥) قلنا : ذكر كتاب جهاد في سبيل الله وهو أكثر مصدر ساق خبر الطلائع أن الملك آدم أم دبالو كان يرفع إليه أخبار جيش الشلالي وأن المهدي عين من قبله عثمان ولد زلفة ومحمد حاج شرفي وأحمد ولد تاكلوه والفكي علي وأرسلهم للاقامة مع الملك آدم ويوافوه بالأخبار . فكان هو طليعة . ولما بلغ الشلالي فشودة عين طليعة لتكون مع الملك تيفرا مك جبل فنقر ، وكانت مكونة من : ادريس محمد عم عبد الرحمن صغير واللحوي وآخر من الرزيقات يدعى الدرد مولى نقراوي والضاوي وأحمد الطليمة . وانظر منشورات المهدية ص ٣١٢ .

تزل طلائع المهدي عليه السلام تأتي إليهم وتتلطف حتى تدخل في جيشهم وتقف على خبرهم ، وربما قتلو بعضاً من الجيش ممن يكون باطراف الجيش وأخذوا بعضاً من دوابهم ويعودون ، وهكذا إلى أن وصل جيش الترك بمحل يدعى شق الحجر بينه وبين قدير ستة ساعات فلكية تقريباً . فاقاموا هناك ثمانية عشر يوماً للاستراحة والاستعداد والتاهب للحرب .

وقد كان الترك بعد وصولهم لجبل فنقر خاطبوا المهدي عليه السلام . ثم إن المهدي عليه السلام رد عليهم بكتاب من عنده ، ولفظ الكتاب كما نقله بعض الثقات من خطه عليه السلام [١] :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم [٢]

---

(١) قلنا : بدأ المهدي الكتابة فأرسل خطاباً للشلالي ثم رد عليه الشلالي بخطاب . وقد ضاع نص خطاب الشلالي ولا نعرف عنه الا ما جاء في رد المهدي عليه . أما خطاب المهدي فقد ضاع خبره ومحتواه . ولولا أن المهدي أشار إليه بقول : « وقوفكم على مكاتبتنا » في صدر رسالته الثانية إلى الشلالي لما عرف له وجود . ثم جاءت رسالة المهدي الثانية للشلالي والتي ينقل المؤلف نصهـــا عن مصادرها ، انظر المرشد الى وثائق المهدي رقم ٢٩ . وانظر كتاب منشورات المهدية ص ٣١٠ وما يلي . وقد نقل الكاتب النص الذي يرويه من نص غير الإنذارات اذ أنه يثبت في صدر الرسالة الديباجة التقليدية التي لا ترد في الانذارات . ومن المرجح أنه نقل عن نسخة خطية . ويؤيد هذا قوله « كما نقله بعض الثقات من خطه عليه السلام » .

(٢) قلنا : هذه الديباجة زائدة هنا وهي ديباجة المهدي التقليدية . وقد أقحمها الناقلون لتكون بداية الرسالة على نسق ما هو معهود في توثيق المهدي . والصواب أن للرسالة ديباجة خاصه تتسق مع روح الانذار والتوعد بالقهر والسحق . وهذه من الحالات القليلة التي عدل فيها المهدي عن ديباجته التقليدية .

الحمد لله المنتقم القهار والصلاة [١١٢] على سيدنا محمد وآله الاخيار .

من الفقير المعتصم بمولاه محمــــد المهدي بن السيد عبد الله إلى يوسف حسن الشلالي ومن معه من الجموع .

أما بعد ، فانه قد وصل جوابكم إلينا وما ذكرتم فيه من وقوفكم على مكاتبتنا وإنكاركم صار معلوماً لدينا . وكنا قصدنا أن نضرب عن إفادتكم صفحاً وأن نطوي دون إجابتكم كشحاً لوقوفكم على الانذار ومجاهرتكم بالانكار ، ولكن أردنا أن نبين لكم غلطكم فيما ذكرتموه في جميع المواضع ونوضح لكم خطأكم فيما ادعيتموه بالبراهين السواطع .

فنقول : أما قولكم إنا قتلنا العسكر غدراً في الوقعتين [١] قبل أن يحاربونا فهذا كذب صريح لأنهم في الوقعتين ابتدأونا [٢] بالمحاربة والضرب بالسلاح حتى حاربناهم وقتلناهم .

وقولكم إن الحكومة أرسلتهم ليقفوا على ما عندنا من الأدلة باطــل أيضاً ضرورة لأن [٣] الحكومة لو أرادت المراجعة والاطلاع على ما عندنا من البراهين لأرسلت الصلحاء والعلماء أهل [٤] المذاكرة والدراية بهذا الشأن ولم ترسل العساكر الاغبياء وتعطيهم الأسلحة.

---

(١) قلنا : يكتب المؤلف اللفظ بزيادة ألف : الواقعتين ، والنص في أوثـــق المصادر بحذفه . والمقصود بالوقعتين : واقعة أبا وواقعة راشد بقدير .

(٢) قلنا : في بعض المصادر : ابتدرونا .

(٣) قلنا : في المخطوط : أن ، والصواب ما ذكرنا .

(٤) قلنا : هكذا الصواب . وفي المخطوط : وأهل .

وقولكم [١١٣] إنا قتلنـــا جملة من المسلمين المتوطنين بهذا المكان ظلماً وعدواناً باطل ، لانا ما قتلنا إلا أهل الجرادة [١] بعد أن كذبونا وحاربونا . [وقد] أخبرنا[٢] النبي ﷺ وأخبر جميع أهل الكشف بأن من شك في مهديتنا وأنكر فهو كافر [و] دمه هدر وماله غنيمة ، فحاربناهم لأجل ذلك وقتلناهم. وبعد ذلك لما انقاد باقيهم لحكمنا رجعنا لهم جميع أمتعتهم التي بأيدي أصحابنا رفقاً بهم ، مع أنهم حلال لنا .

وقولكم إن الذين قتلناهم من العسكر مسلمون ومتبعون ما جاء به الرسول[٣] ﷺ ونسأل عن دمائهم بين يدي الله تعالى باطل ، لأن القطب الدرديري قد قد نص في باب المحاربة على أن أمراء مصر وجميع عساكرهم وأتباعهم محاربون لأخذ أموال المسلمين [منهم] كرهاً فيجوز قتلهم كما قال تعالى : « إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فساداً أن يقتلوا»[٤] الخ الآية . على أن النبي ﷺ أمرنا صريحاً بقتال الترك وأخبرنا بأنهم كفار لمخالفتهم لأمر الرسول لاتباعنا [٥] وارادتهم لاطفاء نور الله تعالى الذي أراد به إظهار عدله . فكيف نسأل عنهم بعد هذا ! وأيضاً قد شاهد جمع من الاخوان التهاب النار [١١٤] في أعضاء العساكر المقتولين جهاراً ، تعجيلاً لعقوبتهم وإظهاراً لحقيقتهم .

---

(١) قلنا : تقدم الكلام في هذه السيرة عن حركة المختار بجبل الجرادة ومقتله .

(٢) قلنا : في المخطوط : أخبر ، أي بسقط « وقد » و « نا ».

(٣) قلنا : في المخطوط : رسول الله . والصواب ما أثبتنا .

(٤) سورة المائدة الآية ٣٣ .

(٥) قلنا : أي انهم كفار لعدم اتباع المهدي لما في ذلك من المخالفة لأمر الرسول . وهو بخلاف تكفيرهم للتشريع الوضعي والفساد مما يذكر في بعض المواضع .

وقولكم إنكم ضبطتم أربعة أنفار الطليعـــة [١] وآذيتموهم فاعلموا أنه قد أوذي[٢] قبلهم أصحاب الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام[٣] بالسجن والضرب والقتل وجميـع أنواع الأذى ، كبلال وحبيب وأمثالهم ، فليس لهم إلا الثواب ولا بد أن يجازيكم الله على ما صنعتم بهم .

وقولكم إن الطليعة تنافي المهدية لأن المهدي [٤] ضرورة يعلم الغيب جهل منكم بسيرة الرسول ، فإن النبي ﷺ كان يرسل الطلائع كحذيفة اليماني والزبير ابن العوام وغيرهم ، ولم يناف ذلك رسالته ، فكيف ينافي مهديتنا ، وقـد قال الله لنبيه : « قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني ملك إن أتبـع إلا ما يوحى إلي »[٥] وقوله تعالى : « إنما الغيب لله[٦] » هو يعلمه لا غيره إلا أن يريد الله اطلاعه في بعض الاحيان لحكمة يعلمها هو .

وقولكم ما اتبعنا إلا البقارة الجهلا [٧] المجوس فاعلموا : أن أتباع الرسل قبلنا وأتباع نبينا محمد ﷺ الضعفا والجهلا والمجوس [٨] الذين كانوا يعبدون

---

(١) قلنا : انظر أعلاه ما ذكرنا عن الطلائع .

(٢) قلنا : يضيف المخطوط في هذا الموضع لفظ : من .

(٣) قلنا : في المخطوط : رسول الله صلى الله عليه وسلم . والصواب ما أثبتناه .

(٤) قلنا : في المخطوط : المهدية .

(٥) سورة الانعام الآية ٥٠ .

(٦) سورة يونس الآية ٢٠ .

(٧) قلنا : قبل والجهلا بزيادة الواو . وقد أضافت مصادر قوله « والاعراب » بعد الجهلا . انظر ما يلي . ويسقط لفظ المجوس أحياناً . وهو لا يعني الجماعة الدينية المعروفة بهذا الاسم وإنما يقصد به من لا دين لهم أو من لا يعتد بإسلامهم .

(٨) قلنا : ذكر المخطوط « والاعراب » هنا . الصواب : والمجوس كما روينا .

الحجر والشجر . وأما الملوك [1] [١١٥] والاغنيـــاء وأهل القوة والترف فلم يتبعوهم إلا بعد أن يخربوا ديارهم ويقتلوا أشرافهم ويملكوهم بالقهر . قال تعالى حاكيـــاً عن قوم نوح : « وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادىء الرأي »[2] وقال تعالى : « وما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا بما أرسلتم به كافرون وقالوا نحن أكثر أموالاً وأولاداً وما نحن بمعذبين »[3]. ولما بعث نبينا محمد ﷺ كانت مدائن اليهود والنصارى مشحونة بالاحبـــار والرهبان والاغنياء والملوك أهل الطغيان وكانوا يتمنون إدراك زمنه ويستعزون به فلما ظهر أنكروا وجحدوا نبوته وقالوا : ما اتبعه إلا أجلاف الاعراب عراة الاجساد جياع الاكباد ، واستكبروا عن اتباعه وكفروا به مـــع أنهم يعرفونه [4] كما يعرفون أبناءهم ويعلمون أنه الحق من ربهم ولم ينفعهم علمهم ولا غناهم بل ضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ولم يبق لهم ملكهم[5] الذي منعهم عن اتباع الحق إلا أياماً قليلة حتى فرقه الله وشتت شملهم وجعلهم غنيمة لضعفاء الاعراب الذين كانوا يستهزئون [١١٦] بهم وكذلك نرجو الله أن تكونوا أنتم ومن وراءكم غنيمة للبقارة الجهلا [6] الذين تستهزئون بهم . قال تعالى موبخاً على أهل الكتاب : « وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا

---

(١) قلنا : في المخطوط والانذارات والمآل : العلماء . وهذا اقحام والصواب : الملوك . لأن المقصود هو ذوو النفوذ .

(٢) سورة هود الآية ٢٧ .

(٣) سورة سبأ الآية ٣٤ / ٣٥ .

(٤) قلنا : هذا نص معدل وهو ما عليه نص الانذارات وبعض المصادر . وكان النص قبل التعديل : جياع الأكباد وكانوا يعرفونه .

(٥) قلنا : هذا نص معدل . وكان قبل التعديل : ولم ينفعهم ملكهم .

(٦) قلنا : وفي النص القديم : والجهلا والاعراب والمجوس .

من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم [1] وقال تعالى : « وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة [2] ». قال تعالى : « أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم [3] » فمثال العلماء والصلحاء الذين أنكروا مهديتنا وخالفونا كأمثال أحبار بني إسرائيل ورهبانهم الذين أضلهم الله على علم .

وقولكم : قم واحضر عندنا لتتوجه بنا [4] إلى محل الهدى : مكة المشرفة فاعلموا أن توجهنا إنما يكون بأمر [5] رسول الله ﷺ في الوقت الذي يريده الله، ولسنا تحت أمركم ، بل أنتم ومن فوقكم تحت أمرنا ، وأنا ولي الأمر في هذا الآن على سائر الانس والجان . وإن خالفتم أمرنا في هذه الايام فلا بد أن تقعوا في قبضتنا وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون .

[١١٧] وقولكم : أرسل لنا ملكاً من الملائكة جهل منكم كما قال تعالى موبخاً على كفار قريش : « وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكاً لقضي الأمر ثم لا ينظرون [6] ». وقد أخبر تعالى بأنهم لا تنفعهم الآيات ، ولا يدلهم على الايمان ظهور المعجزات ، قال جل وعلا : « ولو نزلنا عليك كتاباً في

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٩ .

(٢) سورة البينة الآية ٤ .

(٣) سورة الجاثية الآية ٢٣ .

(٤) قلنا : وتوجه بنا : نص قديم . لتتوجه : نص الانذارات . لتتوجه بنا : المخطوط .

(٥) قلنا : هنا اختلاف طفيف في القراءة : انظر منشورات المهدية ص ٣١٤ .

(٦) سورة الانعام الآية ٨ .

قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين[1] » وقال تعالى : « ولو فتحنا عليهم باباً من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون[2] ». فالآيات لا تنفع المنكر الجاحد وإظهارها إنما يكون بإرادته تعالى لا بتمني العباد ، وليس علينا إلّا البلاغ والإنذار كما قال تعالى : « وقالوا لولا أنزل عليه آية من ربه إنما أنت منذر [3] » وقال تعالى : « قل إنما الآيات عند الله وما على الرسول إلا البلاغ المبين [4] ». فكذلك نحن ليس علينا إلا التبليغ ولا نطلب من الله إظهار آية على مهديتنا بل نقف معه على حد أدبنا وعبوديتنا فإن شاء أظهر آية كما ظهر لكثير من المحبين نقش اسمنا على بيض الدجاج وورق الأشجار حتى صار لهم ذلك سبباً في اليقين ، مع أنا لا نطلب من الله ذلك ولم نتشوف إلى ما هنالك والى الآن [نكون] إن شاء [118] الله كذلك[5] .

وقولكم لا تغتروا بنواي ولا اسماعيل الأمين [6] جهل منكم بأمرنا لأنا لا

---

(1) سورة الانعام الآية ٧ .

(2) سورة الحجر الآية ١٤ / ١٥ .

(3) قلنا : وقع خلط هنا . وهذا الخلط من الأصل . وليست هناك آية بهذا النص . وأقرب الآيات لما يقصده المهدي : (ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه إنما أنت منذر ولكل قوم هاد) سورة الرعد الآية ٧ . ثم هناك (وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه قل إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين » . سورة العنكبوت الآية ٥٠ .

(4) قلنا : هاتان الآيتان منفصلتان . الاولى أول آية : سورة الانعام الآية ١٠٩ وسورة العنكبوت الآية ٥٠ ، والثانية : سورة النور الآية ٥٤ وسورة العنكبوت الآية ١٨ .

(5) قلت : يتعرض المهدي هنا إلى علامات المهدية ، ويذكر أنه لا يتمسك بها لأن الله يفعل ما يريد ، فلو شاء الله أظهر آية . أما هو فلا يطلب ذلك من الله تأدباً .

(6) قلنا : إسماعيل الأمين هو شيخ الغديات وقد ترجم له هل في موسوعته. ونواي هو نواي ضيف الله شيخ الحوازمة. ولم يترجم له هل . وكانا قد لعبا دوراً مشهوداً في حروبات كردفان .

نعتمد إلا على الله ولا ننتصر بغير الله ، وقد صرح لنا النبي ﷺ في حضرات كثيرة بأن الله ناظرنا وناصرنا وأقسم على ذلك ثلاثاً . واذا كانت نصرتنا بالله فلا نبالي بمدافعكم وصواريخكم وكثرة جيوشكم ولو بلغتم عدد الرمل لأنه لن يغلب الله شيء ، وهو غالب على كل شيء . قال تعالى : « إن ينصركم الله فلا غالب لكم [1] » وقال تعالى : « لن يضروكم إلا أذى وإن يقاتلوكم يولوكم الادبار ثم لا ينصرون [2] ». وقال تعالى : « كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين [3] ». وقال موبخاً على أمثالكم السابقين : « ولن تغني عنكم فئتكم شيئاً ولو كثرت وإن الله مع المؤمنين [4] »

وقد ذكرتم أنكم كاتبتمونا لأن الخديو الاعظم قال لكم : لا تحاربوه حتى يتعدى الحدود . فاعلموا أنه ما أخركم عنا إلا الخوف الشديد والجزع الذي ليس عليه من مزيد ، لأننا من حين كنا بجزيرة أبا تعدينا حدودكم وخالفنا مقصودكم فكيف تخاطبونا الآن بمثل هذا القول الذي لا ينشأ إلا من ضعفاء العقول ! فسارعوا الى محاربتنا لتأخذوا مناصبكم التي [5] غركم بها الشيطان ولا تجبنوا وتجرصوا وتتحيلوا [١١٩] إن كنتم كما زعمتم رجالاً أبطالاً أهل دراية بالحرب ، فانه ليس بيننا وبينكم إلا السيف . ولسنا محتاجين إلى مراجعتكم حتى نرسل لكم العلماء ليذاكروكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر . والحذر ، الحذر ، من المجاوبة ثاني مرة ، فانا لا نرد لكم جواباً

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٦٠ .

(٢) سورة آل عمران الآية ١١١ .

(٣) سورة البقرة الآية ٢٤٩ .

(٤) سورة الأنفال الآية ١٩ .

(٥) قلنا : في المخطوط : الذي .

ولو جاوبتمونا طول السنين . وما دمتم منكرين فليس [لكم] عندنا إلا الرمح الطعان والسيوف السنان .

وليكن معلوماً عندكم [١] أني من نسل رسول الله ﷺ فأبي حسني من جهة أبيه وأمه ، وأمي كذلك من جهة أمها ، وأبوها عباسي ، والعلم لله أن لي نسبة الى الحسين رضي الله عنه . وفيما ذكر [٢] كفاية لأهل العناية والسلام على من اتبع الهدى — انتهى .

٤ رجب سنة ١٢٩٩ [٣]

ولما تحقق للمهدي عليه السلام وصولهم بشق الحجر المذكور أمر المهدي عليه السلام أصحابه بالخروج عن الحلة والاقامة خارجها من جهة الامام لكي يستعدوا للحرب ، وأمرهم بالعرض كما كان أصحاب النبي ﷺ يعرضون عند إرادة الحرب . فالعرض الحاصل في المهدية الآن من السنن المأثورة . وهكذا يفعلون ثم يعودون لمنازلهم .

فبينما هم على ذلك اذ أرسل المهدي عليه السلام بعضاً من الأصحاب ليقفوا على حقيقة أمر جيش العدو [١٢٠] فعادوا وقالوا له إن الترك قاموا [٤] من محلهم المذكور ورجعوا هاربين ولم نقف لهم على خبر ولم نعلم لهم جهة . فتبسم عليه السلام وقال لهم ارجعوا وتبينوا الخبر فان سيد الوجود عليه الصلاة والسلام أخبرني بأن الترك يأتون إلينا هنا ونقتلهم . وإذا بالترك وقد قاموا من محلهم

---

(١) قلنا : يضيف بعض المصادر لفظ « هذا » قبل « وليكن » . وفي المخطوط كما روينا . وينقل المخطوط « معلوم » بدل « معلوماً » .

(٢) قلنا : « ذكرنا » في بعض المصادر .

(٣) قلنا : يوافق ذلك ٢٢ مايو ١٨٨٢ .

(٤) قلنا : في المخطوط : قام .

المدعو بشق الحجر وعدلوا عن الطريق المعتادة الموصلة لهم إلى قدير الى الطريق الموصلة لهم الى جبل الجرادة ونزلوا هناك بقرب المزارع ، يعني مزارع الجرادة. ولعل القصد من عدولهم عن الطريق المذكور وسلوكهم غيرها إرادة اخفاء الامر على المهدي عليه السلام وأصحابه ليتمكنوا من الهجوم على جيش المهدي عليه السلام والله مانع لهم من ذلك !

قلت : وقد أخبرني بعض الثقات أن الحكمة في عدولهم عن الطريق المذكورة وسلوكهم للطريق الموصلة الى الجرادة ليتمكنوا من جبال تقلى وجميع جهاتها بحيث تكون الجبال المذكورة وراءهم ليستمدوا منها ويأمنوا من اتيان الاصحاب عليهم من جهتها حيث إن الجبال المذكورة تحت طاعتهم فيما يزعمون. وأما جبل الجرادة فيشنون عليه الغارات حتى يجحفوا بأهله ويدخلوهم بالقهر تحت [١٢١] طاعتهم ليتمكنوا بذلك من أغراضهم الفاسدة وأعمالهم التي هي عند الله كاسدة ، لأنه على هذا الحال يكون المهدي عليه السلام مع أصحابه بجبل قدير في جهة الاطراف النائية عن العمران ، بحيث لا يتمكنون من محلات العمران التي هي جبال تقلى المذكورة ، فيضيق بهم الحال لعدم ورود الاشياء عليهم ، فيتلاشى أمرهم ويضمحل ويضعف ، فيسهل على الترك محاربتهم . وغاب عنهم أن المهدي عليه السلام محظوظ وبعين الرعاية الربانية ملحوظ . ولو اجتمعت الانس والجن على نقض أمره وخفض ذكره لعجزوا عن ذلك . وقد توالت البشائر النبوية له عليه السلام بأن الله ناظره وناصره ، فما عسى يؤثر كيد الظالمين . قال تعالى إبطالاً لمكائد الكفار الساعين في إطفاء نور النبوة « أم أبرموا أمراً فإنا مبرمون [١] » ، وقال تعالى : « أم يريدون كيداً فالذين كفروا هم المكيدون [٢] » . وللمهدي عليه السلام من هذا المعين الحظ الأوفر والمقام الأنور فاعتبر ذلك واسلك من التسليم أسلم المسالك .

---

(١) سورة الزخرف الآية ٧٩ .

(٢) سورة الطور الآية ٤٢ .

هذا وقد أخبرني بعض الثقات ممن شهد الواقعة المذكورة بأن الطليعة لما قالوا للمهدي عليه السلام أن الترك رجعوا صار بعض الأصحاب يبكي بالدموع حتى صارت [١٢٢] تنحدر على اللحى من شدة البكاء . قلت : وقد قدمنا (١) أن علة بكائهم في أمثال هذه الوقائع هي الأسف على ما فاتهم من الجهاد في سبيل الله الذي هو وسيلة لنيل الشهادة التي هي غاية مقصود أهل السعادة . وجدير لمن فاتته الشهادة أن يبكي عليها بالدموع السواجم .

ثم إن أهل الجرادة حضروا وأخبروا المهدي عليه السلام بنزول الترك بمزارعهم وقرب بلادهم مستغيثين به عليه السلام . وكذلك عادت الطليعة وأخبرت المهدي بنزولهم هناك .

وقـــد كان الترك بعد نزولهم هناك خرجت شرذمة منهم للغارة على أهل الجرادة فوقع بينهم قتال ومرامـــاة بالرصاص من الفريقين ، فقتل من الترك اثنان وهرب الباقون وانضموا على جيشهم . فعند ذلك أمر المهدي عليه السلام بإرسال مائتي فارس وعليهم محمد مزمل الشهير بأبي هداية (٢) ، من أقارب المهدي عليه السلام ومن (٣) الأبطال وأهل الاقدام المشاهير في الحرب وله سوابق مباركات في الحروب الحاصلة في المهدية ، وأمرهم أن ينازلوا الترك ويكونوا

---

(١) قلنا : انظر ذلك عند الكلام عن مطاردة محمد سعيد .

(٢) قلنا : ذكر كتاب جهاد في سبيل الله أن القوة كانت بقيادة أبي هداية ونواي الحازمي وعبد الرحمن محمود . وذكر أن القوة كانت ١٥٠ فارساً . ونعوم شقير لا يذكر خبر القصة مع أنه اعتمد على هذا المخطوط . ولعل المؤلف يتحرز من ذكر نواي لأنه خالف فيما بعد ومن ذكر عبد الرحمن لأنه من الاشراف الذين ساءت علاقتهم بالخليفة. أما أبو هداية فلا حرج من ذكره لانه مات في واقعه الشلالي .

(٣) قلنا : في المخطوط : وصف ، وهو خطأ قلم . والصواب : ومن .

بينهم وبين حلة الجرادة ليمنعوهم من الإغارة على أهل الجرادة ومن تخريب أماكنهم بحيث [١٢٣] يكونون بالمرصاد لهم ويحاصرونهم عن الانتشار والفساد في الأرض . ففعلوا كما أمرهم المهدي عليه السلام ، وذلك بيوم الأحد عاشر شهر رجب من سنة تسعة وتسعين بعد المائتين والألف [١] .

هذا وعند نزول الترك بالمحل المذكور عملوا لهم حصناً من الشوك وقوموا زرب [٢] وجعلوه في غاية المتانة والعلو ، مربع الأركان ، ورتبوا بداخله عساكرهم الحربية ، واستعدوا بكامل عددهم العسكرية ، وجعلوا فيه جميع ما معهم من الآلات والأدوات والمهمات والدواب وجميع ما عندهم ، وجعلوا في كل ركن من أركان الحصن المذكور مدفعاً وعليها جماعة من الطوبجية ، أي الذين يطلقون المدافع ، وعبوا عساكرهم واستعدوا للحرب استعداداً لا مزيد عليه ، وشرعوا في أنواع الطرب والملاهي وتحريك الآلات الموسيقية والمعازف والمغاني وإطلاق السواريخ ليلاً ، ودارت بينهم الكؤوس الخمرية مبارزين بالمعاصي رب البرية ، غافلين عما يراد بهم من البطش والعقوبات الإلهية [٣] ، معتمدين على تلك الآلات والأدوات الحربية التي هي عدم تحصن بالنسبة للقدرة الأزلية التي يعجز عن مقاومتها [١٢٤] ومدافعتها جميع المخلوقات العلوية والسفلية .

هذا وأصحاب المهدي عليه السلام ، ما بين قائم وراكع وساجد وباك وذاكر ومستغفر ومهلل ومكبر بالغدوات[٤] والعشية ، فهؤلاء في طاعة الرحمن

(١) قلنا : يوافق ذلك ٢٨ مايو ١٨٨٢ .

(٢) يستعمل المؤلف لفظ « زرب » . والشائع هو الزريبة ، وهي حاجز من الشوك يحاط به معسكر الجيش تحصيناً له . ولعله يحاول تعريب اللفظ .

(٣) قلنا : في المخطوط: والالهية . وفي اعتقادنا أن حرف الواو زائد .

(٤) قلنا : في المخطوط هكذا . والذي عليه السياق : بالغداة .

وأولئك في طاعة الشيطان، وشتان بين هذا وذاك عند كل من له فكرة وروية .

ثم إن المهدي عليه السلام أمر بأن يكون الجيش أمام الحلة وأن يستعدوا للحرب ويتهيأوا للقاء . فخرج كما أمر . وبعـــد صلاة المغرب من ليلة الاثنين حادي عشر شهر رجب المذكور خرج عليه السلام من منزله شاهراً سيفه يكبر وقال: أتانا الخبر من سيد الوجود ﷺ بأن نوجه الجيش لحرب الترك، واستدعى أصحاب الرايات فكان أول راية تقدمت إليه راية قبيلة المناصير . قلت : وفي تقدم راية المناصير إليه عليه السلام أولاً فأل حسن فإن هذا اللفظ يشعر بالنصر، وقد حقق الله ذلك الفأل الحسن ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده .

وهكذا تأتي إليه الرايات راية بعد راية ويأمرها بالتوجه لجهة العدو أولاً فأولاً إلى أن تكاملت [١٢٥] الجيوش في تلك الليلة وانضم إليهم الفوارس المتقدم ذكرهم ولحق بهم المهدي عليه السلام ومعه خليفته الاكبر رضي الله عنه وباقي أصحابه الكرام وباتوا بالقرب من محل العدو .

قلت : أما الرايات فإنها من شعار الحروب من عهد الخليقة الانسانية ولم تزل الامم تعقدها في مواطن الحروب والغزوات لعهد النبي ﷺ ومن بعده من الخلفاء وهكذا . ومن فضائلها التهويل وإرهاب العدو ، وربما يحدث من حملها في الحروب في النفوس زيادة الاقدام والجرأة على العدو . والمهدي عليه السلام هو خليفة الله على خليقته وقافي أثر رسول الله ﷺ . ومن عاداته الحسنة الجارية على موافقة السنة النبوية استعمال الرايات في جميع حروبه ومغازيه وسراياه .

---

(١) قلنا : يوافق ذلك ٢٩ مايو ١٨٨٢ .

(٢) قلنا : في المخطوط : عادته . ولكنه في المواضع الاخرى يقول عاداته .

واستعمل المهدي عليه السلام محمود بن عبد القادر [1] من أقاربه على دار هجرته ، وقال له بعد صلاة الصبح من يوم الاثنين إذا لم يكن الترك يأتون إليكم فأسرعوا باللحوق بنا أنت ومن معك من أهل رايتك لتكونوا مدداً للجيش . فأجاب محمود بالسمع والطاعة . [١٢٦] وسيأتي أن محمود هذا مات شهيداً في بعض الواقعات بكردفان . وقد كان من أهل البسالة والاقدام ، رحمه الله رحمة واسعة .

قلت : وقد أخبرني من أثق به أن المهدي عليه السلام إنما قال لمحمود تلك المقالة لأنه أشيع بأن الترك قد كانوا أرادوا إرسال طائفة منهم للهجوم على الحلة عند خروج المهدي عليه السلام وأصحابه منها للقاء العدو . وقد عجزوا من ذلك بما دهاهم من صولة الأصحاب عليهم وحصرهم في حصنهم ودخولهم عليهم في الحصن واهلاكهم ، كما سيأتي .

ثم بعد صلاة الصبح من يوم الاثنين حادي عشر شهر رجب المذكور حرض المهدي عليه السلام أصحابه ورغبهم فيما عند الله ، كما هو دأبه عليه السلام في مواطن اللقاء مع أصحابه طبقاً لما أتت به السنة الغراء من فعله عليه الصلاة والسلام ، كما علم ذلك من مغازيه وبسيره ﷺ ، وقال لهم : إذا رأيتم العدو فكبروا ثلاثاً وقولوا : « اللهم أنت ربنا وربهم ، نواصينا ونواصيهم بيدك ، وإنما

---

(١) قلنا : هو : محمود عبد القادر قريب المهدي . انخرط في سلك المهدية منذ عهد مبكر . تولى عمالة قدير رعاية لأسر الأنصار عندما توجه المهدي بقواته لمحاصرة الأبيض . ولما توجه المهدي لفتح الخرطوم صار عاملاً على كردفان . ندبه المهدي ثم الخليفة ليتولى القيادة في الشمالية ولكن هذا الأمر لم يتم . وبينما كان في أم درمان تمرد الجهادية في الأبيض وقتلوا نائبه وتوجهوا إلى جبال النوبة . وفي هذا الاثناء كان الخليفة قد أذن لمحمود بالتوجه للأبيض ليرحل أسرته إلى أم درمان . غير أن الغيرة أخذته فذهب يطارد الجهادية ويحاول إخضاعهم . وقد قتل في إحدى وقائعه معهم في ٢٠ ديسمبر ١٨٨٥ .

تقتلهم أنت » قولوها [١٢٧] ثلاثاً. وأمرهم بالحملة على الترك والدخول عليهم في حصنهم المذكور حتى يوردوهم [١] حياض المنية .

ثم حمل الأصحاب بعزم وثبات وصدق نية عند الوثبات ما بين مهلـــل ومكبر وصارخ على العدو .

قلت : ومن فضائل الصراخ وقت الحرب إرهاب العدو ، فإن الاصوات الهائلة لها تأثير في النفس بالروعة . وهذا أمر وجداني في مواطن الحرب يجده كل أحد من نفسه . وربمـــا أحدث ذلك في النفوس من علو الهمة ما يحرك الأبطال حتى يتسارعوا إلى مجال الحرب وينبعث كل قرن إلى قرنه . وهــــذا مشاهد في أصحاب المهدي عليه السلام عند اللقاء ، فتراهم يتسارعون عند سماع الصراخ إلى مجال الحرب ويتهافتون على العدو ولا يبالون بملاقاته ، وإن كان أمامهم نار موقودة فيدخلوا بدون تردد ولا نكوص [٢] ، فجزاهم الله عن الاسلام خيراً ووقاهم يوم الفزع الأكبر هما وضيراً . ومن طالع سير الصحابة رضوان الله عليهم من عهد النبوة في الغزوات والحروب قضى بصحة ما قلناه في هذا المعنى ، والله ولي التوفيق والهادي إلى أقوم طريق .

ولما قرب الاصحاب من الحصن المذكور أطلق الترك عليهم [١٢٨] المدافع والبنـــادق وأظلمت الأرض من كثرة الدخان الحاصل بتوالي اطلاق الآلات النارية حق لايكاد الانسان يميز من كان معه . فلم يكن إلا ساعة يسيرة حتى

---

(١) قلنا : في الاصل : يوردهم ، بسقط الواو .

(٢) قلنا : لا يتبين الحرف الاخير من هذه الكلمة في المخطوط ، وليس يعرف أهو لام أم نون . والثابت أنه لا نقطة . وقد رأينا أن السياق على نكوص . انظر الشبه بين النون والصاد في الرسم .

دخلوا عليهم في الاستحكام كأن لم يكن عليه زرب ولا شوك مع ما عليه من المتانة والقوة .

قلت : وقد أخبرني بعض الثقات ممن شهد تلك الواقعة بأنه لما قرب أصحاب المهدي عليه السلام من العدو هبت ريـــح فكأنها أخذت الأصحاب وألقتهم داخل الحصن من سرعة الوصول والدخول عليهم . وتتبعوهم قتلاً حتى أخرجوهم عن الحصن المذكور . واقتفوا أثرهم يقتلونهم تحت بطون الأودية . ولاتساع الحصن وعدم إحاطة الاصحاب به عند الدخول لم يتمكنوا من الإحاطة به ، وتصادف دخول أغلب الاصحاب بالجهة التي فيها يوسف حسن الشلالي ، لأن هناك معظم العدو وأكثر الضرب بالآلات النارية ، فكانت الحملة عـــلى جهتهم حتى قتل يوسف الشلالي خارج الحصن مولياً هزيماً تقفوه الصفاح وطريداً تتلوه الرماح . وقتل جميـــع من كان معه وبالقرب اليه . واقتفوا [١٢٩] أثرهم يقتلونهم في كل جهة إلى أن أبعدوا في أثرهم . وقد كان بقي بداخـــل الحصن طائفة من الترك كثيرة بعـــد هروب يوسف حسن الشلالي ومن معه . وذهب أغلب الإصحاب في أثر المنهزمين من الترك . وبقي في محل المعركة القليل من الاصحاب وفيهم المهدي عليه السلام ومعه خليفته الاكبر رضي الله عنه وباقي الخلفاء .

ولما رأت الطائفة الفاضلة بالحصن قلة الاصحاب وهم بالقرب منهم قرباً شديداً بحيث كانوا أقرب إليهم من رمي السهام ، وتحقق عندهم أن المهدي عليه السلام فيهم رأوا أنهم انتهزوا الفرصة وتمكنوا من المهدي عليه السلام لشدة قربه منهم وقلة ما كان معه من الاصحاب . فعند ذلك صوبوا نحوهم الآلات النارية وأطلقوا عليهم المدافع والبنادق ووالوا عليهم الضرب حتى أظلمت الأرض من شدة الدخان حتى لا يكاد الرجل يبصر من كان بجنبـه ولا يميزه . فتحقق للأصحاب المقتفين اثر المنهزمين من الترك ان الضرب المذكور والمحاربة في المهدي عليه السلام فكروا راجعين لا يلتفت بعضهم على بعض من

السرعة ، شفقة على المهدي [١٣٠] ،عليه السلام أن يصيبه مكروه . والله ناظره وناصره . وقد كان قبل رجوعهم حضر محمود [١] ومن معه حسب أمر المهدي عليه السلام له بذلك فحملوا على الترك حتى دخلوا عليهم بالحصن . وتكامل باقي الاصحاب عليهم حتى قتلوهم عن آخرهم : البعض منهم قتل بداخل الحصن والبعض منهم قتل خارجه هارباً ، ولم ينج منهم إلا القليل الذاهب في بطون الأودية والمختبين تحت الاشجار والأوعار ، وطهر الله منهم الأرض ونصر مهديه عليه السلام .

واستشهد من الأصحاب في هذه الواقعة نحو المائتين ، منهم أخو المهدي عليه السلام ، وشقيقه حامد ، فانه ضرب على ركبته اليمنى برصاصة حتى تكسرت ورفع من محل المعركة ، وتوفي ثاني يوم الواقعة شهيداً . ومنهم محمد أبو هداية المتقدم ذكره ، وبركات وعلى أولاد محمد سعيد ، وهما من السابقين الأولين في صحبة المهدي عليه السلام [٢] ، ومن أهل الشجاعة والإقدام . والضاوي الذي كان المهدي عليه السلام يرسله طليعة ليلتمس خبر العدو ، وهو من النبهان المشاهير وأهل الرأي والتدبير والمعرفة بأحوال العرب [٣]. وقتل من أعيان الترك ورؤسائهم مثل يوسف الشلالي ، [١٣١] كما تقدم ، ومحمود أفندي عبد العزيز وسليمان أفندي الصاغ وسليمان أغا الأرتوذي ويوسف أغا السرسواري ، وغيرهم من أعيان أهل البلد المتوظفين بحكومة الترك مثل عبد الله محمد دفع الله وعبد الهادي صبر وطه الشايقي ، وغيرهم من الترك ما ينوف عن عشرة آلاف . وأسر منهم قليل . ثم أمر المهدي عليه السلام بدفن

---

(١) قلنا : في المخطوط : محمد ، والمقصود هو محمود عبد القادر .

(٢) قلنا : ذكر في وفود القبائل للجزيرة أبا .

(٣) قلنا : هكذا في المخطوط ونحسب أن الصواب : الحرب .

الشهداء في محل المعركة كما هي السنة النبوية فدفنوا بهيئتهم ما عدا السلاح الذي كان معهم .

وأمر المهدي عليه السلام بجمع الغنائم فجمعت . وقـــد حصل منها شيء كثير من نقود وعروض وحبوب وأزواد وأنواع الطعومات والملبوسات والدواب والذخائر والآلات الحربية . وقد حصل بذلك للاصحاب نفع جميم [1] وفتح عظيم بعد ما كانوا عليه من عدم تيسير الاشياء . فلسان حال الاصحاب يتلو شكراً قوله تعالى : « وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فعجل لكم هذه[2] » . وقد صار قسم الغنائم المذكورة على المجاهدين ، وذلك بعد إخراج الخمس .

قلت : أخبرني من أثق به أن المهدي عليه السلام قد حذر في تلك الوقعة الأصحاب عن الغلول[3] في الغنائم وأنذر وبالغ في الموعظة ، ولم يزل هذا دأبه عليه السلام في أي غزوة وفي أي سرية [١٣٢] أرسلها لجهة ، فيوعيهم بتقوى الله والثبات في مواطن الحرب ، وأن لا يبالوا بكثرة العدو ولو تزايد مددهم فإن الجهاد أوفر متجراً وأعظم مفخراً . وأي فخر أعلى عند الله وأعظم ممن يقتل في سبيل الله ويكون حياً عند الله يريع في مروج الجنة وينال من الله سابغ النعمة والمنة . فقد قال تعالى : « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيـــل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله [4] » الآية . وهذه

---

(١) قلنا : هكذا في المخطوط . وفي مختار الصحاح أن الجميم النبت الذي طال بعض الطول ولم يتم . وما يريد المؤلف : كثير .

(٢) سورة الفتح الآية ٤٠ .

(٣) قلنا : الغلول يعني الاخذ من الغنائم أو إخفاءها بوجه غير شرعي . ومن يفعل ذلك يسمى غالا . وقد حذر المهدي أصحابه كثيراً منه .

(٤) سورة آل عمران الآية ١٦٩ / ١٧٠ .

منشوراته عليه السلام مشحونة بالأمر بذلك وبالتحذير من الغنائم ووعد من غل، وكذلك خليفته الاكبر رضوان الله عليه ما زال يحذر الناس عن الغلول في الغنائم على المنبر حرصاً على هدايتهم وشفقة عليهم من الهلاك الدنيوي والأخروي[1].

ويكفي في الزجر ودمار الغالين في الغنائم ما ورد في قصة الغلام الذي كان يخدم النبي ﷺ ، وقد كان أهداه [2] له بعض الملوك . وهو أن الغلام المذكور كان مع النبي ﷺ في بعض غزواته فأتاه سهم فقتله . فقالت الصحابة رضوان الله تعالى عليهم هنيئاً له الجنة . فقال رسول الله ﷺ : كلا . والذي نفسي بيده ان شملته [3] الآن لتحترق عليه في النار كان غلها من فيء المسلمين . فسمعها رجل من أصحاب رسول الله ﷺ فأتاه [١٣٣] فقال له يا رسول الله : أصبت شراكين لنعلين لي ! فقال لقد قد لك مثلها في النار .

فانظر الى هذا الوعيد الشديد والزجر الذي ما عليه من مزيد . فعلى العاقل أن يقي مهجته من النار ويباعدها من الغلول الذي هو سبب للدمار . نسأل الله السلامة من ذلك وسلوك الاستقامة الذي هو أوضح المسالك[4] .

وفي هذه الواقعة ، يعني واقعة يوسف حسن الشلالي ، شوهد خروج النار من محلات طعن الرماح وضرب السيوف وحرق أجساد الأعداء الى آخر ما

---

(١) قلنا : انظر باب الغنائم في المرشد إلى وثائق المهدي . وانظر مخطوط توشكي (تحقيق الدكتور محمد إبراهيم أبو سليم) لبعض منشورات الخليفة عبد الله في أمر الغلول .

(٢) قلنا : في المخطوط : اهداء .

(٣) قلنا : الشملة ملبوس من قماش ثقيل يلف على الجسم .

(٤) قلنا : وجد المهدي والخليفة صعوبة في جمع الغنائم ومنع الأنصار من الغل ، وقد كتبا في ذلك كثيراً وحذرا . واهتمام المؤلف بهذا الامر صورة لمقدار ما كان يعاني منه .

قدمناه في الباب الثاني . وان كان ما ذكر حصل في واقعة راشد أيضاً . إلا أنه في هذه الواقعة أكثر وأشهر . أقول : وما زال هذا الحال ينمو ويزداد في جميع الوقعات التي يحضرها المهدي عليه السلام بل عم ذلك في جميع الحروب التي وقعت في المهدية الى وقتنا هذا ، حتى كان ذلك يقع على يد أمراء السرايا وغيرهم . وقد تقدمت الحكمة في حصول هذا الأمر الخارق، فراجعها ان شئت. والله ولي التوفيق والهادي الى أقوم طريق .

قلت : وقد رأينا ان نتكلم على بعض الذين وفدوا على المهدي عليه السلام بجبل ماسا بلصق جبل قدير [١٣٤] على مبلغ ما اطلعنا عليه تنويهاً بعظيم قدرهم وتبياناً لمزيد فضلهم على من لم يهاجر الى المهدي عليه السلام بتلك الجهة المذكورة ، وان كان أصحاب المهدي عليه السلام كلهم على خير .

فنقول : وفد عليه عليه السلام طائفة من قبيلة حمر ورؤسائهم فبايعوه عليه السلام وقدم عليه بعض من قبيلة الغديات (١) فبايعوه عليه السلام ودعى لهم بخير . وقدم عليه عليه السلام جماعة من أولاد أبي صفية (٢) وافدين فبايعهم

---

(١) قلنا : في المخطوط : العزيات . والمقصود الغديات . وهم قبيلة مشهورة بكردفان وكان لهم دور كبير في هدم الادارة المصرية – انظر هولت ص ٤٩ . وانظر ادناه ص ١٩٠ .

(٢) قلنا : هم بيت دين بالابيض . ولهم شهرة بعيدة . وقد عمل جدهم بدوي أبو صفية بالتبشير الاسلامي في جبال النوبة وهو تلميذ أحمد بن عيسى المشهور بسنار . وكان قادرياً . وقد شيد خلوة ومسجداً بالابيض . مات سنة ١٢٦٢ هـ / ١٨٨٤ م وهو يحارب النوبة بمساعدة الحكومة والبديرية والغدبات لتعديهم على جيرانهم . استمرت الحرب بعد وفاته بقيادة ابنه أحمد الكناني ثم بقيادة عبد الصمد بن الطاهر بن بدوي . وكان منهم محمد البدوي مقرباً الى المهدي ولفرط تدينه دعي بالدرويش . فلما تضرر منع المهدي هذا اللقب ولقبه بالصديق . واشتهر أيضاً عبد الصمد .

عليه السلام . وقدم عليه أحمد علي قاضي الاسلام الآن وافداً من مديرية شكا[1] ، فلأنه اذ ذاك كان قاضياً عليها من طرف حكومة الترك . ولما بلغه حلول المهدي عليه السلام بقدير طلع نفسه من منصب القضاء في حكومة الترك المذكورة وبادر لاغتنام صحبة المهدي عليه السلام ، فبايعه عليه السلام . وقدم عليه عليه السلام جماعة من قبيلة التمام ، وقبيلة برقة ، وقبيلة التمام [2] ، المذكورون من أهالي كردفان وافدين فبايعهم عليه السلام .

ذكر مسير المهدي الى الابيض : [3]

ذكر مسير المهدي عليه السلام لكردفان غازياً للأتراك بمدينة الأبيض يدعوهم الى الله تعالى والى متابعته فيما جاء به من تقويم الدين .

حدثني جماعة من أصحاب المهدي عليه السلام وكل [١٣٥] منهم حدثني بعض الحديث فاجتمع حديثهم في سياق ما أذكره من حديث هذه الغزوة .

قالوا : لما فرغ المهدي عليه السلام من حرب يوسف حسن الشلالي أقام بدار هجرته بقية شهر رجب الذي حصلت فيه الواقعة المذكورة وشهر شعبان. ولمضي

---

(١) قلنا : كان أحمد علي قاضياً في التركية . ولما بلغه خبر المهدية هاجر وانضم اليها . اشترك في واقعات الابيض عين قاضياً للاسلام خلفاً لأحمد ولد جبارة الذي قتل في واقعة الجمعة حول الابيض . عظم شأنه في عهد الخليفة وصار من أقرب المستشارين اليه . غير انه غضب عليه وأودعه السجن ، وقد مات بسبب ذلك في سنة ١٨٩٢ قيل بسبب الجوع والعطش في السجن ، وقيل مات إثر أكلة بعد ان أفرج من السجن .

(٢) قلنا : التمباب : في المخطوط ، والسياق على التمام لانه يشير الى التمام المذكورين قبل ذلك بقوله المذكورون .

(٣) قلنا : هذا العنوان عندنا لان عنوان المؤلف طويل وقد نقلناه كما هو في النص .

اثني عشرة ليلة خلت من شهر رمضان المعظم [1] خرج المهدي عليه السلام غازياً ومعه أصحابه الكرام . واستعمل على دار هجرته [2] محمود بن عبد القادر من أقاربه عليه السلام . وهكذا كلما غزا عليه السلام غزوة استعمـــل على من يتركهم بالمحل من يقوم بأمرهم ، وقد مضت السنة النبوية على ذلك . فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا غزا لأي جهة كانت استخلف على من بالمدينة من يقوم بأمرهم . والمهدي عليه السلام خليفته وقافي أثره ، فهو على هذا الطريق الأقوم إلى أن دعاه مولاه فلباه . هذا وأصحب مع المهدي عليه السلام في هذه الغزوة جميـع الأصحاب فلم يتخلف عنـــه منهم أحد الا المرضى وأصحاب الاعذار ، فإنهم قد تركوا مع محمود .

ولما انفصل الجيش من دار الهجرة لم يعلم الناس الجهة التي يريدها المهـــدي عليه السلام حتى ان الشهيد محمد أخا المهدي [١٣٦] عليه السلام توجه ، ومعه شرذمة من الجيش وهم أهل رايته التابعون له ، الى جهة جبل فنقر ظناً منه أن المهدي عليه السلام يريده ، لأن أهل ذلك الجبل كانوا قد أعانوا يوسف حسن الشلالي عند مروره عليهم لمحاربة المهدي عليه السلام بالرواحل والأزواد ، حتى أنهم حبسوا طلائع المهدي عليه السلام المتقـــدم ذكرهم وأوثقوهم كتافاً وأوصلوهم الى يوسف الشلالي فقتلهم . فلذا توجه لتلك الجهة ظناً منه ان المهدي عليه السلام يريد حرب أهل الجبل المذكور .

وبعض الجيش قد قصد جهة جبل تقلي محل الملك آدم ملك جبال تقلي ظناً منهم أن المهدي عليه السلام يريده لأن الملك آدم المذكور كان أشيع عنه أن عنده نوع تقاعد وتأخر عن المبادرة للتسليم للمهدي عليه السلام ، وقد أرسل المذكور

---

(١) يوافق ذلك ٢٨ يوليو سنة ١٨٨٢ .

(٢) قلنا : أي عل قدير .

جماعة من أهل دولته للمهدي عليه السلام وهو بقدير ، معتذرين عما اشيع عن الملك المذكور ، وأنه منقاد ومسلم ومصدق بالمهدي عليه السلام . وسيأتي أن المذكور انخلع من ملكه إلى المهدي عليه السلام بمدينة الأبيض بعد فتوحها منقاداً ومسلماً فبايعه عليه السلام . فظن بعض الجيش المذكور أن المهدي عليه السلام يريد جبل تقلي لذلك [١٣٧] ، حتى وصل المهدي عليه السلام ونزل بجبل الجرادة ، فتسامع به من كان ذاهباً إلى تلك الجهة فرجع إليه . وبعض الجيش الذي توجه إلى جهة تقلي لم يرجع حتى أرسل المهدي عليه السلام في أثرهم من يردهم إلى الجيش ، فأتوه عليه السلام بعد مسيرة مرحلتين من دار هجرته .

وهذا كله لعدم علمهم بالجهة التي يريدها المهدي عليه السلام حتى أن بعضاً من الثقات أخبرني بأنه كان سأل الشهيد محمد أخا المهدي عليه السلام وقال له أي جهة يريدها المهدي عليه السلام [١] .

فقال له محمد والله لا أدري ولا أطيق أن أسأله عن ذلك . قلت وفي هذا من التأديبات الإلهية ما ينادي بفضيلة محمد وأنه له عند الله أفضل مزية لأنه مع هذه القرابة الأكيدة والقرب والاختصاص بالمهدي عليه السلام لم يجسر على سؤاله عما يريده ويقصده ، وناهيك بهذه المنقبة الدالة على كمال أدبه ووفور عقله وسيأتي أن محمد المذكور استشهد في واقعة الأبيض ، رحمه الله تعالى رحمة واسعة .

ثم بعد نزول المهدي عليه السلام بجبل الجرادة علم الناس أنه سائر إلى كردفان [٢] لغزو الأتراك بمدينة الابيض . وأمر الناس بالتهيؤ والاستعداد .

---

(١) قلنا : نقل المخطوط قوله : وقال له أي جهة يريدها المهدي عليه السلام مرتين، مرة قبل قوله حتى أن بعضاً ومرة في هذا الموضع . وقد حذفناه من هناك لانه سقط قلم .

(٢) قلنا : الاصل في كردفان أنه باللام « كردفال » وهو اسم يطلق على جبل بالقرب من الابيض . ثم قلب اللام نوناً بعد الفتح المصري التركي للسودان . وكان الاسم يطلق على منطقة =

أخبرني الثقة أن المهدي [١٣٨] عليه السلام أخبره وهو بالجرادة أن سيد الوجود ﷺ أمره بالتوجه إلى كردفان وقال له إن الترك بكردفان آذوا المسلمين وضيقوا عليهم .

ثم إن المهدي عليه السلام كتب إلى عامله عبد الله ولد النور [1] ، وقد كان بعثه إلى كردفان ، ليدعو [2] الناس إلى متابعة المهدي عليه السلام ويبشرهم ويحذرهم عاقبة المخالفة . وأمره بأن يكون بنواحي كردفان وأطرافها مما يلي جهة الاعراب بدار حمر وغيرها ، وأن يبايع كل من أراد الدخول والانتظام في سلك المهدية ، ويأمرهم بالانضمام إليه ، وأن يستعين بمن تبعه منهم على المخالفين هناك إلى أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس ، وأن يشن الغارات على الأتراك الذين بأكناف كردفان وأطرافها ما عدا مركز حكومتهم وهو مدينة الأبيض ، فإنه لم يؤمر إذ ذاك بمحاربتهم . ولله در ذلك العامل ! فإنه من أهل الشجاعة والبسالة والإقدام والجراءة والبطش ، ومن أولي الهيبة في صدور الأعداء ، وممن تخشاه قدوم الأبطال وتتقي بأسه يوم النزال . وسيأتي أنه استشهد في بعض

= القوز في وسط الإقليم المعروف الآن أي إقليم قبيلة البديرية وما جاورها. وبقية المناطق المنضوية الآن في مديرية كردفان كانت تعرف بأسماء مستقلة كدار الكبابيش ودار الحمر وجبال النوبة . فلفظ كردفان هنا يذهب إلى منطقة القوز التي تتوسط مديرية كردفان الحالية والتي تتوسطها العاصمة الابيض .

(١) قلنا : لم نقف على خطاب المهدي إلى عبد الله النور في هذا الشأن ، وأغلب الظن أنه قد ضاع ، وإن كان من المحتمل أن يكون المهدي قد أرسل رسولاً خاصاً ، بدل الكتابة ، اتقاء من افشاء سر ضربته القادمة . وقد ظهر مثل ذلك في خروجه من مقره دون أن يعلم أصحابه وجهة مسيرهم . وعبد الله النور من أوائل أمراء المهدية . وقد ساهم في وقائع المهدية الاولى واشترك في حصار البركة والابيض . حاصر الخرطوم مع النجومي . قتل قرب بوابة بري في أواخر أيام الحصار في ١٨٨٥ .

(٢) قلنا : في المخطوط . يدعو .

وقائع الخرطوم ، فرحمه الله تعالى رحمة واسعة . فخاطبه المهدي عليه السلام وأخبره أنه يحضر لكردفان عن قريب . وفي خطابه عليه السلام له بذلك تثبيت لخاطره وخاطر من معه من الأصحاب وتشجيع لهم ليزدادوا [١٣٩] جرأة على العدو مع جراءتهم .

ثم ارتحل عليه السلام من الجرادة ونزل بمحل يدعى السّلخة ، وأقام به ثلاثة أيام . وفيه أمر بقتل شخصين – قصاصاً – كانا قتلا نفساً بغير حق . ثم ارتحل ونزل بجبل دوقة . ومنه ارتحل ونزل بمحل يدعى قردود الحميض . ثم ارتحل ونزل بمحل يدعى أم عدارة . ومنه ارتحل ونزل بحجر أم لوبة .

وقد كان عليه السلام عند خروجه للسفر صائماً (١) ، والناس معه صائمون إلى أن وصل بحجر أم لوبة المذكور ، فأفطر . وأمر الناس بالفطر فأفطروا . أخبرني بعض الثقات أنه دخل على المهدي عليه السلام وهو بخيمته بحجر أم لوبة المذكور وبحضرته عليه السلام اناء فيه طعام ، فمد يده عليه السلام إلى ذلك الطعام وأمره بالأكل معه فأكل معه . وقال لي : كنت مبيتاً لنية الصوم وأصبحت صائماً فلما أمرني المهدي عليه السلام بالأكل معه أكلت .

هذا وقد أخبرني بعض الثقات بأنه سمع المهـــدي عليه السلام وهو بالمحل المذكور يقول : بشرني سيد الوجود ﷺ بأن الله يفتح لي مدينة الابيض وجميع البلاد . وقد حقق الله تلك البشرى ، فقد فتـــح الله له مدينة الابيض ، كما سيأتي بيان ذلك . وفتح الله له كثيراً من البلاد في حياته . وسيفتح الله تعالى [١٤٠] له الباقي إن شاء الله تعالى على يد خليفته الاكبر وظهيره الاطهر سيدنا

---

(١) قلنا : ذلك لانهم كانوا في شهر رمضان .

الخليفة عبد الله خليفة الصديق ، أدام الله أيامه وباقي خلفائه رضوان الله تعالى عليهم أجمعين .

وقد قدمنا غير مرة أن المهدي عليه السلام هو الذي يملك مشارق الارض ومغاربها ولم يكن هذا لغيره من أصفياء الأمة المحمدية . ولعل ذلك محمل الحديث الشريف وهو قوله ﷺ : إن الله زوى لي الارض مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتي ما زوى لي منها . وقد قدمنا هناك أن المراد بالأمة في الحديث الشريف هو المهدي عليه السلام . وقد قال الله تعالى إن ابراهيم كان أمة واحدة فسمى الله تعالى ابراهيم عليه السلام أمة لما جمعه الله فيه عليه الصلاة والسلام من الكمالات وخصال الخيرات لا توجد إلا فيمن اصطفاه مولاه .

والمهدي عليه السلام قد جمع الله فيه من الخصال الحميدة والأفعال السديدة مالا يكاد يجتمع إلا فيمن اختاره مولاه ورفع مقامه . وقد تعاضدت الاخبار على ظهور ملكه على جميع الممالك وتضافرت الروايات على إشراق نوره على جميع الحوالك فأسفرت ظلمة الأيام والليالي بسفوره وانجلت الظلمة برؤية محياه انجلاء الصبح [١٤١] من ديجوره وصار عدله في الآفاق فكان أضوأ من البدر المنير في مسيره .

ولا يضيق بك العطن ويكبو بك جواد الفطن فتكون في حيرة من فهم المراد من بشرى سيد الوجود ﷺ للمهدي عليه السلام بأن الله يفتح له جميع البلاد فتقول قد مات المهدي عليه السلام وانتقل إلى دار الكرامة قبل فتح جميع البلاد (١). فاعلم أنار الله بصيرتنا وبصيرتك وطهر من داء الاوهام

---

(١) قلنا : إن موت المهدي المفاجيء وقبل أن تبلغ الفتوحات التي تكلم عنها كالها قد خلق حرجاً كبيراً في نفوس الانصار . وقد تصدى علماؤهم لمناقشة هذه النقطة وبيان مخرج من الحرج واحتجوا بحوادث كثيرة أخذوها عن سيرة الرسول والخلفاء الراشدين . وقد تعرض =

والشكوك سريرتنا [١] وسريرتك : أن المهدي عليه السلام هو خليفة الله في أرضه على خلقه وأمينه على رعاية حقه وقد علم أبناء البدو والحضر والقاطنون بالوبر والمدر أن ألوية الإسلام لم تنشر على أحد بعد النبيين أوفر ديناً وأصدق يقيناً وأوسع علماً وأوقع حلماً وأسد سيرة وأخلص سريرة وأتم وفاء وأعم سخاء وأوفر حباء وأغنى غناء وأعظم قدراً وأفخم ذكراً وأمد باعاً وأشد امتناعاً وأرفع ملكاً وسلطاناً وأطول أنصاراً وأعواناً من سيدنا محمد المهدي بن عبد الله، وأن جميع ما يصدر عنه قولاً وفعلاً مؤيد بالكتاب والسنة ، فليس قول من أقواله ولا فعل من أفعاله إلا وله شاهد من حديث النبوة [١٤٢] والرسالة وإشراق من مشكاة الأنوار المصطفوية التي أخجلت الغزالة ، علمه من علمه ، وجهله من جهله .

هذا وقد [٢] نقل بعض الثقات في هذا الشأن كلام الخليفة الأكبر خليفة المهدي عليه السلام سيدنا الخليفة عبد الله بن محمد خليفة الصديق وارث مقام الاصطفاء على التحقيق فأحببت أن أذكره بلفظه وهو من زعم أنه ليس بالمهدي المنتظر حيث لم يستكمل الفتوحات فقد أخطأ طريق الحق لأن خليفته الأكبر ، منبع العرفان والتحقيق ، الخليفة عبد الله بن محمد خليفة الصديق ذكر في بعض منشوراته رضي الله عنه ما يرد ذلك ، حيث قال [٣] : وانتقال المهدي عليه

= المؤلف إلى هذا الموضوع بشيء من التطويل لما له من أهمية – وانظر في ذلك خطاب الخلفاء والأشراف والعلماء عند وفاة المهدي وتخليف الخليفة عبد الله ليتولى أمر الدعوة في منشورات المهدية ص ٨٤ .

(١) قلنا : في المخطوط : سيرتنا . وقد عدلناه إلى سريرتنا .

(٢) قلنا : في الأصل : وقد .

(٣) قلنا : لم نهتد إلى موضع هـذا القول في منشورات الخليفة ولكن هذا لا يقطع بعدم وجوده .

السلام للدار الآخرة قبـــل فتح مكة والقسطنطينة وغيرها من الأمصار كما هو مذكور في بعض الروايات لا يقدح في أنه مهدي آخر الزمان الذي يبشر الأمة بظهور سيد الأكوان ، على فرض صحة تلك الروايات ، لما أن النبي ﷺ قد أخبره في حياته بفتح بعض البلاد كاليمن والشام وغيرهما وأضاف ذلك إلى نفسه الشريفة كما قيل في حديث حفر الخندق ثم لم يكن فتح ذلك على يده الشريفة بل كان على يد خلفائه الكرام بعد انتقاله ﷺ ، ولم يقدح ذلك في نبوته عليه [١٤٣] الصلاة والسلام . إذ لا غرو في نسبة فعل خلفائه ﷺ إليه ولا في إخباره ﷺ مضيفاً له إلى نفسه الكريمة لما أنهم أياديه وخاصته الوارثون(١) لمقامه المنيف المستمدون من فيضه . ولا يخفى أن فعل التابع ينسب إلى المتبوع .

وقد أخبر أنبياء الأمم السابقة عليهم الصلاة والسلام أممهم ببعثه نبياً ﷺ وذكروا لهم أنه يفتح الامصار ويقهر الملوك ويفتح المدائن الكبار . ومعلوم أنه لم يفتح في زمنه عليه الصلاة والسلام غير مكة وخيبر . وكان بقية الفتح على يد خلفائه من بعده . وعلى طريقته المثلى أتى خليفته المهدي عليه السلام فجميع ما وجد مضافاً إليه عليه السلام في الأحاديث من فتح البلاد ولم يحصل ذلك في حياته فلا بد من حصوله على يد خلفائه وأصحابه من غير شك ، ولا ترد يد بإذن الله تعالى ، لأنهم وارثوه والقائمون بأمره بعده ونسبة جميع ذلك إليه عليه السلام ، حيث قال : أخبرني سيد الوجود عليه الصلاة والسلام أن أصحابه كأصحابي وآل بيته كآل بيتي . وحينئذ فلا بد أن يعم أمره هذا [١٤٤] مشارق الأرض ومغاربها بعون الله تعالى . ومعلوم أن قدرته تعالى لا تقاوم وبطشه لا يصادم . انتهى(٢) .

---

(١) قلنا : هكذا في المخطوط والصواب بالنصب : الوارثين .

(٢) قلنا : أي انتهى القول الذي ينقله عن الخليفة عبد الله .

وأخبرني بعض الثقات أنه سمع المهدي عليه السلام وهو بحجر أم لوبة يقول : [يقول] لي سيد الوجود ﷺ : مر أصحابك في يوم محاربة الترك بالابيض أن يدخلوا جميعاً من جهة الشرق يعني جهة البندر الشرقية بحيث يكون دخولهم للمحاربة من جهة القبلة ، وأن يدخلوا مترتبين بحيث تكون أول راية تدخل راية محمد أخي المهدي عليه السلام ويتلوها باقي الرايات راية بعد راية . وقد تخلف ذلك[1] يعني : أن الاصحاب لم يدخلوا بأجمعهم من جهة القبلة بل البعض منهم قصد الدخول من جهة القبلة وهو محمد ومن معه من أهل رايته ، والبعض منهم بالجهة الغربية ، وهكذا باقي الجهات . وكذلك لم يدخلوا مترتبين كما أمروا لانتشار الجيش وعدم ضبطهم إذ ذاك لانهم بلغوا من الكثرة غاية يقف عندها الحد ويقصر دون منتهاها دور العد .

قلت : وهذا من جملة الاسباب التي أوجبت عدم حصول النصر عاجلاً [١٤٥] في يوم الابيض[2] وذلك أن المهدي عليه السلام لما ندب الناس لمحاربة الترك وحرضهم وأمر بالدخول عليهم في خندقهم من جهة القبلة وأمرهم بأن

---

(١) قلنا : يعني خولف .

(٢) قلنا : يقصد واقعة الجمعة المشهورة في الابيض في ٨ سبتمبر سنة ١٨٨٢ والتي هزم فيها الانصار . وهذه الهزيمة مصدر حرج آخر ، لما انهم قالوا إن المهدي منصور ، وكانت هذه أول مرة يهزم فيها في معركة . فانظر ما يقول المؤلف عن سبب الهزيمة والمخرج الذي يخرجه . وجدير بنا هنا أن نذكر أن كتاب جهاد في سبيل الله قد ألقى تبعة الهزيمة على الشيخ المنة وجماعته . ولعل من المهم أن نذكر أن هذه التجربة المرة قد هدت المهدي الى تعديل خطته ازاء المدن الحصينة فعول على حصارها حتى تجبر على التسليم كالابيض أو تنهك حتى يسهل فتحها عنوة كالخرطوم وسنار – انظر ص ١٩٧ أدناه . ويمكن أن نضيف أن الهزيمة ناتجة من الوضع الاستراتيجي للمعركة ، ففي الوقت الذي يحارب فيه المهدي من منطقة مكشوفة ويعتمد على الكثرة العددية كان أتباع محمد سعيد حاكم كردفان محصنين داخل المدينة ويحتلون مواقع يكشفون منها كل جيش المهدي .

يكونوا وقت الدخول مترتبين كما تقدم ، لم يحصل منهم ذلك لما تقدم فرجعوا بعد محاربة شديدة ومقتلة عظيمة بين الفريقين ولم يحصل الاستيلاء على مدينة الابيض ، كما سيأتي . فعند ذلك قال المهدي عليه السلام ، قال لي سيد الوجود ﷺ : لولا ولولا ولولا لحصل النصر . أخبرني الثقة وقال لي : سألت المهدي عليه السلام عن معنى قول سيد الوجود ﷺ له لولا ولولا ولولا ثلاثة مرات ، فقال لي معنى الحديث : لولا مخالفة أصحابك وعدم دخولهم مترتبين من الجهة الشرقية كما أمرتهم ولولا أخذهم للغنائم عند دخولهم في الخندق واشتغالهم بها ، ولولا اعجابهم بكثرتهم لحصل لهم النصر . وسيأتي ذكر ذلك ثانياً في محله .

ثم ارتحل عليه السلام من حجر أم لوبه ونزل بمحل يدعى أم حلوف قلت : أخبرني بعض الثقات أنه حصل لاصحاب المهدي عليه السلام بعد قيامهم من حجر أم لوبه قاصدين لأم حلوف تعب ومشقات فادحة ، [١٤٦] حتى أفضت بهم إلى هلاك بعض الدواب التي معهم للحمل والركوب ، وذلك بأسباب كثرة الامطار النازلة عليهم وشدة الوحل ، حتى أن الارجل تغوص فيه ولا تكاد تتخلص منه إلا بعد كل جهد ومشقة ، مع ما ينضم إلى ذلك من شدة الجوع لعدم تيسر وجود الازواد وشدة السهر لعدم تمكنهم من وضع جنوبهم على الارض من كثرة الطين والوحل ، حتى وصلوا لأم حلوف المذكورة بعد مضي ثلاثه أيام من قيامهم من حجر أم لوبة ، مع كون المسافة المعتادة بين المحلين لولا تلك المشاق والمتاعب لا تزيد على ستة ساعات فلكية تقريباً .

ثم ارتحل من المحل المذكور ونزل بمحل يدعى سرفايه أم عقود . ثم ارتحل ونزل بمحل يدعى بحجر أم بيج . ومنه ارتحل ونزل بجبل الكواليب . وهناك قابله شخص يدعى قطنه ، ومن رؤساء قبيلة أعراب الحوازمة [١] ، رسولاً من

(١) قلنا : قبيلة مشهورة بشمال جبال النوبة ، وهم من بطون البقارة ، ورعاة لهم بقر =

عامل المهدي عليه السلام عبد الله ولد النور ، يستحثه عليه السلام على الجد في السير للوصول لكردفان ، ويخبره بأن بعضاً من أهالي كردفان القاطنين بأطراف مدينة الابيض وأكنافها ، [١٤٧] لما نهكتهم الحروب ورأوا صولة الاتراك عليهم وشنهم الغارات عليهم وتخريب أماكنهم وأخذ غلالهم وأمتعتهم وحرق بيوتهم وقتل رجالهم وغير ذلك من شنيع أفعالهم وهم عاجزون عن مدافعتهم ، كاتبوا مدير كردفان وحاكمها إذ ذاك بالانقياد له وأنهم تحت طاعته ، وفعلوا ذلك مخافة شرهم وخوفاً من بطشهم وبأسهم إلى أن يأتيهم الله بأمر من عنده يزيل عنهم ما هم فيه من الكرب والقهر والذل ، وأن باطنهم مع العامل المذكور منقادين وبالمهدي عليه السلام مصدقين . فكتب المهدي عليه السلام للعامل المذكور كتاباً [١] يشكر فيه صنيعهم ، حيث إنهم مصدقون بالمهدي عليه السلام ، وأن باطنهم مع العامل المذكور وعلى موافقته ، وأثنى عليهم ودعا لهم بخير . ثم ارتحل عليه السلام من جبل الكواليب ونزل بجبل الكدر . ومنه ارتحل ونزل بحجر الليّونه . وقبل نزوله عليه السلام بحجر الليونه ، بالقرب منه ، أتاه جماعة من أولاد أبي صفية . وكذلك قابله بعض من قبيلة الغديات [٢] ورؤسائهم . وحسن بن حسين من المواليد بكردفان وبعض من قبيلة [١٤٨] التمام ، فبايعهم عليه السلام هناك ودعا لهم بخير . وكذلك أتاه

= كثير. ولهم نظارة - كانت رئاستها في الحمادي . وللقبيلة فروع في شرق الجبال. وسميت القبيلة بالحوازمة لانهم يتكونون من جماعات ترابطت وكونت وحدة قبلية هي الحوازمة . وكان لفرسانهم دور كبير في أوائل المهدية .

(١) قلنا : لم نقف على هذا الخطاب وعلى خطاب عبد الله النور الذي يشير اليه المؤلف أعلاه . وقد نقل المؤلف الخبر عن الرواة ولم يذكر أنه وقف عليها . انظر ما ذكرنا أعلاه بشأن الخطاب الآخر من المهدي الى عبد الله هذا .

(٢) قلنا : لاحظ أن بعض رجال هذه القبيلة وبعض أولاد أبي صفية قابلوا المهدي في قدير (ص ١٧٩) .

هناك عبد الباري بن الوالي من أهالى الديانة ، فبايعه عليه السلام . وقد كان المذكور يدعى أولاً عبد النبي فغير المهدي اسمه إلى عبد الباري [1] . وقد جرت السنة النبوية بتغيير بعض الأسماء إلى بعض ، فما فعله المهدي عليه السلام في هذا على وفق ما أتت به السنة من تغيير بعض الأسماء إلى بعض . وبجبل الليونه المذكور صلى بأصحابه عليه السلام صلاة عيد الفطر .

ثم ارتحل ونزل بمنهل يدعى الستجلة ثم ارتحل منه ونزل بمحل يدعى العفينات وقد غير المهدي عليه السلام ذلك الاسم وسماه العسيلات . والحكمة في تغييره نظير ما تقدم قريباً وهناك أتته قبيلة عرب السلامات وافدين فبايعهم . ثم ارتحل ونزل بمحل يدعى ام حلق . ثم ارتحل ونزل بمحل يدعى النعقه العاقر . ومنه ارتحل ونزل بمحل يدعى البركة في حلة عبد الباري بن الوالي . وهناك اتاه رؤساء قبيلة البديرية وبعض من رؤساء قبائل حمر الذين قاموا بحرب الاتراك الذين بالقرى التابعة لمدينة [١٤٩] الأبيض ، كمثل قرية أبي حراز وقرية اسحف وشن الغارات عليهم حتى أبادوا أكثر أهالي تلك القرى قتلاً وتشريداً . ثم ارتحل ونزل بمحل يدعى كازقيل ومنه ارتحل ونزل بمحل يدعى أم عرده وهناك اتاه جماعة من قبيلة المسيرية وافدين فبايعهم عليه السلام .

ومن محل أم عرده أمر المهدي عليه السلام بتوجه مائتي فارس لأهل مدينة الأبيض لينذروهم ويقولون لهم : عليكم أمان الله وأمان رسوله ﷺ وأمان المهدي عليه السلام إذا خرجتم وأتيتم إلينا منقادين ومسلمين ويحذروهم عاقبة

---

(١) قلنا : درج المهدي على تغيير الاسماء غير المستحبة ومن ذلك أنه غير اسم استاذه محمد الضكير الى محمد الخير واسم كاتبه أبي شوك الى أبي شوق . والمقصود بالتغيير في هذا الموضع هو أن العبودية لله سبحانه وتعالى فقط وهي فكرة سلفية أخذ بها الوهابيون أيضاً — انظر أن المؤلف يصفه ببعض أهل الديانة والمقصود بذلك أنه من أهل الطريقة وقد ابتدع الكردفاني هذا اللفظ مع أن المهدية لا تقبل مثل هذا الرأي . انظر ذلك في المقدمة .

المخالفة وأنهم لا يكونون سبباً في إهلاك نفوسهم وأبنائهم ونسائهم وغير ذلك من المواعظ . هذا وبين أم عرده المذكورة ومدينة الأبيض نحو ست ساعات فلكية .

ثم إن الفوارس المذكورين [أتوا] الأبيض وصاروا يطوفون حول المدينة المذكورة بحيث إن الرصاص يصل إليهم من الترك [١٥٠] المصطفين حول الخندق الذي عملوه محيطاً بالبلد ، كما سيأتي بيانه ، ويصيحون بأهل البلد ويقولون لهم عليكم أمان الله وأمان رسوله ﷺ إلى آخر ما تقدم .

فجعل الناس يتسللون من البندر مختفين تحت الظلام ثلة بعد ثلة والترك واضعون عليهم العيون والرصد من كل جهة فلا يكاد الإنسان يتخلص منهم إلا بعد كل مشقة فيسرع إلى اللحوق بالمهدي عليه السلام .

ثم ارتحل من أم عرده ونزل بكابة ، محل بينه وبين مدينة الأبيض ثلاث ساعات فلكية تقريباً . وذلك يوم الخميس السادس عشر من شهر شوال عام تسعة وتسعين بعد المائتين والألف[١] . وبعد حلول المهدي عليه السلام هناك [حصل] الأمن والأمان واستبشر القاصي والدان واستنارت بنيران هدايته جميع الأكوان .

ذكر واقعة الأبيض مدينة كردفان[٢] :

ولما نزل المهدي عليه السلام بكابة أتت إليه القبائل والاعراب الذين كانوا

---

(١) قلنا : يوافق ٣١ أغسطس ١٨٨٢ م .

(٢) قلنا : قوله مدينة كردفان هنا يعني عاصمة كردفان ، وقد بينا فيما سبق حدود إقليم كردفان في العصر التركي .

[١٥١] شنوا الغارات على القرى التي فيها الأتراك بكردفان وهي قرية أبي حراز وقرية أسحف وقرية بارة وقرية التياره .

أبو حراز : [١]

فأما قرية أبي حراز فإن أول من قام بحرب أهلها شخص يدعى حامد بن السنجك من البديرية من أهالي كردفان . فحشد لذلك واجتمعت عليه القبائل من كل أوب وأحاطوا بأهل أبي حراز ومن معهم من الاتراك ودخلوا عليهم في القرية وجالت الخيل في القرية المذكورة قتـــلاً وأسراً وأضرموا على القرية المذكورة النار فاحترق أغلب بيوتها ، وذلك بعد حروب وغارات . وقتلوهم وشتتوا شملهم ولم ينج من الترك وأهل القرية المذكورة الا القليل الهارب القاصد الالتجاء بمدينة الابيض . وقد كان الوقت في شدة من الحر فمات أكثر من تخلص من المقتلة بالعطش ولم يصل الى مدينة الابيض منهم إلا القليل . فخرجوا بعـد ذلك فيمن خرج من أهل الأبيض لمبايعة المهدي عليه السلام بكابة فبـــايعوه وحصل لهم الامن والامان ، وظهر مصداق قول المهدي عليه السلام أن سيــد الوجود صلى الله عليه وسلم [١٥٢] أخبره بكروب تحصل ولا فرج ولا مخلص منها إلا بالاجتماع بالمهدي عليه السلام[٢]. فإن أهل تلك القرية المذكورة وغيرها من بقية أهل القرى المذكورات بل وأهل مدينة الأبيض كانوا قبـــل حلول المهدي عليه السلام بكابة في شدة وكرب عظيم ، كما تقدم وسيأتي ، وما حصلت لهم السلامة والامن إلا بعد اجتماعهم بالمهدي عليه السلام ومبايعته .

---

(١) قلنا : هذا العنوان بهذا الوضع من عندنا .

(٢) قلنا : ذكر المهدي ذلك في خطابه إلى الاحباب في الله ... الصادر في شعبان ١٢٩٨ (الانذارات ص ٦). انظر المرشد رقم ١٦ .

وأقول ان هذا الامر حاصل الى الآن في باقي الجهات على اتساعها شرقاً وغرباً . فإن كل من لم يجتمع بخليفة المهدي عليه السلام ويبايعه فلا يزال في كرب وهم وشدة ، ولا سبيل الى نجاته من ذلك ولا الى سلامته الا بالاجتماع بخليفة المهدي عليه السلام سيدنا الخليفة عبدالله خليفة الصديق ومبايعته ، فإنه وارث المهدي عليه السلام والقافي لأثره كما قضت به المشاهدة لدى الخاص والعام.

أسحف : [1]

هذا وأما قرية أسحف فإن مكي بن ابراهيم ابن اسماعيل منمم وأبا القاسم ابن صالح وأحمد ولد شنبول قد جمعوا لحرب أهل تلك القرية الجمع وحشدوا لذلك واجتمعت عليهم القبائل ونازلوا أهلَ تلك القرية [١٥٣] المذكورة وأحاطوا بهم من كل جهة وأشعلوا النيران على بيوتهم فصارت النساء والصبيان والبهائم يصيحون صيحة واحدة هائلة ، فكان يوماً مشهوداً من كثرة البكاء والصراخ ، وشاهدوا من الاهوال ما يعجز عنه الوصف . فعند ذلك تمكنوا منهم وقتلوهم [قتلاً] ذريعاً ولم ينج منهم إلا الهارب الملتجىء بقرية بارة ، لكون أسحف قريبة من بارة بينهما نحو ثلاث ساعات فلكية تقريباً ، وكانت واقعة عظيمة .

بارة : [2]

وأما أهل قرية بارة فإنهم تحصنوا بأعمال خندق عميق يمنع عنهم من يريد حربهم ويصدهم عن الاغارة عليهم بداخل القرية . وكان القائم بتدبير أمرهم

---

(١) قلنا : هذا العنوان بهذا الوضع من عندنا .

(٢) قلنا : هذا العنوان بهذا الوضع من عندنا .

بعضاً من رؤساء الاتراك المقيمين ببارة للمحافظة عليها يدعى سرور أغا . وقد تحزبت تلك القبائل المذكورة وحشدت لحربهم وأحاطوا بهم . ولما قربوا من الخندق المذكور أطلق عليهم أهل الخندق المذكور البنادق ورموا عليهم بالمدافع والصواريخ من كل جهة فقتلوهم قتلاً ذريعاً حتى خرجوا من الخندق في أثرهم يقتلونهم حتى أزالوهم من أكناف [١٥٤] تلك القرية .

ثم بعد حلول المهدي عليه السلام بالجنزارة خاطب أهل بارة ودعاهم الى الله فانقادوا وسلموا وصاروا يتسللون من الاتراك ثلة بعد ثلة ويقصدون جهة المهدي عليه السلام لمبايعته . ولما علم رؤساء الترك الذين معهم بالخندق ميل أهل بارة لمتابعة المهدي عليه السلام وتحقق عندهم ذلك بالغوا في التحفظ على من كان من أهل تلك القرية ومنعوهم من الخروج عن الخندق ولو لقضاء الحاجة اللازمة خوفاً من تفلتهم وتوجههم لجهة المهدي عليه السلام ، وكلما علموا بشخص يريد الخروج والتوجه لجهة المهدي عليه السلام يقبضون عليه ويودعونه السجن بعد أن يوجعوه بالضرب وشدة الاذى . ثم يجعل الله له فرجاً ومخرجاً ويتخلص منهم ويلتحق بالمهدي عليه السلام .

ثم إن المهدي عليه السلام أمر بعضاً من الأصحاب بالمسير اليهم وبالنزول بساحتهم ، يقصد محاصرتهم الى أن يسلموا ويخرجوا منقادين ، فحصل بذلك فرج ومخرج لأهل تلك القرية فصاروا يتسللون مختفين عن الاتراك بعد [١٥٥] أعمال الحيل والطرق اللازمة الموصلة لهم الى الخروج ولو بإعطاء دراهم لمن يكون من الاتراك على أبواب الخندق . وبهذه الوسيلة تخلص بعض من أهل تلك القرية وخرجوا ، واشتد الأمر ودام الحصار على الترك الذين ببارة ومن كان معاضداً لهم من أهل البلد ، وضاق بهم الحال حتى انهم من شدة الجوع وتعذر الاقوات أكلوا الحمير والكلاب والجلود البالية والعظام النخرة .

وفي أثناء ذلك يخرج بعض الناس بأعمال الحيل ويتخلصون من الأتراك

الذين بداخل الخندق ، حتى إن بعضاً من أهل التسليم لجناب المهــدي عليه السلام الذين بداخل الخندق المذكور لما أعيتهم الحيل وتعذر عليهم الخروج هم وأبنائهم ونسائهم ، شرعوا في أعمال الطرق المخلصة لهم من أيدي الاتراك ، فأغروا بعضاً ممن كان بداخل الخندق المذكور على اضرام النار على بعض البيوت التي بداخل الخندق ، ليكون ذلك وسيلة لشغل الترك بالمحافظة على جبخانتهم ، فيغفلون عن الناس حتى يتمكنوا من الخروج . وقـد كان فأضرم ذلك البعض النار في بعض [١٥٦] بيوت الخندق على حين غفلة من أهلها فحصلت زعزعة عظيمة واضطراب كبير واشتغل الاتراك بحفظ جبخانتهم من النــار وتمكن الناس من الخروج . فخرج أهل تلك القرية وتخلصوا بأبنائهم ونسائهـم ولم يتمكنوا من أخذ أموالهم فتركوها ، فاحترق أغلبها ، وبعضها أخذه الاتراك .

وبأسباب هذه الحيلة خرج أغلب أهل بارة وبعض من أهل قرية أسحف الذين سلموا من مقتلة أسحف ولجأوا الى أهل بارة . وبقي بالخنــدق جميع الاتراك ومن كان معاضداً لهم ومن لم يتمكن من أهل القرية من الخروج فحصل لهم من الضيق والشدة ما لا مزيــد عليه ، حتى إنهم أكلوا الجيف وصارت العساكر يصولون على الناس في بيوتهم فينهبون ما يجدونه عنـدهم ويختطفون الحمير كالذئاب العادية ، وبلغوا من الكروب ما هو أشنع من ذلك . فعند ذلك خرجوا مسلمين منقادين وأتوا لعمال المهدي عليه السلام الذين نازلون حول تلك القرية لمحاصرتهم فأوصلوهم الى المهدي عليه السلام فبايعهم وحصل لهم بذلـك الأمن والأمان ، وظهر كما تقدم مصداقُ قول المهدي عليه السلام [١٥٧] أن سيد الوجود صلى الله عليــه وسلم أخبره بكروب تحصل ولا فرج ولا مخلص منها الا بالاجتماع بالمهدي عليه السلام .

هذا وقد كان في أثناء حصار قرية بارة أتت جردة عظيمة من الخرطوم ، قائدها شخص يدعى علي بيك الشهير بأبي كوكة ، ومعه من الآلات الحربية والذخائر الاستعدادية ما يفوق على الحد ، بقصد النجدة للترك الذين بكردفان ، والمهدي عليه السلام اذ ذاك بمحل الجنزارة محاصراً للترك بمدينة الابيض ، فحشد وجمع للجردة المذكورة رحمة ولد منوفل الجامعي ، وقابلهم بمحل يدعى الكوبينه بينه وبين بارة تقريباً مسافة [1] يوم . فحاربهم هناك وقتلهم شر قتلة وقتل رئيسهم علي بيك المذكور . والباقي من المقتلة هرب وانضم الى الترك الذين ببارة ، ثم خرجوا عند تسليم الترك الذين هم ببارة لمقابلة المهدي عليه السلام .

التيارة : [2]

وأما قرية التيارة فإن المنة بن اسماعيل حشد لها وجمع لها الجموع ونـدب الناس فأتوه من كل جهة واجتمعت عليه القبائل ، وقصدوا القرية المذكورة ونازلوها وأرسل اليهم الرسل وأنذرهم [١٥٨] وحذرهم عاقبة المخالفة فأبوا عليه ولم يذعنوا ، وتصمم الاتراك الذين بتلك الجهة على حرب المنة [3] وعلى

---

(١) قلنا : في المخطوط : من مسافة .

(٢) قلنا : هذا العنوان بهذا الوضع من عندنا .

(٣) قلنا : اسمه الكامل : محمد المنة (أو المنا بالألف) بن اسماعيل . وهو من أعيان الجوامعة ورجل دين كان مشهوراً . وقد اتصل به المهدي قبل المهدية ثم تعاهدا على مناصرته للمهدية . انضم إلى المهدية منذ أيامها الأولى واحتل مركز التيارة . لعب دوراً خطيراً في حصار بارا وفي وقائع أخرى . وكان يقود جيشاً كثيفاً . اختلف مع المهدي بعد فتح الأبيض ، وكان خلافه متصلاً بموضوع الخلافة ومنصب الخليفة عبد الله ، وعلى الأثر خرج المنة بجيشه وعسكر في حلة ياسين بدار الجوامعة. وبالتالي رفعه المهدي عن الإمارة ثم أرسل جيشاً لمعارضته الرفع وتم =

عدم التسليم ، وخندقوا على أنفسهم . فحمل المنة هو والجيش الذين معهم بعزم وثبات حتى دخلوا عليهم في الخندق المذكور واختلطوا بهم وقتلوهم قتلاً ذريعاً ولم ينج من تلك القرية أحد إلا النادر اليسير .

وأقول : ان المنة هذا قد كان بعد فتوح مدينة الابيض بل وقبـــل ذلك حصلت منه مخالفات وجرت منه أمور مخلة يطول شرحها ، حتى صار يخالف أوامر المهدي عليه السلام وغير ذلك من أوجـــه الموبقات التي أفضت به الى الهلاك والدمار . ولما تحقق للمهدي عليه السلام مخالفة المنة المذكور وعـــدم امتثاله الى ما يؤمر به كرر له الانذارات[1] ووعظه بالمنشورات فلم يؤثر ذلك فيه شيئاً وتمادى على الضلال . ثم إن المهدي عليه السلام بعث اليه خطاباً من عنده وأرسله اليه مع حمد أبي عنجـــة وعبد الرحمن النجومي وعبدالله ولد النور ، ومعهم جماعة من أصحاب المهدي عليه السلام ، لينذروه ويحذروه عاقبـــة المخالفة .

ولما وصلوا عنده بمحل المدعو ياسين [2] طلبوا منـــه أن يخرج من منزله ليقرأوا عليه جواب المهدي عليه السلام المذكور ويطلعوه عليه . فقال لهم وهو بداخل منزله أنا مشغول بالسؤال [١٥٩] والدعاء ، ولم يخرج اليهم ولم يلتفت لكلامهم ولا لجواب المهدي عليه السلام . فلما أرادوا اخراجـه من المنزل

= القبض عليه وعلى بعض معاونيه . قتل المنة وبعض معاونيه وأقاربه في مايو ١٨٨٣ وقد أثار قتله الأقاويل (انظر تاريخ نعوم شقير ص ٧٠٩) وقد أشار كتاب جهاد في سبيل الله إلى حادث القبض عليه وقتله (انظر ص ٤٥ وما يلي) .

(١) قلنا : وقفنا على إنذارين من هذه الإنذارات . انظر المرشد إلى وثائق المهدي رقم ٩١ و ٩٨ .

(٢) قلنا : ويدعى حلة ياسين .

ليقرأوا عليه جواب المهدي عليه السلام عارضهم أقارب المنة المذكور وجماعته وحاربوا رسل المهدي عليه السلام المذكورين. فلما بدأوا رسل المهدي عليه السلام بالحرب قاتلوهم حتى أخرجوا جماعة المنة المذكورين من الحلة المذكورة، وقتلوا من جماعة المنة المذكور من قتلوا، وأوثقوا المنة المذكور كتافاً، هو وأبوه اسماعيل وابنه محمد علي وبعض من أقاربه.

ثم إن رسل المهدي عليه السلام المذكورين خاطبوا المهدي عليه السلام بجميع ما وقع من المنة المذكور وأقاربه. فكتب المهدي عليه السلام للرسل المذكورين كتاباً يأمرهم فيه بقتل المنة المذكور هو وأبوه اسماعيل وابنه محمد علي وبعض أقاربه المذكورون، لما حصل منهم من المخالفات والموبقات المذكورة، فقتلوا — نسأل الله أن يحسن عاقبتنا في الأمور كلها ويجيرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.

هذا وقد انجلت الغمة واستراحت الأمة بحلول المهدي عليه السلام بكابة. وقد كان أهالي أطراف كردفان ورؤساء القبائل المذكورين الذين هم باكناف مدينة الابيض [١٦٠] ونواحيها قبل حلول المهدي عليه السلام بكابة قد دوخوا أهل مدينة الأبيض بشن الغارات عليهم بالغدوات والعشية حتى منعوا الناس من الخروج من المدينة المذكورة فصار كلما خرج أحد لقضاء حاجة كاحتطاب أو جلب حشيش لعلف الدواب أو غير ذلك يخطفونه ويسلبونه وربما قتلوه، وهو الغالب عليهم حتى إن الخيل صالت على من كان باطراف المدينة المذكورة واختطفوهم. وكلما انفلتت بهيمة أو خرج مملوك هم [و] الاتراك الذين معهم بالبلد يرون ذلك ولا يستطيعون حيلة ولا يهتدون الى دفع ذلك ولا الى رده سبيلاً.

ولما رأى محمد سعيد مدير كردفان اذ ذاك ومن معه من رؤساء حكومتهم انتشار الأمر وصعوبة الحال واضمحلال رسومهم عقدوا لهم مجلساً حافلاً وجمعوا

فيه رؤساء المدينة المذكورة وأعيانهم واستشاروهم في فعل أمر يكون فيه صلاح لهم ولأهل المدينة المذكورة يحفظهم من تخطف الاعراب لهم ولصدهم عن الاغارة على من كان بداخل المدينة ، لأنهم كادوا يدخلون على البلد أو دخلوها بالفعل لعدم من يحميهم من ذلك ، لظهور عجز الترك عن المدافعة ولو بالمدافع .

وفي استشارة محمد سعيد ومن معه من أعيان دولته لأهل مـــدينة الابيض [١٦١] نوع امتحان واختبار لأحوالهم وهل يوافقون على ذلك أو يخالفون . ولما تفطن أهل المدينة لذلك ، وعلموا أنهم إن خالفوا في ذلك يحصل لهم زيادة الوبال وربما جر ذلك الى القبض على[1] رؤساء أهل البلد وايـــداعهم السجن واهلاكهم ، لأنهم بصدد ذلك لاتهامهم بالميل لجناب المهدي عليه السلام ومحبتـه والتسليم له ، أجابوا جميعاً بالامتثال لما يأمرهم به محمد سعيد المذكور . فأمرهم بحفر خندق محيط بالبلد ليكون مانعاً من الاغارة على البلد وحصنا حصينا كافاً[2] لمن يرد الدخول والهجوم على البلد . فأمر بإرسال المهندسين ومعهم بعض من رؤساء دولتهم وأعيان أهل البلد ورؤسائهم وقاسوا المواضع التي يحفر فيها الخندق وعدلوها وجعلوا على كل طائفة وكل قبيلة من أهل البلد محلاً معلوماً ومقداراً مفهوماً وألزموهم بحفره . وصار المدير المذكور يمر عليهم بالغـدوات والعشايا ويحثهم على الاستعجال في حفره . وربما آذوا من وجدوه متأخراً عن الخندق في الحفر . فحصلت بذلك للناس مشقة عظيمة لا سيما والناس في ضيق من أمر المعاش ، فكابدوا غاية المشقة في حفره ، وأكثرهم مجبور على ذلك . فحفروه وأحكموه وجعلوه في غاية القوة وعمقوه وأحكموا صنعه وذلك بمرأى ومسمع من [١٦٢] المدير المذكور والمهندسين .

---

(١) قلنا : في المخطوط : إلى ، وقد عدلناه إلى : على .

(٢) قلنا : كافاً بمعنى مانعاً .

ثم إن المدير المذكور أمر بإخراج العساكر والآلات الحربية [1] وأمرهم بالاقامة بداخل ذلك الخندق مصطفين حوله: وأمر بتفريق الاسلحة النارية على أهل البلد بحيث إن كل رئيس من رؤساء البلد يعطى جملة من الاسلحة النارية ومعها المهمات اللازمة للحرب من بارود ورصاص، ويؤخذ عليه التعهد اللازم بتقسيمها وتفريقها على جماعته ليحملوها ويحافظوا بها على البلد مع عدم التفريط منهم ولا التضييع لشيء من تلك الاسلحة وما معها ، وهكذا. وأمر بخروج أهل البلد من البيوت والاقامة بداخل الخندق المذكور وأمر أن يجعل بلصق كل طائفة من أهل البلد جماعة من العساكر متصلين به . وهكذا في أغلب أنحاء الخندق المذكور . وانما لم يجعلوا أهل البلد في جهة والعساكر في جهة أخرى لعدم ائتمانهم لأهل البلد وخوفهم من غدرهم وخروجهم لجهة المهدي عليه السلام ، فمزجوهم بالعساكر كما ذكرنا ليكونوا عليهم عيناً .

ومع ذلك فقد صار أهل المدينة المذكورة يتسللون مستخفين ويذهبون لمقابلة المهدي عليه السلام وأخذ البيعة منه ، وجعلوا يحتالون على الخروج حتى إن بعضهم لما لم يجد حيلة للخروج [١٦٣] الا باعطاء الرشوة للخفراء الموكلين بالمحافظة صار يرشي الخفراء الموكلين بملاحظة اهل البلد ويمنعهم من الخروج ويخرج على حين غفلة من باقي العساكر ، وهكذا .

ولما تحقق للترك ميل أهل البندر الى طاعة المهدي عليه السلام وتحقق عندهم خروج البعض منهم ولحوقه بالمهدي عليه السلام وخامرهم من جهة أهل البلد ما خامرهم ، عقدوا لهم مجلساً خاصاً وائتمروا فيما بينهم على اعمال خندق مخصوص

---

(١) قلنا : انظر قوة حامية الأبيض وأسلحتها في تاريخ نعوم . وانظر روايات الضباط والعساكر الذين شاهدوا حوادث الثورة في كردفان في مجموعة المخابرات الحربية المصرية بدار الوثائق المركزية تحت رقم ١/١٠/٥١ .

يحيط بهم وبمحل حكومتهم الخاص للآلات الحربية والمهمات والذخائر والادوات وما يحتاجون اليه من الامور اللازمة لهم ، بحيث يكون ذلك الخندق محتوياً على جميع منازلهم وما يتعلق بأماكن حكومتهم . ومتى ما شاهدوا من أهل البلد أمراً يكرهونه أو أحسوا منهم بخيانة ينضمون بأجمعهم في داخل ذلك الخندق المذكور ويأمرون أعيان البلد ورؤساءهم بالدخول معهم فيه . وكل من خالفهم يقتلونه ويأخذون ماله .

هكذا كانت نيتهم وعزيمتهم ، إلا أن الله تعالى صرف كيدهم عن أهل البلد وأعجزهم بقدرته الباهرة عما أرادوه بأهل البلد ، لأن الله ، جلت قـــدرته وعظمت منته ، سلم أهل البلد من تلك المكيدة والداهية الشديدة فشغل الاتراك بنفسهم ودهاهم بنزول المهدي عليه السلام [١٦٤] بكابة ، فلم يتمكنوا من إهلاك أهل البلد ، بل صاروا يلاطفونهم ويرغبونهم ويعدونهم بالعطايا والصلات عند انتهاء هذه المسألة بزعمهم ، ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون.

فاتفق رأيهم على ذلك وعملوا عليهم خندقاً مخصوصاً حسبما وصفنـــا ، ولم يكلفوا أهل البلد بخدمته كالسالف بل تولوا خـدمته بعساكرهم فقط ، وأتقنوا صنعه وعمقوه الى الغاية وجعلوا وراءه زرباً متيناً من الشوك بحيث لا يمكن بحسب العادة الدخول منه ولا التوصل الى من كان بداخله الا بكل مشقة شديدة ، وجعلوا فيه بعضاً من عساكرهم ومعهم من الآلات الحربية والمدافع والبنادق ما فيه الكفـاية . واغلب العساكر في الخندق العام مع أهل البـلد ، والمهدي عليه السلام اذ ذاك بكابة .

ثم انه عليه السلام قال للاصحاب من نرسله منكم للترك يوصل اليهم كتابنـا فانتدب اليه رجلان أحدهما يدعى جابر ولد جلي والثاني يدعى محمد المغربي وقالا

له : نحن يا خليفة رسول الله. فقال لهما : أترضيان بالموت في سبيل الله. فقالا له : نرضى بالموت في سبيل الله ، فدعا لهما بخير ، وأعطاهما كتابين أحدهما لمحمد سعيد ومن معه من رؤساء دولته وثانيهما لأعيان أهل مدينة الأبيض وعامتهم. ولم أقف الآن على الكتابين المذكورين حتى نكتبهما في هذه السيرة [١٦٥] ولعلي نجدهما بعد ذلك فنثبتهما بخطها كما التزمنا بذلك في خطاباته عليه السلام الملوك وغيرهم (١) .

فلما أوصلا الكتابين المذكورين لمحمد سعيد أمر بإحضار جميع رؤساء دولته وإحضار أعيان أهل البلد ورؤسائهم وأمر بأن يتلى عليهم الكتابان المذكوران . فلما تليا قال لهم ماذا ترون في هذا الأمر ، كأنه يستشيرهم في التسليم للمهدي عليه السلام من عدمه . فتفطن أهل البلد لمقاصده فلم ينطق أحد منهم بكلمة . وجعل يسأل الرسولين المذكورين عن أحوال المهدي عليه السلام وعن الجيش : قلة وكثرة وغير ذلك ، وهما يجيبانه بثبات قلب وقوة عزم وصدق نية عن جميع ما سألهما عنه حتى أظلمت الدنيا في وجهه ورؤي عليه الكآبة والتغيظ

---

(١) قلنا : بل هو خطاب واحد وجه المهدي نسخاً منه لمن ذكرهم المؤلف ونص هذا الكتاب وارد في الإنذارات . ولم يذكر المؤلف بدقة أن الكتاب قد أرسل يوم نزول المهدي بكابة ، ولكن قوله يعني ذلك . ثم إنه ذكر أن نزوله بكابة كان يوم ١٦ شوال ، وهذا صواب وان لم يذكر في نص آخر بهذه الدقة . وأهمية ذلك أن الناقلين لنص انذار المهدي الى أهل الابيض والذي يذكره المؤلف هنا قد أثبتوا له تاريخاً متأخراً وهو ١٩ شوال ، والصحيح ١٦ منه كما يدل عليه التحقيق وما يستدل من أقوال المؤلف . وقد أورد المؤلف ذكر الجنزارة وهي بلدة بقرب الأبيض اتخذها المهدي معسكراً بعد هزيمة الجمعة التي سبقت الإشارة اليها . انظر الخطاب في المرشد رقم ٥٠ وانظر ما كتبه لأهل الأبيض في تاريخ سابق في المرشد : رقم ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ .

من شدة أجوبتها وعدم مبالاتها به وبعساكره ورجال دولته . فصار يلتفت على أهل البلد وتارة على رجال دولته ويتكلم معهم بلسان الترك . ثم قال ، أعني محمد سعيد ، أنا لا أسلم أبداً وليس بيننا وبينه إلا الحرب . ووافقه على ذلك جميع رؤساء دولته ، وأهل البلد المذكورون سكوت لا يتكلمون خوفاً من بطشه لو نطقوا بخلاف مراده ، ما عدا أحمد محمد دفع الله [1] ، فإنه وافق محمد سعيد على ذلك . وقد كان شديـــد العداوة لجناب المهدي عليه السلام ، وسيأتي أنه لم يدخل من أهل البلد الأعيان مع الترك في داخل خندقهم المخصوص إلا أحمد محمـــد دفع الله [١٦٦] المذكور . فعند ذلك أمر بقتل الرسولين المذكورين ، فقتلا .

أخبرني من أثق به أنه لما تحقق للرسولين المذكورين أنهما يقتلان طلبا ماء وتوضآ وصلى كل واحد منهما ركعتين . ثم قدما فقتلا . وظهر منهما صبر عظيم وشجاعة زائدة وعدم مبالاة بالموت ، فرحمهما الله تعالى رحمة واسعة .

وهكذا أصحاب المهدي عليه السلام ، فإن الموت عندهم أحلى من العسل . فـــلم يبالوا بضرب السيوف ولا طعن الأسل . قلت : ولم يقتل للمهدي عليه السلام من الرسل غير هذين ، وفي هذا أسوة نبوية . وهي أنه لم يقع قتل الرسل في عهد النبوة إلا مرة واحدة ، وناهيك بها من أسوة !

---

(١) قلنا : أحمد محمد دفع الله : جعلي الاصل ، وموطنه قرب شندي . كان بينه وبين الياس أم برير منافسة وخصومة وبسبب ذلك انشق أهل الابيض ووقفت قبائل في صفه وقبائل في صف أم برير . وكان لذلك أثر في حوادث كردفان . وقف ضد المهدية بكل قوة بينما وقف الياس معها . قاد قوة من الجنود ببسالة في واقعة الجمعة وظل في موقفه حتى سقوط المدينـــة . أرسل مسجوناً الى شكا وقتل في ١٨٨٣ على يد مادبو زعيم الرزيقات بأمر المهدي .

ولما بلغ المهدي عليه السلام قتلهما فرح لهما بنيل الشهادة وترحم عليهما . ومع ذلك لم يعاجلهم بالحرب كما هو دأبه عليه السلام من الرفق والتلطف والرأفة والشفقة بخلق الله والصبر على الأذى وتحمل المكاره . ولعل الله أن يهديهم إلى الطريق الأقوم . فأقام عليه السلام بكابة بقية ذلك اليوم ، أعني يوم الخميس إلى ليلة الجمعة القابلة وفي أثناء تلك المدة أمر بانتخاب نحو ألف فارس [1] وفيهم أخوه الشقيق محمد وأعيان أصحابه الكرام ليطوفوا حول البلد وينذروا أهله ويحذورهم عاقبة المخالفة ويقولوا لهم عليكم أمان الله وأمان رسوله ﷺ ومهديه عليه السلام إذا خرجتم لمقابلة المهدي عليه السلام ومبايعته ، ويأمرونهم بأن يتسللوا [١٦٧] بأنفسهم وأبنائهم ونسائهم، ويتركوا الحطام الفاني ولا يشتغلوا به ليحوزوا السلامة الدنيوية والأخروية . فصارت الفوارس المذكورون يطوفون حول البلد وينادون بالأمان كما ذكرنا ويحذرون الناس وينذرونهم يذكرونهم بأيام الله مع السالفين من المخالفين .

هذا ، والترك يرمون على الفوارس المذكورين بالمدافع من كل جهة فلم تؤثر فيهم شيئاً مع قربهم من البلد حتى كانوا أقرب إليهم من منتهى مرمى الجلل . وهكذا عادة الله المستمرة في المهدية : إن الآلات النارية قد أضعف الله ما فيها

---

(١) قلنا : ذكر كتاب جهاد في سبيل الله أن القوة أرسلت بناء على اقتراح عبد القادر ساتي على الذي رجا المهدي (أن يمهل أهالي الابيض فسيخرجون اليه مهاجرين لأنهم جميعاً مسلمون بأمر المهدية وأشار عليه أن يرسل ألفي حصان تدور حول الابيض الخ) ص ٤٠ . ولكن هذا المصدر يخالف رواية المستهدي في عدد الفرسان فيذكر ألفين بينما يذكر المستهدي ألفاً . وقد أشار المؤلف (ص ١٤٩) الى ارسال مثل هذه القوة لنفس الغرض من أم عردة ، ولكني لا أجد مصدراً آخر يذكر هذه الواقعة . بيد أن هذا لا ينفي ما يذكره ، فالمستهدي في مثل هذا الأمر هو السند الاكبر لأنه قريب عهد بالحوادث وأبطالها .

من الاضرار ، فهي ، وإن كانت تعمل في المشاهدة ورأى العين ، ممحوقـــة التأثير جملة كافية ، بحيث إن الجلل تقـــع وسط الجالسين ولا يتفرقون من موضعهم أصلاً ولا يغيرون جلستهم لعدم مبالاتهم ، رغبة في الموت في سبيل الله ولقلة إضرارها بهم . وقد شاهد هذا الجم الغفير من الناس ولا سيما في أوقات الحصار بل وَفي سائر أوقات الحروب . وعندي : أن هذا ، أعني أعمالها في المشاهدة العيانية مع ضعف أضرارها ، أبلغ في خرق العادة من عدم خروج النار منها بالكلية وأهيب في الصدور وأعظم للمجاهدين في الأجور ، لأنه ربما يصابون ببعض تلك الآلات النارية فيكون في ذلك وسيلة لنيل مقام الشهادة التي هي المقصد الأعظم . وأما عدم اعمالها بالكلية فلم يكن فيه ما ذكر .

وقد صار الناس يتسللون من بين الأتراك مستخفين وجعلوا يرشون الخفراء والذين على أبواب الخندق وغيرها ويتخلصون حتى يصلون إلى المهدي عليه السلام . [١٦٨] ولما تحقق للترك خروج أهل البلد ثلة بعد ثلة لمقابلة المهدي عليه السلام ومبايعته ، وعجزوا عن الإيقاع بهم خافوا من عاقبتهم لأنهم خافوا حصول فتنة تكون بينهم وبين أهل البلد تفضي إلى هلاكهم أو إخلال أمرهم . وعلموا أن أعيان أهل البلد ورؤسائهم صار هواهم في متابعة المهدي عليه السلام وصار كل من أمكنه الخروج منهم بنفسه خرج لمقابلة المهدي عليه السلام ، ومن لم يستطع الخروج لكونه ملاحظاً من الترك بالعيون والرصد لكونه من الرؤساء والمشاهير أرسل ابنه وأخاه أو غير ذلك ممن يثق به ليأخذ له البيعة من المهدي عليه السلام ، عقدوا لهم مجلساً وائتمروا فيما بينهم فيما يفعلونه . فاتفق رأيهم على ترك الخندق الكبير المحيط بالبلد خالياً من العساكر وعـــلى أن ينضموا بأجمعهم في داخل خندقهم المخصوص المعمول لذلك ، للخلل الحاصل من أهل البلد ويحملون الناس على الدخول معهم فيه جبراً . وكل من امتنع من الدخول

معهم يقتلونه ويأخذون ماله ، ولا سيما الاعيان من أهل البلد، فانهم مقصودون زيادة على غيرهم .

فأمر محمد سعيد بجمع أعيان أهل البلد وكان من نيته في تلك الجمعية القبض على الرؤساء والاعيان وإيداعهم السجن، حتى بأسباب ذلك يتمكن من إدخال أبنائهم ونسائهم وجميع أهل البلد معهم في ذلك الخندق المخصوص . ثم إن الله جلت قدرته صرف عزمه وأعجزه عن ذلك لطفاً منه تعـــالى بعباده فصار يلاطفهم بالقول الجميل والترجي على الدخول ويعدهم بالنصر وأن يحسن إليهم وما أشبه ذلك من أوجه الملاطفة ، فأظهروا [١٦٩] له الامتثـــال والرضا وأنهم يدخلون معه وهم مضمرون على خلافه . فتفرقوا من ذلك المجلس، لم يصبهم شيء ولم يمسسهم سوء . ثم لم يتيسر لمحمد سعيد جمعهم ثاني مرة لما دهاه من قرب المهدي عليـــه السلام وحصول الروعة في صدره من ذلك . فاشتغل بنفسه وأيس من أهل البلد ولم يتمكن منهم وفي صدره منهم جمر الغضا لو ظفر بهم وهيهات أن يظفر بهم .

ففي صبيحة يوم الخميس الثالث والعشرين من شهر شوال المذكور أمر رؤساء العساكر بالانصراف عن الخندق الكبير والدخول في الخنـــدق الخاص فأشعر بعضهم البعض بضرب البوري وتحريك الآلات حسب اصطلاحهم المعهود بينهم في ذلك وحملوا جميع ما معهم ودخلوا في خندقهم المذكور وتركوا الخندق الكبير خالياً عنهم . وفي ذلك اليوم شاهد أهل البلد من الاهوال والمشقات ما يكل عنه الاحصاء ، وصالت العساكر على أهل البلد وامتدت أيديهم في البلد المذكور نهباً وقتلاً ، وأسرفوا في النهب والسلب والقتـــل وتخريب المنازل وانتهاك الحرمات ، فاحتمى بالمساجد الجم الغفير من الناس خوفاً من شرهم ، فمالوا عليهم ونهبوا ما بأيديهم وسلبوا ثيابهم وربما [١٧٠] قتلوا من جاذبهم في

اشيـاء في المساجد . وكل من تخلص منهم يفر هارباً لجهة المهدي عليه السلام ويلقي جميـع ما عليه من الاثقال . وربما يلقي الواحد منهم بعض ثيابه التي عليه ليتخفف للهرب من الترك حتى ينجو .

واستمر الحال على هذا المنوال من صبيحة يوم الخميس المذكور إلى ليلـة الجمعة الرابـع والعشرين من الشهر المذكور . وبأسباب دخول الترك في ذلك الخندق الخاص امتاز أهل البلد عن الترك فخرجوا لمقابلة المهدي عليه السلام بكابة حتى النساء والصبيان والعمي ، حافين الاقـدام ، وتركوا منازلهم كما هي لم يأخذوا منها شيئاً يعول عليـه ، بل أغلبهم خرج وما معه سوى ثيابه التي عليه ، ولم يبق مع الترك بخندقهم المذكور من أهل البلد الذين يعول عليهم إلا أحمد محمد دفع الله وحاشيته ومن كان منضماً إليه في حزبه . فإنه انضم إليهم واستمر معاضداً لهم .

ولما تحقق للمهدي [1] عليه السلام امتياز أهل البلد من الأتراك ولحوقهم به عليه السلام بكابة ، وأن الترك مصممون على محاربة المهدي عليه السلام ، ولم ينجع فيهم الانذار والمواعظ ، أمر عليه السلام بتجريد الجيش لحرب الأتراك المذكورين وأن تجر إليهم جحافل مسومين [١٧١] بشعار العداة التقاة ورايات الحماة الكماة ، وأمر بإحضار أمراء الرايات أمامه فذاكرهم ورغبهم فيما عند الله وفيما أعده الله تعالى للمجاهدين من جزيل المثوبة وفضل الشهادة . وأمرهم بأن يدخلوا الخندق مرتبين : بمعنى أن أول راية تدخل من جهة القبلة راية محمد أخي المهدي عليه السلام ثم باقي الرايات على الترتيب وانهم يبيتون حول البلد ، وبعد صلاة الصبح يحملون عليهم حملة صادقة .

---

(١) قلنا : في المخطوط : المهدي ، وما رويناه هو المحتمل .

فخرج الجيش ليلة الجمعة المذكورة من كابة ولهم دوي كدوي النحل وزجل بالتهليل والتكبير وهم في عدد لا يحصيه إلا الله تعالى . ولعله لانتشار الجيش وكثرته وعدم انحصاره إذ ذاك لم يتمكنوا كلهم من الدخول بجهة القبلة ، بل بعضهم وهو محمد المذكور ومن معه من أهل رايته وبعض من أصحاب الرايات دخلوا كما أمرهم المهدي عليه السلام ، والبعض منهم قصدوا الدخول من الجهة الغربية ، وهكذا . وقد أحاطوا بالبلد من جميع جهاته (١) .

ثم بعد صلاة الصبح حملوا على البلد من جميع الجهات وقصدوا الخندق المذكور ولما قربوا منه صار الترك يرمون عليهم بالمدافع من كل جهة . ولما اشتد قربهم من الخندق أطلقوا عليهم البنادق وأمطروا عليهم من الرصاص مـــا يكاد يستر الشمس [١٧٢] ووالوا عليهـــم الرمي بالمدافع حتى أظلمت الأرض وانتشر الدخان حتى سد الأفق ، فصار الرجل لا يكاد يبصر ما حوله ، وتخيـــل للناظرين أن تلك المعركة سماء غمامها الدخان وبروقهـــا بريق البيض والسنان ورعودها أصوات المدافع والبنادق وأمطارها دماء القتلى من كل راجل وراكب على متون السوابق . ولما قامت الحرب على ساقها ولذ على أفواه المجاهدين عذب مذاقها، تنادى الأبطال من المجاهدين وأكابر الفرسان من الموحدين معتصمين بنصر الله محتسبين للجهاد منتدبين في ذات الله للاستشهاد ، يخطبون الجنـــان بصداق الأرواح ويستامون الغفران بحدود الصفاح ، واقتحموا عليهم الخندق ودخلوا

---

(١) قلنا : تختلف هذه الرواية في بعض التفاصيل عما يرويه كتاب جهاد في سبيل الله (ص ٤١) إذ يروي أن المهدي أمر بالهجوم على المدينة من جميع الجوانب . ثم إنه يروي أن المهدي أمر بالهجوم وهو كاره تحت إلحاح شقيقه محمد وأحمد جبارة اللذين هدفا أن يسبقا بالفتح جيش المنة والذي أشيع أنه على وشك الهجوم للفوز بالفتح والغنيمة. وفي رأينا أن أمر المنة قد أقحم هنا إقحاماً .

عليهم فيه وخالطوهم وقتلوا جميع من كان بالجهة الشرقية من الخنـدق المذكور شر قتلة ، وعطفوا على من كان بالجهة الجنوبية من الخندق ، يعني جهة الصعيد ، فأزاحوهم عن مراكزهم وأجلوهم من مواقفهم وأبعدوهم من حول الخنـدق ، حتى أدخلوهم البيوت ، فصار الواحد منهم يدخل البيت ويغلق عليه الباب ، حذراً من سطوة الاصحاب ، [١٧٣] وبعضهم ارتقى على الاسطحـة من غير سلم من شدة الرعب والدهشة . فتعذر على الاصحاب الصعود على الاسطحـة المذكورة لعلوها وعدم وجود السلالم للصعود بها ، حتى صاروا يمـدون اليهم الرماح فلم تصل اليهم وهم يرمون الاصحاب من الاسطحـة بالرصاص ، حتى قتلوا منهم كثيراً ، أكرمهم الله بالشهادة . أخبرني من أثق به انه شاهد في تلك الواقعة عبد الله ولد النور : لما لم يتمكن من الصعود لعلو السطوح وعـدم الآلة التي يتوصل بها للصعود صار يثب عليهم وثبة شديدة بقـدر ما يمكنه ويضربهم بسيفه وتارة يطعنهم برمحه وهكذا الى أن قتل منهم جماعة بهذه الوسيلة . فانظر رحمك الله تعالى هذا الثبات العظيم وهـذه الجراءة التي يعجز عن ادراك أدناها أبطال الرجال ! فرحمه الله رحمة واسعة (١) .

ثم إن بعضاً من الجيش تشاغل بأخذ الغنائم عند الدخول ولم يلتفت لما هو الأهم من قتل الاعداء ، فانتظمت صفوف الاتراك حول تلك الجهة من الخنـدق ووالوا الضرب على الأصحاب الذين معهم بداخل الخندق ، وساعدهم على ذلك من كان [١٧٤] منهم على السطوح ، فتمكنوا من قتـل الأصحاب فقتلوهم ولم ينج منهم الا القليل . وغالب الجيش يحارب من خارج الخندق ودام القتال من صلاة الصبح الى دخول وقت الظهر . ولقد كادت رياح النصر أن تهب على أولياء

---

(١) قلنا : لم يقتل عبد الله النور في هذه الواقعة وإنما مات وهو محاصر الخرطوم - أي أن الترحم عليه لا علاقة له بموضوع هذا الكلام .

الله ودائرة السوء أن تدور على أعداء الله لولا مـــا حصل لبعض الأصحاب من الاشتغال عن الجهاد بأخذ الغنائم حين الدخول كما تقـــدم . وهذا من بعض الأسباب التي أوجبت تأخر النصر في تلك الوقعة كما تقدم وسيأتي .

هذا والمهدي عليه السلام وخليفته الاكبر وبعض من أصحابه الكرام آنذاك تحت الرصاص وخليفته الأكبر يقيه بنفسه من وقع الرصاص كما هي عادته رضي الله عنه من الشفقة والرأفة بالمهدي عليه السلام .

قلت أخبرني من شهد تلك الواقعة ان الطائفة الأولى من أصحاب المهـــدي عليه السلام لما اقتحموا على الترك الخندق مع عمقه واحكام صنفته ومع مـــا عليه من الزرب المتين بالشوك ودخلوا عليهم البلد ، أيقنوا بالهلاك فصارت لهم ضجة عظيمة هائلة تكاد أن تنتزع لها القلوب من شدتها ، [١٧٥] وفر أغلب رؤسائهم من حول الخندق واختفى في البيوت وأغلقوا عليهم الأبواب . ثم أمر محمد سعيد بضرب البوري الى العساكر المنهزمين الذين تفرقوا في داخل البيوت ولاذوا بها من القتل بأن يصعدوا على سطوح أماكن حكومتهم وبيوتها كما فعل اخوانهم المنهزمون ، بعضاً منهم كان صعد على السطوح من الرعب والدهشة كما تقدم ، وأمرهم بأن يوالوا الضرب على الناس . فصعـــدوا وبذلك تمكنوا من الاصحاب الذين معهم بداخل الخندق فقتلوا منهم مقتلة عظيمة ولم ينج منهم الا القليل المتحيز الى الجيش خارج الخندق المذكور .

ثم إن المهدي عليه السلام رجع بالجيش الى كابة بعد العصر من ذلك اليوم . واستشهد في هذه الواقعة من الاصحاب عدد كثير منهم الشهيد محمد أخو المهدي عليه السلام الشقيق ، وابنه أحمد ، وعبد الله شقيق المهـــدي عليه السلام أيضاً وأحمد ولد جبارة وعبد الله التيجاني أمين المهدي عليه السلام على خاتمه الميمون وكاتبه ، والأمين ولد عبدالله . وقتل في هذه الواقعة من الاعداء ما لا يعـــد

كثرة . وجرح في هذه الواقعة من الاصحاب مـا لا يحصى ، فحملوا لـكابة ، وبعضهم رفع منفوذ المقاتل واستشهد . وكثير من الجرحي استشهد [١٧٦] من تلك الجراحات . فرحمهم الله رحمة واسعة .

ثم إن المهدي عليه السلام قال أخبرني سيد الوجود صلى الله عليه وسلم بـه لولا ولولا ولولا كررها ثلاثاً لحصل تمام النصر حسب بشارته ﷺ لنا سابقـاً بذلك[١] . وقد تقدم تفسير ذلك عن بعض الثقات من لفظ المهدي عليه السلام . وبعد وصوله عليه السلام بكابة أقام بقية ذلك اليوم أعني يوم الجمعة ويوم السبت والأحد . وفي يوم الاثنين عند الضحى قال عليه السلام أمرني سيد الوجود ﷺ بمحاصرة مدينة الأبيض الى أن يسلموا أو يدخلوا فيما دخل فيه الناس وأخبرني بأن فيهم من ينصر الدين . قلت وقد حصل ذلك فـإن أغلب من كان في الاستحكام بعد الفتوح صار من خواص أصحاب المهدي عليـه السلام الباذلين نفوسهم في نصر الدين . وقد أمر عليه السلام بالرحيل من كابة فارتحـل الناس بأثقالهم . وبعد دخول ظهر يوم الاثنين المذكور وصل عليه السلام بقرب مدينة الابيض من جهة الغرب آخذاً لجهة الشمال ونزل عليه السلام بذلك المحـل وهو يدعى الجنزارة بينه وبين المدينة المذكورة [١٧٧] مقدار رمية الجلة بالمدفع . فإنا شاهدنا وقوع الجلل في محل النزول المذكور مراراً من المـدينة المذكورة . فأقام عليه السلام هناك وأمر بمحاصرة المدينة المذكورة والتضييق عليهم وأخذهم بالخناق الى أن ينتظموا في سلك أصحاب المهدي عليه السلام . وهكذا دأبـه عليه السلام وأصحابه الكرام ما نازلوا مدينة من مـدائن الاتراك إلا أدخلوا أهلها في جحر فأر وسدوا عليهم وجوه الفرار : يسلموا أو يحـل بهم الهلاك والدمار . ولا غرو فإن المهدية لها أسوة بالسيرة النبوية . قال صلى الله عليـه وسلم : إنا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين ، أو كما قال .

---

(١) قلنا : انظر صفحة ١٨٩ أعلاه .

وبعـــد هذه الوقعة تتابعت وفود أهالي كردفان وانبعثت جماهيرهم الى المهدي عليه السلام والتصديق به. وذلك لأن بعضاً من أهالي كردفان والاعراب الذين باكناف تلك البلاد كانوا يتربصون بالتصديق بالمهدي عليه السلام ومتابعة[1] ما يكون من الترك بمدينة الابيض وما ينتهي إليه أمرهم وفي محاربة المهدي عليه السلام. ولما شاهدوا [١٧٨] ما حلّ بهم في تلك الواقعة من انفلال شوكتهم وانكسار سورتهم وما آل اليه أمرهم من الحصار حتى أفضى بهم ذلك الى المتاعب والدمار ، وأن المهدي عليه السلام قد دوّخ الترك بالحروب فلم يجدوا سبيلاً الى النجاة[2] ولو بالهرب، أذعن جميع أهالي تلك البلاد وانتظم في تلك سلك التبعية ، الحاضر منهم والبادي ، وصدقوا بالمهدي عليه السلام فدخلوا في الدين المستقيم أفواجاً أفواجاً يضربون اليه من كل وجه ويأتون اليه من كل فج .

هذا وأما الترك فبعد انفصال المعركة علموا أن لا مخاص لهم من تعجيـــل المهلكة إلا بالتحصن داخل خندقهم المذكور ظناً منهم أن دولتهم تمدهم بالرجال لحرب المهدي عليه السلام وتعجل لهم الغوث بذلك . فشرعوا في نهب البلد وكل من وجدوه ببيته يأمرونه بالدخول معهم في الخندق. فمن امتنع أخذوا ما عنده وبالغوا في أذاه وربما قتلوه . وجمعوا جانباً وافراً من الغلال التي بالبلد وأخذوا جميع ما في البيوت من عروض ونقود وغيرهما ، لأن أغلب أهل البلد خرجوا لمقابلة المهدي عليه السلام ومبايعته بأبنائهم ونسائهم ، وتركوا [١٧٩] البيوت كما هي ملأى من كل شيء . وأغلب ما أخذه الترك انما هو من البيوت التي حول خندقهم الذين هم بداخله . وأما البيوت التي هي بالبعد منهم فإنهم لم يتمكنوا من أخذ ما فيها وذلك لانتشار الأعراب الذين هم حديثو عهد برؤية المهـــدي عليه السلام في أكناف البلد ودخولهم في البيوت فأخذوا جميع مــا فيهـا من حبوب وعروض ونقود ولا سيما جماعة المنة بن اسماعيل من الجوامعة وغيرهم من القبائل المنضمين اليه ، فانهم عاثوا في البلد وأخذوا جميع ما فيها .

---

(١) قلنا : في المخطوط : ومتابعته .

(٢) قلنا : في المخطوط : النجاح

ولما تحقق للمهدي عليه السلام أمر من ينادي في الحال : الا أن من عنده شيء من أموال أهل مدينة الأبيض الذين خرجوا لمقابلتنا بكابة فليحضره ، ومن وجد عنده شيء من أموالهم بعد هذا التنبيه ولم يحضره فانه يجازى بأشد أنواع العقوبات . فاجتمع بعد [ذلك] أشياء كثيرة بأسباب ذلك . فأمر المهدي عليه السلام بأن توضع بيد أمين يحفظها وأمر بأن ينادى في أهل مدينة الأبيض الذين خرجوا لمقابلة المهدي عليه السلام بكابة وتركوا أموالهم بالبلد حتى ضاعت بالحضور عند ذلك الامين ، وكل من وجد منهم شيئاً من أمواله يستحقه ويأخذه حتى صار [١٨٠] الأمين المذكور يكتفي منهم بالحلف على المصحف على أن هذا الشيء لهم . وبذلك حصل لأهل البلد انتعاش وتوصلوا لأخذ حقوقهم الضائعة الا الذي لم يمكن تحصيله ككونه من المأكولات التي أكلت أو شيء اختطفه بعض الناس وأبعدوا به ولم يوجد .

ثم إن المهدي عليه السلام أمر بالتشديد في محاصرة الأتراك والقعود لهم بكل مرصد وصدهم عن الانتهاز للنهب والتضييق عليهم ومناوشتهم بالقتال بالغدوات والعشايا . وأمر بقطع الميرة وجميع المأكولات عنهم . وبرز أمره الكريم للكافة بأن كل من يتعدى بادخال شيء من أنواع المأكولات وغيرها للترك بداخل خندقهم فإنه يعامل معاملة المحاربين ، حتى إنه قطعت أيدي جماعة بأسباب ذلك . ودام الحصار واشتد عليهم الحال حتى ضجروا وملوا الثواء والاقامة بداخل الخندق ، وبلغوا من الجهد والمجاعة ما لا يكيف ، واشتد عليهم القحط حتى بلغ الربع من الدخن عندهم مائة ريال مجيدي ، وبيع الاردب من الدخن بألفين وأربعمائة ريالاً مجيدياً . ومثل هذا لم يسمع به في هذه العصور. وحتى إنهم أكلوا لحوم الحمير والكلاب والقطط وأكلوا الجيف والعظام النخرة [١٨١] والجلود البالية وغلت الأسعار عندهم حتى في هذه الأشياء المسترذلة .

أخبرني من كان معهم بداخل الخندق بعد الفتوح أن الحمار عندهم بيع بأربعمائة مجيدي وأكثر، وان القارورة المملوءة بدهن الحمار بيعت بعشرة ريالات. وضاق بهم الأمر جداً فجعلوا يتبعون العظام على رؤوس الكناسات تعللاً بها، ومهما ذبح قصاب أي جزار ذبيحة اجتمع عليها الفوج بعد الفوج يختطفون دمها تسكيناً لحرارة الجوع واجتذاء به عن القوت فلم ينل منه أحد الا سقط لجنبه . وصاروا يتتبعون الحبوب في الأرواث، وهيهات ! فإن الحبوب أعجزت الأنام فكيف البهائم والأنعام . وأمثال هذا وأشنع من ذلك قد أضربنا عن ذكرها . وكل هذا بشؤم مخالفتهم وعدم متابعتهم للمهدي عليه السلام . وهكذا جميع من كان مخالفاً للمهدي عليه السلام فإنه يصيبه مثل ما أصاب هؤلاء وأشد، نسأل الله السلامة والاستمساك بسنة الشفيع في عرصات القيامة .

هذا مع ما هم عليه في مدة الحصار من الخوف والهلاك بأيدي أصحاب المهدي عليه السلام . فإنهم يصبحونهم تحت الخندق [١٨٢] ويضربونهم بالرصاص حتى أن الواحد منهم لا يقدر على المرور في الطرق الا وهو يدب دبيباً . ولا يكاد يخلص من إصابة الرصاص له حتى أن أغلب رؤسائهم لزموا البيوت وتركوا الخروج وأهملوا أمر عسكرهم خوفاً من إصابة الرصاص لهم . وعجز أغلب العساكر الذين حول الخندق عن حمل السلاح من شدة الجوع فشرعوا يتهجمون على البيوت التي بداخل الخندق وينهبون ما فيها حتى الطعام الذي بأيدي الأطفال . وكلما لاح لهم شيء يؤكل اختطفوه علانية والناس يستغيثون منهم ولا يجدون مغيثاً. وعدم الوازع الذي يمنعهم من ذلك ! وخرجت العساكر عن طاعة ضباطهم والضباط عن طاعة حاكمهم وانسدت عليهم أوجه السلام وعجزوا عن التدبير وضعفت حيلتهم . حتى أن بعضاً من الأصحاب صار يكمن

حول الخندق ويتلطف حتى يدخل عليهم في الخندق ويأخذ ما يقدر عليه من داخل خيام الترك المضروبة حول الخندق لإقامة المحافظين منهم فيها ولا يقدرون على دفعه من العجز والرعب .

ولما ضاقت عليهم الأرض [١٨٣] بما رحبت شرعوا في أسباب الخروج لمقابلة المهدي عليه السلام وجعلوا يحتالون على ذلك بكل حيلة حتى صاروا يرشون الخفراء الذين على أبواب الخندق وأكنافه ، ويخرجون أفواجاً أفواجاً فيأتون إلى المهدي عليه السلام ويبايعونه ويكونون مع الأصحاب ، فتحصل لهم الراحة التامة وينتعشون في مهـــاوي الهلاك ويتخلصون من الأضرار وهتك الحرم بتهجمات العساكر عليهم بداخل الخندق . واستمر الناس هكذا يخرجون ثلة بعد ثلة ويبايعون المهدي عليه السلام فيحرزون بذلك السلامة من المهالك . وقد كان بعض الناس الذين لم يستكثروا من صحبة المهدي عليه السلام ولا هـذبتهم سيرته وآدابه يكمن حول الخنـــدق فيخطف أمتعة الخارجين من الخندق لمقابلة المهدي عليه السلام . فأمر عليه السلام بارسال حملة من الأصحاب ذوي الصدق والأمانة بأن يطوفوا كل يوم حول الخندق وكل من خرج يحافظون عليه وعلى ما معه حتى يوصلوه الى المهدي عليه السلام . ولما تحقق لمن كان بداخل الخندق هذا الصنيع الجميل تمادوا في الخروج وصاروا لا يبالون بما يصيبهم من الخفراء بالرصاص الذين [١٨٤] حول الخنـــدق للمحافظة حتى صاروا يرمونهم حال الخروج بالرصاص وقلما يصيبهم . وكل هذا بحسب النية وخلوص الطوية حيث انهم خرجوا لمقابلة المهدي عليه السلام ومبايعته ومتابعته .

ولما لم يجد محمد سعيد من يساعده على ما هو بصدده من محاربة المهدي عليه السلام ، وعميت عليه وجوه المطالب أيس من السلامة . وذلك بحسب ما سول له الشيطان وزين أن المهدي عليه السلام لا يقبله ان جاء اليه تائباً نازعاً عما هو فيه . وغاب عنه أن المهدي عليه السلام قد منح بالتخلق بمكارم الأخلاق من العفو والصفح عن أهل الجرائم وإن عظمت منهم القبائح وامتلأت باضمار عداوته

وأذيته منهم الجوانح، فصمم على القاء النار في البارود بالجبخانة ليحترق هو ومن معه بداخل الخندق . فأحس بذلك بعض من كان معــــه فأخبر الرؤساء الذين بالخندق بذلك فتقدموا الى محافظ الجبخانة وتوعدوه بالقتـــل اذا ترك محمد سعيد يدخلها . وزادوا في عدد خفراء الجبخانة وشددوا في المحافظة عليها وأعجزوه عن ذلك . ولما تحقق [١٨٥] لأهل دولته ومن كان معه من الرؤساء خبث طويتـــه وأنه أراد إهلاك هذا الجمهور خرجوا عن طاعته واتفقوا على التسليم والخروج لمقابلة المهدي عليه السلام ومبايعته . فلم يسع محمد سعيد الا موافقتهم على ذلك . فكتبوا للمهدي عليه السلام كتاباً معتذرين فيه ومظهرين الندم على ما مضى وطلبوا العفو عنهم ويخرجون لمبايعته فكتب لهم عليه السلام كتاباً ، ولفظه :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم .

وبعد ، فمن عبد ربه محمد المهدي بن عبد الله الى كافة من أقبل على الله بالمحبة وسلم لأمرنا ونهينا من الحكام والضباط والفقراء والمساكين الذين بالقفرة .

إنكم كنتم في أمر الترك ونهيهم صادقين وباذلين أنفسكم وأموالكم لغير الله بلا منافع تعود لكم عند الله وترفعكم في الدار الآخرة. فكيف [و] أني[1] داعيكم الى الله وما يرفعكم عنده ويعود لكم بالخير[2] الدائم والنعيم السرمدي .

---

(١) قلنا : في المخطوط : اني ، وقد عدلنا جرياً مع نص الانذارات إلى : واني .

(٢) ويعود عليكم الخير : الانذارات .

وما دام أنكم عاقلون وتعلمون أن ما كان لغير الله سلمتم فيه ، فسلموا أمركم لي لكوني ما أريد بكم [1] إلا ما يرضي الله ورسوله [١٨٦] ويدم لكم الخير السرمدي . فما دام أن فعلي لكم [2] لما يعوذ لكم [3] فمن باب أحرى أنكم تسلمون لأمري ونهيي بأنفسكم وأموالكم وأولادكم من غير تهمة ، بل بمحبة وصداقة بما أني ولي أمر الله لكم وخليفة رسول الله ﷺ فيكم ، والسلام — انتهى .

٦ ربيع أول سنة ١٣٠٠ [4] .

فلما أتاهم كتاب المهدي عليه السلام فرحوا به غاية الفرح واستبشروا . ولما كان يوم الجمعة تاسع ربيع الأول[5] من سنة تسع وتسعين بعد المائتين والألف حصل التسليم من الترك ومن كان منضماً اليهم بمدينة الأبيض . فخرجوا جميعاً بأبنائهم ونسائهم مسلمين ومنقادين . فخرج عليه السلام من مسجده وعليه الدرع والمغفر ، ومعه خليفته الأكبر وباقي الخلفاء رضي الله عنهم وسائر أصحابه ، وتلقاهم بقرب الخندق الكبير المحيط بمدينة الأبيض . وذلك عند الضحى من ذلك اليوم . وجلس عليه السلام على الأرض كجلوسه للصلاة تأدباً مع مولاه وشكراً على ما أولاه مطرقاً رأسه الى الأرض تواضعاً للمنعم المتفضل على عبده بتأييد أمره وشد أزره . ثم تقدم اليه عليه السلام محمد باشا سعيد [١٨٧] وعلي بيك شريف واسكندر قائمقام العسكر وأحمد محمد دفع الله وباقي الرؤساء والضباط والعساكر وباقي أهل مدينة الأبيض الذين كانوا معهم بداخل الخندق ، فبايعهم عليه

---

(١) ما أريد لكم : الانذارات .

(٢) فعلي بكم : الانذارات .

(٣) يعود عليكم : الانذارات .

(٤) قلنا : يوافق ذلك ١٥ يناير ١٨٨٣ .

(٥) قلنا : يعني ١٨ يناير ١٨٨٣ .

السلام وأمرهم وجميع من معهم بالإقامة بلصق بقعة المهدي عليه السلام بمحل نزوله بالجنزارة بحيث يكونون في محل مخصوص بهم وبعائلاتهم . وأمر عليه السلام أمين بيت مال المسلمين أن يرتب لهم ما فيه كفايتهم وقوام أمرهم على حسب أحوالهم .

ثم إن المهدي عليه السلام دخل مدينة الأبيض ومعه سيدنا خليفته الأكبر وباقي الخلفاء والأصحاب وقعد عليه السلام محل الحكومة ونزل فيه . وفي الحال أمر برفع البسط والمخاد والآلات الموضوعة في المحل المذكور . وأخبرني الثقة أن المهدي عليه السلام أمر بإحراق بعض من البسط النفيسة الملهية عن الدين والفرش المطرزة المذهبة . وما كان خالياً منها من الحلية الذهبية أمر بإدخاله في بيت المال وأخبرني الثقة أن المهدي عليه السلام لما دخل الخندق المذكور ورأى متانته وما عليه من [١٨٨] الاستحكام الغريب والصنع العجيب تبسم ثم تلى قوله تعالى: « وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله»[١] الآية. وأمر المهدي عليه السلام بتعيين من يلزم من الأصحاب أهل الصدق والأمانة بضبط الغنائم وحفظها، فجمعوها فحصل من ذلك شيء كثير وأخرج منه الخمس . وقد فعل في الباقي ما يوافق الأوفقية حسبما يلزم .

ثم إن محمد باشا سعيد وعلي بيك شريف وأحمد محمد دفع الله قد حصلت منهم بعد التسليم أمور مخلة ومخالفات وخيانة في المهدية فأمر المهدي عليه السلام بقتلهم فقتلوا وذلك بعد نفيهم وتغريبهم[٢] .

---

(١) سورة الحشر الآية ٢ .

(٢) قلنا : يقصد بباشة الأبيض محمد سعيد مدير كردفان . وقد قتل محمد سعيد على يد اسماعيل الأمين شيخ قبيلة الغديات الذي أوكل إليه أمر سجنه ، وقيل إن ذلك بإيعاز من المهدي (انظر تاريخ نعوم ص ٧٠٥) . والجواب المذكور في الفقرة هو انذاره الموجه إلى أهل الأبيض في ١٦ شوال ١٢٩٩ (انظر أعلاه ص ٢٠٣) .

ثم بعد كتبي هذا وجدت في كتاب المهـــدي عليه السلام الى غوردن باشا داعياً فيه الى الله والى الدخول في الاسلام مبشراً ومحذراً له من الهلاك بأسباب المخالفة كما وقع لمحمد سعيد المذكور ما لفظه :

« وقد أرسلنا الى باشة الابيض بجواب فقتل رسلنا . وبعد أن وقع في يدنا أكرمناه وأعطيناه جبة جميلة ليتدرج الى الصدق مع الله .

ولا زلنا نكرمه ونعظمه ليقتدي بنا ويصدق مع الله فيكون من الأصحاب [١٨٩] الذين هم كالنفس فلم يصدق . ولا زال يقع فيما يهلكه ونحن نصفح عنه حتى أخذته نيته فمات [١]. ومع ذلك، لأجل مبايعته لي ومجالسته معي [أياما] قد أتانا خبر بعد موته أنه عفي عنه في الآخرة فصار من السعداء . والعبــد إذا كان يسعد في الآخرة فهو المقصود « — انتهى » [٢] .

نسأل الله تعالى التوفيق والاستقامـــة والنجاة ، نجاة رسول الله ﷺ من أهوال يوم القيامة .

---

(١) قلنا : انظر سبب قتلهم في تاريخ نعوم ص ٧٠٥ .

(٢) قلنا : وردت هذه الفقرة في خطاب المهدي الاول إلى غردون . انظر النص المحقق للخطاب في منشورات المهدية ص ٣١٧ وما يلي .

الباب الثامن

الباب الثامن في ذكر غزواته وسراياه وبعوثه وما يتصل بذلك من فتوح بعض المدائن على يده عليه السلام ويد أمراء سراياه

وقد أسلفنا أن المهدي عليه السلام قد جمع الله تعالى له مرتبة الدعوة الى الله تعالى بالسيف واقامة الحجة . وقد أذن الله للمهـــدي عليه السلام في قتال من خالفه ووعده بالنصر على من عاداه فكان ذلك القتال عوضاً عن العذاب الذي يستحقه كل من خالف المهدي عليه السلام كالخسف والغرق . وقد قدمنا بيان الحكمة في ذلك عند التكلم على غزوة أبا . فلذا كان المهدي عليه السلام تارة يحضر الجهاد بنفسه وتارة يرسل بعضاً من أصحابه الى العدو ، كما كان النبي ﷺ يفعل ذلك . وقد أفاد النبي [١٩٠] ﷺ الحكمة في السرايا والبعوث فقال : والذي نفسي بيده لولا أن أشق على المسلمين ما قعـدت خلف سرية تغزو في سبيل الله أبداً ولكن لا أجد سعة فأحلهم ولا يجدون سعة فيتبعوني ويشق أن يقعـدوا بعدي ، والذي نفسي بيده لوددت أني أغزو في سبيل الله فأقتل ثم أحيا فأقتل ثم أحيا فأقتل .

والمهدي عليه السلام مرتبة الاقتفاء للآثار النبوية . فقد كان عليه السلام يعامل أصحابه بالرفق والرأفة ويحملهم على التخلق بالاخلاق النبوية في جميـع الخصال ولا سيما أمر الجهاد وقد كان أمر الجهـــاد يدور على الغزوات والسرايا والبعوث وذلك من عهد النبوة ، فكل عسكر حضره النبي ﷺ بنفسه الكريمة يقال له غزوة ، وما لم يحضره بل أرسل فيه بعضاً من أصحابه يقال له

سرية . وما افترق من السرية يقال له بعثاً . وقد كان عدد مغازي المهدي عليه السلام التي خرج فيها بنفسه تسعاً وهي غزوة أبا . ثم غزوته عليه السلام لمحمد سعيد لما بلغه أنه قصده بأبا ولم يجده هناك . ثم غزوته للمختار بن الزبير الكناني . ثم [١٩١] غزوته لراشد مدير فشودة . ثم غزوته لجبل فنقر . ثم غزوته ليوسف حسن الشلالي . ثم غزوته لمدينة الابيض . ثم غزوته للطاغية الهكس . ثم غزوته لمدينة الخرطوم . فجملة غزواته عليه السلام تسع كما تقدم .

وجميع غزواته وقع فيها القتال من أصحاب المهدي عليه السلام إلا غزوته لمحمد سعيد وغزوته لجبل فنقر فلم يقع فيهما قتالاً أصلا[1] كما تقدم فيهما . هذا ولم يثبت عندنا أن المهدي عليه السلام قاتل بنفسه الكريمة في غزوة من غزواته وذلك بعد البحث الشديد وسؤال من كان معه عليه السلام في تلك الغزوات وله مزيد اطلاع على أحواله عليه السلام[1] ، مع كونه عليه السلام حالة الحرب مع الاصحاب ، بل كان من عادته في حالة الحرب الشروع في الصلاة والاستغراق في مقام المشاهدات ، فما يغرق في الصلاة إلا ويهلك الله العدو ويدمرهم تدميراً . وقد قدمنا بيان تلك الغزوات في محلها إلا غزوته للهكس وغزوته للخرطوم فلنتكلم عليهما على الترتيب .

وكان الأوفق ضم الغزوات جميعها في محل واحد ليسهل تناولها لمن يريد الاطلاع على سيرة المهدي عليه السلام ، [١٩٢] ولكن إنما قدمنا بعضاً على هذا الباب وأوقفنا كل غزوة في محلها على حسب ترتيبها في الوجود والأسبقية ليتلو بعضها بعضاً فيكون أحسن في سياقها . ونحن إن شاء الله نتكلم عن المشاهير

(١) قتالاً اصلا ، قلنا : هكذا في الاصل

(١) قلنا : يهتم المؤلف بعد كل واقعة اشترك فيها المهدي بنفسه بالتحقيق في أمر اشتراكه . وقد سبق التعليق على ذلك فيما تقدم .

من السرايا والبعوث عند المناسبات الداعية لذكرها . وبالله التوفيق ، لا رب غيره ولا معبود سواه .

ذكر غزوة المهدي عليه السلام للطاغية الهكس :

لما بلغ المهدي عليه السلام خروج الطاغية الهكس من الخرطوم ومن معه من الجيش الجرار والآلات الحربية والاستعداد الذي لم يسبق لهم مثله في حروب المهدية وانفصاله من البحر الأبيض (١) قاصداً للمهدي عليه السلام بكردفان ، أمر أصحابه عليه السلام بالخروج من مدينة الأبيض وذلك صبيحة يوم السبت آخر شهر الله القعدة في سنة ثلثمائة بعد الالف (٢) ، ليكونوا خارج البلد من جهة القبلة . وأمرهم بأن يصلوا ظهر ذلك اليوم هناك . حتى إن بعضاً من الأصحاب كان تاخر مع المهدي عليه السلام بالبلد في ذلك اليوم فصلوا الظهر بالبلد فأمرهم المهدي عليه السلام بإعادة صلاتهم [١٩٣] لكونهم خالفوا ولم يصلوا الظهر كما أمرهم . ثم إن المهدي عليه السلام خرج بنفسه ونزل خارج البندر مما يلي جهة القبلة أعني الجهة الشرقية من البلد . وهناك أمر بإقامة الجيش إلى أن توجه عليه السلام من ذلك المحل لحرب الهكس كما سيأتي .

وقد أمر أصحابه بملازمة الاذكار والتهليل والتكبير والاقبال على الله ليلاً ونهاراً وتفرغ القلب إلى الله . وفي ذلك المحل كتب منشوراً يأمر الأصحاب

---

(١) قلنا : عن ظروف مجيء هكس باشا ومسير جيشه انظر هولت وتاريخ نعوم وشقير وكتاب : The British Policy in the Sudan (1882 — 1902) .

(٢) قلنا : يوافق ذلك ٢٢ سبتمبر ١٨٨٣ .

فيه بتجريد السيوف [١] من الحلية ونزعها من السيوف وكذلك منشوراً في النهي عن سل السيوف في غير الوقت المطلوب مخافة إصابة أحد من المسلمين [٢] .

ثم إنه عليه السلام أرسل جماعة من الأصحاب ليقفوا على الحقيقة ويلتمسوا خبر العدو وما كانوا عليه . فوافوهم بمحل بقرب البحر الأبيض وتحققوا أمرهم فعادوا للمهدي عليه السلام وأخبروه بحقيقة الأمر وكيفية الجيش وما عليه . فأمر عليه السلام محمد عثمان الشهير بأبي قرجة وشيخ فضله أحمد [٣] وعبد الحليم مساعد [٤] ومن معهم من الأصحاب بأن يعترضوا الجيش ويناوشوه القتال ليمنعوه عن الانتشار في أكناف البلاد خشية [١٩٤] الافساد على العباد [٥] .

قلت وهذه من السرايا ، لأنه تقدم أن كل ما أرسل فيه بعض الاصحاب يسمى سرية ، وهذه كذلك .

---

(١) قلنا : انظر المرشد إلى وثائق المهدي رقم ٣٨٤ ، وقد وضعناه حسب تاريخه الذي جاء في بعض المصادر أي ١٣ الحجة ١٣٠١ ولكن هذه الواقعة التي يشير إليها المؤلف يجعل صدوره في سنة ١٣٠٠ وليس ١٣٠١ هـ .

(٢) قلنا : انظر المرشد إلى وثائق المهدي رقم ١٣٩ – وانظر في نفس الموضوع المرشد الى وثائق المهدي رقم ١٧٢ .

(٣) قلنا : فضله ويكتب أيضاً فضلو ، وهو فضل بلسان الدناقلة . والمذكور أمير مشهور ، وقد التحق بالمهدي في أوائل الثورة . اشترك في واقعة شيكان . ثم اشترك في حصار الخرطوم بدور بارز . مات في ١٨٨٥ . انظر باب فضلو أحمد في المرشد الى وثائق المهدي .

(٤) قلنا : عبد الحليم مساعد الهاشمي ، أمير مشهور ، وهو من الهاشماب وجد الدكتور عبد الحليم محمد الطبيب المشهور والسيد محمد أحمد محجوب السياسي المشهور والاديب الشاعر . اشترك في حروب كردفان ثم في حصار الخرطوم . عمل مع النجومي في الجبهة الشمالية وعسكر في صواردة وفركة وصرص . قتل في واقعة توشكي في أغسطس ١٨٨٩ .

(٥) قلنا : انظر تعليمات المهدي لهم في المرشد : رقم ١٠٢ .

فضيقوا على العدو غاية التضييق بشن الغارات ومنعوا الترك من الانتشار حتى من أخذ الحشيش لدوابهم والحطب لوقودهم . فصار كل من خرج منهم لاحتطاب أو أخذ حشيش أو غير ذلك اختطفه خيل الأصحاب . فصاروا كالمحصورين وهم سائرون بسيرهم يصيحون عليهم من كل جانب ، فأدهشوهم بالجلبة والصياح ، وأثخنوهم بالصفاح والرماح ، حتى صاروا لا يقدرون على الخروج من قلعتهم ومحل جماعتهم . فضاقت عليهم الأرض وانقطعت عنهم الأخبار التي كانوا يودون مجيئها اليهم من جهة الخرطوم لحيلولة الأصحاب بينهم وبين ذلك وسقط في أيديهم وندموا حيث لا ينفعهم الندم[١] .

وأول مناوشة وقعت بين الأصحاب وبين الترك المذكورين بأم شليبية ، اسم منهل ، فقتلوا من العدو شخصاً وغنموا منهم جملاً . ثم ناوشوهم القتال بمحل يدعى العقيلة فقتلوا من الترك سبعة أشخاص وأخذوا منهم ستة جمال . ولم يقتل من الأصحاب أحد [١٩٥] ثم ناوشوهم القتال بمحل يدعى أم بلجيك فقتلوا منهم خمسة وعشرين رجلاً واغتنموا منهم ثمانية عشر فرساً . وما زالوا سائرين بسيرهم ويناوشونهم القتال مرحلة فمرحلة ورحى الحرب اذ ذاك دائرة على شيخ فضلو أحمد . وقد كانت بينهم وقعات كثيرة خلاف ما ذكرناه . فصار كل من انفصل منهم من القلعة ولو بالقرب منهم يعود اليهم هزيماً أو ينشب باظفار الأصحاب فيصير هشيماً . الى أن نزلوا بمحل يدعى الرهد ، اسم منهل فكتب المهدي عليه السلام اليهم كتاباً يدعوهم فيه الى متابعته وأمر بأن تكتب منه ألف وخمسمائة نسخة[٢] وأن تعطى تلك النسخ الى من يكون من أهل الحزم

---

(١) قلنا : كانت هذه القوة تخرب الآبار أمام الجيش وتبعد عنه الناس وكانت تردم الآبار خلفه وتقطع الناس عنه . ولذلك صار الجيش كواحة مقطوعة أو كسفينة في بحر قد انقطع اتصالها وتتقاذفها الامواج الهادرة .

(٢) قلنا انظر هذا الاسلوب في توزيع المنشورات .

من الاصحاب ليضعوها على الأشجار التي حول استحكامهم عند النزول ليتمكنوا من أخذها . والنظر لما فيها .

ولفظ الكتاب :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم

وبعد ، فمن عبد ربه الفقير المعتصم بمولاه محمد المهـــدي بن عبدالله الى من يسمع من أهل الجردة ممن له عقل .

فإنه لا يخفى على ذي عقل أن الامر بيد الله ولا يشركه في ذلك بنادق ولا مدافع صواريخ [١٩٦] ولا عصمة لأحد إلا من عصمه الله تعالى . فإذا فهمتم فاعلموا أن الله واحد فلا تغتروا بأسلحتكم ولا بجنودكم [٢] التي تريدون أن تقاتلوا [٣] بها جنود الله فإنه لا قوة لشيء دون الله . وإن قلتم إن مهديتنا مكذوبة فاعلموا أن الكذب [٤] انما يصدر ممن يحب الدنيا ويخاف المخلوق ويستعجز قدرة الله . فإذا فهمتم ذلك فلا تغرنكم أقوال علمائكم فإن الترك الذين قتلتهم شكوا للحق عز وجل وقالوا : إلهنا و [يا] [٥] مولانا ان [الامام] المهـــدي [٦] قتلنا من غير

---

(١) قلنا : قارنا نصه مع النص الوارد في منشورات المهدية (ص ٢١٧ ، ٢١٨) والانذارات ص ٧٤ - ٧٥ .

(٢) ولا بجموعكم : الانذارات .

(٣) أن تقاتلون : نسخة في الانذارات .

(٤) التكذيب : الانذارات ومنشورات المهدية .

(٥) ويا : منشورات المهدية .

(٦) الامام : منشورات المهدية .

انذار ، فأقول : أنذرتهم يا رب فلم يسمعوا ، وحضر على ذلك شاهد[1] سيد الوجود ﷺ وقال لهم :. الإمـــام المهدي أنذركم فلم تسمعوا [له] وسمعتم قول علمائكم فذنبكم عليكم . فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون[2] ، فقال الذين استضعفوا الذين استكبروا لولا أنتم لكنا مؤمنين وقال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين .

فـــإن كان لكم نور تؤمنون بالله ورسوله والدار الآخرة وتصدقوا[3] بمهديتنا . تخرجوا الينـــا[4] مسلمين ، ومن سلم يسلم ، وإن أبيتم الا الجحود والاغترار بالمدافع والبارود فأنتم مقتولون كما أخبر سيـــد الوجود [ﷺ] وأسوتكم ما سبقكم من الجنود والسلام — انتهى .

١٩ الحجة سنة ١٣٠٠ [5]

ولما تحقق للمهدي عليه السلام قرب الجيش المذكور بحيث (١٩٧) كان بينه وبين مـــدينة الأبيض نحو ثلاثة أيام خرج بنفسه الكريمة وأصحب[6] وأوعب

---

(١) شاهدا : المخطوط ، شاهد : الانذارات ومنشورات المهدية .

(٢) فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون : الانذارات والمخطوط ، فأقبلوا على بعضهم بعضاً يتلاومون : نسخة في الانذارات ومنشورات المهدية .

(٣) تصدقون : نسخة في الانذارات ومنشورات المهدية .

(٤) وتخرجوا إلينا : المخطوط والانذارات ، تخرجوا إلينا : منشورات المهدية . قلنا : القراءة الاخيرة أقرب الى السياق ، إذ المطلوب هو خروجهم اليه مسلمين إذا كانوا مؤمنين بالله ومصدقين بالمهدي .

(٥) قلنا : يوافق ذلك ٢١ أكتوبر سنة ١٨٨٣ .

(٦) قلنا : في المخطوط : وأوعب . وما رويناه أقرب الى السياق .

معه جميع أصحابه الكرام . واستعمل على البلد عبدالله بن جبارة . [1] وكان خروجه عليه السلام يوم الخميس سالخ شهر الحجة [2] في السنة المتممة للثلثمائة بعد الألف . وبات بحلة أبي صفية بلصق مدينة الأبيض . وأصبح يوم الجمعة غرة المحوم عام واحد بعد الثلثمائة والألف غادياً ، وجد في السير حتى نزل بمنهل يدعى فرتنقول ، وهو منهل كان قليل الماء جداً ، حتى أن المسافرين كانوا إذا نزلوا به لا يكاد يكفي العشرين منهم فضلاً عن دوابهم . وعند نزول المهدي عليه السلام حلت به البركة حتى أروى تلك الجيوش التي تزيد على خمسين ألفاً سوى دوابهم .

أخبرني الثقة : أن ذلك المنهل كان قبل نزول المهدي عليه السلام به قليل الماء جداً كما وصفناه آنفاً وعند نزول المهدي عليه السلام به أروى الجيش المذكور ببركة المهدي عليه السلام . ولقد قال لي إن بعض الثقات أخبره في هذه الغزوة أنه حفر في جهة عالية ملاصقة لذلك المنهل ، والمنهل المذكور في وهاد من الأرض أي في محل منخفض من الأرض ، فخرج منها ماء غزير حتى أروى أمة [١٩٨] من الناس فضلاً عن ذات المنهل المذكور ، يعني أن البركة قد سرت من ذات المنهل المذكور الى ما كان ملاصقاً له وكثر الماء وفاض حتى سقوا رواحلهم وملأوا أوعيتهم وانصرفوا عنه . وذلك كله حصل في أقل من يوم . فيا أعظمها من آية جلية وكرامة سنية .

ثم بلغ المهدي عليه السلام وهو بالمنهل المذكور أن الترك قاصدون منهل البركة وجادون في السير لاجل أن يسبقوا اليه لأن منهل البركة من أكبر المناهل

---

(١) قلنا : هو أخ لأحمد بن جبارة قاضي الاسلام والذي قتل في واقعة الجمعة في الابيض .

(٢) قلنا : يعني في آخر ذلك الشهر ، وهذا التاريخ يوافق ١ نوفمبر سنة ١٨٨٣ .

التي بجهات صعيد [1] بندر كردفان وهو مجتمع الأعراب والقبائل الذين بالصعيد المذكور . فقصدهم حوزه ليتمكنوا من الحرب ، ويـأبى الله إلا عكس مقاصدهم . وهنالك أمر المهدي عليه السلام محمود بن عبد القادر وضوء الدين ابن عبد الله ومن معهما من أهل رايتهما أن يجدوا في السير ليسبقوا الى المنهـل المذكور قبل مناولة الترك له يصدوهم عنه ويحاربوهم عنده . فجدوا في السير الى أن وردوا المنهل المذكور قبل الترك وهم اذ ذاك بمحل يدعى النعيقة ، فيه قليل من الماء وهم أشغل من ذات النجبين وذلك أنهم كلما وردوا بمنهـل من المناهل أو نزلوا بمنزل من المنازل يجدون فيه من أصحاب المهدي عليه السلام الجمع الكثير والجم الغفير فحاربوهم [2] [١٩٩] أشد المحاربة حتى انه ربما يتجاوزون المنهل ولا يتمكنون من شرب الماء منـه لشدة الحرب وتضييق الأصحاب عليهم بالطعن والضرب .

وهكذا في كل منزل وفي كل منهل تتزايد عليهم الجموع ولا سيما أهـل الجرأة من الاصحاب فإنهم دوخوا الترك بكثرة الصراخ والصياح عليهم في الحل والارتحال بالغدوات والعشايا حتى انهم يحسبون كل صيحة عليهم هم العـدو قاتلهم الله فمنعوهم القرار وأعدموهم [3] الاصطبار وودوا الفرار على بعض الديار وأنهم لم يتورطوا في هذه البلية ، وهيهات ! فإن أظفار المنية قد نشبت بهم .

هذا ، وإرسال المهدي عليه السلام لمحمود ومن معه وأمره لهم بالسبق الى منهل البركة انما هو تطييب لخاطر الأصحاب كما رغبوا ذلك حيث أنهم ظنوا أن

---

(١) قلنا : سعيد : في المخطوط ، ونحسب أن المقصود صعيد بمعنى جنوب الابيض - انظر ما يأتي .

(٢) قلنا : فحاربوهم : في المخطوط ، ونحسب أن الصواب : فيحاربونهم .

(٣) قلنا : في المخطوط : وأعدوموهم ، والصواب فيما نحسب ما روينا .

الترك يسبقون الى المنهل المذكور وإلا فقد قال المهدي عليه السلام لما قالوا له ان الترك جادون السير ليسبقوا لحوز منهل البركة : إن الترك لا يردون منهلاً بعد منهلهم الذين هم به الآن إلا ما بقي منهم بعد هلاكهم فيرد معكم الماء يعني ذلك الباقي . وقد كان ذلك . فانهم بعد منهل النقيعة المذكور لم يتمكنوا من ورود منهل أصلاً الى أن هلكوا بمحل يدعى شيكان كما سيأتي . ثم الباقي بعد الهلاك ورد مع أصحاب [٢٠٠] المهدي عليه السلام عند عود الجميع الى منهل البركة في رجوعهم معه عليه السلام من تلك الغزوة . قلت وهــذا من باهر الآيات وأكبر العلامات الدالة على كمال تصديقه وصحة ما أتى وتحقيقه .

ثم إن المهــدي عليه السلام ارتحل صبيحة يوم السبت التالي ليوم الجمعــة المذكور من منهل فرتنقول المذكور . وفي ظهر ذلـك اليوم نزل بمنهل البركة فأتى اليه ابراهيم ابن الحاج الشهير بالترجماوي ومعه جماعــة وقالوا له يا سيدي : الناس يقولون ان الترك قاصدون مدينة الأبيض حتى شاع الخبر في الجيش بذلك . وان الترك عدلوا عن قصدهم للبركة وأرادوا التوجـه لمدينة الأبيض ليستأصلوا من فيهــا ويحوزوا النساء والذرية . وأرجف الناس بذلك حتى قالوا للمهدي عليه السلام يا سيدي نتوجه للأبيض قبل الترك . فلما رأى المهدي عليه السلام شفقة الناس على أهاليهم وأبنائهم هناك قال : أيهــا الناس أنصتوا ، ثم بزق في كفه اليسرى وقال : أي شيء هذا ؟ فقالوا : بزاق يا سيدي ! ثم طرحه على الأرض فشربته في الحال . فقال للناس : هل ترون لهذا البزاق أثراً ؟ فقالوا له : لا . فقال : نحــن كالأرض والترك كالبزاق . ثم قال عليه السلام : اذا طار الطير ينزل في أي شيء ؟ فقالوا له : ينزل على الارض [٢٠١] فقال لهم : ان الترك كالطير ونحن كالأرض . أيهــا الناس اثبتوا واطمئنوا ونزلوا رواحلكم واستريحوا فإن الترك لا قدرة لهم مع قــدرة الله . ثم قال غداً يوم الأحد نتوجه اليهم وفي صبيحة يوم الاثنين بعــد أمرنا لكم بمحاربتهم إذا تأخر أحدكم لإصلاح نعله لا يدركهم أحياء .

قلت لعــل المقصود بالتمثيل الأول في كلامه عليــه السلام (اعني تمثيل الترك بالبزاق وتمثيل المهــدي عليه السلام) وأصحــابه بالأرض هو سرعة هلاك الترك وعدم امتداد زمنهم من بقاهم على الدنيا كسرعة ذهاب البزاق في الارض وعدم امتداد زمن بقائه على وجه الأرض . وإذا كان حالهم كذلك فكيف يمتد زمنهم بعد ما حل بهم من الكرب والشدة وانتشاب اظفار المنية بهم حتى يظــن بهم انهم يتخلصون من هذه الورطــة ويصلون الى مدينة الأبيض . هذا مما لا يكون أبداً . مع الايماء بذلك التمثيل الى تحقير شأن الترك وعدم المبالاة بهم وأنهم في غاية الضعف والاضمحلال بالنظر لقــدرة ذي الجلال والى عدم ثباتهم ورسوخهم في مواطن الحرب وعدم اللبث في ميدان اللقاء .

والمقصود من التمثيل الثاني أعني تمثيل الترك بالطير وتمثيله عليه السلام مع أصحابه [٢٠٢] بالأرض هو احاطــة المهدي عليه السلام مع أصحابه الكرام بالترك وعدم خروجهم من قبضته كاحاطة الارض وعدم خروج الطير عن الارض مع الإيماء بذلك التمثيــل الى خفة عقول الترك حيث انهم حاربوا داعي الله وأرادوا إطفاء نوره ويأبى الله إلا أن يتم نوره والى ثبات المهــدي عليه السلام وأصحابه كثبات الارض وعدم اضطرابها وعدم تحريك الشدائد لها . وقد كان المهدي عليه السلام كذلك . فإن الشدائد لا تحركه .

هذا ولو أردنا تتبع النكات واللطائف والحكم التي جمعها عليه السلام في هذين التمثيلين لضاق بها صدر الطرس ونفد دون بلوغ غايتها عباب النفس . كيف وهي كلام من أوتي الحكم الباهرة وتفجرت من هدايته المعارف الفاخرة فأعجزت الاوائل[١] وركعت دون محاريبها سادة الأفاضل .

هذا ثم إن المهدي عليه السلام أمر محمداً وعبد الرحمن ابني النصري ، وهما

---

(١) قلنا : انما يعجز المرء معاصريه ومن يأتون بعده . أما من سبقوه فيتفوق عليهم

من أهل الشجاعة والإقدام وسيأتي أنهما ممن استشهد في هذه الغزوة، بأن يتوجها لجهة شيكان محل نزول الترك ، وبه قتلوا ، وأمر بأن ينضم إليهما جميع أهل الأسلحة النارية وأن ينضم إليهم أهل الخيل ليشنوا الغــارة [٢٠٣] هم [١] والأصحاب الذين بمقابلة العدو بشيكان مخافة هروبهم وتفرقهم في بطون الأودية والجهات . والقصد حصرهم في محل واحد إلى أن يحضر المهدي عليه السلام . والمهدي عليه السلام حاضر في أثرهم . وقد جعل على الجميع إبراهيم بن الحاج الترجماوي فقاد أعنة الخيل ومعه أهل الأسلحة المـــذكورون ونازلوا الترك بشيكان عند طلوع الشمس ذلك اليوم ، أعني يوم الأحد ثالث المحرم . وقد وجدوا الاصحاب هناك محيطين بالاتراك من كل جانب كإحاطة السوار بالمعصم وهم في أم ريح ، وتوالت عليهم الاسلحة النارية وأخذتهم من كل جانب حتى منعوا من السير والنزول والقيام والقعود فترى[٢] الرجل منهم واقعاً على الجمل والجمل على الفرس والفرس على البغل . وهكذا صار الترك يلوذون بالخيــل والجمال والبغال من وقع الرصاص وهو يعمل فيهم الأعمال العجيبة ويفعل فيهم الافاعيل الغريبة .

وفي صبيحة ذلك اليوم المذكور ارتحل عليه السلام من البركة ونازلهم عند الضحى بشيكان ويسمى أيضاً بمنهل أم مصارين . ولذلك لما نزل المهدي عليه السلام قال له بعض الاصحاب يا سيدي هذا المحل يدعى بمنهـل أم مصارين ، فقال له عليــه السلام : ان مصارين الترك تصب فيه [٢٠٤] فكان كما قال . وبعد وصول المهدي عليــه السلام بشيكان أمر أصحاب الرايات بأن يجتمعوا

---

(١) قلنا : في المخطوط : وهم . ويقصد بهم الانصار الذين في متابعـــة قوات هكس وحلوا معه في شيكان يراقبونه ويناوشونه ويقطعون اتصاله .

(٢) قلنا : فتراءى : المخطوط . وقد عدلناه .

كلهم بمحل واحد فوقفوا صفاً عظيماً أمام المحل الذي نزل فيه المهـــدي عليه السلام وكل أمير تحت رايته ومعه أصحاب رايته . وهكذا جميع الامراء فمر عليه السلام عليهم وحثهم على الجهاد والصبر في مواطن اللقاء ووعظهم بمواعظ بليغة ، وقال لهم اليوم ليس لكم إذن في حرب الترك وإنما يكون هلاكهم غداً يوم الاثنين . .

وبنزوله[1] عليه السلام بشيكان قامت على الترك القيامة وسال الوادي عليهم حرباً يشيب الطفل وأظلمت عليهم الدنيا ودام الحرب إلى دخول ظهر ذلك اليوم . ثم إن عبد الله ولد النور ، الشهيد بإحدى وقائع الخرطوم كما سيأتي ، وحمدان أبا عنجة وفوزي أحد كتاب المهدي عليـــه السلام ومعهم بعض من الاصحاب حملوا على القلعة التركية المنفصلة عن القلعة الكبيرة السائرة أمام جيش العدو ، ومعهم من أهل الخيل عدد وافر ، حملة صادقة حتى خالطوهم وقتلوا منهم مقتلة عظيمة وأزالوهم عن مراكزهم. فاستشهد فوزي المذكور[2] وهو غير فوزي محمود أحد الكتاب أيضاً . واستشهد بعض الاصحاب أيضاً . وجرح عبد الله ولد النور في صدره [٢٠٥] جرحاً بليغاً بإصابة الرصاص .

---

(١) قلنا : في المخطوط : وبنزولهم – والقصد المهدي وجماعته .

(٢) قلنا : هو فوزي المشهور بالتلغرافجي . وكان من كتاب المهدي ، وإليه آلت أمانة ختم المهدي ورئاسة ديوانه بعد مقتل عبد الله التيجاني الذي ذكر المؤلف مقتله فيما سبق وهو على ما يذكر من السود وليس من عرب السودان . أما فوزي الآخر فهو ابن محمود بادي وأخو خليل بادي أمين مطبعة المهدية وإخوة آخرين كانوا يعملون بالكتابة في دواوين المهدية . وهم من الدناقلة أصلاً إلا أنهم استوطنوا في بارة منذ زمن بعيد . وقد كان جدهم ممن أخذ الطريق على يد السيد محمد عثمان الأكبر وصاروا من خلفائه الكبار ، ثم تزوج السيد ابنته فأنجبت له ابنه السيد الحسن الأكبر وهو جد السادة المراغنة بالسودان وقد قتل فوزي في فشودة على يد الزاكي طمبل لاشتراكه في حركة الاشراف .

وأصيب فرس حمدان أبي عنجة . وفي الحال أخذ من داخل القلعة المذكورة فرساً من قبل الترك بعد قتل صاحبه وركبه بدل فرسه . فانظر رحمك الله هذا الثبات العظيم والجراءة والاقدام وعدم المبالاة بالعدو قلة وكثرة! وبأسباب تلك الحملة من الفرسان المذكورين على القلعة وإزاحتها عن مراكزها تمكن بعض الأصحاب من أخذ مدافع من الترك وخيول وجمال وثياب وأزواد وغير ذلك . ولما بلغ المهدي عليه السلام قتل فوزي قال فاز فوزي .

ولما رأى الأصحاب ما حل بالترك من التزلزل والاضطراب والتضعضع رغبوا في أن يأذن لهم المهدي عليه السلام في الحملة عليهم مرة واحدة في ذلك اليوم . فقال لهم عليه السلام : أخبرني سيد الوجود ﷺ أن الترك اليوم لا يموتون كلهم ، وإنما هلاكهم يكون يوم الاثنين أو كما قال . وفي رواية أنه قال عليه السلام : وردت لنا إشارة أننا نقاتلهم يوم الاثنين ونقتلهم قتلاً ذريعاً . وما زال الحرب دائراً بينهم بالمراماة بالرصاص بقية ذلك اليوم المذكور وليلة الاثنين إلى الصباح . ولله در حمدان أبي عنجة [٢٠٦] فإنه دوخ الترك بالحرب ذلك اليوم ، أعني يوم الاحد بتمامه ، كما أنه في تلك الليلة أعني ليلة الاثنين بات ساهراً يحاربهم بالرصاص إلى طلوع الشمس ما ونى حتى أفنى منهم عدداً وافراً في تلك الليلة . وباتوا أسوأ حالة وأشنع صفة .

ثم في صبيحة يوم الاثنين رابع المحرم أمر المهدي عليه السلام الجيش بالحملة على الترك ، وذلك بعد الانذار والموعظة البليغة للأصحاب وأمرهم بتقوى الله والثبات في مواطن الحرب وأن لا يبالوا بكثرة العدو ولو تزايد عددهم ، فإن الجهاد في سبيل [الله] أوفر متجراً وأعظم مفخراً . ولم يزل هذا دأبه عليه السلام في أي غزوة وأي سرية . ثم أمر أصحاب الرايات بالتقدم فتقدموا وحملوا على الترك حملة صادقة بقلوب صافية وهمم وافية وطعنوا في صدور الاتراك ورفرفت على رؤوسهم طيور الهلاك ، فخالطوهم واشتد القتال وأخذهم

الرمح والسيف من كل جانب فولوا منهزمين لا يلوون على شيء . فقتل الطاغية الهكس وهو مول ، وقتل علاء الدين باشا الحكمدار وغيرهما من أعيان الجيش المذكورين ورؤسائهم . والكل قتلوا منهزمين . وتبعهم الأصحاب يقتلون . ولم ينج منهم إلا المختبين [٢٠٧] تحت الجمال والخيل والبغال ، حتى صار بعضهم يلقي نفسه بين القتلى فينجو بذلك من القتل. ومن نجا من القتل بالتخبي تحت الحمار والخيل والبغال أو إلقاء نفسه بين القتلى لم [١] ينج من الجرح البليغ المفضي إلى الهلاك . وتراكمت جثث القتلى كالتل العالي . قلت فكل من مر بمحل الوقعة المذكورة إلى الآن يرى الأرض ملأى من عظام الموتى ، تبين على البعد، منها المجتمع بعضه على بعض ، ومنها المفترق . هذا سوى ما حجفته السيول وأخذته السباع في تلك الآكام والوهاد وبطون الأودية وطهر الله منهم الأرض .

وقد كان هلاكهم المذكور في أقرب مدة. أخبرني قاضي الاسلام أحمد علي أن بعض الأصحاب حدثه بأنه عند إرادة الحملة والالتحام نظر في الساعة التي معه ثم بعد انتهاء الوقعة نظر فيها فوجد الماضي من ابتداء المعركة إلى انتهائها خمسة عشر دقيقة ، وذلك ربع ساعة فلكية . فيكون هلاكهم مع ما عليه من الكثرة في مقدار ربع ساعة فلكية . وبهذا ظهر مصداق قول المهدي عليه السلام كما تقدم إذا تأخر أحدكم لإصلاح نعله لا يدركهم أحياء . [٢٠٨] وقد شوهد في هذه الوقعة أيضاً حرق النار للأجسام . وشوهد بأسباب الحرق المذكور في تلك الأجسام تكميش حتى عادت كالشواء . وإنما حصل لهم ما ذكر اظهاراً لحقيقة حالهم وتعجيلاً لعقوبتهم كما أخبرني بذلك الثقة عن المهدي عليه السلام ، وقد تقدم ذلك . وقد قدمنا في الباب الثاني من هذه السيرة الحكم في ظهور هذا الخارق على يد الامام المنتظر فارجع إليها إن شئت .

---

(١) في المخطوط : فلم ، قلنا : لم .

هذا وقد استشهد من الأصحاب ما يقارب المائتين ، منهم أبو أمية والطاهر وغيرهما من أقارب خليفة المهدي عليه السلام وضوء الدين بن عبد الله ، وهو من السابقين أهل الاختصاص . وأحمد وعبد الرحمن ابناء التناء[1] وأحمد بن شيخ محمد ومحمد [و] عبد الرحمن أبناء النصري وعثمان بن عم الخليفة محمد شريف خليفة الكرار وأبو زميم الكناني وعبد الله بن محمد بلال ومحمد بن إدريس وعبد الرحيم أحد المادحين لجناب المهدي عليه السلام ودفع الله بن الضو الشويحي وغيرهم . فنقلوا وأحضروا بمحل نزول المهدي عليه السلام [فأمر] بدفنهم بما عليهم من الثياب [٢٠٩] .

وأقام عليه السلام بشيكان بمحل الوقعة بقية يوم الاثنين المذكور ويوم الثلاثاء . وقد أمر عليه السلام بعد الواقعة وهو بشيكان أهل الرايات بجمع الغنائم وحفظها ونقلها [إلى] البركة ليصير قسمها هناك ، ففعلوا ذلك . ثم في يوم الاربعاء ثالث يوم الواقعة رجع[2] إلى مدينة الابيض ماراً بمنهل البركة المذكور ، فأقام به بضع عشر يوماً . وهناك أمر بتفريق الغنائم بعد إخراج الخمس منها .

وقد كتب عليه السلام وهو بالبركة كتاباً لأهالي الخرطوم بالانذار والدلالة إلى الله . وقد أخبرهم فيه بما حصل بجردة الهكس من الدمار والهلاك . ولفظ الكتاب :

---

(١) قلنا : ربما يقصد التني ولكنه يحاول التعريب فيجعله التناء . وقد فعل ذلك أعلاه وفي مكان سابق ازاء ضو الدين فجعله ضوء الدين .

(٢) يرجع : المخطوط ، قلنا : عدلناه الى : رجع .

بسم الله الرحمن الرحيم .

الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم .

وبعد ، فجزيل السلام من عبـــد ربه الواثق بمولاه محمد المهدي بن السيد عبد الله إلى أحبابه في الله فلان وفلان وجميع أهلهم وأتباعهم .

نعرفكم أحبابي أنه طالما تكررت لكم منا المخاطبات بالتأكيد والتشديد والتحريض الذي لا مزيد عليه بمرغوبية قيامكم في تقويم أمر الدين وقتال الترك الكافرين [٢١٠] والذين يلونكم كنا منتظرين ومؤملين حصول غيرة إلهية منكم في هذا الخصوص فما بلغنا منكم خبر على حسب المطلوب ولا رأينا منكم علو همة في ذلك مع أنه فرض مؤكد عليكم من الله ورسوله ومنا وفي علمكم أن التباطي في أمور الدين غير لا يق خصوصاً في الجهـــاد بل هو خلاف المقصود لقول الله تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم الآية . وقوله إذا قيل لهم انشزوا فانشزوا الآية . ومع هذه فمقامكم يقتضي بذل الجهد وعلو الهمة في الله ونحن لولا حسن ظننا بكم وقصد الخير لكم ما كنا نعتني بكم قدر هذا ونلاطفكم ونراودكم هذه المراودة التي لم يخطر بها على بالكم شيء والحاصل يا أحبابي أن ما مضى لا يعاد ومن الآن فصاعداً اتركو المهاونة وقووا عزمكم وشمروا وقوموا في طاعة الله ورسوله وبوصول هذا اليكم نبهوا كافة من معكم من المسلمين وتحزبوا معهم في الله وقوموا لمحاصرة الخرطوم وسدوا طريقه من كل جانب وضيقوا على من فيه من الكفرة واقطعوا مرادهم والسكك وشنوا عليهم الغارات حتى يـــذعنوا ويسلموا الأمر لله تعالى ورسوله [٢١١] أو يصير هلاكهـــم كالذين من قبلهم قريباً ذاقوا وبال أمرهم [١] ولم تغن عنهم المدافع والصواريخ شيئاً بل جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون فاجتهدوا في ذلك لحين مـــا نأتيكم ولا تترددوا كما

---

(١) قلنا : في المخطوط : وبالامر هم .

سبق واعلموا انكم إذا فعلتم حكم إشارتنا نرضى عنكم ظاهراً وباطنـاً ونسامحكم فيما مضى ولا نؤاخذكم بشيء وإلا فلا نقبل لكم عذراً أصلاً ونحن لا شك منصورون بالله تعالى لا بكم ولا بغيركم وانما أنتم مفتونون بنا إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها ومن خصوص الجردة التي رأيتموها وصلت الينا وقتلت يوم الاثنين الموافق ٤ محرم سنة تاريخه فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين فلازم أنكم تشدوا حيلكم وتقوموا بكامل همتكم على الجهاد ومحاصرة الخرطوم وأول كل شيء أجروا تقطيع السلك وأخربوه رأساً وعلى أي الحالات بعد صول هذا ترد لنا منكم الافادة بما تجرون لنعلم ما أنتم عليه والسلام .

ثم رجع الى مدينة الابيض مؤيداً ومنصوراً . [٢١٢] وبعد هـذه الوقعة وفد عليه الملك آدم أم دبالة ملك جبال تقلي ومعه جميع أعيان جبال تقلي مسلمين ومنقادين . أقول وبعد هذه الوقعة تتابعت وفود أهل الجزيرة الى المهدي عليه السلام وهو بكردفان وانبعثت اليـه جماهيرهم وبايعوه . وذلك لأن بعض من كان من أهالي الجزيرة وغالب من كان بنواحي مدينة الخرطوم بـل غالباً من كان أهالي بربر ومن حولهم كانوا يتربصون بالوصول الى المهـدي عليه السلام بكردفان ما يكون في وقعة الهكس وما يكون عليه أمره في محاربة المهـدي عليه السلام . ولما تحقق لهم ما حل بالطاغية الهكس وجيشه من الدمار والبوار وفدوا اليه عليه السلام أفواجاً أفواجاً .

وبعد وقعة الهكس المذكورة وحضور المهدي عليه السلام بمدينة الأبيض كتب الى غوردون باشا وهو بالخرطوم كتاباً يـدعوه فيه الى الله والى الاسلام ومتابعة المهدي عليه السلام . ولفظ الكتاب المذكور [١] :

---

(١) قلنا : قارنا نص الرسالة بالنص الوارد في الانذارات ومنشورات المهدية . وانظر خطاب غردون الذي يرد عليه المهدي في المصدر الاخير (ص ٣١٩).

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم .

وبعد ، فمن العبد المفتقر الى الله محمد المهدي بن عبد الله الى عزيز بريطانية والخديوية غوردون باشا .

قد وصلنا جوابك [١] وفهمنا ما فيه . والحال أنك تزعم إرادة إصلاح المسلمين وفتح الطرق لزيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم واتصال المودة فيما بيننا وبينكم وحل المسيحية النصارى والمسلمانين [٢] وأن تجعلنا سلطاناً على كوردفان [٣] . فأقول – والامر لله – إني قد دعوت العباد إلى صلاحهم وما يقربهم من ربهم وأن يفرغوا من الدنيا الفانية الى دار البقاء ويعملوا [٤] بما يصلحهم في آخرتهم. وقد كتبت الى حكمدار [٥] الخرطوم وأنا بأبا بدعايته [٦] الى الحق وبأن مهديتي من الله ورسوله ولست في ذلك بمتحيل ولا مريد ملكاً ولا جاهاً ولا مالاً [٧] وإنما أنا عبد أحب المسكنة والمساكين وأكره الفخر

---

(١) وصل جوابك الينا : منشورات المهدية . ونص الانذارات متفق مع المخطوط .

(٢) وحل المأسورين من النصارى والمسلمين : منشورات المهدية . ونص الانذارات متفق مع المخطوط .

(٣) قلنا : هكذا في المخطوط والانذارات .

(٤) وليعملوا : منشورات المهدية .

(٥) حكمدارية : منشورات المهدية . قلنا : والاشارة هنا الى برقيته التي سلف نقلها (انظر ص ٥٩) .

(٦) بدعايتي : منشورات المهدية . قلنا : وهذا أليق بأن يقال .

(٧) ملكاً ولا مالاً ولا جاهاً : منشورات المهدية .

وقوة السلاطين [1] ونبوهم عن الحق المبين لما جبلوا عليه من حب الجـاه والمال والبنين ، وهذا هو الذي صدهم عن صلاحهم وأخذ نصيبهم من ربهم فأخـذوا الفاني وتركوا الباقي واشتغلوا بما لا يكون من الفانيات ولم يسمعوا قول الله ولا رسوله [2] ولم يذكروا خبر القرون الذين [3] لم يغن عنهم ذلك شيئاً ، [٢١٤] وتندموا على قدر الذي تمتعوا [4] به ، فأيدني الله تعالى بالمهدية الكبرى لدلالتهم الى الله تعالى وليتركوا العز الفاني والنعيم الفاني الى العز الدائم والنعيم الأبدي في دار النعيم المقيم ، ولا عرفهـم غرور من يريد العاجلة ويظن انه ساع في رضاء الله ويكون [5] له نصيب [في] الآخرة ، وقد قال المسيح عليـه السلام يا معشر الحواريين ابنوا على موج البحر داراً تلكمو الدنيا فلا تتخـذوها [6] قراراً . فمن [7] ظن أنه يخوض البحر من غير بلل فهو مغرور . فكذلك [8] من ظن أنه يجمع الدنيا ويريد عزها وجاهها ويكون له في الآخرة شأن .

فأنب الى الله الباقي واخضع لجلاله واطلب عز الآخرة ولا تظن أن هـذه الدنيا دار حتى تسعى لملكها وعزهـا . وكيف من يكون على خلاف سكة النبي ﷺ يفتح باب زيارة قبره ، ولم يكن النبي ﷺ ممن يرغب زيارة الكلاب

---

(١) وتفخر السلاطين : منشورات المهدية ، وتعزز السلاطين : الانذارات .

(٢) الله ورسوله : منشورات المهدية .

(٣) الذي : منشورات المهدية .

(٤) تنعموا : منشورات المهدية .

(٥) ويكفي : المخطوط .

(٦) داراً لكم فلا تتخذوها : منشورات المهدية .

(٧) ومن : منشورات المهدية ونسخة في الانذارات .

(٨) فذلك : المخطوط .

كما ورد : إن الدنيا جيفه وطلابها كلاب . ولم يرغب من [١] عبد غير الله ونسي الله وأعرض عن كلامه وطلب متاع الحياة [٢] الفانيـــة ! فإن كنت شفيقاً على المسلمين فبالأول أشفق على نفسك وخلصها من سخط خالقها وقومها [٣] على اتباع الدين الحق [٢١٥] باتباع [٤] سيدنا محمد رسول الله ﷺ الذي أحيا مـا اندرس من ملل الأنبياء والمرسلين وأتى مصدقاً لما بين يـــديه من الكتب ، فجميع الأنبياء عليهم السلام لو حضروه [٥] لما سلكوا غير ملته ، وكلهم يتمنون أن يكونوا من أمته ومن [٦] حضر بعثته . وما بعد لا يقبل منه ديناً [٧] غير سكنه .

فطهر نفسك أولاً بالدخول في ملته ثم أشفق على أمته بسلوك سنته ، فعند هذا فأنت الشفيق ومن غير هذا فما لك من المحقين من رفيق ، كيف وقد قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء ، بعضهم أولياء بعض ، ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين » الى أن قال : « انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ومن يتول الله ورسوله والذين آمنـــوا فإن حزب الله هم

---

(١) من : المخطوط والانذارات ، ممن : منشورات المهدية .

(٢) الحياة الدنيا : منشورات المهدية .

(٣) وقومها : انذارات ومنشورات المهدية ، وترفهات وحققها : المخطوط .

(٤) واتباع : منشورات المهدية .

(٥) حضروا : منشورات المهدية .

(٦) وممن : منشورات المهدية .

(٧) منه : المخطوط والانذاوات ، الله : منشورات المهدية .

الغالبون [1] » وإننا قد امتثلنا أمر الله فيما [2] تتخذ وليـــاً إلا الله ورسوله والمؤمنين ، وعلى ذلك قد وعد الله [3] بالغلبة كما سمعته من قول الله هذا . وما دام أن الله يقول : « هم الغالبون » فلا غلبة لغيرهم . فإن رجعت عما أنت عليه من ملة غير الاسلام وأنبت الى الله ورسوله واخترت الآخرة نتخذك ولياً وتكون [٢١٦] من إخواننا وتكون المودة المطلوبة عند الله ورسوله وتكون ممن امتثل أمر الله بعد هذه الآيات فاستحق الوعد والبشارة في قوله تعالى : « ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولأدخلناهم جنات النعيم ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل وما أنزل اليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم [4] » الآية ، فبعد هـــذا تتصل المحبة والمودة فيما بيننا وبينك وتكون ممن عمل بالقرآن والتوراة والانجيل قد اتبعت باتباع [نبينا] محمد ﷺ وعيسى وجميع الرسل والنبيين وحزت الخير الأبـــدي وإلا حيث علمت : إن حزب الله الذين وليهم الله ورسوله والذين آمنوا هم الغالبون من كلام الله ، فاعلم أن حزب الله واصل اليك ومزيل لك عما شاركت به خالقك فاستدعيت ملك عباده وأرضه مع أن الأرض لله يورثها عباده[5] الصالحين .

وأما المسلمانيون والمسيحيون الذين دعوت بطلقهم اليك فأنا أريد لهم الصلاح والنفع عند الله وفي دار الابد كما أريده لك ولكافة عباد الله فلا أبعـــدهم من

---

(١) سورة المائدة الآيات : ٥١ - ٥٥ .

(٢) وما : منشورات المهدية .

(٣) وعدنا : منشورات المهدية .

(٤) سورة المائدة الآية ٦٥ - ٦٦ .

(٥) من يشاء من عباده : منشورات المهدية .

جنتهم إلى محنتهم [١] فإن الله قد أيدني رحمة للعباد لأنقذهم من الهلاك [٢١٧] الذي هم واقعون فيه لولا رحمة الله بظهوري فيهم .

واعلم أنى المهدي المنتظر خليفة [٢] رسول الله ﷺ فلا حاجة لي بالسلطنة ولا بملك كردفان ولا غيرها ولا في مال الدنيا ولا زخرفها وإنما أنا عبد الله دال [٣] الى الله وإلى ما عنده ، فمن كان سعيداً أجابني واتبعني ومن كان شقياً أعرض عن دلالتي فأزاله الله عن [٤] موضعه وأذله وعذبه عذاب الأبد .

وقد أيدني الله تعالى بالأنبياء والمرسلين والملائكة والمقربين وجميع الأولياء والصالحين لإحياء دينه . [وقـــد] بشرني النبي ﷺ أن جميع من يلقاني [٥] بعداوة يخذله الله ويهزمه ولو كان الثقلين الإنس والجن . فلا تغتر فتهلك كما هلك إخوانك . فافهم وسلم تسلم [٦] .

وأما الهدية التي أرسلتها لنا فعلى حسب نية الخير فجزاك [٧] الله الخير [٨] وهداك [٩] الى الصواب . واعلم أنه كما كتبنا لك أنا لا نرغب متاع الحياة الدنيا وزينتها وإنما [هي] قصد المترفين الذين لم يكن لهم عند الله نصيب. فها هي [١٠]

---

(١) من محنتهم إلى محنتهم : المخطوط .
(٢) المنتظر ـ ولا فخر ـ خليفة : منشورات المهدية .
(٣) وانما عبد دال : منشورات المهدية .
(٤) من : منشورات المهدية .
(٥) يلاقني : منشورات المهدية .
(٦) لتسلم : المخطوط .
(٧) وجزاك : المخطوط .
(٨) خيراً : منشورات المهدية .
(٩) وهداك الله : المخطوط .
(١٠) وها هي : بمنشورات المهدية .

مرسولة [اليك] مع ما نرغبه من اللبس لنفسنا ولأصحابنا الذين يريدون الآخرة ويرغبون ما عند الله من الخير الباقي الابـــدي ليستحقوا [٢١٨] بذلك نعيم الابد وملك الدوام كما درج على ذلك الانبياء والمرسلون وجميع السعـــداء من عباد الله الصالحين .

وتعلم ذلك أنت حقيقة من سيرة عيسى عليه السلام وحواريه ، وقد قال : « كبيت لكم الدنيا فلا تنعشوها بعدي » فتعلم بذلك [١] أن من خالفـــه من الاحبار والرهبان وجميع من يدعي اتباعه ليسوا محقين وإنما غرتهم الحياة [٢] الفانية والامتعة الآئلة إلى أن تكون جيفـــة وعذرة [٣] ثم عدماً محضاً فتكون حسرة وندماً عنـد فراقها ، ولما نوتته من اكتساب خيرات الدوام وثم إن مثل هديتك [هذه] عندنا كثير ولكن أعرضنا عنها طلباً لما عند الله ، وأقول لك في ذلك كما قال سليمان عليه السلام لبلقيس وقومها : « أتمدونني بمال فما آتاني الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون ارجع اليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون [٤] » .

واعلم أنك إذا أتيتنا [٥] مسلماً نربيك ونريك من النور ما يطمئن به قلبك ويزول [٦] به طمعك في الدنيا وما فيها . ثم بعـــد ذلك إن رأينا فيك خيراً

---

(١) من ذلك : منشورات المهدية .

(٢) الحياة الدنيا : منشورات المهدية .

(٣) جيفة عذرة : منشورات المهدية .

(٤) سورة النمل الآية ٣٥ - ٣٦ .

(٥) أتيت إلينا : المخطوط . قلنا : والتربية عند المهدي هي أن يتلقى الرجل الارشاد على يديه ويعيش كما يعيش ويقوم بجملة عباداته حتى تأخذ نفسه عليها ويكون من الانصار حقيقة.

(٦) ويزيل : المخطوط .

وصلاحاً للمسلمين ولنياك كما فعلنا ذلك بمحمد [1] خالد المشهور بزقل مدير دارا سابقاً ، فانه لما أتانا [٢١٩] ورأى الحق وفرح بلقائنا غاية وندم على ما فات مما ضيعه [2] من عمره في الفاني فاطمأن قلبه بالله واختـار الآخرة ووثق بالله ولنياه على دارفور وقد كتب لنا قبل ذلك عبد القادر سلاطين بالتسليم فأكرمناه والى الآن نريد كمال تربيته وهو الآن في خير كثير . وكذلك السيد جمعة الذي كان مدير الفاشر الآن أرسلنا الى محمد خالد المذكور يأتي به الينـا لكمال [3] التربية والارشاد. وبلغنا حسن اسلام الدمتري سجاده وصدق اتباعه لنا وانابته للآخرة. وكذلك جميع أمراء النقط بدار فور قد [4] أذعنوا لله كباقي سلاطين دار فور وسلموا جميعاً [5] أمرهم الينا في حب الله ورسوله فحسن [6] تسليمهم واتباعهم لنا . وكذلك الملك آدم ملك جبال تقلي [7] الآن أتى مهاجراً لما رأى الحق ، وحسن اتباعه وصدقه ، وقد أكرمناه وهو الآن معنا بخير كثير . وهلم جرا .

فكل سعيد لا بد أن يتصلى بنا من جميع أقطار الأرض ومن أبى لا بد أن

---

(١) لمحمد : منشورات المهدية . قلنا : لا يقصد المهدي إغراء غردون بالوظائف ولكنه يريد أن يبين أن لا فرق بين أتباعه بل من يصلـح يولى ويعطى الوظائف بصرف النظر عن هويته السابقة .

(٢) وضيعه : منشورات المهدية .

(٣) ليأتي به لكمال : منشورات المهدية .

(٤) فقد : منشورات المهدية .

(٥) جميع : » »

(٦) وحسن : » »

(٧) قلنا : كان الملك آدم من المتحالفين مع المهدي وقد ساعده في أول أمره ثم اختلفا لما أنه كان يرجو المحافظة على ملكه . وبعد مفاوضات طويلة حضر الى الابيض ومعه جمع من أعيان مملكته . وقد مات بعد ذلك .

يخذله الله ويعذبه في الآخرة كما أشار الى ذلك النبي ﷺ مراراً [1] . وليكن معلوم [2] عندك يا حضرة الباشا أن جميع الذين قتلوا على يدي قد أنذرتهم أولاً إنذاراً بليغاً وها هي واصلة [٢٢٠] اليك إنذار ولد الشلالي بعد [3] مخاطبته لي وإنذار هكس بأجوبة عديدة [للعامة] وجواب مخصوص له ولأكابر جيشه [4] وقد أرسلنا الى باشة الأبيض بجواب [5] فقتل رسلنا . وبعد أن وقع في يدنا أكرمناه وأعطيناه جبة جميلة ليتدرج الى الصدق مع الله ولا زلنا نكرمه ونعظمه ليقتدي بنا ويصدق مع الله فيكون من الاصحاب الذين هم كالنفس فلم يصدق ولا زال يقع فيما يهلكه ونحن نصفح عنه حتى أخذته نيته فمات ، ومع ذلك ، لأجل مبايعته لي ومجالسته معي أياماً ، قد أتانا خبر بعد موته أنه عفي عنه في الآخرة فصار من السعداء .

والعبد إذا كان يسعد في الآخرة فهو المقصود ، ولا خير في الدنيا ولا في نعيمها ، (بل) إنما متاعها [6] يكثر الحسرة والحبس فقط يوم القيامة . ونيتي [7] بالعباد سعادتهم هي آخرتهم الأبدية وازالة الهلاك عنهم من الله ، ولذلك لاطلقت جميع الاكابر وأهل الدولة بالقول والفعل ليعرفوا ما عند الله فيرغبوا فيه

---

(١) [مراراً] : منشورات المهدية .

(٢) معلوماً : » »

(٣) من بعد : » »

(٤) قلنا : يقصد أنه أرسل نسخاً كثيرة من إنذاره للعامة وأنه أرسل نسخاً خاصة منه لهكس والاكابر .

(٥) قلنا : يقصد إنذاره الى أهل الابيض الذي سلفت الاشارة اليه عند الكلام عن مقدمه الى الابيض . ويقول المهدي أنه مات والحق أنه قتل كما سبق الكلام .

(٦) متعها : منشورات المهدية .

(٧) ونياتي : منشورات المهدية .

ويتركوا الخسيس الفاني . وهكذا جميع من وقع في قبضتنـــا من الأكابر في الدولة والحكام [1] ما عملنا معه إلا الخير والإكرام . [٢٢١] فمن صدق منهم معنا فهم الآن في خير وازدياد شرف [2] ، والسلام . وبعد هـذا البيان ، فأن اهتديت وسلمت لي واتبعتني حزت شرف الدنيا والآخرة وفزت بأجرك وبأجر جميع من اتبعك وإلا أهلكت وكان عليك اثمك ومثل آثام جميع من اتبعك[3] وإن كان لك حسن نور في العقل تعلم أني خليفة رسول الله ﷺ . فلما تتهني فيما أسوق به [4] الى الله والدار الآخرة ولم تسمع على قول الظلماء الحساد الذين يريدون أن يطفوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ، وقد قال ﷺ : من شك في نصرة المهدي فليقرأ قوله تعالى : « هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون[5] » « وقوله : « كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله »[6] ولزيادة الشفقة عليكم لزمت التحشية بهذا والهادي هو الله و كثرة البيان لا تهدي . هدانا الله والعباد على الصواب ، آمين .

١١ جماد أول ١٣٠١ [7] .

---

(١) [في الدولة والحكام] : منشورات المهدية ، من الاكابر من الدولة والحكام : الانذارات .

(٢) خير كثير وزيادة شرف : منشورات المهدية .

(٣) فان : منشورات المهدية .

(٤) به الخلق : منشورات المهدية .

(٥) سورة التوبة الآية ٣٣ .

(٦) سورة المائدة الآية ٦٤ .

(٧) قلنا : يوافق ذلك ٩ مارس سنة ١٨٨٤ . انظر تعليقنا على تاريخ هذه الرسالة في ملشورات المهدية ص ٣٢٧ .

وقد وجدت مع هذا الكتاب كتابة من المهدي عليه السلام لغوردون باشا ولفظها [١] :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم. [٢٢٢]

وبعــد ، فمن عبد ربه الفقير الى الله محمد المهــدي بن عبدالله الى غوردون باشا .

باطلاعك على ما تدون بالجواب اليك تعلم باطنه وبه كسوة الزهاد أهل السعادة الكبرى الذين لا يبالون بما فات من المشتهيات طلباً لعالي الدرجات . وهي جبة ورداء وسراويل وعمامة وطاقية وحزام وسبحة . فان أتيت الى الله وطلبت ما عنده لا يصعب عليك أن تلبس ذلك وتتوجه لدائم حظك . وها هو الرسول الذي أتى منك واصل اليك مع رسل من عندنا كما طلبت ، والسلام.

ثم وجدت بطرة الجواب المذكور أيضاً ما لفظه :

صورة ما كتبه عليه السلام على ظهر المظروف الذي أرسله الى غوردون :

سألتك بحق الله ونبيه عيسى عليه السلام أن تقف على أجوبتنا هذه بالحرف. وقد بلغني محمد سعيد المسلماني الذي يسمى جورجو اسلامبوليه أن رجلاً يسمى السيد أفندي نعيم الاجرجي أنه له معرفة بلغتكم وبالخط العربي ، وما دام أنه يعرف الخطين واللغتين نرغب منكم الوقوف على ما في هذا الظرف جميعه حرفياً على يد المذكور أو ما هو مثله ، وقد سألتك السؤال المذكور لما ذكرته ، والسلام ، انتهى .

---

(٨) قلنا : راجعنا نص هذه الرسالة وما تليها مع الانذارات .

وقائع عثمان دقنة (١) :

ذكر سرية عثمان بن (٢) أبي بكر الشهير بدقنة الى سواكن [٢٢٣] وما والاها في غرة رجب الفرد من السنة المتممة للثلثمائة بعد الألف الهجرية (٣) .

ولما كانت جزيرة سواكن من الثغور المهمة التي عليها مدار ورود الوابورات الحربية المشحونة بالترك والانكليز مع ما ينضم اليهم من الاعراب الذين لهم تبعية للترك بتلك الجهات بعث المهـــدي عليه السلام عثمان المذكور أميراً على عموم تلك الجهات وكتب له عليه السلام كتاباً (٤) من ضمنه أن قال عليه السلام في حق عثمان المذكور مخاطباً لأهالي جزيرة سواكن وكافة ما انضم اليهم : إن من بايع عثمان فقد بايعني ومن استشهد مع عثمان فكأنما استشهد معي (٥) إلى آخر ما قال في حق المذكور .

---

(١) قلنا : هذا العنوان من عندنا .

(٢) قلنا : هو عثمان بن أبي بكر دقنة ، أصله من البجة وقيـــل إن أجداده من أكراد ديار بكر . ولد في ١٨٤٠ وعمل بالتجارة مدة ولكن تجارته ذهبت بعـــد أن قبضت عليه السفن الانجليزية بتهمة التجارة بالرقيق وسجن . انخرط في سلك المهدية باتفاق مع الشيخ الطاهر المجذوب فاتصل بالمهدي وبايعه ثم أرسل أميراً على الشرق . وقد أشعل الثورة وسجل انتصارات وأخذ بعض المدن . في سنة ١٨٩١ خسر طوكر وفقد بذلك كثيراً من بريقه . في واقعـــة عطبرة حارب تحت قيادة محمود ود أحمد. اشترك في واقعتي كرري وأم دبيكرات . وقد فر بعد الاخيرة قاصداً الحجاز الا أنه وقع في الاسر في ١٩٠٠ ونفي الى حلفا . أدى فريضة الحـــج ومات في منفاه في ١٩٢٦ . نقل رفاته الى أركويت عند قيام السد العالي .

(٣) قلنا : غرة رجب ١٣٠٠ هـ الموافق ٨ مايو سنة ١٨٨٣ .

(٤) انظر المرشد الى وثائق المهدي رقم ١٠٧ - ١١٠ .

(٥) قلنا : ذكر المهدي ما يعني هذا القول ، ولم ينقـــل المؤلف النص بحرفه . انظر ذلك في تاريخ نعوم ص ٧٤٧ .

ثم إن المهدي عليه السلام ودع عثمان المذكور وأوصاه بتقوى الله وبالصبر في مواطن اللقاء وغير ذلك من الوصايا النافعة . وهكذا دأبه عليه السلام مع جميع أمراء السرايا ودأب خليفته رضوان الله تعالى عليه . فسار عثمان مجداً حتى وصل إلى أرض أعراب البشاريين ، فدعاهم إلى الله وإلى الدخول في سلك المهدية فأجابوه وبايعهم . ثم توجه منهم وجد السير حتى وصل إلى بلاد الموسياب [٢٢٤] المدعوة أرياب فدعاهم إلى الله وإلى الانتظام في سلك أصحاب المهدي عليه السلام فأجابوه وبايعهم . وهكذا دأبه مع كل من يمر به من القبائل حتى وصل بمحل يدعى قباب . وهناك اجتمع بالطاهر المجذوب فتلقاه بالقبول . فأعطاه الكتاب الذي أرسله المهدي عليه السلام فقبله وقبله وبايع عثمان المذكور . وبذلك انتظم أمر غالب أهل تلك البلاد التابعة لجزيرة سواكن . لأن الطاهر المجذوب ذو مكانة ورياسة عند أولئك القوم . ولم يزل عثمان المذكور يدعو الناس في طريقه الى الدخول في المهدية الى أن وصل بمحل يدعى أركويت ، وهو محل اقامة أهل عثمان المذكور . فقابلوه بالقبول وبايعهم . وقد أتت اليه القبائل وغيرهم من أهالي جزيرة سواكن فبايعهم . وكان وصوله لمحله المذكور لثلاث بقين من شهر رمضان من السنة المتممة للثلثمائة بعد الألف[1]

ولما تحقق للترك الذين هم بمركز جزيرة سواكن وصول عثمان بمحل أهله المذكور وما كان منه من مبايعته الناس وانبعاث القبائل إليه وانتظامهم في سلك المهدية توقعوا من حصول حادث يوجب دمارهم وزوال ملكهم من تلك الجزيرة وما والاها [٢٢٥] فشرعوا في الاسباب التي يكون بها القبض على عثمان وتشتيت شمله . فكتب محافظ سواكن المدعو توفيقاً وهو من أكابر أهل الدولة المصرية ومن أهل الشجاعة والتدبير إلى كل من الطاهر المجذوب وأحمد دقنة أخي عثمان المذكور كتاباً طالباً فيه حضورهما عنده ليتمكن بذلك على الحصول

---

(١) قلنا : يوافق ذلك ١ أغسطس سنه ١٨٨٣ .

والظفر بعثمان . وبعد ورود الكتاب المذكور لكل منهما ألهم الله كلا منهما بأن مزق كتابه المرسول إليه وضبط حامل الكتاب . ثم إن الطاهر المجذوب أرسل إلى عثمان رسولاً يخبره بجميع ذلك ويستشيره فيما يفعله . فكتب إليه عثمان يأمره بأن يتوجه هو ومن معه إلى مأمورية أوكاك [1] ، وأخبره بأنه أيضاً متوجه بمن معه من الجيش لتلك المأمورية ، ووعده بمحل قريب من المأمورية المذكورة يدعى تأوى يجتمعون فيه . فجدوا السير إلى أن وصلوا بذلك المحل صبيحة يوم عيد الفطر [2] . ثم ساروا جميعاً إلى أن وصلوا في الضحى الأعلى ونزلوا بقرب المأمورية المذكورة جداً ، بحيث لو أطلقت من الترك بندقية لوصلت الرصاصة إليهم .

واقعة أوكاك [3] :

وقد كان أهالي تلك الجهات قد بايعوا عثمان وانتظموا في سلك المهدية إلا بعضاً من المنتمين [٢٢٦] إلى الديانة بتلك الجهات . فإنهم لم يبايعوا عثمان بل أخذوا منه كتب المهدي عليه السلام التي هي للأمور والمحافظ ليوصلوها لها . ثم بعد إيصالها عادوا بعد ساعة وطلبوا من عثمان المذكور أن يمهل الترك ثلاثة أيام فلم يقبل منهم ذلك . ولعل عثمان علم من حالهم أنهم ليسوا على نصح وصدق في طلب الامهال المذكور ، إذ لو علم منهم ذلك لامهلهم ولو أكثر من ثلاثة أيام لعل الله يهديهم . فتركه للامهال المذكور يدل على أنهم ليسوا على صدق ، بل أرادوا بطلب الإمهال المذكور ليتوصلوا إلى كمال الاستعداد . فلذا لم يقبل منهم ذلك هذا مع ما عليه عثمان المذكور من المعرفة بمكايد الحرب وانتهاز الفرص .

---

(١) قلنا : هي سنكات .

(٢) قلنا : يوافق ذلك ٥ أغسطس سنة ١٨٨٣ .

(٣) قلنا : هذا العنوان من عندنا . وأوكاك يعني سنكات .

وغاية ما أعطاهم من المهلة إلى ظهر ذلك اليوم أعني يوم العيد المذكور . وقال لهم قولوا للترك إن سلكتم بعد هذا مسالك الحيل فإنا إن شاء الله مقاتلوكم بدون إمهال . ولما وجه الجماعة الذين طلبوا الامهال للترك كما تقدم مهلة إلى الظهر وأرادوا أن يرجعوا إلى الترك فيخبروهم بذلك ، دعاهم عثمان إلى البيعة ليتحققوا اندراجهم في سلك المهدية حيث إنه اتضح لعثمان عدم الوثوق بهم لما رآه منهم [٢٢٧] من الميل إلى الترك . ثم بعد المشورة فيما بينهم اتفق رأيهم على المبايعة . فبايعوا عثمان، ثم توجهوا للترك ليخبروهم بما قال عثمان فأخبروهم وعادوا ثانياً طالبين لهم الامهال إلى العصر فأعطاهم مهلة ثلاثة أقدام [١] فقط ، والوقت إذ ذاك الظهر . وإنما يمهلهم زيادة على ما ذكر لأنه استشعر منهم الاستعداد للحرب لأنه رآهم يخرقون جدران بيوتهم للضرب من داخلها . هذا والجماعة الطالبون للامهال يعلمون جميع ذلك ولم يخبروا به عثمان . فتحقق عنده أن طلبهم المهلة المذكورة للترك إنما هو إعانة لهم على الاستعداد قبل إيقاع الأصحاب بهم . فلم يؤاخذهم عثمان بذلك تأليفاً لهم واشتغل الترك بإدخال النساء والذراري والأموال وجميع مهماتهم في البيوت . ثم صعد رؤساء الترك على ظهور البيوت ليتهيأوا للضرب من فوق ، واصطف الباقون أمام كارتهم واستعدوا للحرب .

فعند ذلك أيس عثمان من خيرهم وانقطع رجاؤه من تسليمهم فعزم على محاربتهم والحملة عليهم . فلما رأى الجماعة الساعون في الإمهال تهيؤ عثمان للحرب امتازوا [٢] بمن معهم ، ووقفوا ينظرون ماذا يصنع عثمان وأصحابه . فعند ذلك أمر عثمان أصحابه بالحملة [٢٢٨] عليهم فحملوا عليهم وهو معهم حملة

---

(١) قلنا : يستعمل المؤلف طول الظل للدلالة على الزمن .

(٢) قلنا : كلمة غير واضحة في الأصل ولكن الكلمة وردت في دفتر وقائع عثمان دقنه .

رجل واحد فاندفعت الترك بين أيديهم منهزمين فتبعوهم إلى أن دخلوا معهم بداخل الكارة واختلطوا بهم وقتلوهم قتلاً ذريعاً ، وامتلأ المحل واشتد الزحام حتى وقف باقي الأصحاب خارج الكارة ، حتى إنهم لم يجدوا للدخول سبيلاً لازدحام المحل ، حتى صار بعض الأصحاب يحفر حائط الكارة المذكورة بما يجده من آلات الحفر ليتمكن من خوخة [1] يدخل بها على الترك . والبعض منهم يريد أن يتسور الحائط فيضربه الواقفون على السطوح بالبنادق فيلقونه على الأرض قبل الوصول إليهم . حتى أن البعض من الأصحاب يرمي الترك الذين على السطوح بما وجده من حجر أو مدر أو غير ذلك لعدم تمكنهم من الصعود على الأسطحة . وأظلمت الأرض من الدخان المنفصل عن الأسلحة النارية حتى لا يكاد الرجل يبصر ما حوله . وانهزم الترك أقبح هزيمة حتى دخلوا بيوتاً صغيرة كانت بداخل الكارة وأغلقوا أبوابها وصاروا يضربون من هو بالخارج من الأصحاب .

هذا وفي أثناء المعركة أصيب عثمان داخل الكارة بثلاث ضربات ضربتين على يديه والثالثة [٢٢٩] على رأسه ، وطعن في جنبه ، وأخرج من الكارة . ثم خرج الأصحاب عنها لأنهم لم يجدوا أحداً خارج البيوت المذكورة بل احتمى الترك بها وأغلقوا أبوابها عليهم ، فلم يجد الأصحاب سبيلاً للدخول عليهم فيها .

ولقد كان عند إرادة الدخول على الترك من باب الكارة المذكورة مانعوا الأصحاب من الدخول وأكثروا فيهم القتل لكثرة الزحام عند الباب المذكور . فعند ذلك اقتحم الباب عليهم أخو عثمان المذكور [محمد] الشهير بدقنة بصدق

---

(١) قلنا : هكذا في الأصل ، وقد وردت الكلمة في دفتر وقائع عثمان دقنة . وجاء في معجم الرائد لجبران مسعود إنها النافذة الصغيرة في البيت يدخل منها الضوء أو الباب الصغير في الباب الكبير .

عزم وثبات وشدة حزم عند الوثبات حتى دخل وتبعه الأصحاب وكان إذا اتقاه أحد من الترك بالبندقية يضربها بسيفه فيقطعها نصفين ويقتل صاحبها وصار يضرب بالسيف يميناً وشمالاً ولم يزل حاله هكذا حتى استشهد . وقد كان قال لأخيه عثمان عند اللقاء قصدي أن أكون مقدماً أول ملاقاة أعداء الله حتى إذا رآني الأصحاب يسارعون إلى التقدم . فقال عثمان نعم . فتقدم أول الناس عند اللقاء حتى استشهد رحمه الله تعالى رحمة واسعة .

ثم بعد خروج عثمان ومن معه من الأصحاب من الكارة وذلك بعــــد انتهاء المعركة توجهوا إلى أركويت المذكور حاملين [٢٣٠] الجرحى، وعثمان محمول على سرير على جمل مربوطاً على السرير لأنه ليس له قوة تحجزه عن السقوط على الأرض لكون الجراحات أثخنته حتى ضعف بالكلية .

هذا وقد استشهد من الأصحاب في هذه الواقعة التي هي وقعة أوكاك ستون رجلاً وهلك من أعداء الله سبعة وخمسون . وهي أول الوقعات الكائنـــة مع أهالي سواكن وما والاها وكانت يوم العيد غرة شوال [١] كما تقدم.

واقعة قباب [٢] :

ثم بعد استقرارهم بمحلهم الذي هو أركويت شرع توفيق محافظ سواكن المتقدم ذكره في طلب الامداد من عساكر سواكن ومصر واستعد لحرب عثمان غاية، واستعد عثمان أيضاً بجمع الجيوش وتجهيزهم لعودهم إلى أوكاك لمحاصرة من كان بها من الترك .

---

(١) قلنا : يوافق ذلك ٥ أغسطس سنة ١٨٨٣ .

(٢) قلنا : هذا العنوان من عندنا . وكانت الواقعة في ١١ سبتمبر ١٨٨٣ .

ثم إن المحافظ المذكور لما وردت له الامدادات فلم يلبث أن توجه الى محاربة عثمان في تاسع ذي القعدة التالي لشهر شوال المذكور . وقد كان عثمان عزم على التوجه اليهم ثاني عشر ذي القعدة المذكور فعاجله المحافظ المذكور قبل حلول الوقت . ولما تحقق لعثمان مسير المحافظ المذكور اليه جهز الجيش لملاقاته [٢٣١] وأمّر عليهم ابن أخيه محمد موسى دقنة . فلما وصل الترك إلى البطحاء المسماة بقباب بالقرب من محل الأصحاب ألقى الله الرعب في قلوب الترك فنزلوا هناك وزربوا لهم زريبة متينة محيطة بهم خشية من هجوم الاصحاب عليهم . فأتى الاصحاب اليهم وباتوا بالقرب منهم . فأصبح الترك والأصحاب محتاطون بهم من كل جانب . ولما انتصف النهار ضاق بالترك الحال واشتد عليهم الحصر ، والشمس إذ ذاك في غاية الحرارة وليس لهم ظل يستظلون به ، وليس معهم من المأكول ما يمونهم أكثر من يوم وليلة وداخلهم من الرعب ما داخلهم ووقعوا في ورطة عظيمة حتى انهم انقلبوا على من أغراهم وفي مهاوي هذه البلية دلاهم . يقولون له ألم تخبرنا بأن عثمان والطاهر المجذوب وحدهما وليس معهما من الجيش أحد نتمكن من الظفر بهما والقبض عليهما ؟ فها نحن وقعنا في ورطة وبلية ، إلى غير ذلك من الكلام الدال على جزعهم ورعبهم .

ورئيس الترك إذ ذاك وقائدهم شخص من الأعراب يسمى محمود علي وهو شيخ قبيلة العمّارأر [١] الذين بنواحي سواكن. [٢٣٢] فعند ذلك أراد الترك الرجوع إلى مأموريتهم لما رأوه مما لم يكن في ظنهم من كثرة الجيش . فشرعوا يضربون الاصحاب بمدفعين كانتا معهم موضوعتين على بابي الزريبة . واصطف الترك بجهتي الزريبة الخاليتين عن المدافع فصاروا يضربون من الجهات الأربعة من جهتين بالمدافع ومن جهتين بالبنادق فحمل الأصحاب عليهم فأكثروا فيهم الضرب

---

(١) قلنا : الصواب هو الأمرأر وقد عربها المؤلف فجعل الهمزة عيناً . وهم قبيلة عظيمة بشرق السودان ومن فروع البجة الرئيسية .

ووالوا الرمي على الاصحاب بالرصاص حتى أنهم لم يمكنوهم من الدخول عليهم في الزريبة المذكورة لشدة متانتهـــا وإحكامها إلا ثلاثة من الأصحاب منهم : طه الذي كان من الملازمين لسيدنا الإمام المهدي عليه السلام، وقد كان توجه مع عثمان للجهاد . فإنهم دخلوا من أحد البابين المذكورين اللذين عليهما المـــدافع . وجرح في هذه الوقعة محمد موسى المذكور في أثناء الحملة على الأعداء قبل الوصول اليهم . واستشهد في هذه الوقعة من الأصحاب سبعة وعشرون رجلا ما عـــدا المجروحين . وهلك من الأعداء ابن لمحمود المذكور وواحد من الصاغات وستة جهادية [٢٣٣] . ونفذ الباقي من الترك بعد مقاساة الشدائد حتى وصلوا إلى مأموريتهم .

وبعد وصولهم ألقى الله الرعب في قلوبهم فصاروا يحفرون لهم خنـــدقاً واجتهدوا في تحصين محلهم وتمتينه، فحفروا لهم قفرة يزيد عمقها على القامة وجعلوا حولها مما يليهم أكياساً مملوءة رملاً ، ووضعوا بعضها على البعض كاللبن حتى صار كالسور المحيط بهم خوفاً من نحو الضرب بالمدافع، مع أن الاصحاب إذ ذاك ليس عندهم مدافع، بل ما حملهم على ذلك إلا شدة الخوف والرعب وزربوا حول القفرة المذكورة من خارج زريبة من الشوك في غاية المتانة ، حتى أنهم يقطعون السيالة الكبيرة من أصلها ويضعونهـــا ثم يأتون بسيالة أخرى كذلك . وهكذا حتى متنوها غاية التمتين وجعلوا لهم أربعة قلاع عليها مدافع في الأركان الأربعة .

وفي اثناء ذلك قد كان أرسل عثمان الكتاب المرسول من المهدي عليه السلام لقبيلة الكميلاب . وهم إذ ذاك بنواحي مدينة كسلة فلقـــوه بالقبول والانقيـــاد ومعهم اذ ذاك واحد [٢٣٤] صنجق [1] من الشايقيـــة يسمى جبـــارة ومعه عساكر ، فدعوه الى التسليم لجناب المهدي عليه السلام فلم يقبل وحاربهم

---

(١) قلنا : عادة يكتب اللفظ : سنجك . والمؤلف يحاول التعريب فيقول : صنجق .

فقتلوه ومن معه من العسكر . وأمير الكميلاب الذي أوقع بهم هـــذه الوقعة كواقعة توكر اسمه الحاج بن حسن أبو زينب .

هذا وفي أثناء ذلك أيضاً أمر عثمان الاعراب الذين على الطرقات المواليـــة للسلك التلغرافي أن يقطعوه فقطعوه وخربوه إلى الغاية حتى أنهم لم يبقوا من دعائمه دعامة إلا وألقوها على الأرض. وأجلوا العساكر المباشرين لصنعة التلغراف والمحافظة عليه بالمحطات حتى قتل منهم من قتل وهرب منهم من هرب إلى سواكن وإلى كسلة . أقول وفي تخريب التلغراف مكيـــدة عظيمة من مكائد الحرب وفيه توهين أمر العدو إذ به يحيطون بالأخبار النائية البعيـــدة في أقرب زمن فيحتاطون لأنفسهم ويتمكنون من بلوغ مقاصدهم وبتخريبه يحصل لهم ضرر عظيم . وهكذا الشأن في الحروب فيتأكد استعمال المكائد فيهـــا توهيناً لأمر الاعداء والله غالب على أمره . [٢٣٥]

هذا وفي آخر ذي القعدة المذكور عين عثمان [دقنـــة] الخضر بن علي أميراً على مأمورية توكر وهي يماني سواكن ، وبينها وبين سواكن مسافة يوم . وهي أعظم شأناً عند الترك من مأمورية أوكاك لأنها محل مزارعهم وغالب الاقوات يجلب اليهم منها .

وهنا انتهى ذكر ما يتعلق بهذه الوقعة يعني وقعة قباب ، وهي ثاني الوقعات الكائنة مع أهل سواكن ونواحيها .

وفي ثالث عشر ذي [١] الحجة التالي لذي القعدة المذكور أمر عثمان الاصحاب بالتوجه لمحاصرة أوكاك وأمّر عليهم شخصاً يدعى علي طلاب بن محمد. والمذكور من ذوي الاقدام ، وقد استشهد في آخر الوقعات مع الانكليز كما سيأتي .

---

(١) قلنا : يوافق ذلك ٢٥ أكتوبر ١٨٨٣ .

واقعة أبينت [1] :

ولما توجه الاصحاب للمحاصرة جلسوا على الطريق الموصلة من سواكن إلى المأمورية المذكورة بمحل يسمى أبينت . ففي أول يوم جلسوا فيه على الطريق المذكورة أتت عساكر من سواكن قاصدة المأموريـــة نحو المائتين . فصادفت بعضاً من الاصحاب نحو الستين لكن أغلبهم أطفال لم يمارسوا الحروب [٢٣٦] والبعض منهم ضعيف لأن الاصحاب المذكورين بعد توجههم من عثمان افترقوا فرقتين وكل فرقة جلست على طريق غير الطريق التي جلست عليها الطائفـــة الاخرى . فلما رأى الاصحاب المذكورون الترك حملوا عليهم حملة رجل واحد وخالطوهم فولى الترك الأدبار فتبعهم الاصحاب ضرباً وطعناً إلى أن أفنوهم عن آخرهم وغنموا ما معهم من الاسلحة والامتعة . واستشهد من الاصحاب ثلاثة وهذه ثالث الوقعات المذكورة .

حصار أوكاك [2] :

ثم بعد هذه الوقعة بعث عثمان جيشاً من الاصحاب مـــدداً لمن كان بصدد محاصرة أوكاك حتى بلغوا سبعمائة وخمسين وأمَّر على الجميع شخصاً يدعى علي بن حامد المشهور بأمير أوكاك ، كما [3] أن فتوح مأمورية أوكاك كان على يده . ثم أن عثمان أمر الجيش المذكور بالنزول بالقرب من المأمورية المذكورة جداً بحيث يكون الجيش المذكور أقرب الى المأمورية من رمي الرصاص ليشتـــد

---

(١) قلنا : هذا العنوان من عندنا .

(٢) قلنا : هذا العنوان من عندنا .

(٣) قلنا : في المخطوط : كما . والسياق على : لما . وقد جاء في دفتر وقائع عثمان دقنة في هذا الموضع ما يعنيه : لان فتح مأمورية أوكاك على يديه .

عليهم الحصر ويقعـدوا لهم كل مرصد ليمنعوهم عن الانتشار في الأرض . وفي ذلك [٢٣٧] الوقت كانت المأمورية المذكورة مشحونة بأهالي سواكن واتباعهم الحاضرين للوقعة الاولى [١] . فشرع الاصحاب في حصارهم والتضييق عليهـم ومنعهم من الخروج وضربهم بالأسلحة النارية . ولمـا اشتد عليهم الحصر خرج بعض من كان بالبلد وانضموا إلى الامير المذكور وهو علي بن حامد ، ثم طلبوا منه أن يوجههم إلى عثمان بسواكن ، لأن عثمان إذ ذاك محاصر لسواكن ، لأنه بعـــد أن سير الجيش المذكور لمحاصرة أوكاك توجه بنفسه لمحاصرة سواكن ، وقطع المواد بالكلية عن مأمورية أوكاك ، فوجههم الامير المذكور الى عثمان . فبينما هم في الطريق إذ بلغهم من أفواه المرجفين إن الهالك علاء الدين قـــد انتصر ، لأنه كان توجه لمحاربة المهدي عليه السلام بكردفان ، فأهلكه الله ومن معه من الجيش التركي كما ذكرناه في غزوات المهدي عليه السلام للطاغية الهكس. فلما سمع المذكورون من أفواه المرجفين ما تقدم أصبحوا بعائلاتهم في سواكن .

ولما خرج [٢٣٨] أهل البلد من المأمورية ولم يبق إلا الترك وحدهم شدد الاصحاب عليهم في الحصر وقطعوا عنهم المواد بالكلية وأوقعوهم في أشد البلية حتى أنهم لا يدعون حامل الجواب يصل اليهم . وإذا تمكن حامل الجواب من الوصول اليهم تحت الظلام وخرج فأول طلوع الفجر يقتفون أثره ويدركونه قبل أن يصل الى سواكن ويضبطونه وهكذا حالهم . والترك يضربون بالمدافع ليلاً ونهاراً لأن الاصحاب يأتون بالقرب إلى كارتهم ويضربونهم بالبنادق فينزعجون لذلك أشد الانزعاج ويضربون الاصحاب بالمدافع فيصيحون بالترك تبكيتاً لهم قائلين اضربوا مدافعكم ثاني مرة ، فإن هذه الضربة لم تؤثر ولم تنفع ، فيعيدون عليهم الضرب، وهكذا ليلاً ونهاراً . ومع كثرة الضرب وتوالي الجلل ووقوعه

---

(١) قلنا : ذكر دفتر وقائع عثمان دقنة هويتهم فقال : كانت المأمورية مملوءة بأهالي سواكن أعني الخلفاء الختمية واتباعهم .

بين الاصحاب لم تؤثر فيهم [1] . وقد قدمنا في غزوته عليه السلام الى كردفان أن الآلات النارية قد أضعف الله ما فيها من الاضرار ، فهي وإن كانت تعمل في المشاهدة [٢٣٩] ورأي العين ممحوقة التأثير بحيث أن الجلل تقع وسط الجالسين من الاصحاب ولا يتفرقون من موضعهم ولا يغيرون جلستهم لعدم مبالاتهم بها . وعدم اضرارها إلا في النادر . وعندي أن هذا أعني أعمالها في المشاهدة العيانية مع ضعف اضرارها ومحق آثارها أبلغ في خرق العادة من عدم خروج النار منها بالكلية وأهيب في الصدور وأعظم للمجاهدين في الأجور لأنه ربما يصابون ببعض تلك الآلات النارية فيكون ذلك وسيلة لنيل مقام الشهادة التي هي المقصد الأعظم . وأما عدم إعمالها أصلاً فلم يكن فيه ما ذكر .

هذا ولم يزل حال الاصحاب مع أهل المأمورية كما ذكرنا حتى نفد مأكولهم فخرج بعض منهم وفيهم المحافظ وصنجق يدعى أحمد بن المزين زاعمين أنهم مفرقون جمع الأصحاب فلما رآهم الأصحاب حملوا عليهم حملة صادقة فقتلوا منهم نيفاً وعشرين منهم الصنجق المذكور . واقتفوا أثر الباقين إلى أن أدخلوهم القفرة . ولما اشتد عليهم الحصار وعدموا القوت شرعوا يأكلون [٢٤٠] البغال والحمير والكلاب . فعند ذلك عزموا على الخروج للمحاربة فخرجوا يوم الجمعة عاشر ربيع الثاني [2] ومعهم النساء والذراري ليثبتوا في ميدان الحرب . فلما دنوا من الأصحاب اصطفوا أربعة صفوف وجعلوها مربعة الزوايا وهي التي يسمونها قلعة . وجعلوا النساء والذراري في الوسط وشرعوا في رمي الأصحاب بالرصاص . فعند ذلك حمل الاصحاب عليهم وأحاطوا بهم من كل جانب وشرعوا فيهم طعناً بالرماح وضرباً بالسيوف حتى أفنوهم عن آخرهم . وقتل

---

(١) قلنا : وردت هذه الواقعة أي عدم تأثير الضرب الناري في دفتر وقائع عثمان دقنة أما التعليق فمن عنده .

(٢) قلنا : يوافق ذلك ٨ فبراير سنة ١٨٨٤ .

الحـافظ المذكور شر قتلة ، وهم ستمائة رجل [1] . واستشهد من الاصحـاب سبعة وخمسون .

ثم بعد هذه الوقعة انضم الاصحاب المذكورون إلى عثمان بسواكن لمحاصرتها. وهذه الوقعة أعني وقعة أوكاك التي هي بعد المحاصرة كما ذكرنا رابعة الوقعات المذكورة .

حصار توكر [2] :

وأما كيفية حصار الأمير خضر المذكور بالتوجه إلى المأمورية المذكورة وتوجهه [3] .

فبعد وصوله تلقاه أهلها بالقبول وعمدتهم قبائل أرتيقة . وقد كان كتب لهم الطاهر المجذوب ، حيث أنهم كانو من أتباعـــه [٢٤١] والمنقادين له ، كتاباً يأمرهم فيه باتباع الأمير المذكور والانقياد اليه وعـــدم مخالفته . فقاموا معه بعزم وصدق ، ولا سيما أميرهم المدعو موسى [4] فقد قام معه بعزم وصفاء سريرة وقد كان الترك بالمأمورية المذكورة قد عمقوا قترتهم وشيدوا استحكاماتهم عند ما بلغهم خبر قدوم عثمان في أول الأمر . فلما أتاهم الأمير المذكور دعاهم إلى التصديق بالمهدي عليه السلام فلم يقبلوا منه ذلك وأبوا إلا المحاربة لتأميلهم مدد

---

(١) قلنا : هكذا في المخطوط . وفي دفتر وقائع عثمان دقنة : شر قتلة وعلى ما بلغنا أنهم ستمائة .

(٢) قلنا : هذا العنوان من عندنا .

(٣) قلنا : في الأصل : وتوجه . وكان توجهه في آخر القعدة ١٨٨٣ .

(٤) قلنا : سماه دفتر وقائع عثمان دقنة : موسى بن الفقه

يأتي اليهم من سواكن لأنهم ليسوا كأهل مأمورية أوكاك بـــل هم قريبون من ساحل البحر تأتي اليهم العساكر بالوابورات. ولما رأى الامير المذكور اصرارهم وتماديهم على التكذيب بالمهـــدية شرع في حصارهم . وقسم أصحابه قسمين : قسماً وجهه الى الساحل أعني ساحل البحر لقطع مادة العساكر الواردة بالبحر على الوابورات ، وقسماً أبقاه معه لحصار المأمورية . وأمّر على الذين وجههم الى الساحل رجلاً يسمى عبدالله ابن حامد ، وقد استشهد في وقعة الانجليز [٢٤٢] الآتي ذكرها .

وقعة [١] الساحل الأولى :

وبينما الامير خضر المذكور مشدد الحصر على أهل المأمورية المذكورة كأهل مأمورية أوكاك بل أزيـد إذ حضرت عساكر على الوابورات ونزلت على أمير الساحل المتقدم ذكره وفيهم باشا من الترك وقنصل انكليزي [٢] ، وذلك في رابع محرم الحرام [٣] الموافق يوم هلاك جيش الهكس بكردفان على يد المهدي عليه السلام . فلما رآهم الأصحاب لم يلبثوا أن حملوا عليهـم فمنحوا الاصحاب أكتافهم يقتلونهم حتى أفنوهم وهم نحو الاربعمائة واستشهد من الاصحاب سبعة وعشرون .

وفي أثناء ذلك أيضاً حضر مأمور المأمورية المذكورة من مديرية كسله لأنه

---

(١) قلنا : في الاصل : وقعت . المؤلف يكتب اللفظ هكذا في مواضع كثيرة . وسوف نكتبه بالوجه الصحيح فيما يلي دون إشارة .

(٢) قلنا : يقصد بالباشا : محمود طاهر باشا وبالقنصل مونكريف L. N. Moncerieff وقد قتل الاخير في هذه الواقعة .

(٣) قلنا : يوافق ذلك ٥ نوفمبر سنة ١٨٨٣ .

كان غائباً بها فصادفه أمير الكميلاب الحاج بن حسن ، الذي قـــدمنا أن هلاك الصنجق جبارة بنواحي كسله كان على يده، قبل وصوله إلى المأمورية . والامير المذكور إذ ذاك متوجه بمن معه إلى المأمورية أعني مأمورية توكر للانضمام إلى الأمير الخضر. [٢٤٣] فدعا المأمور المذكور إلى متابعة المهدي عليه السلام فلم يقبل فحاربه فظفر به وقتله ومن معه من العساكر . وذلك أيضاً في رابع شهر محرم المذكور . واستشهد من الاصحاب شخص واحد .

وفي أثناء المحاصرة خرج الترك من المأمورية لما اشتد عليهم الحصار فاقتتلوا مع الاصحاب فقتلوا من الترك طائفـــة واقتفوا أثر الباقين إلى أن أدخلوهم استحكامهم .

وقعة الساحل الثانية التي انتهى عليها أمر الترك :

وفي أثناء المحاصرة أيضاً حضرت وابورات فيها عساكر من الترك ونزلوا على الساحل كعادة الأولين وهم ستة آلاف ومعهم خيول كثيرة ومعهم من المدافع وغيرها من الآلات الحربية ما لم يشاهد مثله قبل ذلك ولما أرادوا التوجه الى المأمورية لرفع الحصار عن أصحابهم – بزعمهم – تلقاهم عبد الله أمير الساحـل بمن معه من الاصحاب ، فلما رأوهم أطلقوا عليهم المدافع ، فحمـــل الاصحاب عليهم بصدق عزم حملة رجل واحـد فلم يثبتوا لهم أكثر من ساعة . ثم ولوا الادبار فتبعهم الاصحاب طعناً وضرباً حتى قتلوا منهم أربعة [٢٤٤] آلاف وخمسمائة وركب الباقي منهم الوابور التي هي معدة لهم بالساحل وهربوا إلى سواكن واستشهد من الاصحاب ثلاثمائة رجـــل . وفيهم من الامراء الأمير محمود أخو الأمير الخضر . وذلك في سادس ربيع الآخر من السنة المذكورة [١] .

---

(١) قلنا : يوافق ذلك ٤ فبراير سنة ١٨٨٤ .

وهذا والجيش الهالك آخر الجيوش التركية، ومن وقتها سلمت الدولة المصرية جزيرة سواكن للانكليز واعترفت بالعجز عن المحاربة[1] فصارت سواكن الآن تحت حكم الانكليز. نسأل الله تعالى دخولها وعودها إلى الاسلام.

ذكر فتح مأمورية توكر :

ثم أخذ الاصحاب أسلحة الترك الهالكين وفيها مدافع لم يشاهد في حروب جزيرة سواكن مثلها متانة وقوة وتوجهوا الى المأمورية المذكورة وشددوا عليها الحصار وصاروا يضربون الترك الذين هم بالمأمورية المذكورة بتلك المدافع، وهي مدافع متينة كما قدمناه تخرق الجدرات الثلاثة والأربعة في ضربة واحدة. فضيقوا عليهم غاية التضييق بذلك. وقد كان مع الترك من القوت ما يكفيهم السنتين والثلاثة. فلما ضاق بهم [٢٤٥] الحال وعلموا أن الأصحاب قد قتلوا العساكر الآتية نجدة لهم وأنه ليست عساكر هناك بالقرب ينتظرونها اليوم أو غداً، عميت عليهم الانباء وتقطعت بهم الأسباب، عولوا على التسليم فسلموا لأربع بقين من ربيع الآخر المذكور[2]، وفتحت المأمورية المذكورة والحمد لله على ذلك.

وقعة الساحل الثالثة التي هي أول وقعتي الانكليز :

وبينما الأصحاب مشغولون في استلام مهمات المأمورية المذكورة وتمييز أحوالها،

---

(١) قلنا : عندما فشلت حملة بيكر ألقت الحكومة البريطانية مقاليد الأحكام العسكرية والمدنية في سواكن إلى الأميرال هيوت وصار دور الانجليز في القتال أكبر. والقول بأن مدينة سواكن صارت تحت حكم الإنجليز يشير إلى هذه الواقعة. وقد ورد هذا التقرير في دفتر وقائع عثمان دقنه أيضاً.

(٢) قلنا : يوافق ذلك ٢٤ فبراير ١٨٨٤

ولم يمض عليهم أكثر من ثلاثة أيام ، إذ امتلأ الساحل بالوابورات المشحونة بجيش الانكليز ، وشاع أن الدولة المصرية عجزت عن الحرب وضعفت وسلمت أمر ذلك الى الدولة الانكليزية. فبعث عثمان جيشاً وجعل ابن أخيه مدني بن علي أميراً على الجيش المذكور ، ليكون مدداً للأصحاب الذين هم بالساحل . ومدني هذا قد استشهد في هذه الوقعة ، كما سيأتي . وقد انضم مدني المذكور ومن معه الى الأمير عبدالله بالساحل . ونزلت العساكر الانكليزية على الساحل وهم أربعة وعشرون ألفاً[1] لأخذ المأمورية [٢٤٦] المذكورة من أيدي الأصحاب . ولما تكاملوا بالساحل قصدوهم ، وإنما لم يمنعوهم من التكامل بتعجيل شن الغارة عليهم حذراً من رجوع البعض منهم . فصبر الأصحاب لهم ليتمكنوا من حصدهم أجمعين ، إزالة لمادة الكفر من جزيرة سواكن وما والاها . ولما تكامل جمعهم وصم عن طلب الزيادة سمعهم ، شن الأصحاب عليهم الغارة صبح غرة جمادى الأولى . وانتشب القتال بينهم وقامت الحرب على ساق[2] . وحمل اولياء الله على أعداء الله حملة كشفت صفوفهم وأرغمت بالذل أنوفهم فخالطوهم . وتماوج الفريقان في غمار تلك الحملة بين ضرب مزيل الهام المقيل وطعن يذهل الخليل عن الخليل. ودامت الحرب الى أن حجز بينهم الليل ، فانفصلوا عن بعضهم . وكثر القتل والجرح في الأصحاب .

وقصدت العساكر الانكليزية المأمورية المذكورة وباتوا فيها تلك الليلة . ولما بلغ عثمان هذا الخبر وجه من كان معه من الأصحاب إلا القليل منهم إلى المأمورية لشن الغارة على أعداء الله ، وأمر عليهم رجلين أحدهما يدعى [٢٤٧] حامد ،

---

(١) قلنا : هكذا يقرر المؤلف ودفتر وقائع عثمان دقنة يذكر الرقم بتحفظ فيقول : وهم على ما بلغنا ٢٤ ألفاً . أما نعوم شقير فلا يذكر عددهم.

(٢) قلنا : هكذا أيضاً في دفتر وقائع عثمان دقنة ، والتعبير الشائع هو : على قدم وساق .

وهو ابن أخي أحمد دقنة ، والثاني يسمى ادريس [1] شكر ، فإنه بعثهما على دفعتين في يومين . وقد أمرهم بالهجوم والحملة على أعداء الله أول الوصول اليهم في أي وقت كان . فألقى الله الرعب في قلوب الانكليز ، فلم يمكنهم المقام في المأمورية أكثر من تلك الليلة ، بل توجهوا صبيحتها الى البحر ، وركبوا وابوراتهم وانصرفوا . ولما وصل الاصحاب إلى المأمورية المذكورة لم يجدوا منهم أحداً فرجعوا إلى عثمان .

واستشهد في هذه الوقعة من الاصحاب ألف وخمسماية [2] . وفيهم الأمير عبد الله : أمير الساحل والأمير مدني السالف ذكره والأمير الطاهر بن الحاج عمر [3] قمر الدين المجذوب ونعم الامير هو . فقد حكي عنه أنه قال لأصحابه في هذه الوقعة عندما أراد الاصحاب الحملة على أعداء الله إن أصبت قبل أن أتمكن من الوصول والدخول في وسط العدو فجروا برجلي حتى تبلغوني وسط العدو ولعلي [4] اتشفى في أعداء الله ولو بضربة في آخر رمق مني ثم يدفقون [5] علي فاستريح من شؤم الدنيا . وكذلك استشهد [٢٤٨] في هذه الوقعة موسى

---

(١) قلنا : في المخطوط : ادريب ، وفي دفتر وقائع عثمان دقنة : ادريس .

(٢) قلنا : قال المؤلف ١٥٠٠ وقال دفتر وقائع عثمان دقنة نحو ١٥٠٠ ، وقال نعوم شقير انهم زادوا على الألفين .

(٣) قلنا : سقط هذا في المخطوط وقد أتممناه من دفتر وقائع عثمان دقنة . وقد وصف هذا المصدر الامير الاخير بأنه ابن عم الشيخ الطاهر المجذوب . ويرد في دفتر وقائع عثمان دقنه مدحه له : ونعم الامير هو ، وما يروي عنه بعد ذلك .

(٤) قلنا : في دفتر وقائع عثمان دقنة : لعلى .

(٥) قلنا : هكذا في المخطوط ، وفي دفتر وقائع عثمان دقنة : يدفقوا .

قيلاي [١] ، وهو من الابطال وذوي الاقدام . وجرح من الاصحاب بعدد الشهداء . وهالك من أعداء الله ما يزيد على ثلاثة آلاف [٢] .

ذكر وقعة الأمير مصطفى مع أهل مديرية كسله :

وفي آخر محرم أوائل نزول عثمان لمحاصرة سواكن بعث مصطفى علي هدل [٣] أميراً على أهل كسله يدعوهم إلى الدخول في سلك أصحاب المهدي عليه السلام . فتوجه الامير المذكور إلى مديرية كسله فتلقاه أهالي تلك النواحي بالقبول واجتمعوا عليه . وقد كان عثمان بن أبي بكر قبل ذلك أرسل إلى أهل مديرية كسله كتب المهدي عليه السلام [٤] . ولما دنى الأمير المذكور من تلك المديرية وأراد النزول بساحتها لينذر أهلها ويدعوهم إلى الدخول في المهدية عاجلوه بالحرب ، فخرجت اليه عساكر نحو الالف وخمسمائة ، وذلك ثلاث

---

(١) قلنا : في المخطوط : قيلاب وفي دفتر عثمان دقنة : قيلاي .

(٢) قلنا : ذكر نعوم شقير أن جرحى الانصار أكثر من قتلاهم . وذكر أن قتلى الإنجليز ٣٤ وأن جرحاهم ١٥٥ . وفي دفتر وقائع عثمان دقنة أن قتلاهم ، على ما بلغه ، ثلاثة آلاف وكسور .

(٣) قلنا : قال عنه نعوم شقير : قيل أنه من الشرعاب الهدندوة وحرفته صنع أسورة العاج للنساء ومسكنه الدقا مركز بني عامر وكانت له علائق تجارية وودية مع عثمان دقنة من قبل الثورة . فلما بلغه خبر قيام عثمان في سواكن ذهب اليه وبايعه .

(٤) قلنا : لا يرد ذكر كسلة في رسائل المهدي الا في وقت متأخر عندما كتب لبعض المراغنة والامراء المحاصرين للمدينة . ومن المحتمل أن المقصود بمكاتبات المهدي الى أهالي كسلة هنا يعني صور المكاتبات لاهل الشرق والتي حملها عثمان دقنة معه : أنظر المرشد الى وثائق المهدي رقم ١٠٧ — ١١٠ — انظر الوقائع قبل هدل في تاريخ نعوم شقير ص ٩٠٤ / ٩٠٥ وانظر تفاصيل الحوادث في نفس المصدر .

عشر خلون من ربيع الثاني [1] . فانتشب الحرب بينهم ، فلم يلبثوا في ميدان الحرب إلا قليلاً ، وانهزم الترك ومنحوا الاصحاب أكتافهم فقتلوا منهم [2] الفاً ومائة ودخـــل الباقون استحكاماتهم ، فحاصرهم الامير المذكور . [٢٤٩] وسيأتي بيان تسليم أهل مديرية كسلة ودخولهم في المهدية .

وقعة أتبرة :

وفي شهر الله المحرم أمر عثمان بن أبي بكر احمد القلهيابي وأمير البشاريين الطاهر قيلاي بأن يتوجها بمن معهما من الاصحاب إلى أتبرة لصنجق هناك ومعه بعض من الترك ليشنوا الغارة عليهم إن لم يـــدخلوا في المهدية . فتوجهوا إلى الصنجق المذكور ودعوه إلى الدخول في سلك أصحاب المهـدي عليه السلام فلم يقبل منهم. وانتشب الحرب بينهم قرب أتبرة لأن الصنجق كان قصده[3] لما علم باجتماعهم بمحل يسمى الياك ، وهم متوجهون اليه أيضاً ، فتوافوا قرب أتبرة ، فدعوه فلم يقبل منهم ، فقاتلوه ، فقتل الاصحاب من الترك مائة وأربعة عشر وهرب الباقون إلى مديرية بربر ، واستشهد من الاصحاب نحو الثمانين .

وقعة التمينيب التركية :

وفي أوائـــل نزول عثمان لمحاصرة سواكن خرجت العساكر من سواكن لمحاربته ورئيسهم يسمى كاظماً وهو من أهل الاقدام والشجاعة ، وعددهم الف

---

(١) قلنا : يوافق ذلك ١١ فبراير سنة ١٨٨٤ . وفي تاريخ نعوم أن الواقعة كانت في ١٤ ربيع الثاني الموافق ١٢ فبراير .

(٢) قلنا : في تاريخ نعوم إنهم قتلوا ٤٥٠ رجلاً .

(٣) قلنا : في المخطوط : قصدهم . والصواب : قصده .

ومائة، وذلك غرة صفر[1]. وقد كان المذكور يكفل [٢٥٠] لأهل دولته ولأهالي سواكن أيضاً بأن يأتي لهم بعثمان والطاهر المجذوب حين إلا أن تتعدى العساكر عليهما فتقتلهما لما أنها جهادية ليس لها كبير تميز. وذلك كله رؤية لعظمة نفسه واغتراره بكثرة جيشه وغاب عنه أن النصر من عند الله لا بعدة ولا بعدد. فقام من سواكن بعد هجعة من الليل إخفاء لحاله عن الناس وتعمية للاخبار لكي يهجم على عثمان ومن معه بغتة ليبلغ مقصوده. فأصبحوا غرة صفر كما تقدم. فبمجرد وصولهم لمحل الاصحاب شرعوا في المحاربة وتابعوا الرمي بالاسلحة النارية ورئيسهم المذكور يضحك إذ ذاك استهزاء بالاصحاب ورغماً منه انه قد ظفر بأمنيته. فلم يمهلهم الاصحاب إن حانطوهم واحتاطوا[2] بهم من كل جانب وشرعوا فيهم طعناً وضرباً حتى أفنوهم وقتل رئيسهم المذكور شر قتلة. واستشهد من الاصحاب في هذه الوقعة نحو الثمانين.

ثم بعد ذلك بعشر بقين من ربيع الاول خرج ألف عسكري على الخيل للحرب فثار الاصحاب في وجوههم كالليوث فولوا الادبار وتبعهم الاصحاب حتى أدخلوهم سواكن، ولم يقتل منهم [٢٥١] إلا سبعة، لأن الجميع على الخيل ففاتوا الاصحاب ركضاً، لكن تلفت خيولهم من شدة الجري بعد وصولهم لسواكن منهزمين. وفي آخر شهر ربيع الثاني تصادف الاصحاب المحاصرون مع رجل يدعى محمود علي وهو من القائمين بنصرة أعداء الله في تلك الجهة، ومعه جموع للمحاربة، والاصحاب مائة. فلما رآهم استقلهم فشن عليهم الغارة ليستأصلهم بزعمه. وانتشب القتال بينهم فاستشهد من الاصحاب اثنان وعشرون رجلاً وهلك من الاعداء رجل واحد.

---

(١) قلنا: أول صفر ١٣٠١ ويوافق ٢ ديسمبر ١٨٨٣.

(٢) قلنا: هكذا في المخطوط وفي دفتر وقائع عثمان دقنة. والمقصود: أحاطوا.

وقعة التمينيب الانكليزية :

ولاربع عشر خلون من جمـــادي الاولى [1] حضرت جردة انكليزية نحو عشرين ألفاً ومعهم نحو ستة آلاف فرس لمحاربة عثمان فلما وصلوا بقرب المحل الذي هو به باتوا وزربوا عليهم زريبة متينة خوف الهجوم عليهم ليلاً . وبات الاصحاب حولهم محاصرين لهم . وفي تلك الليلة أزعجوهم ومنعوهم القرار من كثرة الضرب بالاسلحة النارية حتى قتلوا منهم جماعة ، وباتوا بأسوأ حالة . فلما أتى الصباح باكروا الاصحاب بالرمي بالمدافع واطلاق البنــادق فحمل عليهم الاصحاب وقاتلوهم أشد القتال . [٢٥٢] ودام القتال بينهم جميع النهار إلى أن حجز بينهم الليل ، فهلك منهم ثمانية آلاف ، واستشهد من الاصحاب نحو ألفين ، وجرح منهم كذلك [2] . ثم رجع الباقي منهم إلى محافظة سواكن .

وفي سلخ جمادي الاولى خرج الانكليز ثانياً إلى الحرب وهم ثلاثة عشر الفاً فقبــل وصولهم إلى الاصحاب ألقى الله في قلوبهم الرعب فرجعـوا ، ولكن لم يصل إلى سواكن إلا نحو ستة آلاف منهم ، وهلك الباقي هلاكاً لم يعلم كيفيته إلا أن تكون الارض خسفت بهم وهو محمل هلاكهم عند الناس بجهات سواكن كما أخبرني بذلك من يوثق بخبره . وإلى ذلك أشار محمد بن الطاهر المجذوب في قصيدته في مدح المهدي عليه السلام مع التنويه بوقائع سواكن حيث قال :

لو كانت الآيات تنفعهم   فقد زان اسمه الاحجار والاشجارا
ورأوا كرامات وآيات له   كالشمس لو عدت أتت أسفاراً
كالارض تبتلع العدا خسفاً بهم   وجهنم تصلي الحشاشة ناراً

---

(١) قلنا : يوافق ذلك ١٣ مارس سنة ١٨٨٤ .

(٢) قلنا : يقصد أن عدد المجروحين مثل عدد المقتولين .

وبالجملة فالجردة الانكليزية التي حضرت بسواكن لم يبق منها إلا نحو ستة آلاف كما تقدم . وهؤلاء [٢٥٣] كانت وابوراتهم واقفة بالساحل ، وهي نحو ثمانية وعشرين وابور ، فدخلوا في خمسة منها وباقي الوابورات المذكورة فارغ. والكل قد توجهوا إلى بلادهم . وغرق من الوابورات المذكورة واحد بعد توجههم. ومن قبل ذلك قد غرق وابوران للدولة المصرية في آخر أمرهم وفيهما عساكر وخيل وبغال وخزائن لا تحصى .

وقعة تهشيم [١] :

وفي منتصف رجب الفرد جمع محمود علي المتقدم ذكره اعراباً كانوا مخالفين للمهدي ببئر تسمى تهشيم إرادة لمنع عثمان ومن معه من محاصرة سواكن وإعانة للانكليز ، فأرسل جردة أصحاب خيول حاملين البنادق ليلاً ليهجموا على عثمان ومن معه من الجيش ، فأتوهم ليلاً وأطلقوا عليهم البنادق مرتين أو ثلاث ورجعوا. وقد ظفر محمود علي هذا بسبعة من الاصحاب وأوصلهم إلى الانكليز بسواكن وكان الانكليز اتخذوه يداً كما كان قبل ذلك مع الترك أيام محاربتهم للأصحاب يمدونه بجميع ما يطلبه من أسلحة وخيل ونقود وغير ذلك . فوجه اليهم عثمان [٢٥٤] بعض الاصحاب وأمّر عليهم علياً أمير أوكاك فلما[٢] وصل اليهم دعاهم الى [٣] التسليم والانقياد وحذرهم شؤم المخالفة . وكان إذ ذاك رئيسهم محمود علي بسواكن فارسلوا اليه يخبرونه بمجيء الأصحاب ويستفزونه ، فجمع الجموع من أعراب[٤] وغيرهم واستصحب معه النساء والقيان وأقبل بخيلائه ليحارب جنود

---

(١) قلنا : هذا العنوان من عندنا .

(٢) قلنا : في المخطوط : فيما ، والمقصود ما ذكرنا .

(٣) قلنا : في المخطوط : ودعاهم .

(٤) قلنا : المقصود بالعربان أهل البادية عموماً دون قصد لجنس العربان كما يفهم .

الله (١) . فوجه فرسه مع الاصحاب قريبي المناجزة للحرب فحرض أصحابه على القتال . وانتشب القتال بين الفريقين فلم يصبروا للحرب إلا قليلاً وانهزموا أقبح هزيمة . وتبعهم الأصحاب فقتلوا منهم ستة عشر ، وجرحوا منهم كثيراً ، والباقي بدخل سواكن . وأما محمود علي فقد نفذ وتخلص أيضاً ، لأنه كان وقت الحرب على جمل سابق في أخريات الناس فلما رأى انهزام قومه ذهب يشتد عدواً وجرياً على الجمل حتى دخل سواكن. وأسر الأصحاب منهم تسعاً وأربعين امرأة وغنموا منهم جمالاً وغير ذلك وعادوا سالمين .

ثم (٢) أن عثمان أمر الأصحاب المذكورين بالعودة ثانياً إلى [٢٥٥] محل قريب من محل الوقعة المذكور ببئر أخرى تسمى هندوب شامي (٣) سواكن على فرسخين أو ثلاث منها . لم يكن هناك ماء أقرب إلى سواكن منها لمحاصرة البلد من جهات متعددة ليشتد الحال على أهله . فلما استقروا ببئر هندوب المذكورة وذلك منتصف شعبان أخذت قبائل العمارأر القريبة من سواكن ، والذكر والشهرة في ذلك لقبيلة الشاتراب ، جماعة محمد علي ركاب ، وجماعة الفاضلاب(٤) جماعة محمود علي، ومن تبعهم في التجهز والاستعداد لقتال الأصحاب

---

(١) قلنا : في المخطوط : ضد الله ، وفي دفتر وقائع عثمان دقنة : جنود الله . وليس من المستبعد أن يكون المؤلف قد استعمل « جند الله » فحرفه الناقل .

(٢) قلنا : ما بعد هذا يرد في الخطاب الثاني . وقد حذف المؤلف كلاماً طويلاً عن نشاط المراغنة يرد في نهاية الخطاب الموجه إلى المهدي .

(٣) قلنا : يقصد بالشامي شمالي ، وقد تردد هذا التعبير . أما الجنوبي فهو اليماني ، وهو تعبير كلاسيكي . أما أهل السودان فيطلقون لفظ الصعيد على الجهات الجنوبية ولفظ الريح على الجهات الشمالية ، ومن ذلك دار الريح أي شمال دار فور . أما الشرق فعندهم الصباح ، والغرب الغروب .

(٤) قلنا : في المخطوط : وجماعة الفضلاب ، وفي دفتر وقائع عثمان دقنة : وقبيلة الفاضلاب .

لقصد أن يمنعوهم من الجلوس على تلك البئر ، لئلا ينقطع الطريق والاتصال فيما بينهم وبين سواكن ، لما أن لهم منافع في ذلك زيادة على كفرهم وإبائهم للمهدية ودخولهم في طاعة الترك ، حتى أنهم يجلبون لسواكن السمن واللبن والمواشي ويبتاعون ما يبتغون . فأرسلوا طلائعهم للوقوف على حقيقة الأصحاب والطلائع نحو الثلاثين راكباً . وأرسل الأصحاب طلائع كذلك ، وهم خمسة إثنان من جهة وثلاثة [٢٥٦] من جهة أخرى . فتصادفت الثلاثة من طلائع الأصحاب مع الثلاثين من طلائع الاعداء فاقتتلوا . فهلك واحد من أعداء الله واستشهد اثنان من الطلائع ، أعني طلائع الأصحاب ، وعاد الثالث سالماً . فلما وصل لأصحابه وأخبرهم بما حصل توجهوا إلى أولئك الاعراب بمحلهم الذي هم مجتمعون به وهو محل يسمى دم بكسر فسكون ، على مسافة يومين من سواكن في الجهة الشامية . فلما رآهم الأصحاب شنوا الغارة عليهم فولوا منهزمين فقتلوا منهم اثنين وعشرين رجلاً وغنموا منهم مواشي كثيرة ونساء ينفن على أربعين امرأة . وعاد الأصحاب سالمين ، وذلك غرة رمضان [١] .

ثم بعد رجوع الأصحاب المذكورين إلى محلهم الذي هو بئر هندوب وقطع المواد الآتية من هؤلاء الأعداء العمارأر [٢] إلى سواكن بذلك الطريق شرع أهل سواكن في إرسال السفن إلى المراسي البعيدة من الأصحاب ليجلبوا بها المواد من هؤلاء العمارأر . وقد كان الأصحاب بعثوا [٢٥٧] محاصرين إلى تلك المراسي لما أنهم يتخوفون وقوع ذلك ، فعثروا بمواشي يريد أهلها إدخالها في السفن بمرسى هناك يسمى درور [٣] فأخذوها وقتلوا خمسة من أصحابها وأسروا سبعين

---

(١) قلنا : يعني ١ رمضان ١٣٠٢ الموافق ١٥ يونيو ١٨٨٥ .

(٢) قلنا : سماهم دفتر وقائع عثمان دقنة : المشركين .

(٣) قلنا : لم نتبين اسم المرسى في المخطوط هل هو دروم أم درور . وجاء في دفتر وقائع عثمان دقنة أنه : برغوث . وفي وثائق بادي أنه درور .

ورجعوا بتلك المواشي مع مواش [1] أخرى كثيرة من إبل وبقر وشياه للعمارأر وجدوها بتلك الأماكن ، سالمين لم يصابوا بشيء ، وذلك منتصف رمضان .

ثم بعد رجوع الأصحاب المحاصرين من هذه المحاصرة واستقرارهم بمحلهم تجمع أعداء المهدية العمارأر أيضاً لمعاودة الحرب مع الأصحاب ثانياً، لما أنهم تندمون على ما حصل منهم من الفرار في الوقعة الأولى بدم . فلما سمع الأصحاب بتجمعهم توجهوا لمحاربتهم [2] . فلما قربوا منهم وباتوا بحيث يصبحونهم بالغد ألقى الله الرعب في قلوب الأعداء ، فأرسلوا للأصحاب قائلين : إنا سلمنا وننضم لأحمد ونذهب معه إلى عثمان وأنتم ارجعوا عنا إلى محلكم دون أن تواجهونا ، لما أنهم خائفون من الأصحاب إذا حصلت المقابلة [٢٥٨] أن يوقعوا بهم. وأحمد القلهيابي هذا هو أمير على البعض منهم المسلم للمهدية من أول الأمر ومنضم إلى عثمان من العمارأر . وقد كان أرسل إليهم قبل هذا ليدعوهم إلى الدخول في سلك المهدية ولم يزل متصيباً يدعوهم إلى متابعة المهدي عليه السلام ، وهم غير مكترثين لدعايته لهم إلى الدخول فيما دخل فيه الجماعة . فلما حل بهم ما حل من تشديد الوطأة تحققوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ، فعزموا على التسليم وطلبوا من الأصحاب أن يرجعوا عنهم كما سبق ، فرجعوا عنهم تأليفاً لهم وانضموا إلى أحمد المذكور ، فأتى بهم إلى عثمان وفيهم من رؤسائهم محمد علي ركاب وأبناء محمود علي وأشباههم ، وبايعوا مظهرين الندم على ما فرط منهم ، فالله يوفقهم إلى اتباع المهدي عليه السلام .

ثم بعد أيام قلائل تجمعت قبائل العمارأر الباقون الذين هم في ضلالتهم يعمهون ، لأن المذكورين قبائل كثيرة وهؤلاء الذين اتبعوا وانقادوا بعض

---

(١) قلنا : في دفتر وقائع عثمان دقنة : مع ابل وبقر وشياه وحمر أخرى كثيرة للمشركين العمارأر .

(٢) قلنا : أسقط دفتر وقائع عثمان دقنة الحوادث التي تقع بعد هذا فيما سقط من الصفحات.

منهم [٢٥٩] ، والذكر والشهرة في ذلك لقبيلة الحمدداب جماعة كرب حامد ، وقبيلة العلياب جماعة بشير أرتول ، وقبيلة الرحمايات جماعة علي هوجو ، مع من تبعهم وخلفوا بعض الأصحاب في أهلهم عند غيبهم فأخذوا منهم بعضاً من المواشي . ولما بلغ عثمان ذلك وجه إليهم أحمد السالف ذكره وابراهيم حمد ضو أمير قبائل الحامداب ومن تبعهم من الهدندوة ليدعوهم الى متابعة المهدي عليه السلام والتسليم اليه ، فإن أطاعوا واستسلموا يأتوا بهم بعد أن يستردوا منهم ما أخذوه من المواشي ، وإن امتنعوا من ذلك وأبوا الانقياد يحاربوهم حتى يقضي الله أمره . وذلك في العشر الأوائل من شوال . ولما بلغ الاعراب المـــذكورين ذلك بعثوا إلى محمود علي بسواكن يستنفرونه ويطلبون منه العون وأخبروه بما نهبوه من المواشي المذكورة لكي ينسر بذلك ويعجل لهم المدد والرجال للحرب فطلب محمود علي المذكور من الانكليز أن يعطوه أسلحة نارية وجبخانة بعد أن أخبرهم بما فعله [٢٦٠] جماعته المذكورون ، إعانة لهم على أصحاب المهـــدي عليه السلام . ففرحوا بذلك غاية الفرح وأعطوه مائتي بندقية وعشرين صندوق جبخانة وخمسين أردب ذرة وخمسين أخرى بقساط . والأسلحة المذكورة هي غير الأسلحة التي كان أخذها منهم سابقاً لمحاربة عثمان ، وعينوا له وابوراً فركب عليه بمن معه من أعوانه ولم يتبعه من الانكليز ولا من أهل سواكن غير مأمور الضابطية ، ولكن المذكور رجع في وابوره ولم ينزل بالبر .

ثم توجـــه المذكورون أعني محمود علي ومن معه في وابورهم حتى أتوا إلى مرسى يسمى برغوتاً على مسافة يومين من سواكن ونزلوا بالبر وذهبوا مصعدين في الجبال حتى انضموا إلى أصحابهم الذين كانوا استنفروهم . وبعد اجتماعهم توجه اليهم بعض من [1] الاصحاب الذين وجههم اليهم عثمان لدعايتهم أعني أحمـــد القلهيابي وإبراهيم حمد ضو ومن معهما لما أنهم حيث أتى محمود علي المـــذكور

(١) قلنا : هنا كلمة غير واضحة .

نازلون بالقرب منهم . وبعد ما وصلوا دعوهم إلى الاستسلام والانقياد [٢٦١] إلى متابعة المهدي عليه السلام وهم للطاعة يومئذ أقرب منهم للعصيان حتى محمود علي .

وإلى هنا انتهى الكلام بما يتعلق بالعمارأر والجهة الشامية . ولنبين ما يتعلق بأهالي بني عمر وقبائل الحباب والزبيدية من أهالي الجهة اليمانية .

وفي أواخر شهر رمضان وجه عثمان المذكور ود حاج حسن أبو زينب[1] أمير الكميلاب بمن معه من أهله أميراً على مأمورية عقيق لما أن بها عساكر ومأموراً . وهي يماني سواكن على الساحل . وهي جزيرة بينها وبين سواكن خمسة أو ستة أيام . وهي من جملة مواد سواكن التي يأتي اليها من جهتها السمن والمواشي . لما أن أهالي تلك النواحي وهم قبائل بني عامر وقبائل الحباب والزبيدية مخالفون المهدية . وأصل الزبيدية من عرب الحجاز ومن مدة سنين نحو العشرين ساكنون بهذه البلاد .

هذا وبعد أن توجه ود حاج حسن المذكور بمن معه من الأصحاب إلى مأمورية عقيق [٢٦٢] المذكورة ، فقبل أن يصل اليها وبعد وصوله إلى توكر ، بعث محاصرين إلى جهات بني عامر ، ثم بعد توجه ود حاج إلى مأمورية عقيق السالف ذكرها وجلسوا على الماء الذي كان يشرب منه أهل المأمورية وهم في الجزيرة بينهم وبين الماء المذكور مسافة ساعتين بالبحر ، وليس هناك سبيل إلى الوصول إلى الجزيرة المذكورة إلا بالسفن. ثم بعد استقرار الأصحاب على الماء المذكور بعثوا إلى أهل المأمورية كتبهم التي أرسلها عثمان اليهم مع المذكورين ودعوهم إلى متابعة المهدي عليه السلام ، فلم يقبلوا . وقد كان قبل هذا بمدة أرسل لهم عثمان الكتاب المرسول لهم من المهدي عليه السلام ، فلم يذعنوا لما فيه ، علماً

---

(١) قلنا : انظر الاشارة إلى الكميلاب أعلاه ص ٢٣٤ .

منهم بأنهم متحصنون بالبحر ، وأنه لو حصل عليهم خوف أو مضايقة فالهروب إلى سواكن بالمراكب سهل عليهم . وقـــد قطعوا يد أحد الرسل الذين أرسل الأصحاب المذكورين معهم الجوابات اليهم [٢٦٣] وأفلت الثاني منهم . ثم بعثوا إلى سواكن يخبرون المحافظة بمـــا حصل عليهم وبجلوس الأصحاب على الماء . فأرسلوا لهم من سواكن وابور يخرج لهم المـــاء من البحر المالح بصنعة وعملية محكمة وليستقوا منه وأمروهم بالثبات على ما هم عليه من الشقاق وعـــدم التسليم . ثم شرع الأصحـــاب يحاصرون في البر الأعراب الذين هم بالقرب من المأمورية الذين كانت تأتي منهم المواد إلى المأمورية المذكورة ، وهم قبائل بني عامر وأهالي الحباب والزبيدية . فعثروا بحي من أحيـــاء بني عامر فقتلوا منهم رجلين وجرحوا منهم جماعة وهرب الباقون واستاقوا مواشيهم ورجعوا سالمين.

هذا ولنذكر عدد الوقعات التي حصلت على يد عثمان ابن أبي بكر وعلى يد أمرائه الذين أرسلهم إلى الجهات كما تقدم ليسهل الاطلاع عليها وإن كان تقدم ذكرها تفصيلاً فإن جمعها في هذه الفذلكة يكون معيناً لمن أراد تناولها بدون تكلف .

فأولها وقعة أوكاك وهي في غرة شوال والأصحاب [٢٦٤] مـــا بين الاربعمائة والخمسمائه والترك نحو المائة . واستشهد فيهـــا من الاصحاب ستون وهلك من أعداء الله خمسة وسبعون [١] .

ثانيها وقعة قباب وهي في عشر ذي القعدة والأصحاب نحو الستمائة والترك

---

(١) قلنا : في دفتر وقائع عثمان دقنة أن الهلكى من الاعداء سبعة وخمسون . وقد ذكر المؤلف هذا الرقم عند الكلام عن الواقعة أعلاه . وعلى ذلك فإن الرقم الذي يورده هنا خطأ ، وقد يكون خطأ نقل .

ثلاثمائة ، واستشهد من الأصحاب فيها سبعة وعشرون وهلك من أعداء الله سبعة .

ثالثها وقعة أبينت وهي في ثالث عشر ذي الحجة . والأصحاب نحو الستين والترك مائتان . واستشهد فيها من الأصحاب ثلاثة . وأما أعداء الله فهلكوا عن آخرهم .

رابعها وقعة أوكاك التي هي بعد المحاصرة كما تقدم . وهي في عاشر ربيع الثاني . والأصحاب نحو الألفين والترك ستمائة واستشهد من الأصحاب سبعة وخمسون . وأما أعداء الله فعن آخرهم .

خامسها وقعة الساحل الأولى . وهي في رابع المحرم والاصحاب نحو المائتين والخمسين والترك أربعمائة . واستشهد من الأصحاب سبعة وعشرون . وأما أعداء الله فعن آخرهم .

سادسها وقعة الساحل الثانية في سادس ربيع آخر . والأصحاب ثلاثة آلاف . والترك ستة آلاف [٢٦٥] واستشهد فيها من الاصحاب ثلاثمائة وهلك من أعداء الله أربعة آلاف وخمسمائة .

سابعها وقعة الساحل الثالثة لاثنتين خلتا من جمادى الأولى . والأصحاب نحو الثلاثة آلاف والانكليز نحو أربعة وعشرين ألفاً . واستشهد فيها من الاصحاب ألف وخمسمائة وهلك من أعداء الله نحو ثلاثة آلاف .

ثامنها [1] وقعة أتبرة في ربيع الثاني . والاصحاب خمسمائة والترك أربعمائة .

---

(١) قلنا : يذكر دفتر وقائع عثمان دقنة قبل هذا الملخص عن واقعة كسله : وقعة كسلة وهي لثلاث عشرة خلت من ربيع الاول والفقراء أربعة آلاف وخمسمائة والترك ألف وخمسمائة واستشهد من الفقراء نحو المائة وهالك من أعداء الله ألف ومائة . وقد سقط هذا في المخطوط . وسبب ذلك أن المؤلف يرجىء الكلام عن حوادث كسله . انظر أدناه .

واستشهد من الأصحاب مائة وهلك من أعداء الله مائة وأربعة عشر .

تاسعها وقعة التمينيب في غرة صفر . والأصحاب ألف وستون [1] والترك ألف ومائة . والشهداء من الأصحاب ثمانون وأما الأعداء فهلكوا أجمعون .

عاشرها وقعة التمينيب الانكليزية لأربع عشر خلت من جمادى الأولى . والاصحاب ستة آلاف والانكليز زهاء عشرين الفاً . واستشهد من الأصحاب ألفان وهلك من الاعداء ثمانية آلاف .

حادي عشرها وقعة بئر تهشيم [2] [٢٦٦] . منتصف رجب . والاصحاب نحو ستمائة والاعراب ألف وخمسمائة . فهلك من الاعراب سته عشر .

ثاني عشرها وقعة بئر هندوب في منتصف شعبان . والهالك من الاعراب اثنان وعشرون . وانقلب الاصحاب سالمين .

فهذه الوقعات المذكورة كلها تابعة لسرية عثمان بن أبي بكر وإن كان البعض منها يعد بعثاً من البعوث لأن كل ما افترق من السرية من الجيش يسمى بعثاً . ومعلوم أن بعضاً من هذه الوقعات قد افترق من سرية عثمان إلى جزيرة سواكن كما هو واضح من تلك الوقعات . وقد رأينا أن نتكلم على ما يتعلق بمديرية كسله عقب الكلام على ما يتعلق بهذه السرية لأن حصار كسله وشن الغارة عليها إنما كان من رجل يدعى مصطفى علي هدل وهو مبعوث لكسله من عثمان المذكور فنازلة كسله تعد من البعوث كما سيأتي إن شاء الله قريباً .

---

(١) قلنا : في دفتر عثمان دقنة أنهم ألف . ولم يذكر المؤلف عددهم عند وصف المعركة .

(٢) قلنا : في المخطوط هشيم . وقد سبق أعلاه مثل هذا الرسم .

هذا وأما كيفية حصر جزيرة سواكن من أول حلول عثمان بن أبي بكر فإنها مما ينبىء عن علو همته وجراءته وإقدامه ومعرفته بمكائد الحرب . [٢٦٧] فإن عثمان المذكور من حين حلوله بهـــا ما زال هو ومن معه من الاصحاب مشددين على أهلها الحصار من كل الجهات وقاطعين عنها المواد بالكلية ما عدا ما يأتيهم من جهة البحر المالح بواسطة الوابورات ، حتى صارت مــدافعهم من شدة المناوشات تضرب ليلاً ونهاراً لما أن الاصحاب يتعاقبون فيهـــم ، هؤلاء بالليل وهؤلاء بالنهار ، ويصولون عليهم غاية الصيالة . حتى أنهـــم من شدة الجراءة يتمكنون من الدخول في الاستحكام . يدخلون ويأخـذون بعضاً من المواشي بل والرقيق من داخـــل الاستحكام ويناوشونهم بالاسلحة النارية دائماً فيقتلون ويقتلون . ولكن القتل في الاعداء أكثر مع أنهـــم في الحصون والاصحاب في الفضاء . ولا يدعونهم يهجعون ليلا ولا نهاراً . ولأولئك الكفرة نار يوقدونها بالليل لها إضاءة هائلة يطلعوا بها على محل الاصحاب بالليل لأنهم من شدة الجراءة كما تقدم يدخلون عليهم ليلاً في داخل الاستحكام. فبتلك الاضاءة يتمكنون من التحرز على أنفسهم من هجوم الاصحاب عليهم داخل الاستحكام ولذا يبالغون في ايقاد [٢٦٨] تلك النار لما ذكر حتى يصير عنـــدهم كالنهار بحيث يرى فيه كل شيء . وقد قيل إن هــذه النار ترى من مسافة يومين لشدة ايقادها واضاءتها . وعندي أن ذلك لا يبعـــد لأن الخوف والفزع من صولة الاصحاب عليهم يحملهم على مثل ذلك. لأنهم يرون أن النجاة من الهلاك تكون في ذلك ، فهم يبالغون في إيقادها مهما أمكن .

هذا ولما اشتد عليهم الحصار وخافو حلول الدمار اصطنعوا لهم تماثيـــل وتصاوير من الخشب على صورة الرجال الآدميين وألبسوها الثياب على هيئة العسكر المقاتلين وجعلوها صفا حول الاستحكام ليتخيل للأصحاب أنهم رجال

ثابتون في الميدان لا يبرحون عن محلهم ولا يبالون بالضرب . وذلك كله ارهاب للاصحاب في زعمهم . ولما هجم الاصحاب وصالوا عليهم كالعادة وجدوهم ثابتين بخلاف ما كانوا يعهدونه فيهم من الفرار عند ذلك . فدنوا منهم فوجدوهم صورا وتماثيل من الخشب . فتعجبوا من حيلهم الفاسدة وأغراضهم الكاسدة . وعلموا أن ذلك من شدة الجبن والرعب والروعـــة من صولة الاصحاب . واستدلوا بذلك على مزيـــد ضعفهم وعجزهم [٢٦٩] عن الحرب ، وأن الرعب بلغ منهم الغاية . فازداد الاصحاب بذلك جراءة على جراءتهم . وقد كان تدميرهم في تدبيرهم .

وأما البلد فمن أول يوم نازله عثمان ومن معه للحصار ما زال أهله يحفرون ويعمقون استحكامهم ويحكمون الطوابي . وقد جعلوا حول البلد جنوباً وشمالاً وغرباً خمس قلاع اثنان منها على البر وقرنوا البيوت بعضهـــا بالبعض بالطين وجعلوا باب البلد واحداً[1]. هذا والعساكر يشربون من ماء يخرجونه من البحر المالح بالوابورات . وفي كل يوم يحصنون البلد بالاحكامات البليغة أكثر من جسر[2] ، بحيث أن كلما أتى الاصحاب من جهة وضربوهم منها يجعلون هناك طابية عليها مدافع، حتى تكاملت طوابيهم أربعة وعشرين مع أن البلد يكفيه أقل من هذه لصغره عن هذا العدد . وحول كل طابية قفرة ليس لها باب بل هناك أخشاب يضعونها بالنهار ليمروا عليها ويرفعونها بالليل خوف الهجوم عليهم. وزيادة على ذلك أن الطوابي التي هي على البر مبنية مثل المنارة ليس لها باب

---

(١) قلنا : انظر تفصيل التحصينات في سواكن :

E. W. C. Sandes: The Royal Engineers in Egypt and the Sudan.

(٢) قلنا : يعني أنهم يقيمون كل يوم أكثر من جسر .

من تحت بل بابها فوق القامتين . وهناك سلالم [1] يضعونها على الباب ليصعدوا عليها ثم ينزولون منها إلى تحت . ومعهم [٢٧٠] بداخـــل الطوابي ماؤهم ومأكولهم وجبخاناتهم وجميع لوازمهم وما يحتاجون اليه . ووابوراتهم التي تخرج لهم الماء من البحر لم تزل معهم تخرج لهم الماء ويشربون منه ، إلا أهــل البلد فانهم يشربون من الآبار . وهذا وأما أهل البلد فإنهم بواسطة شدة الحر وعدم وجود المأكولات على مقصدهم صاروا يموتون ، لا سيما الاطفال ، فإنه لم يبق منهم إذ ذاك إلا القليل . وكذلك العساكر الانكليزية فإنهم أيضاً هلكوا من شدة الحر لأنهم لم يكونوا معتادون لذلك ببلادهم . وقد سلط الله عليهم الجدري ، فهم يهلكون به أيضاً .

هذا وقد أخبرني بسرية عثمان بن أبي بكر الشهير بدقنة إلى سواكن ومـــا والاها الثقة من أصحاب المهدي عليه السلام فرويتها عنه وأثبتها على هـــذا المنوال. وبالله التوفيق ، لا رب غيره ولا معبود سواه .

ذكر بعث مصطفى هدل إلى مديرية كسله داعياً لهم إلى المهدي :

قد تقدم أن عثمان بن أبي بكر بعث مصطفى علي هدل المذكور إلى أهـــل مديرية كسله داعياً لهم إلى الدخول في المهدية . وقد تلقاه أهالي تلك النواحى بالقبول . ولما دنى المذكور [٢٧١] من المديرية المذكورة خرجت اليه عساكر نحو الالف وخمسمائة فعاجلوه ولم يمهلوه . فانتشب الحرب بينهم فقتل من قتل من الترك وانهزم الباقون ، فحاصرهم من ذاك الوقت . ثم ورد منـــه خطاب لعثمان يخبره فيه بأنه حصلت بينه وبين الترك معركة خارج سور المديرية فقتلوا من الترك من قتلوه وأسروا منهم من أسروه .

وما زالوا مشددين عليهم في الحصار حتى انهم قعدوا لهم بالقرب من البلد

---

(١) قلنا : في المخطوط : سلاليم .

جداً . ولما اشتد على الترك الحصار وخافوا بطول المكث بداخل خندقهم حلول الدمار خرجوا ثانياً للحرب زاعمين إزاحة الاصحاب ليتمكنوا من الراحة والانتشار في الارض . فانتشب الحرب بينهم فلم يلبثوا في ميدان الملحمة إلا قليلاً وانهزموا أقبح هزيمة . وتبعهم الاصحاب فقتلوا منهم مائتين وثمانين واستشهد من الاصحاب اثنان وتسعون . ثم خرج الترك ثالثاً وانتشب الحرب بينهم أيضاً فقتلوا من الترك تسعة وهرب الباقون . وما زالوا [٢٧٢] في شدة الحصار والتضييق عليهم مع توالي المناوشات الحربية عليهم حتى نهكتهم الحرب وضاقت عليهم الأرض بما رحبت ومضى على ذلك زمن طويل .

ولما اشتد عليهم الحصار وخافوا حلول الدمار وعلموا أن لا ملجأ من الله إلا الله كتبوا للمهدي عليه السلام وهو إذ ذاك بأم درمان بعد فتوح مدينة الخرطوم يبتغون إرسال جماعة من الأصحاب الذين معه عليه السلام بالبقعة ليستلموا وينقادوا ويلقوا اليهم عنان الطاعة والتسليم ، وكرهوا بأن يلقوا بأيديهم إلى مصطفى هدل المذكور ومن كان معه هناك في مدة حصار خندق كسله حذراً من القبائل الذين معه وقت الحصار ، لأنه قد جرت بينهم حروب كثيرة أريقت فيها دماء من الفريقين ، أكثرها من الأعداء . فلذلك بعث المهدي عليه السلام حسين بن ابراهيم الشهير بالزهرا وابراهيم أحمد عالم ومعهما جماعة من الأصحاب [1] ومعهم كتاب من المهدي عليه السلام لأهل كسله ، [٢٧٣] ولفظ الكتاب المذكور [2] :

---

(١) قلنا : كان من هؤلاء ادريس عبد الرحيم وكانت مهمته المحافظة على الجهادية والاسلحة.

(٢) قلنا : يوجد من هذا الخطاب نصان ليس بينهما خلاف كبير . وهما مؤرخان بتاريخين مختلفين . وقد أرسل المهدي خطاباً بنفس المعنى إلى العوض باشكاتب التاكة وخطابات أخرى للامراء المعينين . أنظر باب كسله في المرشد . وقد راجعت النص الذي ينقله المؤلف مع النص الوارد في تاريخ نعوم .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الوالى الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم .

وبعد ، فمن العبد المعتصم بالله محمد المهدي بن عبدالله إلى أحبابه في الله أحمد عفت مدير التاكا وفرج عزازي رئيس العساكر وحسن لبيب وعبـــد القادر هديب وحسن سليمان وبشير كنبال [1] ونعيم الفكي وابراهيم بدوي وحسن موسى وخورشيد وأحمد المنسى وحسن بدوي وخلف الله وأحمد حمدي وكافة عباد الله المحصورين بخندق كسله تجاراً وعمداً وغيرهم ، وفقهـــم الله تعالى إلى الصواب بجاه النبي الاواب ، آمين .

منا لكم السلام . ثم نعرفكم بأن خطابكم المحرر لنـــا صحبة رسولكم المعين عبد الله يطلب الامان ورغبة تعيين أحد من طرفنا للتسليم على يده والتماس العفو عنكم وخشيتكم من العمال المحاصرين لجهتكم إن سلمتم على يدهم إلى آخر مـــا بخطابكم قد أحطنا به علماً ، وشكرنا صنيعكم ودعونا لكم بكـــل خير ، وحمدنا الله تعالى على هدايتكم وانابتكم إلى ربكم ، فإن ذلك سبب فلاحكم وفوزكم [٢٧٤] ونجاحكم الذي هو مقصودنا من دعاية الخلائق إلى الله. وقد عقلتم فيما صنعتم وتداركتم أنفسكم من عطب الدارين .

والمقصود الأهم هو سلامة الآخرة . فإن هذه الدنيا قريبة الزوال ، منغصة العيش ، مكدرة الأحوال ، لا خيرها يدوم ، ولا شرها يبقى ، ولا فيها لمخلوق بقاء ، حلالها حساب وحرامها عقاب ، ومتشابهها عتاب ، لم ينظر الله اليها منذ خلقها . وقد ورد في الخبر أنها لا تزن عند الله جناح بعوضة وأنها دار من لا دار له ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له - الحديث . وأما الآخرة فنعمت

---

(١) قلنا : ويكتب أيضاً بالميم : كمبال .

الدار هي ، دار دائمة النعيم أعد الله فيها لعباده المؤمنين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر . وأكرمهم فيها بالنظر إلى وجهه الكريم . وقد [٢٧٥] ورد في محكم القرآن مدحها والتنويه بقدرها قال تعالى : « وإن الدار الآخرة لهي الحيوان [١] ». وقال : « والآخرة خير وأبقى [٢] ». وقال: « وإذا رأيت ثم رأيت نعيماً وملكاً كبيراً [٣] » الآية.

وحيث كان الامر كما ذكر فينبغي للعاقل أن يطلب ما عند الله ويعرض عن هذا الفاني الخسيس المعوق عن الوصول الى الدائم النفيس . ولما أظهرني الله رحمة للعباد وطفقت أدعوهم إلى الله وإلى الرغبة فيما عند الله وأنفرهم عن هذه الدار كثيرة المحن والاشرار ، وقد هدى الله بي من أراد هداه وأضل من أراد شقاه .

وبعد أن فتح الله مدينة الخرطوم حسنت الظن بأهل الخنادق المحصورين بالسودان وقلت في نفسي لعل الله أن يلهمهم رشادهم [٢٧٦] ويأخذ بنواصيهم إلى طريق سدادهم . ولما وردت لي مخاطبتكم هذه ازداد حسن ظني بكم وسررت من جهتكم ورضيت عنكم واهتممت بأمركم رغبة في هدايتكم ورشادكم.

وعلى حسب التماسكم قد [٤] عينت لكم كلا من الحبيب الحسين بن ابراهيم زهرا والحبيب ابراهيم عالم . فان المذكورين من الاحباب الاصفياء الذين لا قصد لهم سوى تأييد الدين وسوق عباد الله بالتي هي أحسن . وأشرت عليهم

---

(١) سورة العنكبوت الآية ٦٤ .

(٢) سورة الاعلى الآية ١٧ .

(٣) سورة الانسان الآية ٢٠ .

(٤) قلنا : في المخطوط : فقد .

بمعاملتكم بالرفق والتأليف ولين الجانب . وها هم واصلون إليكم لتطمينكم وحقن دمائكم وإعطائكم أمان الله ورسوله وأماننا في أنفسكم وأولادكم وعروضكم ورفع ما تتوقعوه من الضرر عنكم . وأشرنا عليهم أيضاً بإعطائكم من الاشيات التي تؤخذ منكم ما يزيل ضرركم ، [٢٧٧] كل واحد منكم على حسب حاله وراحته التي تلزم له ، وترشيدكم وتذكيركم بالله وبأيام الله ، وبأن من يريد الهجرة منكم إلينا يعطوه الاذن بذلك ، فإن أمركم على حسب ما حكيتم بجوابكم وترغبون الانسلاك في سلك أنصار دين الله والأنابة إليه والاقلاع مما مضى فما بيننا وبينكم إلا المحبة الخالصة لوجهه تعالى .

ولكن أول وصول هذا الخطاب إليكم سارعوا إلى الخروج لمقابلة الجماعة المندوبين من طرفنا واطلبوا أماننا منهم وسلموهم كافة الأشغال الميرية ولا يصير منكم أدنى تأخير .

هذا وليكن في علمكم أن هؤلاء الجماعة المعينين [٢٧٨] من طرفنا إليكم هم النايبون عنا في جميع [١] ما يجروه معكم أمضيناه فاعتمدوه ، ولا تخشوا من شيء ، وأبشروا بكل خير ما دمتم على الاخلاص معنا . الهمكم الله رشادكم وحفكم بعنايته وجعلكم من أهل هدايته والسلام .

وكتب هذا الكتاب في ثالث شعبان سنة اثنين بعد الثلثمائة والألف [٢] .

ثم بعد وصول الأصحاب المذكورين نزلوا بالديم الذي فيه الأصحاب، وخاطبوا الترك الذين هم بكسله ودعوهم إلى التسليم والانقياد إلى إتباع الحق

---

(١) قلنا : هكذا في المخطوط وفي تاريخ نعوم ولكن السياق على : فجميع .

(٢) قلنا : يوافق ذلك ١٩ مايو سنة ١٨٨٥ .

ووعدوهم بالصفح عنهم والعفو ومعاملتهم بالرفق والاحسان إن هم خرجوا منقادين كما أمرهم المهدي [٢٧٩] عليه السلام بذلك. فتوقفوا وناوشوا الأصحاب أيضاً القتال حتى قتل من الأصحاب الذين هم مع حسين الزهرا من قتل ودامت الحرب بينهم أياماً. ثم علموا انهم لا طاقة لهم بحرب الاصحاب المذكورين لانحلال عراهم وتوالي الحروب عليهم من أزمنة مديدة من الأصحاب حتى دوختهم الحروب مع ما هم عليه من شدة الخوف والجوع وفناء الأقوات، فخرجوا مسلمين منقادين.

وقد كان فتوح مديرية كسله المذكورة بعد وفاة المهدي عليه السلام وانتقاله إلى دار الكرامة بشهر ونصف تقريباً. كما أن فتوح مدينة سنار كان أيضاً بعد انتقال المهدي عليه السلام إلى دار الكرامة [٢٨٠] لكن بنحو شهرين كما سيأتي بيانه. وكان ذلك في أوائل أيام سيدنا خليفة المهدي عليه السلام سيدنا الخليفة عبد الله بن محمد خليفة الصديق، أدام الله أيامه بالظفر والنصر على المخالفين أعلامه، آمين. والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وتغال العثرات.

سرية محمد [٢٨١] بن خالد (١):

لما فرغ المهدي عليه السلام من غزوة الهكس بعث محمد بن خالد في جماعة من الأصحاب إلى الترك الذين بدارفور والى عموم من كان بالغرب، يدعوهم

---

(١) قلنا: هو قريب المهدي وعامله على دارفور. ولد في كوبي بدارفور وهو صهر السلطان حسين سلطان دارفور. بدأ حياته تاجراً ثم صار موظفاً بدارفور. عين مديراً على شكا في ١٨٧٩. وقد عاون في القضاء على سليمان الزبير. وفد الى المهدي قبيل واقعة شيكان وأرسل بعدها مباشرة إلى دارفور على رأس قوة فاحتلها دون صعوبة وسلم له سلاطين باشا في شكا والسيد جمعة في الفاشر. استدعاه الخليفة إبان حركة الاشراف وفي طريقه قابله حمدان =

إلى الله والدخول في طاعة المهدي عليه السلام . وذلك لمضى إثنا عشر يوماً من المحرم افتتاح عام واحد بعد الثلاثمائة والألف .

فخرج المهدي عليه السلام بنفسه الكريمة ومعه خليفته الأكبر رضي الله عنه وباقي الخلفاء والأصحاب وأشخص محمد بن خالد وشيعه إلى خارج [1] البلد . ثم أوصاه عليه السلام في خاصته بتقوى الله وبمن معه من المسلمين خيراً . وحذر الجيش من الغلول في المغانم وبالغ في الموعظة . وهكذا المنهج النبوي : فقد كان النبي ﷺ إذا أمر أميراً على سرية أوصاه في خاصة نفسه بتقوى الله وبمن معه من المسلمين خيراً ، وحذر وأنذر وبالغ في الموعظة . وقد رأينا أن نذكر ما أوصى به الصديق الأكبر سيدنا أبو بكر رضي الله عنه لبعض الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين حين بعثه في بعض الغزوات ، فإنه أوفق بهذا الغرض ، ولفظه :

عليك بتقوى الله فإنه يرى في باطنك مثل الذي في ظاهرك . وإن أولى الناس بالله أشدهم توليـــاً له وأقرب الناس من الله أشدهم تقرباً إليه بعمله . وأحسن صحبة جندك وأبدأهم بالخير وعدهم إياه . واذا وعظتهم فأوجز ، فإن كثير الكلام ينسي بعضه بعضاً . وأصلح نفسك يصلح لك الناس . وصل

= في بارا وصفى قوته وأرسله سجيناً إلى أم درمان . أفرج عنه بعد ذلك وأرسل إلى الشرق للنظر في النزاع بين عثمان دقنة وأبي قرجه وأقام بالشرق مدة ونظم إدارته . أرسل عاملاً على دنقلا إلا أنه لم يمكث طويلاً فاستدعى الى أم درمان إبان حركة الاشراف الثانية ١٨٨٩ ونفي الى الرجاف وبقي بها مسجوناً حتى أطلق صراحه البلجيكيون . قتل في الطريق الى الفاشر في ١٩٠٣ ،

(١) قلنا : لم يذكر المؤلف شيئاً عن وقائع دار فور قبل مجيء محمد خالد . وخطاب تعيينه مؤرخ في ١٠ محرم سنة ١٣٠١ الموافق ١١ نوفمبر سنة ١٨٨٣ (المرشد الى وثائق المهدي رقم ١٧٧) وقد خرج محمد خالد بعد ذلك بيومين كما يبدو من السيرة .

الصلوات لأوقاتها باتمام ركوعها وسجودها والتخشع فيها . وإذا قدم عليك رسل عدوك فأكرمهم [٢٨٢] وأقلل لبثهم حتى يخرجوا من عسكرك وهم جاهلون به . ولا ترينهم فيروا خللك ويعلموا علمك . وأنزلهم في ثروة عسكرك . وامنع من قبلك من محادثتهم . وكن انت المتولي لكلامهم . ولا تجعل سرك لعلانيتك فيخلط أمرك . وإذا استشرت فأصدق الحديث تصدق المشورة . ولا تخزن عن المشير خبرك فتؤتي من قبل نفسك . واسمر بالليل في أصحابك تأتك الأخبار وتنكشف عندك الاستار . وأكثر حرسك وبددهم في عسكرك . وأكثر مفاجأتهم في محارسهم بغير علم منهم لك ، فمن وجدته غفل عن محرسه فأحسن أدبه وعاقبه في غير افراط . وأعتب بينهم بالليل ، وأجعل النوبة الاولى أطول من الاخيرة فإنها أيسرهما لقربها من النهار . ولا تخف من عقوبة المستحق ولا تلجن فيها ولا تسرع اليها . ولا تغفل عن أهل عسكرك تفسده ، ولا تجسس عليهم فتفضحهم . ولا تكشف الناس عن أسرارهم . واكتف بعلانيتهم . ولا تجالس العبائين . وجالس أهل الصدق والوفاء . وأصدق اللقاء ولا تجبن فيجبن الناس، واجتنب الغلول فإنه يقرب الفقر ويدفع النصر — انتهى .

وهذه من أحسن الوصايا وأكثرها نفعاً لولاة الامر . فيا لها من وصية لانواع الفضائل جامعة ، وما أكرمها من مواعظ غيوث الحكم والمعارف على رياضها الزاهرة معه .

هذا وسار محمد بن خالد فوصل بأم شنقه ، وهي أول أعمال حكومة الترك بدار فور مما يلي كردفان . فوجد من بها من الاتراك وغيرهم ممن كان معهم قد دوختهم الحروب وأوهنتهم الغارات من بعض عمال المهدي عليه السلام الذين كانوا بصدد محاربتهم كمثل ابراهيم بن المليح .

---

(٢) قلنا : في المخطوط : خارج ، بسقط الراء .

فإنه قد شدد عليهم في الحصار ووالى عليهم الغارات [٢٨٣] وانقطعت عنهم المواد من سائر الجهات . وصاروا بأسباب الحصر في أسوأ حالة . فعلموا أن لا مخلص لهم من ذلك إلا بالتسليم لجناب المهدي عليه السلام . وكرهوا بأن يلقوا بأيديهم إلى ابراهيم المليح حذراً من القبائل الذين معه وقت الحصر . لأنه قد جرت بين تلك القبائل وأهالي أم شنقه حروب ومغاورات أريقت فيها دماء كثيرة من الفريقين . فكتبوا للمهدي عليه السلام بالطاعة والانقياد راغبين إرسال أحد الأصحاب الذين هم من أهل الرأفة والعفة ليخرجوا إليهم منقادين . فورد خطابهم للمهدي عليه السلام وهو عليه السلام منصرف من غزوة الطاغية الهكس فأوصى عَليه السلام محمد بن خالد بهم وأمره بمعاملتهم بالرفق والرأفة . وبعد وصول محمد بن خالد إليهم خرجوا إليه منقادين فبايعهم ثم سيرهم هم وما معهم من الغنائم إلى المهدي عليه السلام بكردفان .

وسار مجداً السير لمديرية دارا ، وبها إذ ذاك مدير عموم تلك البلاد سلاطين ، الذي غير المهدي عليه السلام اسمه الى عبد القادر . والذي دعا محمد بن خالد ، الى قصود دارا قبل أخذ الفاشر الذي هو قاعدة حكومة الترك بدار فور وعاصمة ملكهم هناك ، وبه الجيش الأوفر والاستعداد الأكثر هو أن محمد بن خالد قد كان قاطناً بدارا . وقد كان بعد حلول المهدي عليه السلام بكردفان كتب الى محمد بن خالد كتاباً يدعوه فيه الى الانقياد ومتابعته والهجرة اليه بكردفان لما له من مزيد العاطفة بالقرابة والرحم ، فانه من أقارب المهدي عليه السلام . فأجاب داعي الله وهاجر الى المهدي عليه السلام بكردفان . وقد كان بين محمد بن خالد وبين سلاطين ، الذي سماه المهدي [٢٨٤] عليه السلام بعد ذلك بعبد القادر ، صداقة . فرأى أن لا يكتم عنه كتاب المهدي عليه السلام اليه فأخبره بذلك ودعاه الى الله والى التصديق بالمهدي عليه السلام فلم

يبعد عن ذلك وأظهر الرغبة في الامتثال والانقياد . والمذكور كان من الذميين وقد كان له ميل الى الاسلام فأسلم وأخفى اسلامه عن أهل دولته ثم أعلن به . فاتفق مع محمد بن خالد على أنه بعد وصوله الى المهدي عليه السلام ومبايعته وعودته إليه بدارا فإنه ينقاد ويدخل تحت الطاعة لجناب المهدي عليه السلام . ثم إن محمد بن خالد جد السير وحضر بكردفان وبايع المهدي عليه السلام .

وقد كان وردت خطابات من والي مصر الى الترك بدار فور [1] يخبرهم بأنه أرسل جيشاً جراراً تحت قيادة الهكس باشا لحرب المهدي ويعدهم ويمنيهم حصول الظفر والنصر ويأمرهم بأن يثبتوا ويحافظوا على مراكزهم ويدافعوا عن ملكهم. وما هي إلا أمنية مخدوع ! فاغتر سلاطين المدعو عبد القادر بذلك ورجع عن عزمه على متابعة المهدي عليه السلام وأوقع بأقارب محمد بن خالدالذين معه بدارا وأودعهم السجن وضبط منازل محمد بن خالد وأخذ أمواله[2]. فلذا بادر بقصده لدارا ليستنقذ أقاربه من الأسر . ولما تحقق لعبد القادر هلاك الهكس ومن معه سقط في يده وندم على ما فعله مع أقارب محمد بن خالد ، فبادر بإطلاقهم من السجن ورد عليهم ما أخذ منهم .

ولما علم بقرب محمد بن خالد من دارا خرج من استحكامه ومعه طائفة من أعيان حكومته وشرذمة [٢٨٥] من أهل البلد وقابلوا محمد بن خالد بمحل يدعى

---

(١) قلنا : انظر خطاب المهدي في ذلك إلى محمد خالد – المرشد إلى وثائق المهدي رقم ١٤٩.

(٢) قلنا : أرسل والي مصر خطابات في دحض المهدية الى دارفور مع القوافل التجارية ولما وقف محمد خالد على ذلك أرسل رداً إلى الوالي وأخطر بذلك المهدي . وقد وجدت هذ االرد في دار الوثائق القومية العربية بالقاهرة . انظر إشارة المهدي إلى هذا الرد في خطابه الى محمد خالد بتاريخ ٤ جماد أول ١٣٠١ الموافق ٣ مارس ١٨٨٤ ، المرشد الى وثائق المهدي رقم ٢٤٢ .

الشعيرية ، بينه وبين دارا مسافة يوم تقريباً ، منقادين ومسلمين فبايعهم . ثم ساروا معه حتى إذا كانوا بالقرب من مدينة دارا بحيث يكون البلد إليهم مقدار ربع ساعة فلكية نزل محمد بن خالد والجيش هنالك . ودخل عبد القادر المذكور ومن معه البلد ثم نادى بجمع جميع الضباط والعساكر وأهل البلد وأمرهم بترك الأسلحة بمحالها . وخرجوا لمقابلة محمد بن خالد وأخذ البيعة منه فقابلوه وبايعوه . فتقدم محمد بن خالد إلى الأصحاب بتعيين من يكون من أهل الأمانة والعفة لاستلام جميع الأسلحة والآلات الحربية والأدوات والمهمات والذخائر. ثم أمر بتعيين من يلزم من الأصحاب من أهل الديانة والصدق والأمانة بالمحافظة على بيوت الأموال وضبط جميع الغنائم وإحصائها وحفظها على الوجه الاتم : جمع وضبط . فحصل من ذلك شيء وافر .

ولما تحقق للسيد جمعة مدير الفاشر تسليم سلاطين عبد القادر ودخوله تحت الطاعة انحل عزمه وأظهر الانقياد وأرسل بمفاتيح جميع أماكن حكومته بالفاشر بعد غلق الابواب على ما فيها من الاسلحة والجبخانات والذخائر وجميع الآلات الحربية والاموال إلى محمد بن خالد بدارا علامة على الطاعة والتسليم . ثم إن السيد جمعة بلغه من أفواه المرجفين بأن نجدة تأتي إليه من مصر بطريق أسيوط إلى دار فور فاغتر بذلك وأعلن بالمخالفة وقتل بعضاً من الاصحاب الذين كانوا حول الخندق مارين إلى بعض الجهات .

ولما تأكد لمحمد بن خالد عصيان المذكور استخلف على دارا عبد الصمد ولد حاج شرفي من أقارب المهدي عليه السلام [٢٨٦] ، وضم إليه بعضاً من الاصحاب وخرج لحرب السيد جمعة في جيش عظيم وقصده بالفاشر . فنازله بقرب البلد ، وقد كان الترك عملوا لهم استحكاماً بليغاً في غاية من المتانة والعلو وجعلوا وراءه خندقاً عميقـــاً جداً ووراءه زرباً من الشوك في غاية المتانة وشحنوه بالرجال المقاتـــلة وجعلوا داخله أبناءهم ونساءهم

وأموالهم وجميع ما يحتاجون إليه من الغلال وأنواع المطعومات والملبوسات وجميع ما يلزمهم استعداده . وعولوا على الحصار واستعدوا له غاية الاستعداد بحيث انهم ادخروا معهم ما يمونهم سنين عديدة . فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وأخذوا من جهة الماء . فإن الآبار التي يشربون منها كلها خارج الاستحكام المذكور ، لكنها بالقرب منه جداً بحيث يكون بينها وبين الاستحكام المذكور نحو تسعين خطوة بالقدم . فعند ذلك أمر محمد بن خالد بمحاصرتهم ومناوشتهم القتال والقعود لهم بكل مرصد والتضييق عليهم وأخذهم بالخناق . فاشتد عليهم الحال وضاقت عليهم الارض بما رحبت حتى صاروا يأخذون الماء من الآبار بالخطف والاختلاس ويترقبون أوقات الغفلة من الاصحاب ليتمكنوا من أخذ الماء للشرب .

وثم إن محمد بن خالد أمر أعيان الاصحاب الذين معه وأهل الشجاعة والاقدام بأن يحولوا بين الترك وبين الآبار ، بحيث إن الاصحاب المذكورين يدفنون تلك الآبار ويمنعون الترك من الوصول إليها أصلاً . فانتدب منهم جماعة من ذوي الهمم والشهامة والإقدام وقصدوا الآبار والرصاص نازل عليهم من الاستحكام كالمطر [٢٨٧] والجلل من الطوابى والبروج كذلك حتى وصلوا إليها وشرعوا في دفنها ، وذلك بالليل . فصار بعضهم يدفن الآبار والبعض الآخر في مقابلة العدو يرميهم بالرصاص أيضاً . ودار الحرب بينهم بالمرامات بالرصاص إلى الصباح وقتل من الفريقين قتلى . فأصبحوا وقد حالوا بينهم وبين الآبار ودفنوها ، ولم يتركوا بئراً من تلك الآبار إلا دفنوها .

وأما الأصحاب فلهم منهل بالبعد من الاستحكام يشربون منه . وفي تلك الليلة تمكن الاصحاب فأعدوا لهم أماكن يقعدون فيها ليمنعوا الترك من الوصول إلى الآبار ويصدوهم عن المناهل المذكورة . فحينئذ تمكنوا من صدهم

عن الآبار . وكلما يحملهم العطش على الحملة على الآبار يقوم الاصحاب في وجوههم طعناً بالرماح وضرباً بالصفاح ورمياً بالرصاص ، ويصدونهم عن الوصول إلى الآبار حتى يدخلوهم في استحكامهم وهكذا . وفي أثناء ذلك قتل من الأصحاب من قتل وهلك من الأعداء من هلك . ولما اشتد عليهم الحصار وأوقعتهم شدة العطش في البوار وعجزوا عن الوصول إلى الماء شرعوا في أعمال الحيل الموصلة لهم إلى تخريج الماء من داخل الاستحكام ، وهو على تلال واحقاف من الرمال بحيث أن الماء يبعد ويتعسر جداً إخراجه من ذلك المحل ، فعجزوا عن ذلك بعد التعب الشديد والحفر الذي ما عليه مزيد .

ولما أعيتهم الحيل واشتد بهم العطش حتى كادت اعناقهم [٢٨٨] تنقطع من شدة العطش، بل تلف منهم من تلف بالعطش كبعض الاطفال والنساء والمرضى، ومضى لهم على ذلك نحو ثلاثة أيام بلياليها ، خرج النساء والاطفال وسرعان[1] الناس من داخل الاستحكام وتساقطوا على الآبار تساقط الابل اليهم[2] على الماء.

فعند ذلك انحل عزم السيد جمعة وأظلمت الدنيا في وجهه وأذعن للطاعة، فأرسل بعضاً من ضباط العساكر لمقابلة محمد بن خالد ليأخذوا لهم الامان ويخرجون منقادين . فأتوا إليه فأمنهم على نفوسهم فخرجوا إليه بأجمعهم وألقوا السلاح بداخل الاستحكام وبايعوه .

ثم دخل محمد بن خالد مدينة الفاشر في ربيع الثاني [3] من ذلك العام واستولى

---

(١) قلنا : يقصد المسرعين من الناس .

(٢) قلنا : هكذا في المخطوط .

(٣) قلنا : يوافق ذلك ١٤ يناير ١٨٨٤ . (انظر تفاصيل وقائع الفاشر كما يراها السيد جمعة في تاريخ نعوم ص ٧٣٢ -- ٧٣٣).

عليها وأمر من يلزم من الأصحاب أهل الأمانة بضبط محلات الحكومة وحفظ ما فيها من الأسلحة والجبخانات وجميع الآلات الحربية والمهمات . وأمر بتعيين بعض الأصحاب أهل الصدق والعفة بضبط جميع الغنائم وإحصائها وحفظها ، فحصل من ذلك شيء وافر .

وبعد فتوح الفاشر حسبما أوضحناه أتت إليه جميع القبائل من سائر جهات [1] دار فور بالطاعة والانقياد والتسليم .

هذا وبعد فراغ محمد بن خالد من أمر دار فور بعث جماعة من الأصحاب إلى السلطان يوسف سلطان برقو وكتب له كتاباً [2] يدعوه فيه إلى الله وإلى متابعة المهدي عليه السلام ، فأجاب يوسف المذكور بالطاعة والانقياد وتم أمر الغرب على ما ذكرناه والله أعلم [٢٨٩] .

مطلب سرية محمد الخير إلى بربر [3] :

سرية محمد الخير بن عبد الله إلى مديرية بربر سنة واحد بعد الثلثمائة والألف :

---

(١) قلنا : في المخطوط : الجهات .

(٢) قلنا : لم نقف على نص هذا الخطاب ولكننا وقفنا على نسخة من رد السلطان محمد يوسف الى محمد خالد ، وهو خطاب دبلوماسي ، من حيث انه ودي ومشجع وان كان لا يقطع قطعاً . واطرف ما فيه انه يذكر ان والد محمد خالد كان يعمل ببرقو « ورداي » وانه يصفه بابن أخته .

(٣) قلنا : ورد هذا في الهامش ، ثم جاء في المتن : سرية محمد الخير بن عبد الله الى مديرية بربر سنة واحد بعد الثلثمائة والالف .

ومحمد الخير هو أستاذ المهدي وأمير الامراء وعامل عموم بربر ودنقلا . ولد بقرية الغبش بالقرب من بربر . وأصله جعلي . وكان اسمه محمد الضكير فعدله المهدي الى محمد الخير فعرف =

قد بعث المهدي عليه السلام محمد الخير بن عبد الله إلى أهل مديرية بربر داعياً لهم إلى الانتظام في سلك أصحاب المهدي عليه السلام والاقلاع عما هم عليه . ثم شيعه عليه السلام وأوصاه بوصايا عميمة النفع في الدارين كما هي عادته عليه السلام السنية وسجيته السنية مع جميع أصحابه ولا سيما أمراء السرايا . فسار مجداً إلى أن وصل إلى أول أطراف المديرية المذكورة ، فدعا جميع من بها إلى الطاعة والانقياد . فأجابوه مسرعين ولداعي الخيرات ملبيين ، فرساناً وركبانا وراجلين ، من كل فج ، ملبيين دعوته وسامعين كلمته مستعدين للحرب . وقد تجمعت عليه القبائل بالخيول وجميع الاستعدادات الحربية . وما زالوا في ازدياد يأتون إليه ثلة بعد ثلة حتى وصل بالمتمة [1] . وهناك تكاثرت عليه الجموع . وما زال يبايع الوفود الذين يأتون إليه .

= به بعد ذلك . نشأ نشأة دينية وكانت له خلوة مشهورة بالغبش تتلمذ عليه فيها الكثيرون من بينهم الامام المهدي . بايع المهدي في الرهد وعقـد له لواء الامارة . حاصر بربر في ١٨٨٤ واحتلها في السنة التالية . اشترك في مقاومة حملة انقاذ غردون باشا . هزم في واقعة جنس . أفل نجمه في عهد الخليفة عبد الله وانخفضت مكانته . مات ١٨٨٨ .

(١) قلنا : كان علي سعد قد ذهب الى المهدي مهاجراً وأخذ البيعة وقد عين أخوه الاكبر عبد الله سعد أميراً . وهذا قد مهد لمحمد الخير في المتمة . وعلي سعـد وأخوه عبد الله يمثلان زعامة النفيعاب الجعليين وقد عملا لدخول القبيلة في المهدية . وقد عمل الاثنان في الجبهة الشمالية: بربر ، دنقلا وصواردة . مات علي أولاً وكان رجلاً حكيماً ثم صارت الزعامة خالصة لعبـد الله . كانت علاقاتهما بمحمد الخير مرتبكة ولم يكونا معه على وئام . وبعـد ذلك ارتبكت علاقاتهما بالبقارة ارتباكاً شديداً وقد أفضى ذلك في النهاية الى مأساة المتمة المشهورة ، اذ خرج عبد الله على المهدية وأعلن العصيان بينما كانت جيوش كتشنر تتقدم مما أدى الى هجوم جيوش محمود ولد أحمد على المتمة والقضاء على حركة عبد الله بصورة فظيعة . وكان أول من رفع رايـة المهدية في بربر أحمد حمزة الانقريابي الذي حضر واقعة شيكان ثم سار بعدها الى منطقة بربر ليقود الثورة حتى قدم محمد الخير.

وقد أمر وهو بالطريق بقطع السلك التلغرافي الموصل لأخبار الترك بعضهم البعض ، فقطعوه بالكلية وألقوا دعائمه على الأرض وأزالوا رسومه . وقطع السلك المذكور فيه نكاية بليغة للعدو إذ بأسباب السلك المذكور يحتاطون بالأخبار ويتمكنون من الاستعداد في ساعة ما لا يمكنهم أن يستعدوا بغيره في شهر أو أكثر . وعلى هذا القياس فقطعه عليهم من أكبر المصائب . وهكذا الشأن في الحروب ، فإن المقصد منها توهين أمر العدو وسد أوجه المقاصد عليه .

هذا وما زال محمد الخير سائراً وهو [٢٩٠] يدعو الناس في طريقه إلى الدخول في المهدية ، وهم يأتون إليه من كل فج إلى أن وصل إلى الدامر [١] . وهناك خاطب جميع من كان بمركز مديرية بربر من الترك وغيرهم وأنذرهم وحذرهم عاقبة المخالفة . فخرج إليه من المركز المذكور كل من أراد الله له السعادة ، فبايعهم وانضموا إليه . وبقي الترك ومن كان منضماً إليهم بالمركز وهموا على الخلاف وعدم الامتثال . ولم يزل محمد الخير يكرر لهم الانذارات على أيدي الرسل الواصلين إليهم ويعدهم بالجميل وأن يعاملهم بالرفق والاحسان أن أتوا إليه مسلمين ومنقادين فلم ينجع فيهم الأنذار . ولما أيس من خيرهم وعلم أن المواعظ لم تؤثر فيهم سير إليهم الجيوش من الدامر ارسالاً ، يتلو بعضها البعض ، وأمرهم بالنزول قرب البلد ومحاصرة من فيه من الترك ومن كان منضماً اليهم ، والتشديد عليهم في الحصار وأخذهم بالخناق والقعود لهم في كل مرصد ، وإن كل من خرج اليهم مسلماً منقاداً يعاملونه بالرفق والاحسان .

وقد كان أمر الأصحاب بأنهم يقعدون للترك بالمراصد ليشتد عليهم الحصر فيأتوا منقادين للمهدية . فأمر سعد ولد سالم من السعداب ومن كان معه بأن

---

(١) قلنا : بايعه في الدامر الامين أحمد المجذوب كبير المجاذيب في الدامر .

يكونوا بالجهة الجنوبية من البلد ، أعني جهة الصعيد [1] ، وينزلون بمحل يدعى قوز الفونج ، بينه وبين البلد مرمى الرصاص . وأمر علي ولد سعد وعبد الماجد أبا الكيلك ومن معهم أن ينزلوا بالجهة الشمالية من البلد بمحل يدعى حلة الدكة ، بفتح الدال وفتح الكاف المشددة . وأمر بعضاً من الجعليين وكثيراً من أهالي الجهة الغربية من بربر بأن ينزلوا بقرب البلد بالقرب [٢٩١] من البلد .

ثم سار محمد الخير بنفسه ومن بقي معه من الأصحاب إلى أن نزل بشاطىء النيل بقرب البلد جداً بحيث أن الرصاص المنفصل من أهل استحكام مديرية بربر يتعدى ذلك المحل . وبعد نزوله بالمحل المذكور كتب للترك المذكورين كتاباً يدعوهم فيه إلى الطاعة والتسليم لجناب المهدي عليه السلام وبالغ في انذارهم وهم يراجعونه بالمكاتبات يظهرون له أنهم سيأتون إليه منقادين ومسلمين . وفي أثناء ذلك يستعدون للحرب بتعميق خندقهم وتعلية الطوابي وغير ذلك من أوجه الاستعداد . وفي أثناء الأيام المذكورة يطلب الأصحاب الاذن من محمد الخير في معاجلة الترك بالحرب لما علموه من خبث ضمائرهم ، ومحمد الخير يتوقف عن الاذن ويتأنى بالترك لعل الله يهديهم لاتباع الحق فبينما هم على ذلك إذ أطلقوا على الأصحاب المدافع من الطوابي والبنادق من خط النار . وذلك صبيحة يوم الجمعة التاسع عشر من شهر رجب من سنة واحد بعد الثلثمائة والألف [2] . فلما رأى محمد الخير مبادرتهم على الحرب وأن اللين [3] أغراهم على التمادي في الاعراض وعلى الشقاق أمر الأصحاب بشن الغارة عليهم من كل جهة . فحاربوهم أيضاً

---

(١) قلنا : في المخطوط : السعيد ، وقد سبق أن لاحظنا هذا الرسم ، أي كتابة الصعيد بالسين بدل الصاد . ولسنا نرى تعليلاً لذلك .

(٢) قلنا : يوافق ذلك ١٦ مايو سنة ١٨٨٤ .

(٣) قلنا : في المخطوط : اللعين ، والصواب ما ذكرناه .

ووالوا عليهم الرمي بالبنادق، حتى منعوهم من المشي والذهـــاب نهاراً في داخل الاستحكام ، وضيقوا عليهم كل التضييق . وهم كذلك لا يزالون يضاربون الأصحاب وهم على الوابورات والمراكب المقطورة بالوابورات ، يحاربون يميناً وشمالاً ، حتى أستشهد من [٢٩٢] الأصحاب من أكرمه الله بالشهادة .

وقد كان الأصحاب عملوا لهم طوابي بالمراصد التي هم بها للمحاصرة فشددوا عليهم الحصر ووالوا عليهم إطلاق المدافع والرمي بالرصاص حتى منعوهم الفرار ودام الحرب بينهم مناوشة عديـــدة ليلاً ونهاراً . وفي يوم السبت التالي ليوم الجمعة المذكور جمع محمد الخير المذكور أصحابه وخطبهم بخطبة حثهم فيها على الصبر في مواطن الحرب وإن النصر مقرون بالصبر ، وأمرهم بأن يستعدوا للدخول على الأعداء داخل خندقهم صبيحة يوم الاثنين القابل هذا .

ولما اشتد الحال على الترك وضاقت عليهم الأرض بما رحبت أرسلوا الى محمد الخير يطلبونه أن يرفع منهم الجيش بحيث يتحول عن محل نزوله المذكور ويكفوا عن الحرب وأنهم شارعون في أسباب التسليم وبعد اتفاق كلمتهم يأتون مسلمين ومنقادين . فما التفت الى قولهم المذكور علماً منه انه مجرد محاولة وانه من مكائد الحرب لأن مقصودهم في الحقيقة التمكن من كمال الاستعداد للحرب . ولما كان يوم الاثنين الثاني والعشرين [1] من شهر رجب من السنة المذكورة صلى محمد الخير بالأصحاب صلاة الصبح ثم أمرهم بالحملة والدخول على أعداء الدين في خندقهم . فحملوا حملة رجل واحد والرصاص والجلل تعمل في الأصحاب من أيدي الأعداء وهم جادون في السير الى أن اقتحموا الخندق ودخلوا على الترك وأعلى الله ألوية

---

(١) قلنا : أي يوم ١٩ مايو سنة ١٨٨٤ .

الدين وأهبت رياح النصر [٢٩٣] المبين . فحملوا عليهم حملة كشفت صفوفهم وأرغمت بالذل والصغار أنوفهم فخالطوهم وتماوج الفريقان بداخل البلد في غمار تلك الحملة بين ضرب يزيل الهام عن المقيل وطعن يذهل الخليل عن الخليل . فولى الأعداء من ميدان الحرب جوى الخندق ليعتصموا بقصورهم الشاهقة ويتحصنوا في مكامن منازلهم الباسقة فأعجلهم الطلب عن التمكن من ذلك ، فأكثروا فيهم القتل ، ولم يفلت منهم إلا القليل . وجالت الخيل في داخل البلد . فكم هنالك من دماء سائلة ودموع هاطلة وصدور مكلومة وخدود بالنعال ملطومة . وبعد الإحاطة بالبلد وملكه كان بعض من الرؤساء ومدير المديرية المدعو حسين خليفة وغيرهم من الجهادية والذي سلم من أهل البلد من القتل دخلوا بيوتهم وغلقوا الأبواب عليهم . ثم طلبوا الأمان من محمد الخير فأمنهم وعفا عنهم وبايعهم. هذا وقد استشهد في هذه الوقعة من الأصحاب عدد قليل . وأما الهالك من الترك ومن انضم اليهم من البلد فكثير جداً (١) .

وها هنا انتهى بنا سابق اليراع في ميادين الطروس . وتم الكلام عن هذه السرية بما ترتاح له النفوس . أقول قد أخبرني بهذه الوقعة جماعة من أصحاب المهدي عليه السلام وكل منهم حدثني ببعض الحديث فاجتمع حديثهم في سياق ما ذكرته من أمر هذه السرية . وما توفيقي إلا بالله ولا حول ولا قوة إلا بالله .

---

(١) قلنا : لا يشير المؤلف الى ما يقال عن سابق اتفاق محمد الخير وحسين الخليفة إزاء الميل إلى المهدية وهو في نفس الوقت لا يمسه بشيء ولا يذكر اسمه في معرض كلامه عن مقاومة المدينة . ثم أنه لا يتعرض لذهابه بعد ذلك لمقابلة المهدي وأخذه البيعة ثم إرساله عاملاً عمومياً على قبيلة العبابدة لنشر الدعوة والاعداد للجهاد . وحسين باشا خليفة من قبيلة العبابدة وقد صار مديراً على بربر سنة ١٨٦٩ ثم صار مديراً على بربر ودنقلا معاً من ١٨٧١ الى ١٨٧٣ ذهب بعد فتح بربر الى الرهد وقابل المهدي وبايعه ووجد عنده اكراماً وقد عين أميراً عاماً على عموم العبابدة بالقطر المصري . وقد بارح السودان بعد ذلك مباشرة الا أنه لم يباشر نشاطاً . توفي في القاهرة ١٨٨٦ .

مطلب سرية الداير [1] :

سرية عبد الرحمن النجومي وحمدان أبي عنجة إلى جبل الداير : وفي ربيع [٢٩٤] الثاني من سنة واحد بعد الثلثمائة والألف [2] . كانت سرية جبل الداير . وما أدريك ما جبل الداير ! جبل يكاد يناطح النجوم ارتفاعاً مع ما عليه من الاتساع والعمق وصعوبة المرتقى التي يقصر الواصف عنها باعاً . جبل [3] كثير الأوعار والأنهار قد أحاطت به الأشجار كما أحاط بالمعصم السوار . وهو مشحون بالرجال الذين دأبهم مصادمة الأبطال فلذا لم يسمع في سالف الأزمان أن أحداً من الملوك سواء كانوا من ملوك الترك أو السودان علا على ذروة الجبل المذكور ، لانه صعب لا يرام وشامخ لا يقبل الاهتضام . ومع هذا كله فإن الله جلت قدرته لما أراد استنزال أهله من الصياصي وأخذهم مناولة بيدي أصحاب المهدي عليه السلام من النواصي ، سلط على الجبل المذكور الجيش المنصور الذين اتخذوا الجهاد لاعلاء كلمة الله تجارة لن تبور .

وذلك لأن أهل الجبل المذكور كانوا لا ينقادون لذي سلطان ولا يناولونه عنان الطاعة في غابر الازمان . حتى أن الترك كانوا يلاطفونهم بأنواع الحيـــل ليكفوا شرهم بانتشارهم في ضواحي البلد وأطراف الجهـــات النائية خوفاً من الافساد الحاصل منهم من قطع الطريق وتخويف السابلة . فاتفق أنه بعد حلول المهدي عليه السلام بقدير كان حضر عند أهل الجبل المذكور بعض من الاتراك راغبين منهم شيئاً من الأموال بالملاطفة والتحيل فقتلوهم وأخذوا ما عندهم من الاسلحة وغيرها . ثم أرسل أهل الجبل [٢٩٥] المذكور بعضاً من رؤسائهم إلى المهدي عليه السلام وهو بقدير مظهرين الانقياد للتسليم للمهدي عليه السلام ،

---

(١) قلنا : جاء هذا في الهامش .

(٢) قلنا : يوافق ذلك ما بين ٣٠ يناير و ١٧ فبراير سنة ١٨٨٤ .

(٣) قلنا : وهو بجوار الرهد . وسمى الداير لأنه مستدير القاعدة .

وأخبروه بما فعلوه مع الترك المذكورين . ثم عادوا من عند المهدي عليه السلام إلى جبلهم المذكور .

ولما حضر المهدي عليه السلام لكردفان غازياً للاتراك بتلك البلاد وفتح مدينة الابيض بلغه أن أهل الجبل المذكورين شنوا الغارة على أهل البلد ينهبون ويقتلون ويأسرون . فندب لهم عليه السلام عبد الرحمن النجومي وحمدان أبا عنجة في طائفة من الجيش وأمرهم بأن يدعوا أهل الجبل المذكور إلى الطاعة والكف عن الفساد ورد أموال المسلمين المنهوبة إلى أربابها وتسريح المأسورين . ثم ينتقلون بجميع نسائهم وعائلاتهم إلى بقعة المهدي عليه السلام بالأبيض ليتأدبوا بالآداب الدينية ويتمسكوا بالعرى الاسلامية . وإن امتنعوا من جميع ذلك فيناجزونهم الحرب إلى أن يقضي الله فيهم أمره .

فخرج الاصحاب المذكورون مجدين السير إلى أن نزلوا بحلة كتره ، بكسر الكاف وسكون التاء وفتح الراء والهاء الساكنة ، بسفح الجبل المذكور ، وهي من حلل الجبل المذكور . فإنه قد كان حول الجبل المذكور نحو عشر حلل محيطة به من جميع جهاته . فإذا أحس أهل الحلل المذكورة بطرد عدو أتى إليهم يحرزون أبناءهم ونساءهم وأموالهم في ذروة الجبل لأن به من العيون والاشجار والحلال الممتدة والغابات المشتبكة ما لا يعلمه [٢٩٦] إلا الله . ومع ذلك فقد منح الله أصحاب المهدي عليه السلام الظفر بالجبل المذكور ، كما سيأتي إن شاء الله تعالى .

هذا وبعد نزول الاصحاب بحلة كتره المذكورة قابلهم رئيسها المدعو تركوش على وزن برطوش [١] ، ومعه رجل يدعى الملك كنبو ، بفتح الكاف وسكون

---

(١) قالنا : هذا تعبير سوقي زل به قلم المؤلف ، غفر الله له .

النون وضم الباء ، وهو صاحب تدبيرهم والمرجوع إليه في أمورهم . فقابلا أصحاب المهدي بالطاعة واحضرا للأصحاب شيئاً من الغلال والمواشي . ثم بعد ثلاثة أيام قام الاصحـــاب من حلة كترة المذكورة ونزلوا بحلة تدعى سدره ، وهي من حلل الجبل المذكورة . وهي من أمتع حلله وأحصنها ، وبها رجل يسمى الملك الضو ، وهو المنظور إليه في أمر الجبل المذكور ، وصاحب حربهم والمطاع فيهم . وذلك لأن هذه الحلـــل المذكورة كل حلة منها لها رئيس يقوم بأمر من معه من أهل حلته[1]. والجميع يصدرون عن أمر الضو المذكور، ولا سيما إذا دهمهم حادث عظيم أو اعتراهم خطب جسيم ، فانهم يلوذون به ويصدرون عن رأيه. وقد كان بعد نزول الاصحاب بحلة كترة المذكورة طلبوا الضو المذكور فتوقف عن الحضور إليهم . فلذا قصده الاصحاب ونازلوا حلته التي هي سدره فأقاموا بها سبعة أيام يدعون الضو المذكور الى الطاعة . وفي خلال هذه الايام أحرز الضو المذكور جميـع أهل حلته من نساء وأطفال وضعاف ، وعواجز وجميـع الاموال إلى ذروة الجبل وأعلاه واستعد للحرب [٢٩٧].

ثم بعد اليوم السابع حضر للاصحاب وأظهر لهم الطاعة وأنه يعود الى قومه ويأتي بهم أجمعين طائعين . فرجع الضو الى قومه وأمرهم بالاستعداد للحرب والتهيؤ له . واتضح للأصحاب خبث نيته وعزمه على الحرب . وإنما لم يعاجلوه من أول مرة لأن دأب المهدي وخليفته بل وعامة أصحابه عليـــه السلام عدم المبادرة الى اتلاف العباد بالحرب الى أن يبالغوا في إنذارهم وموعظتهم ويتضح لهم خيانة العدو وعدم تسليمه وتصميم العدو الى الحرب ، حتى بعـــد ذلك يناجزونهم الحرب. فعند ذلك استعد الأصحاب للحرب ورتبوا الجيش وقصدوا

---

(١) قلنا : بل وكل حلة تعتبر نفسها وحدة قائمة بذاتها وقبيلة منفصلة وتتخذ اسم قبيلة عربية على اعتبار أنها من سلالتها كالمسلمية والعركيين الخ .

الضو وقومه بالجبل . فحمل أولياء الله على أعدائه حملة كشفت صفوفهم وأرغمت بالذل والصغار أنوفهم . وتماوج الجيشان في غمار تلك الحملة بين طعن ينثر أدمغة الهام وطعن ينزف حشاشته الأجسام . وأعلا الله ألوية الإسلام ، فولى الأعداء نحو الجبل اعتصاماً بذروته الشاهقة وانحصاراً في مكامنه الباسقة ، فأعجلهم الطلب عن التمكن من الصعود إلى منتهى الجبل ، فأكثروا فيهم القتل والأسر ، ولم يفلت منهم إلا القليل فاحتمى بذروة الجبل .

وقد انضم إلى الباقي منهم أهل حلة كندكرة وهم بذروة الجبل أيضاً ، وحمي الحرب بين الطائفتين واستحر القتل في الأعداء فمنحوا الأصحاب أكتافهم قتلاً وأسراً . ومن سلم من المقتلة احتمى بالكهوف والغيران بداخل الجبل لأنه من الحصانة بمكان كما تقدم . وقتل رئيسهم الضو المذكور شر قتلة وقطعت رأسه ونصبت بالديم محل نزول الأصحاب ليكون عبرة لأمثاله . هذا وقد انفصل الحرب [٢٩٨] بعد المغرب من ذلك اليوم فرجع الأصحاب ومعهم الأسارى نحو الألف وأما المواشي والغلال فمما لا يعد ولا يحصى . ووقعة سدرة هذه هي أول وقعات الجبل المذكور .

وفي اليوم الثاني من هذه الوقعة أرسل أمير السرية رجلاً يدعى الفضل بن عبد الله إلى المهدي عليه السلام وخليفته عليه رضوان الملك العلام مبشراً بالنصر . ثم أرسلت الأساري والغنائم المذكورة إلى بقعة المهدي عليه السلام بالأبيض فأمر عليه السلام بتسليمها لأمين بيت مال المسلمين . ثم أن المهدي عليه السلام عفا عن المذكورين وبايعهم وأمرهم بالرجوع إلى محلهم بجبل الداير المذكور ، وأنهم يقيمون مع جميع عائلتهم بالقرب من محل الأصحاب هناك بالداير ، ليتأدبوا بآداب أهل الإسلام ، لأن المقصد هدايتهم وتوصلهم إلى الله . فقاموا من الأبيض ووصلوا بمحلهم جبل الداير وأخبروا أهاليهم بجميع ما قاله لهم المهدي عليه

السلام فقام منهم جملة وافرة وانضموا اليهـم ، والجميع نزلوا بالقرب من الأصحاب وأقاموا هناك بعائلاتهم . حتى أنهم بنوا لهم مسجداً عظيماً واسعاً من القصب ظناً منهم ان المهدي عليه السلام ربما يمر على الجبل المذكور فيصلي في المسجد المذكور . فأقاموا هناك وخالطوا الاصحاب .

وقد كان بعد توجه المهدي عليه السلام من الابيـض غازياً للخرطوم نزل بالرهد ، فحضر عنده جماعة من رؤساء الجبل المذكور فبايعـوه وأمرهم عليه السلام بالانتقال بجميـع عائلاتهم والحضور عنده عليه السلام بالرهد فامتثلوا الامر . ثم لما رجعوا إلى محلهم بالداير مكروا ونووا الغدر . فبينما هم مـع الاصحاب بالديم بجهة الداير إذ قاموا ليلاً وأصعدوا جميع عائلاتهم وأموالهم [٢٩٩] وأحرقوا المسجد المذكور وارتفعوا الى الجبل بأجمعهم وبارزوا الاصحاب بالحرب وجرى منهم ما سنذكره .

وبعد هذه الوقعة بعث المهدي عليه السلام عبد الله ولد النور وعبد الله ولد جبارة وحمد النيل حامد ومن معهم مدداً للجيش المذكور بالجبل . وبعد هذه الوقعة أتى لحمدان أبي العنجة وعبد الرحمن النجومي رجل من أهل الجبل يدعى عبد الباقي طائعاً ومعه جماعة من قومه فأخبروهما بمحل اجتماع الشريد من القتل من أهل حلة سدرة مع من انضم إليهم من أهل حلة كندكرة . فقام عبد الرحمن النجومي وحمدان أبو العنجة وأخذا معهما من الجيش أهل الاقدام والجرأة وتركا بمحل نزولهم من الأصحاب من يكون محافظاً عليه وأخذوا معهم الرجل المذكور ليوصلهم لمحل اجتماع الخبثاء المذكورين . فتقدم حمدان أبو العنجـة فكان في مقدمة الجيش . وأما عبد الرحمن النجومي فإنه في ساقة الجيش . والرجل المذكور مع حمدان سائراً بين يديه . وبعد الصعود على الجبل تلجلج الرجل المذكور وأراد عدم ايضاح المحل المذكور ، فهدده حمدان أبو العنجـة

بالقتل إن لم يوصله الى الجبل المذكور ، فدلهم على المحل خوفاً من القتل . وقد كان صعود الأصحاب للجبل في يوم الوقعة الآتية قريباً بعد صلاة الصبح . فما وصلوا لأعلاه إلا بعد الزوال لعلو الجبل وصعوبة الصعود الى الغابة لاشتباك الاحجار والاشجار وضيق الطريق جداً وملاسة الحجارة التي يمر الانسان عليها. حتى أن الرجل يستمسك بالشجرة عند الصعود ليعتمد عليها لئلا تزل قدمـــه فيهوي [1] في الكهوف والمهاوي الهائلة . والبعض من الجيش يزحف على صلبه لعدم تمكنه من الصعود على قدميه [٣٠٠] لصعوبة الحال . حتى أن العرق يسيل إلى الاقدام ويتساقط من الأجسام حتى كأنها ممطورة من شدة البلل بالعرق، لصعوبة المرتقى . فجزاهم الله الجزاء الجميل وأجزل لهم المثوبة في يوم يذهل فيه الخليل عن الخليل .

هذا وأول واصل إلى أعلا الجبل حمدان أبو عنجة ، فقـــذف نفسه في نحر العدو وانتشب الحرب واشتد القتال واشتبك الدخان المنفصل من الاسلحـــة النارية من الطائفتين حتى أظلم الجو . فإن الأعداء أيضاً معهم الأسلحة النارية التي أخذوها واختلسوها في بعض وقعات المهدية كوقعة الهكس الهالك وغيرها وهربوا بها إلى الجبل ، كون أهل الجبل المذكور إذ ذاك مظهرين الطاعة للمهدي عليه السلام قبل نكوصهم على الاعقاب وغير ذلك من الاسلحة النارية التي كانوا حصلوها في مدة الأتراك . هذا وفي أثناء القتال انفصلت طائفة من جيش الخبثاء الملاعين وعمدوا نحو عبد الرحمن النجومي ليوقعوا به في ساقة الجيش على حين غفلة ، كون المذكورين متمكنين من الجبل وأعرف بأغواره ونجوده ، يعني المحلات المنخفضة والمرتفعة منه ، فنذر بهم عبد الرحمن النجومي وانتشب

---

(١) قلنا : في المخطوط : فهوى .

الحرب بينهم أيضاً واقتتلوا قتالاً شديداً . فصار كل من حمدان أبي عنجة وعبد الرحمن النجومي يقاتل في جهة من جهات الجبل ، لأن كلا منهما بصدد العدو . ودام القتال بينهم الى ان حجز بينهم الليل . ولله در حمدان أبي العنجة فانه قذف شياطين جبل الداير بشهب البنادق وسقاهم كؤوس الردى من حدود السيوف البوارق . واستشهد في هذه الوقعة من الأصحاب نحو الإحدى عشر رجلا . وأما الأعداء فهلك منهم ما لا يحصر . ثم نزل الأصحاب من الجبل بعد غروب الشمس من ذلك اليوم . وهذه ثانية وقعات الداير .

وبعد [٣٠١] هذه الوقعة نزل أهل كندكرة بنسائهم وعائلاتهم طائعين لأن الحرب قد نهكتهم . فأمرهم عبد الرحمن وحمدان بأن ينزلوا بمحل قريب من محل الأصحاب ويقيمون هناك فامتثلوا وأقاموا بقرب الأصحاب. ثم ان المهدي عليه السلام أرسل الى حمدان أبي عنجة طالباً حضوره عنده بالرهد ، لأن المهدي عليه السلام إذ ذاك خرج من مدينة الأبيض غازياً للخرطوم فنزل بالرهد لينظر ما يكون عليه أمر الجبل المذكور ثم يسافر الى مقصده . فصادف حمدان في طريقه عشرين رجلاً من أهل حلة كترة فسألهم عن قصدهم فقالوا له نريد الوصول لأصحاب المهدي بالديم بحلة سدرة . فاتضح لحمدان أبي العنجة خيانتهم . فان حمدان كان ذا فراسة صادقة ولا سيا في أمور الحروب فأسرهم أجمعين ووضع الزنجير على رقابهم وأرسلهم إلى عبد الرحمن النجومي . وتوجه إلى الرهد لمقابلة المهدي عليه السلام ثم عاد . ولما علم أهل كترة ما حصل لأصحابهم العشرين أظهروا العداوة وقطعوا الطريق ما بين الاصحاب الذين هم بحلة سدرة محل نزول الاصحاب من جبل الداير وبين الرهد محل إقامة المهدي عليه السلام ، حتى قتلوا من قتلوا وأخذوا ما أخذوا من الأموال . واتفقت كلمة أهل حلة كترة المذكورين وحلة الكور وحلة ايقرة والدار الكبيرة من حلل الجبل أيضاً على الحرب .

وسبب ذلك التوافق والتعاهد على الحرب هو أنه بعد حضور المهدي عليه السلام بالرهد كان حضر عنده رؤساء الجبل المذكور فأمرهم بالهجرة إليه بالرهد هم وعائلاتهم فامتثلوا وفي نفوسهم من ذلك شيء . وقد كتب المهدي عليه السلام كتاباً إلى حمدان أبي عنجة يأمره فيه بأنه [٣٠٢] ينبه على كافة أهالي الجبل المذكور ويأمرهم بالهجرة إلى الرهد . فأرسل حمدان المذكور جماعة إلى أهل الجبل في جميع حلالاتهم يأمرونهم بالهجرة إلى المهدي عليه السلام بالرهد. فصار رسل حمدان يمرون عليهم بالحلالات ويأمرونهم بالهجرة فيظهرون للرسل الرضا والامتثال . وبعد انصراف الرسل منهم ينقضوا العهد ونووا الغدر وتصمموا على الحرب وتعاقدوا عليه فأحرروا النساء والذرية والأموال في مكامن الجبل بمحل يقال له جعبة [١] عين البئر ، وهو أعظم منهل عندهم . فاجتمع بذلك المنهل من النساء والذراري والعواجز والاموال ما لا يحصى .. واستعد الخبثاء أهل الجبل غاية الاستعداد وتعاقدوا على الموت أو النصر في هذه الموقعة . فعند ذلك انتدب لهم حمدان أبو عنجة وعبد الرحمن النجومي ومعهم من أبطال الرجال وأهل الحزم والاقدام ما يوجب لهم النصر والظفر . وتركوا عبد الله ولد النور وعبد الله ولدجياره وحمد النيل حامد وباقي الجيش لحفظ المحل من تطرق أهل الفساد كون جميع أهالي الجبل إذ ذاك ليسوا على شيء من الطاعة يعتد به ويعول عليه فجعلوهم ردءاً ومحافظين على المحل بذيم سدرة .

ثم بعد صلاة الظهر خرج جيش الأصحاب قاصدين الصعود على الجبل فجدوا السير حتى باتوا بحلة كثرة . ثم بعد هجعة من الليل قاموا ومعهم من أهل الجبل

---

(١) قلنا : اسم موضع لم نتأكد من رسمه ، هل هو جعبة بالعين أو جغبة بالغين ، وقد بدا لنا أن ما فوق العين سكون فيظنه المرء نقطة ويحسب الحرف غيناً ، وإلا فهو جعبة .

من يدلهم على الطريق فوصلوا بحلة أيقرة عند صلاة الصبح فوجدوها خالية من أهلها لكونهم اجتمعوا مع أهالي الحلل المذكورة وانحازوا إلى الجعبة المذكورة. فصلوا هناك صلاة الصبح ثم قصدوا الجعبة المذكورة التي هي مكمن نساء الأعداء والعائلة والأموال. [٣٠٣] وفي هذه الوقعة عبد الرحمن النجومي في مقدمة الجيش وحمدان أبو عنجة في الساقة. ولما وصل الأصحاب بقرب الجعبة المذكورة قابلهم هناك أهل الجبل في جمع عظيم وقد كانوا قسموا جيشهم طائفتين طائفة جعلوها في الجهة الشرقية من الجعبة وطائفة جعلوها في الجهة الغربية من الجعبة. فأحاطوا بنسائهم وذراريهم وأموالهم من الجهتين وجعلوها في الجعبة المذكورة والطريق شرقاً وغرباً كما ذكرنا. ولا تنس كثرة الأشجار واشتباك الاوعار وترا لم الأحجار فانهم متمكنون غاية التمكين من ضرر الأصحاب، لولا لطف الله بأصحاب المهدي ووعده لهم بالنصر ولا سيما وهم أعرف بمكامن الجبل المذكور وسهله ووعره، فكانوا متمكنين من الجهة العالية والأصحاب في وهدة من أرض الجبل سالكين الطريق الموصلة إلى الجعبة المذكورة، لأن الوصول إليها هو مطمع نظر الأصحاب، لأنهم إذا تمكنوا من الجعبة المذكورة لم يبق لأهل الجبل المذكورين قرار ولا موضع يجتمعون به، ولا يجدون لتخليص النساء والعائلة سبيلاً. فكان نظر الأصحاب متوطئاً بذلك أعني الوصول إلى الجعبة، ولو لم يبق منهم إلا واحد لهذه الحكمة. فحاصل ما عليه أمرهم أنهم عزموا على الوصول إلى الجعبة أو الموت دونها.

وعند الملاقاة أطلق أهل الجبل على الأصحاب البنادق من الجهتين المذكورتين وانتشب الحرب بينهم. وأطلق الأصحاب عليهم البنادق أيضاً وأمطروا عليهم من الرصاص ما يكاد [٣٠٤] يستر الشمس، وأظلم الجو من الدخان وأظلمت الأرض من كثرة الدخان حتى لا يكاد يبصر الرجل ما حوله. واشتد

الحرب . وكلما أحرقت أهل الجبل نيران الرصاص يفرون ثم يعودون للحرب وهكذا . والأصحاب يحاربونهم وهم سائرون وقاصدون الجعبة . ولم تمنعهم شدة المحاربة عن قصدهم . وهم في أثناء الحرب يلجئون أهل الجبل من مضيق إلى مضيق وينفونهم من طريق إلى طريق إلى أن وصل الاصحاب للجعبة التي هي محل اجتماع النساء والذراري والاموال . وهناك اشتد القتال وبسطوا عليهم أيدي القتل والايثاق والنهب والأخذ بالخناق . وتتبعوا مكامن الجعبة المذكورة يقتلون ويأسرون وازدادت الحرب انتشاباً عند الوصول إلى المحل المذكور ووطن أهل الجبل نفوسهم للموت لاستنقاذ النساء والذرية من الأسر . وجد الأصحاب في الحرب حتى أفنوا أهل الجبل قتلاً حتى سرى القتل إلى النساء والصبيان والحيوانات المتوحشة كالسباع وغيرها . أخبرني من حضر الوقعة أنه بعد انفصال الحرب وجد كثيراً من الحيوانات مقتولاً بالأسلحة النارية كالنمور وغيرها لأن المحل المذكور مع ما عليه من كثرة الأحجار مملوءة بالغابات والأشجار الملتفة ، حتى أن الرجل لا يكاد يبصر من حوله من شدة اشتباك الأشجار وتراكم الأحجار . وقد أحرز الأصحاب النساء والذراري والأموال وألجأوا أهل الجبل إلى أقاصي الجبل وأدخلوهم في الكهوف والغيران وذلك إلى الزوال . وقد بلغوا من العطش والشدة [٣٠٥] ما لا يعلمه إلا الله . حتى أن بعض الأصحاب إذا تنخم تخرج منه النخامة سوداء لامتزاجها بدخان البارود .

ثم إن حمدان أبا عنجة وعبد الرحمن النجومي سلموا النساء والذراري والأموال لرجل يدعى شيخ بخيت من الجهادية من ذوي الحزم والعزم والإقدام وأمراه أن ينزل بها من الجبل ومعه من الجيش شرذمة من أهل الأسلحة النارية للمحافظة على من ذكر وحمدان وعبد الرحمن مع الجيش بالجعبة محل الوقعة ردءاً للجيش . وعند توجه شيخ بخيت المذكور بالغنائم تجمع أهل الجبل الذين كانوا

ببطون الكهوف ومكامن الأشجار والأوعار واعترضوا عليه في الطريق وحاربوه . وقد كانوا ألقوا على طريقه الغصون الكبيرة من الشوك والأحجار ليسدوا عليه الطريق ويمنعوه من المرور ليتمكنوا من استنقاذ نسائهم وأبنائهم . وهو أيضاً يحاربهم أشد المحاربة ويمضي قدماً قدماً نازلاً . ولما بلغ الجيش مضايقة شيخ بخيت المذكور وتتابع أهل الجبل على حربه انفصل عبد الرحمن النجومي في جريدة من الأصحاب وأسرع لاحقاً بشيخ بخيت فوجده يحارب أشد المحاربة ، وانتشب القتال وبينما هم في ذلك إذ حضر حمدان أبو عنجة وباقي الجيش ففرق جمع أهل الجبل [٣٠٦] وشتت شملهم وانفتح الطريق المذكور . ونزل شيخ بخيت بجميع من معه من النساء والذرية والأموال . وتكامل باقي الجيش في النزول من الجبل . ثم نزل حمدان وعبد الرحمن النجومي آخر الناس .

وقد استشهد في هذه الوقعة ، وهي وقعة جعبة عين البئر ، نحو الثمانمائة وأكثر رجلاً من الاصحاب . وأما أهل الجبل فهلك منهم عدد كثير جداً حتى هلك في هذه الوقعة النساء والصبيان والوحوش كما تقدم لكثرة الضرب والازدحام وترادف الظلمات ، أعني ظلمة آخر الليل بلصق الفجر وظلمة الدخان المنفصل من الاسلحة النارية وسواد الناس المزدحمين في ذلك المحل . وهذه[1] ثالثة وقعات الجبل . وقد نزل الاصحاب من الجبل بعد انفضاض الحرب بحلة الكور بلصق الجبل بمقابلة حلة كترة . وبعد هذه الوقعة حضر جماعة من رؤساء الجبل وهم كوكو الكبير وحماد ومكين طائعين منقادين لان الحرب نهكتهم وأفنت رجالهم . فأمرهم حمدان أبو عنجة وعبد الرحمن النجومي بأن يتوجهوا هم وجميع من معهم من قومهم حتى النساء والصبيان للمرهد

---

(١) قلنا : في المخطوط : وهو .

ويقيموا هناك مع المهدي عليه السلام ليتأدبوا بآداب الإسلام وأهله . فتوجهوا بأجمعهم إلى الرهد وأقاموا هناك .

وبعد هذه الوقعة بلغ الاصحاب أن أهل حلة مندر وحلة العين قد تجمعوا [٣٠٧] للحرب فقام عبد الرحمن النجومي وحمدان أبو عنجة ومعهما من الجيش أهل الاقدام والحزم وقصدوا أهل الحلتين المذكورتين . فنزل حمدان أبو عنجة بمقابلة حلة العين ونزل عبد الرحمن بمقابلة حلة مندر وهم بمرأى العين في حالة النزول المذكور والجيش متصل بدون تفريق وأرسلوا لأهل الحلتين المذكورتين يدعونهم إلى الطاعة ، فحضر لهم رجل اسمه حولي وهو رئيس حلة مندر مظهراً الطاعة والانقياد . وقد كان قبل حضوره رفع النساء والذراري والأموال بأعلى الجبل وأتى بنفسه فقط لينظر في الأمر . فلما تحقق للاصحاب خيانته أسروه . وأما أهل حلة العين فصعدوا الجبل هم وأبناؤهم ونساؤهم ومعهم أموالهم . وانضم إليهم أهل حلة كملة أيضاً . والجميع ارتفعوا على الجبل .

فقام حمدان وأخذ معه طائفة من الجيش وقصدوهم وقال لعبد الرحمن النجومي خذ معك باقي الجيش واصعد الجبل من طريق حلة مندر وهو، يعني حمدان ، يصعد الجبل من طريق حلة كملة . وتواعدوا على الاجتماع في أعلى الجبل في وقت واحد . وقد كان عبد الرحمن النجومي أخذ معه حوليّا المذكور رئيس حلة مندر ليدله على محل اجتماع المذكورين بالجبل فامتنع عن ذلك فأمر عبد الرحمن بضرب عنقه فقتل . ثم صعدوا الجبل فصادفوا أهل حلة مندر هناك فاقتتلوا قتالاً شديداً . وأما[1] حمدان أبو عنجة فإنه صعد الجبل من

---

(١) قلنا : في المخطوط : وأن .

طريق حلة كملة فصادف أهل تلك الحلة فحاربهم أشد [٣٠٨] المحاربة وقذفهم برجوم الرصاص من كل جانب ودحرهم عن الثبات مع النساء والذراري بعذاب واصب . واستمر يحارب في الجهة التي هو فيها وعبد الرحمن النجومي كذلك يحارب في الجهة التي هو فيها . ولاشتداد الحرب وتماوج أصوات الأسلحة النارية وكثرة الأحجار والأشجار واتساع الجبل وبعد أطرافه ظن كل منهما أن أصوات الأسلحة النارية المسموعة له إنما هي من الأعداء ، حتى قتل بعض الأصحاب بعضهم بالاسلحة النارية في أثناء ذلك لما علمت من اتساع الجبل واشتباك أشجاره وأحجاره . وقد تفرس حمدان أبو عنجة في تلك الاصوات فعلم أن الأسلحة المذكورة هي أسلحة الاصحاب فأمر بالنفخ في البوري ليشعرهم بذلك ويعلمهم بالكف عن الضرب لئلا يقع التلف في الاصحاب . فلما سمع عبد الرحمن النجومي ومن معه صوت البوري المذكور علموا حقيقة الأمر وأن الأسلحة المذكورة هي أسلحة الأصحاب لا أسلحة العدو فكفوا عن الضرب .

ثم اجتمع الفريقان وحاربوا اهل الجبل المذكورين أشد المحاربة وقتلوا منهم مقتلة عظيمة وأسروا منهم أسرى كثيرين . ولما رأى الباقون من أهل الجبل ماج واضطرب من شدة الحرب وموالاته عليهم حتى صار يلفظهم يميناً وشمالاً ويطرحهم جنوباً وشمالاً واختل جمعهم وصم عن سماع الراحة والاطمئنان سمعهم فتفرقوا أيادي سبأ ، فبعضهم فر من جبل الداير هارباً لأقاصي الجبال الصعيدية ، وبعضهم اختفى في بطون الكهوف وبطون الأودية . وبهذه الوقعة وهي رابعة الوقعات تلاشى أمر جبل الداير ودارت عليهم من أصحاب المهدي عليه السلام [٣٠٩] الدوائر . فبعد ذلك نزل الأصحاب من الجبل بحلة مندر .

ثم إن المهدي عليه السلام أرسل موسى محمد حلو أخا سيدنا خليفة الفاروق ومعه جيش عظيم مدداً للأصحاب الذين بجبل الداير . وبعد الوقعة المذكورة

قام حمدان أبو عنجة وأخذ معه بعضاً من الجيش ونزل بحلة كملة بمنهل الماء ليرتقب أهل الجبل المختفين في الكهوف وبطن الأودية لعلهم يردون المنهل فيأخذهم فلم يأت إليه أحد ثم إن عبد الرحمن النجومي أخذ معه طائفة من الجيش ومعه موسى ولد محمد حلو وقصد حلة فرلة ونازلها ودعا أهلها إلى الطاعة ورئيسهم رجل اسمه حديد . وقد كان عبد الرحمن النجومي أرسل إليهم الصديق ولد الكناني داعياً لهم الى الطاعة. فصاروا يحاولونه الى سبعة أيام . وبينما هم على ذلك إذ أتى إليهم عبد الله ولد النور وعبد الله ولد جبارة ومعهما جيش عظيم . فلما رأى رئيس الحلة المذكورة كثرة الجيش وسلاطة الأصحاب خشي من رحى الحرب أن تحصده مع أهله فنزل هو ومن معه من أهله طائعين ومسلمين . فسيرهم عبد الرحمن النجومي لبقعة المهدي عليه السلام صحبة عبد الله ولد النور. وقد تلاشى أمر الجبل واضمحل كل الاضمحلال ولم يبق فيه إلا من لا يعتد به . فكتب عبد الرحمن النجومي وحمدان أبو عنجة إلى المهدي عليه السلام وخليفته عليه رضوان الملك العلام يخبرانهما بجميع ما وقع من أمر الجبل تفصيلاً وأن أمر الجبل المذكور [٣١٠] بلغ الغاية في الاضمحلال فرد لهما عليه السلام الخطاب بهذا الجواب ولفظه كما نقلته من خطه الشريف :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم .

وبعد فمن المفتقر إلى الله محمد المهدي بن عبد الله إلى أحبابه في الله وأصفيائه المكرمين عبد الرحمن النجومي وحمدان أبي عنجة وموسى حلو عملاء المهدية ، جزاهم رب البرية خيراً وإحساناً وتولاهم الله .

نقريكم السلام ونعرفكم أن جوابكم ورد علينا . والحال كما ذكرتموه صار معروفاً . والحال ما دام أن المطلوب نصرة الدين وقد حصلت وظفركم الله على أعدائكم ، فجزاكم الله عنا كل الخير وعن الاسلام والمسلمين حيث صبرتم وجاهدتم لوجه [الله] وللآخرة أردتم ولما عند الله قصدتم وفي الله تعبتم وعلى المقصود حصلتم بمقاساتكم لشدائد كالجبال .

فبوصول هذا إليكم حالاً احضروا جميعاً أنتم ومن معكم كما كاتبكم خليفة الصديق ، ولا يكون لكم تعويق إلا مسافة الطريق . هذا وبارك الله فيكم وعليكم وأنمى فضلكم إلى لقاء ربكم آمين .

وتاريخ هذا الكتاب في الثامن عشر من شهر شعبان في سنة واحد بعد الثلمائة والألف (١).

ثم بعد ورود هذا الكتاب إليهم أرسلوا إلى طوائف الجيش النازلين بأكناف الجبل المذكور في جميع جبهاته بأن يحرقوا الديوم التي كانوا مقيمين بها ويوافونها بمحل يدعى البروكي . ففعلوا جميع ما ذكر واجتمعوا بالمحل المذكور [٣١١] ووصلوا إلى الرهد مصحوبين بالسلامة .

وإلى هنا انتهى ذكر سرية جبل الداير . وقد أخبرني بها الثقة من أصحاب المهدي عليه السلام فأثبتها على هذا المنهج . والله ولي التوفيق والهادي إلى أقوم طريق .

---

(١) قلنا : يوافق ذلك ١٣ يونيو سنة ١٨٨٤ . انظر المرشد إلى وثائق المهدي رقم ٣٢١ و ٣٢٢ وانظر مادة الدائر في هذا المصدر . وانظر رسالة الخليفة التي يشير إليها المهدي في مخطوط توشكي .

مطلب سرية محمد عثمان أبو قرجة [1] :

سرية محمد عثمان الشهير بأبي قرجة إلى صالح ولد الملك الشايقي [2] ومنه إلى الخرطوم ، وذلك في جمادى الأولى سنة واحد بعد الثلثمائة والألف [3] .

قد كان صالح ولد الملك الشايقي قضى في دولة الترك معظم عمره وأقام في توطيد الرئاسة بعزمه دعائم أمره . فاتفق أنه كان بالصعيد من أرض الجزيرة يحارب أهالي فيزغلي [4] وما والاها وهو إذ ذاك في حزب الترك . فرجع من تلك البلاد فلما وصل لجهات ولد مدني [5] اعترضه محمد بن الطيب البصير ومن معه من أهالي الجزيرة فحاربوه حتى منعوه من المسير . فنزل وعمل له خندقاً بمحل يسمى فداسي بشاطىء النيل قريباً من المسلمية وصار يناوشهم القتال بالغدوات والعشايا .

ثم إن المذكور لما أدركته العناية الأزلية باندراجه في زمرة أصحاب المهدي

---

(١) قلنا : كان محمد عثمان أبو قرجة من أبكار المهدية وأصله دنقلاوي من بلدة القطينة . كان يعمل بالتجارة قبل المهدي على حساب بعض البيوتات التجارية . اشترك في حصار الخرطوم وتولى قيادته حتى جاء النجومي . عمل في عهد الخليفة في شرق السودان عاملاً بينما تولى عثمان دقنة إمارة الجيش . أرسل بعد ذلك إلى الرجاف وسجن . بقي في السجن حتى الفتح . وقد عاد ليعيش حياة عادية في قرية أم غنيم . وقد قيل انه صار عمدة . توفي في أم درمان سنة ١٩١٦ .

(٢) قلنا : صالح الملك من قبيلة الشايقية . التحق بالجيش المصري وترقى فيـــه . ساهم في النشاط الموجه لقمع حركة المهدية في الجزيرة حتى حوصر في فداسي . سلم لأبي قرجة وسجن لاتهامه في ولائه . أطلق سراحه بعد فتح الخرطوم . توفي سنة ١٨٩٠ بالقرب من القطينة .

(٣) قلنا : يوافق ذلك ٢٨ فبراير إلى ٢٩ مارس سنة ١٨٨٤ .

(٤) قلنا : يقصد : فازوغلي .

(٥) قلنا : يقصد : ود مدني .

عليه السلام كتب للمهدي عليه السلام جواباً أرسله إليه وهو عليه السلام إذ ذاك بكردفان مظهراً في ذلك الجواب الندم على ما فرط منه مقلعاً عما هو بصدده من متابعة الترك ويرغب أن يرسل له جماعة من أصحاب المهدي عليه السلام المتنورين بأنوار مذاكرته عليه السلام ليلقي عنان التسليم بأيديهم [٣١٢] لكون صالح المذكور وقعت بينه وبين أهالي الجزيرة جماعة محمد الطيب البصير حروب أريقت فيها دماء كثيرة فخشي من التسليم إليهم والانقياد لهم أن يحل به ما يكره . فلذا خاطب المهدي عليه السلام بما ذكر فأرسل له المهدي عليه السلام محمد عثمان أبا قرجة يدعوه إلى الدخول في سلك أصحاب المهدي عليه السلام . وبعد تسليمه وانقياده بتوجه محمد عثمان المذكور إلى الخرطوم ليدعو أهله إلى متابعة المهدي عليه السلام وإن لم يذعنوا للحق يحاربهم .

فتوجه محمد عثمان ومن معه من أهل رايته من الجيش إلى أن نزلوا بجهة فداسي بقرب الخندق الذي عمله صالح المذكور . وبعد نزوله هناك أرسل إلى صالح المذكور فخرج إليه هو ومن معه طائعين منقادين وانتظموا في سلك أصحاب المهدي عليه السلام .

ثم إن محمد عثمان نادى بالنفير العام في أهل الجزيرة وأن لا يتخلف منهم أحد المسير إلى الخرطوم [١] . فوصل هناك ونزل بمحل يسمى الجريف بشاطىء النيل قريباً من الخرطوم . وبعد وصوله كتب إلى غوردون باشا ومن معه داعياً لهم إلى متابعة الحق ورفض ما كانوا عليه من الضلال فلم يلتفتوا إلى قوله . وقد

---

(١) قلنا : تحت أيدينا الآن معلومات مستفيضة عن حصار الخرطوم : انظر : حصار الخرطوم (رسالة ماجستير) للاستاذة ميمونة ميرغني حمزة . انظر تقرير نصحي باشا وأصله بدار الكتب المصرية وقد نشرت دار الوثائق المركزية الترجمة الانجليزية له . وانظر باب الخرطوم في المرشد إلى وثائق المهدي .

كان بعد وصوله إلى الجريف المذكور سير صالحاً ولد الملك المذكور إلى المهدي عليه السلام فوافاه بالرهد وبايعه ولازمه .

ولما تبين لمحمد عثمان تصميم أهل الخرطوم على الحرب [٣١٣] عزم على حصرهم ومناجزتهم الحرب فتقدم إلى ذوي الرأي من أصحابه بأن يعينوا لهم محلاً بجهة بري بقرب الخرطوم جداً ليعقدوا فيه للحصار ففعلوا . وأمر ببناء طابية وجعل عليها مدفعاً ووكل بها من يحافظ عليها ليلاً ونهاراً خشية من حدوث حادث . وأمر شيخ فضلو أحمد ومن معه من أهل رايته أن ينزلوا بجهة البحر الأبيض بمقابلة الخرطوم مما يلي شجرة ماحي بيك [١] فنزل هناك وعمل له طابية كذلك . واستعدوا غاية الاستعداد وشرعوا في التشديد على الترك بالحصار وناوشوهم القتال بالغدوات والعشايا فيقتلون ويقتلون إلا ان القتل في الترك أكثر. ودام القتال بينهم على هذا المنوال مدة مديدة . فتارة يأتي جيش الترك على الوابورات المصحفة [٢] بالحديد الفولاذ مشحونة بالرجال المقاتلة على البحرين . وتارة يخرجون قلعات بالبر ويحاربون ، وهكذا . ولما اشتد عليهم الحصر وقعد لهم الأصحاب بكل مرصد حتى منعوهم من الانتشار وصدوهم عن الخروج للتصرف في حوائجهم عزموا على رفع الديم وفك الحصر عنهم أو يموتوا دون ذلك .

---

(١) قلنا : هذا موضع تعددت أسماؤه ، وهو بجنوب الخرطوم . كان شجرة النقارة ثم سمي في التركية شجرة محو بك (وليس ماحي كما يقول المؤلف) نسبة الى محو بك الذي تولى الحكمدارية بعد عثمان بك جركس . ثم صار شجرة غردون بعد الفتح الثنائي . ثم اتفــق الناس بعد ذلك على الشجرة معروفة بغير اضافة . وبالموضع تفتيش للري المصري وورش وأعمال . وبها حامية الخرطوم .

(٢) قلنا : هكذا في هذا الموضع وفي مواضع تالية (ص ٣١٤): المصفحة .

هذا وقد كان محمد عثمان أبو قرجة عند نزوله بجهة الجريف أمر الجيوش الذين معه وأغلبهم إذ ذاك من أهل الجزيرة أن ينزلوا للحصار المذكور على راياتهم ، بمعنى أن كل أمير ينزل مع قومه في جهة مخصوصة . لكن الجيش كله متصلاً بدون انفصال وتباعد . [٣١٤] فنزل محمد بن الطيب البصير مع جيشه بالجريف مما يلي الجهة الصعيدية من المحل المذكور . ثم نزل بالجهة الشمالية منه مما يلي الخرطوم الطاهر ولد العبيد ولد بدر . وأما محمد عثمان ومن معه من الجيش الذي حضر به من بقعة المهدي عليه السلام بكردفان فقد نزلوا بأقصى الجريف مما يلي الخرطوم جداً . وجميع الجيش متصل بدون انفصال كما قدمناه .

ولما عزم الترك على رفع الديم أو الموت دون ذلك استعدوا لذلك غاية الاستعداد ثم شحنوا جميع الوابورات المصفحة بالحديد الفولاذ بالرجال المقاتلة والأسلحة النارية وجعلوا بمقابلة الوابورات في البر قلعة جامعة لأهل الشجاعة والإقدام من الترك . فخرجوا من الخرطوم صبحاً والوابورات على البحر والقلعة سائرة بالبر محاذيين . وقد أرصدوا كل وابور بمقابلة منزلة من منازل الأصحاب كما ذكرنا لئلا يستعينوا بعضهم البعض ليشتغل كل منهم بمحاربة ما يليه من الوابورات . وبأسباب ذلك تتمكن القلعة من بلوغ الغرض .

هذا ولما تحقق لمحمد عثمان خروج الترك على نحو ما ذكرناه أرسل الشيخ فضلو رسولاً يستحثه على القدوم إليه فوراً هو ومن معه من الأصحاب نجدة فتصادف أن الترك أرسلوا لهم قلعة لمحاربة شيخ فضلو المذكور في جهته ليشغلوه عن اعانة محمد عثمان المذكور . ومع ذلك فإن شيخ فضلو خرج في أصحاب الخيل الذين معه جريدة وقصد محمد عثمان المذكور ليكون [٣١٥] نجدة له ومددا وترك بعضاً من أصحابه بمقابلة القلعة المذكورة ليحاربوهم . وبينما شيخ فضلو في

الطريق مجداً السير إذ قابله المنحازون من ديم محمد عثمان أبي قرجة . فإن الترك كما وصفنا لما قابلت وابوراتهم محل نزول الأصحاب شرعوا في ضرب من في المنازل المذكورة بالرصاص فاشتغل كل منهم بنفسه عن إعانة غيره وبذلك تمكنت القلعة التي هي بالبر من المحاربة . ودار الحرب براً وبحراً وانتشب القتال وأمطر الترك على الأصحاب من الرصاص ما يكاد يستر الشمس وأظلمت الأرض من الدخان حتى لا يكاد الرجل يبصر ما حوله .

ولما رأت الأصحاب أهل الجرأة والإقدام ما يفعله الترك من شدة الضرب بالاسلحة النارية تنادوا للنزال وتشوقوا للقاء الكبير المتعال ، فانتدب لذلك جماعة من الفرسان منهم نصر بن عثمان أخو حاج محمد عثمان المذكور وحاج محمد ولد الزبير وغيرهم ، وحملوا على القلعة فدخلوها وقتلوا من الترك مقتلة عظيمة . واستشهد نصر وحاج محمد ولد الزبير وغيرهما من الأبطال . وضرب فرس حاج محمد عثمان أبي قرجة بالرصاص حتى هلك .

وشاع في الناس أن محمد عثمان أبا قرجة قتل فانحاز بعض الجيش الذين هم بمنازل الاصحاب المتطرفة وتبعهم باقي الاصحاب المذكورين في الانحيـــاز . واحتاط الترك بالديم المذكور وأخذوا جميــع ما فيه من غلال ومواشي وغير ذلك . بينا شيـخ فضلو ومن معه من أهل الخيل [٣١٦] في الطريق قاصدون جهة محمد عثمان أبي قرجة نجدة له إذ قابلهم المنحازون فأخبروهم أن ديم محمد عثمان استولى عليه الترك فاسترجع شيخ فضلو ودمعت عيناه لما حل بالاصحاب في مثل هذا اليوم وأراد أن يحمل ليقذف نفسه في نحور الأعداء فتعلق أصحابه بعنان فرسه وأمسكوا به ومنعوه من الحملة على العدو وقالوا له إذا أنت قتلت يختل نظام الجيش ويتمكن الترك من الانتشار في البلد ويحصل ما يحصل من التلف . ثم تحقق لهم حياة محمد عثمان أبي قرجة فقصد شيخ فضلو جهته واجتمع به .

ثم نزلوا بمحل يدعى ولد شكر الله بينه وبين الخرطوم يوم أو أقل . وهنالك اجتمع عليه الأصحاب . ثم إن محمد عثمان خاطب عبد الرحمن النجومي يخبره بجميع ما حصل . وقد كان عبد الرحمن النجومي إذ ذاك بالطريق قاصداً الخرطوم، فوافـــاه الجواب المذكور بمحل يسمى شبشة بقرب البحر الأبيض قريباً منه . فأرسل عبد الرحمن ذلك الجواب للمهدي عليه السلام بالرهد لكونه عليه السلام خرج إذ ذاك من مدينة الأبيض غازياً الخرطوم ونزل بالرهد لاجتماع الجيوش هنالك وإرسالها إلى الخرطوم ثلة بعد ثلة ثم يقوم بنفسه كما سيأتي .

ثم إن عبد الرحمن النجومي عبر البحر حالاً بمن معه من الأصحاب ونزل بجهة الشرق وخاطب محمد عثمان أبا قرجة بأنه سيحضر هو والجيش عنده عن قريب . وأمره بأن يجمع الجمال في تلك الجهات ويرسلها له سريعاً لحمل الأصحاب عليها وحضورهم بدون تأخير . فأرسل له محمد عثمان [٣١٧] الجمال كما طلب . فحمل عليها الأصحاب وجد السير إلى أن وصل إلى محمد عثمان بحلة ولد شكر الله المذكور . ثم قاموا جميعاً ونزلوا بالقرب للخرطوم ونازلوا الترك وحاصروهم كما سنوضحه في سرية عبد الرحمن النجومي إلى الخرطوم .

هذا وقد حدثني بخبر هذه السرية الثقـــة من أصحاب المهدي عليه السلام فأثبتها على هذا المنهج والله أعلم .

سرية عبد الرحمن النجومي إلى الخرطوم (١)

لما فرغ عبد الرحمن النجومي وحمدان أبو عنجة ومن معهم من الجيوش من حرب

(١) قلنا : جاء في الهامش قوله : مطلب سرية عبد الرحمن النجومي رضي الله عنه .

جبل الداير و كتب لهم المهدي عليه السلام للحضور عنده بالرهد، وقد حضروا عنده كما تقدم ، بعث المهدي عليه السلام عبد الرحمن النجومي في طائفة الجيش إلى الخرطوم ليدعو أهل الخرطوم أجمعين إلى متابعة المهدي عليه السلام والانتظام في سلك أصحابه الكرام ويحذرهم عاقبة المخالفة . فخرج عبد الرحمن النجومي غرة رمضان من سنة واحد بعد الثلثمائة والألف [1] قاصداً الخرطوم ، ولم تزل الجيوش في أثره من الرهد لاحقة به . فسار عبد الرحمن النجومي ومن معه من الجيش مجداً إلى أن وصل إلى محل شبشة بشاطىء البحر الأبيض بالجهة الغربية فوافاه هناك رسول محمد عثمان أبي قرجة يخبره بما حصل للأصحاب بجهة الجريف بقرب الخرطوم كما تقدم ذلك . فجد السير وتجاوز البحر واجتمع بمحمد عثمان المذكور بمحل يدعى ولد شكر الله [٣١٨] كما تقدم .

ثم قاموا جميعاً ونزلوا بقرب الخرطوم بمحل يدعى الغرقان بينه وبين الخرطوم مسافة قريبة جداً ، حتى أن الجلة المطلقة من الطوابي التي بالخرطوم تكاد أن تصل إلى المحل المذكور . وقد كان نزولهم بالمحل المذكور في شهر ذي القعدة . فحفروا الآبار بالمحل المذكور للشرب منها . وإنما حفروا الآبار المذكورة وإن كان البحر الأبيض قريباً منهم لئلا يتمكن العدو من أذية الواردين إلى البحر من النساء والاطفال والعواجز كون وابورات الترك إذ ذاك تمر في البحر مشحونة بالعساكر ، فلربما حصلت منهم أذية وإهلاك للواردين . فحفروا الآبار المذكورة لذلك . وهذا من الرأي الجميل .

وبعد توطين العائلة والضعاف والعواجز بالمحل المذكور قام عبـــد الرحمن

---

(١) قلنا : يوافق ذلك ٢٥ يونيو سنة ١٨٨٤ .

النجومى ومعه طائفة من الجيش ونزل بحلة القوز بمقابلة جهة الكلاكلة [1] بحيث يكون بينه وبين الخرطوم مسافة من الرصاص من الجهة الجنوبية . فكان عبد الرحمن ومن معه من الجيش بتلك الجهة بقصد حصارها كون الجهة المذكورة فيها طابية للترك في غاية المتانة وفيها من الآلات الحربية والرجال المقاتلة جملة وافرة . وبها مدفع معه من الطوبجية من له مزيد الخبرة بجودة الضرب والاصابة . ثم أمر عبد الرحمن النجومي عبد القادر ولد مدرع ومن معه من الجيش بالنزول بمقابلة باب من أبواب استحكام الخرطوم يدعى باب المسلمية [2] بالجهة الجنوبية أيضاً . وأمر عبد الله ولد النور ومن معه [٣١٩] من الجيش أن ينزلوا بمحل يدعى بري [3] بشاطىء النيل أمام الخرطوم ، وهو أقرب أماكن الحصار إلى الخرطوم ، وعليه مدار مرور الوابورات الحربية المارة ببحر النيل . ولقرب المحل المذكور من الخرطوم قد يشاهد من كان به أهالي الخرطوم في حال دخولهم في المنازل وخروجهم منها . ولذلك سمى بعض الأصحاب ذَلك المحل بالدار الآخرة لأن من كان مقيماً به للحصار كأنه من أهل الدار الآخرة .

وأمر عبد الرحمن النجومي محمد عثمان أبا قرجة ومن معه من الجيش بالنزول بجهة الغرقان بالجهة الجنوبية ما يلي البحر الأبيض بحيث يكون قريباً منه

---

(١) قلنا : القوز حي من أحياء الخرطوم الآن . والكلاكلة على مبعدة منها وقد صارت معمورة .

(٢) قلنا : وموضعه الآن كبرى المسلمية بوسط الخرطوم .

(٣) قلنا : وموضع ذلك الآن وزارة التربية وبعض داخليات الجامعة ووابور النور . أما البراري الحالية فحديثة في مواضعها ، وكانت أصلاً في الخرطوم الحالية ثم نقلت في العهد الثنائي. انظر خريطة الاستحكامات . وانظر كتابنا : تاريخ الخرطوم .

ليحاصروا الأعداء بتلك الجهة . وجميع هذه الجهات التي نزل الأصحاب بمقابلتها مشحونة بالرجال المقاتلة . وفي كل جهة منها طابية عليها المدافع ومعها من الطوبجية عدد وافر للقيام بأمر المدافع . هذا وقد كان المهدي عليه السلام خاطب عبد الرحمن النجومي يأمره بأن يوجه عبد الله ولد جبارة وشيخ فضلو ولد أحمد إلى جهة شرق الخرطوم لينضموا إلى العبيد ولد بدر [1] ومن معه ويحاصروا الخرطوم بتلك الجهة ، كون العبيد المذكور كان قبل وصول عبد الرحمن النجومي بتلك الجهة . فتأخر شيخ فضلو المذكور لداعي مرض منعه من التوجه إلى الجهة المذكورة . وأما عبد الله ولد جبارة فقد تجاوز البحر بالمراكب بمن معه من أهالي رايته وتوجه لجهة الشرق المذكورة وانضم إلى العبيد ولد بدر وحاصروا الخرطوم بالجهة المذكورة . ثم ورد لعبد الرحمن المذكور كتاب من المهدي [٣٢٠] عليه السلام صحبة أبي بكر ولد عامر يأمره فيه بأن يوجه أبا بكر المذكور أيضاً للشرق لينضم إلى عبد الله ولد جبارة ومن معه للحصار بتلك الجهة فأرسله كما أمره المهدي عليه السلام وانضم إلى عبد الله ولد جبارة .

وبعد ترتيب الجيش هكذا شرع الأصحاب في للتضييق على أهل الخرطوم ومنعوهم من الخروج بالكلية وصاروا يناوشونهم القتال من جميع الجهات المذكورة حتى منعوهم من الخروج والانتشار وأعدموهم الراحة والقرار . وقد تمكنوا من حصر الأعداء غاية التمكن فصاروا لا يبالون بالترك أصلاً حتى أن بعضاً من الأصحاب يهجمون على الخندق الذي عمله الترك حول الخرطوم مما يلي

---

(١) قلنا : كان العبيد بدر من أعيان الدين ، وكان كبيراً مسناً ، ولذلك لم يشترك في القتال بنفسه وإنما قام بذلك أبناؤه . وقد توفي بعد فتح الخرطوم بقليل وهو قادم لزيارة المهدي.

جهات الحصار المذكورة أعني جهة عبد الرحمن النجومي ومن معه ويأخذون الأخشاب المرصوصة حول الخندق المذكور ، وذلك لأن الترك جعلوا حول الخندق المذكور أخشاباً وشبكوها بالسلك مخافة هجوم أصحاب المهدي عليه السلام عليهم بداخل الخندق . فالأخشاب المذكورة جعلوها سوراً حول الخندق مع ما عليه الخندق المذكور من المتانة والعمق . وكلا الخندق والأخشاب المذكورين وراء سور متين بناه الترك مما يليهم بداخل البلد وجعلوا فيه منافذ تدعى بالمزاغيل ليتمكنوا من الضرب منها من غير أن يصيبهم شيء من الأصحاب بزعمهم وغير ذلك من أنواع الحيل والاستعدادات التي أحكموا صنعها بداخل الخندق المذكور من غرز السنج وجعلها مرصوصة بداخل الخندق المذكور [٣٢١] بحيث أن من يريد الهجوم عليهم إذا دخل في الخندق المذكور تصيبه تلك السنج وتهلكه . فإنها بمنزلة الرماح . وجميع ذلك لم يغن عنهم من الله شيئاً ، فإن بطش الله لا يقاوم وجنوده لا تصادم . وقد دخل عليهم أصحاب المهدي عليه السلام من ذلك الخندق وقتلوهم شر قتلة كما سيأتي إن شاء الله .

فصار الأصحاب يأتونهم تحت الظلام ويقلعون الأخشاب المذكورة . وإذا أحس الترك بذلك يضربونهم بالأسلحة النارية . وهكذا يفعلون معهم ذلك ليلاً . فازداد رعب الترك بذلك وضاقت عليهم الأرض بما رحبت . وفي أثناء ذلك يترامون بالأسلحة النارية . ولما اشتد الحصار على الترك شرع أهل البلد في الخروج من الخرطوم يتسللون ليلاً ويحتالون للخروج بكل حيلة حتى أن بعضهم يرشي الخفراء الذين حول الخندق حتى يتغافلوا عنهم فيخرجون إلى الجهة التي بها عبد الرحمن ولد النجومي ومن معه من الجيوش المحاصرة للخرطوم بجهة بري والغرقان وغير ذلك وفي حالة خروج الناس من الخرطوم إذا أحس بهم الترك الذين هم بالخط الناري يضربونهم بالاسلحة النارية .

ولما بلغ الأمر غاية الشدة بأهل الخرطوم وخافوا الهلاك وتمكن منهم الجوع أمرهم غوردون باشا بالخروج للحرب لعلهم يظفرون ببغيتهم من رفع الأصحاب من أماكنهم التي هم نازلون بها للحصار ويتمكنون من رفع الديم الذي به عائلة المجاهدين والضعفاء ليأخذوا الغلال التي هي بالديم . فأمر غوردون باشا بخروج قلعة فيها من عظماء الجهادية ورؤساء الشايقية أهل الشجاعة والإقدام [٣٢٢] وفيهم محمد ولد الملك أخو صالح ولد الملك الشايقي . فخرجوا بعد قسم القلعة المذكورة طائفتين ، طائفة أتت للاصحاب بالبر قاصدين عبد الله ولد النور بجهة بري كون الجهة المذكورة قريبة من الخرطوم جداً كما تقدم وبالقرب منها الغلال المجموعة لقوت الأصحاب ، فأرادوا بذلك التمكن من تناولها أولاً كونها منهم بالقرب . والطائفة الثانية من القلعة أتت في وابور من الوابورات الحربية المصفحة بالفولاذ ومعهم راية أمان يخدعون بها الأصحاب ليتمكنوا من حربهم على حين غفلة . فبينما الأصحاب في محل الحصار المذكور عند الصبح إذ نظروا إلى الوابور المذكور يسير سيراً لطيفاً بغير إنزعاج تمويهاً من الترك بأنهم طالبون الأمان وفيه الراية المذكورة . فسار الوابور المذكور حتى تجاوز محل الأصحاب ، كل ذلك خديعة ومكر ، ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله ، حتى ظن بعض الأصحاب من حالة سير الوابور والراية المذكورة انهم طالبون الأمان . ثم التفتوا فرأوا الترك الذين أتوا إليهم في البر منتشرين يدبون مستخفين تحت شجر العشر ، كون ذلك المحل فيه شجر العشر بكثرة . فلما تحقق للترك الذين بالبر ان الأصحاب علموا بهم ضربوا الأصحاب بالأسلحة النارية وعطف عليهم الوابور أيضاً وأمطروا عليهم الرصاص براً وبحراً . فعند ذلك حمل عبد الله ولد النور ومن معه من الأصحاب وثاروا في وجوه الترك الذين هم بالبر كالليوث الضارية فانهزم الترك ومنحوا الاصحاب أكتافهم يقتلونهم حتى أدخلوهم الخندق . فلما [٣٢٣] رأت أهل الوابور ما حل بأصحابهم الذين بالبر ولوا هاربين أيضاً في البحر على

الوابور . وقتل في هذه الوقعة جماعة من المشاهير من الاعداء منهم محمد ولد الملك المذكور وهو من أهل الشجاعة والاقدام .

وفي اليوم التالي لهذه الوقعة حضر عند عبد الرحمن النجومي شخص من جهادية الخرطوم وأخبره بأن بكره في أول النهار الترك خارجون إليكم في ثلاث قلعات ، قلعة لجهة عبد الله ولد النور وقلعة لجهة عبد القادر ولد مدرع بباب المسلمية وقلعة لجهة عبد الرحمن النجومي . ففي الحال أرسل عبد الرحمن النجومي لعبد الله ولد النور ولعبد القادر ولد مدرع يأمرهما بالاستعداد والتهيؤ للحرب . وأمر من ينادي في الديم بأنه لا يبيت أحد من الرجال في الديم في الليلة المذكورة التي صبيحتها يكون اللقاء بل يبيت كل أحد في محله الذي يحاصر منه الأعداء ، وهي الأماكن التي بها الطوابي المعدودة للحصار كما تقدم .

ففي صبيحة ذلك اليوم خرجت قلعتان من الخرطوم مشحونتان بالمقاتلة والأسلحة النارية إحداهما قصدت جهة محل عبد الله ولد النور التي يحاصر فيها والقلعة الأخرى قصدت جهة محل يدعى الجريف كون ذلك المحل فيه الغلال المجموعة لقوت الأصحاب المحاصرين . فأراد الترك التوصل إلى المحل المذكور ليحوزوا الغلال التي فيها . وهيهات ! . أيظنون أنها تكون كواقعة محمد عثمان المذكورة سابقاً ! كلا ! بل عادوا منهزمين أقبح هزيمة كما سيأتي . وافترقت شرذمة من هذه القلعة المذكورة قاصدة عبد الرحمن ولد النجومي . [٣٢٤] فاختار عبد الرحمن النجومي جماعة من أهل الخيل من ذوي الإقدام ومعهم بعض من الرجالة وأمرهم بالإسراع لمصادمة القلعة التي قصدت جهة الجريف . وبقي عبد الرحمن النجومي فيمن معه من الجيش بمحلهم الذي يحاصرون به متوقعاً طروق العدو إلى جهته لما علمت من افتراق بعض من القلعة المذكورة وقصدها لجهة عبد الرحمن النجومي . وأسرع أصحاب الخيل ومن معهم فأدركوا القلعة

قبل وصولها لجهة الجريف . وقد انضم إلى أهل الخيل المذكورين عبد القادر ولد مدرع وعمر ولد الخليفة وغيرهما ممن كان هناك معهم بجهة حصارهم . فحملوا على القلعة حملة رجل واحد وخالطوهم وانتشب القتال بينهم فلم يلبث الترك في حومة الحرب إلا قليلا ثم ولوا الأدبار ومنحوا الأصحاب أكتافهم يقتلونهم إلى أن أدخلوهم الاستحكام .

أخبرني من أدرك الوقعة المذكورة أن بعض الأصحاب في أثر الترك المنهزمين إلى أن أوصلوهم إلى الاستحكام . والحال أن الترك مصطفون بداخل الاستحكام فلم يمكنهم رمي الأصحاب بالأسلحة النارية مع القرب الشديد . وذلك لما حصل للترك من الدهشة والبهتة بقتل أصحابهم وانهزامهم وجرأة أصحاب المهدي عليه السلام حيث أنهم تبعوا الترك إلى أن أدخلوهم في حصنهم مع أن المحل الذي به المعركة في غاية الانكشاف إلى الحصن بدون حائل ولا ساتر من شجر ولا غيره . واستشهد في [٣٢٥] هذه الوقعة جماعة من الأصحاب منهم عبد القادر ولد مدرع وعمر ولد الخليفة .

وأما القلعة التي قصدت عبد الله ولد النور فإن أصحابهم لما انهزموا أشعروهم بالنفخ على البوري بالانهزام فانهزموا أيضاً . فاقتفى عبد الله ولد النور ومن معه أثرهم وجدوا في طلبهم وأسرعوا فأدركوهم قبل الدخول في حصنهم فقتلوا منهم مقتلة عظيمة . واستشهد في هذه الوقعة جماعة من الأصحاب أيضاً منهم عبد الله ولد النور . فرحمه الله رحمة واسعة . فلقد كان من السابقين في صحبة المهدي عليه السلام . وله في الجهاد مواطن تدل على كمال شجاعته وثباته في ميادين الحرب .

وبعد هذه الوقعة ضعف أمر الخرطوم جداً ودوختهم الحرب واستمر الحصار

عليهم على هذا المنوال إلى أن فتحت مدينة الخرطوم كما سيأتي بيان ذلك إن شاء الله تعالى عند غزوة المهدي عليه السلام للخرطوم . وبالله التوفيق .

أقول قد أخبرني بهذه السرية الثقة من أصحاب المهدي عليه السلام فاثبتها على هذا المنوال ، والله أعلم .

سرية محمد أرباب إلى القلابات وما والاها [1] :

أخبرني الثقة من أصحاب المهدي عليه السلام أن المهدي عليه السلام لما نزل بالرهد عند توجهه إلى الخرطوم غازياً بعث محمد ولد أرباب [2] إلى أهل القلابات وما والاها داعياً لهم إلى الله وإلى الانتظام في سلك تبعية المهدي عليه السلام. وقد كان بالقلابات شخص يدعى صالح شنقه[3] حاكماً على تلك البلاد من طرف الترك. ولما أظهر الله تعالى المهدي عليه السلام [٣٢٦] واضمحلت دولة الأتراك بظهوره عليه السلام ورأى صالح شنقه المذكور أن دولة الترك لا تغني عنه شيئاً لجأ إلى ملك

---

(١) قلنا : جاء في الهامش قوله : مطلب سرية محمد ولد أرباب الى القلابات .

(٢) قلنا : محمد أرباب من تكارير الحدود الحبشية السودانية . ويقال إنه ابن عم صالح ادريس شنقه . لحق بالمهدي في الابيض . أرسله المهدي عاملا على القلابات وملحقاتها . وقد احتل القلابات بعد أن انسحبت عنها الحامية المصرية . بعد وفاة المهدي جعل الخليفة ولايته على القلابات وحدها وفصل عن ادارته الجيرة والقضارف . قاد بعض الحملات في الحدود الحبشية . قتل في ١٨٨٧ . انظر ما يرويه المؤلف هنا وفي كتاب الطراز .

(٣) قلنا : هو صالح ادريس شنقه ، من تكارير الحدود الحبشية السودانية ، وشنقه لقبه . كان مجاوراً للأزهر وعمل اماماً لمسجد القلابات . كون جيشاً خاصاً له من التكارير والحبش . صار شيخاً في المنطقة وممثلا للحكومة . عارض المهدية وقاومها وعاون على انسحاب القوات المصرية واشترك في عدة معارك . لم نقف على تاريخ وفاته .

الحبشة وانتمى إليه . وصار يراسله ويخبره بالانتماء إليه وأنه من ضمن رعيته . فلما سار محمد ولد أرباب إلى أهل القلابات داعياً لهم إلى الله وإلى اتباع المهدي عليه السلام قابله صالح شنقه المذكور ومعه بعض من الحبشة وغيرهم مصممون على حرب محمد ولد أرباب . فدعاهم إلى متابعة المهدي عليه السلام فلم يقبلوا ولم يمتثلوا . فناجزهم الحرب فاقتتلوا قتالاً شديداً . ثم أجلت الوقعة عن هزيمة صالح شنقه ومن معه ففروا هاربين عن القلابات إلى أرض الحبشة . واستولى محمد أرباب على القلابات وما والاها ودخلت تحت ألوية المهدية .

ثم كتب محمد ولد أرباب إلى ملك الحبشة المشهور بالنقس يوحنا [1] يدعوه إلى الله وإلى متابعة المهدي عليه السلام فقتل الرسل الذين أرسلهم محمد ولد أرباب وكتب الى محمد ولد أرباب يتوعده بالاهلاك هو ومن معه . وسير اليه جيشاً عظيماً من الحبشة وقائد الجيش المذكور شخص من عظمائهم يدعى دهنشوم فوقع المصاف بين الجيشين بالقلابات . فلم يلبث الحبشة في ميدان الحرب الا قليلا . وانهزموا أقبح هزيمة وأخذتهم سيوف الاصحاب ورماحهم من كل جهة فلم يفلت منهم من القتل الا من جد في الهرب أو ضاق دون اقتناصه مجال الطلب .

ولما بلغ ملكهم خبر هزيمة جيشه وهلاك قومه كاد يموت غماً . ثم أرسل جيشاً جراراً فوقع المصاف بين الأصحاب وبين الحبشة بالقلابات أيضاً فاقتتلوا

---

(١) قلنا : هو يوحنا أو يوهانس الرابع امبراطور الحبشة ، ويعرف أيضاً بجون . وهو من قبيلة التقري ، ولد في ١٨٣٩ . حكم التقري في أول عهده ثم صار امبراطوراً في ١٨٧٥ . قضى كل حكمه في مقاومة الغزو الذي تعرضت له بلاده من المصريين والايطاليين . دخل في صراع مع المهدية ، وقد قتل في واقعة القلابات في سنة ١٨٨٩ وخسرت جيوشه المعركة .

قتالاً شديداً . ولما رأى محمد ولد أرباب تراكم الجيش الحبشي على الأصحاب كالسحاب المركوم مع قلة الأصحاب بينهم ، وأن أعداء الله [٣٢٧] قد أحاطوا بالقلابات محل الأصحاب ، واشعلوا فيها النيران من جميع الجهات واستولى عليها الحريق ، ومـــاج الناس ولا سيما النساء والذراري ، قذف بنفسه في نحور الأعداء وقتل منهم مقتلة عظيمة ، واستشهد هو وكثير من الأصحاب ، ولم يسلم إلا القليل . وأحاط الحبشة بالقلابات ونهبوا وحرقوا وقتلوا وأسروا . ثم رجعوا إلى بلادهم . وهذه الوقعة بعد انتقال المهدي عليه السلام إلى دار الكرامة في أيام سيدنا خليفته الأكبر رضوان الله تعالى عليه .

هذا ، وأما الآن فإن سيدنا خليفة المهدي عليه السلام قد بعث حمدان أبا عنجة إلى الحبشة ومعه من الجيوش ذوو الحزم والعزم والإقدام . فقابلو الحبشة بقلوب صقلها التوحيد وبشرها الوعد وأنذرها الوعيد مستقبلين جموع الكفرة بنيات مقصورة على طلب الشهادة أو ينزل الله نصره ويظهر حزبه ويصلح أمره . فالتقوا مع الحبشة على ملاحم أحرقهم فيها حمدان أبو عنجة بنار الرصاص قبل نار الآخرة وأعمى بصائرهم بدخان الواقعة فإذا بهم بالساهرة . وفي كل ذلك يتولى الله عباده المؤمنين بالنصر المبين والظفر والتمكين حتى أبادوا الحبشة قتلاً وأسراً وتشريداً . ودخل حمدان أبو عنجة عدة مدائن من مدائن الحبشة العظيمة ونصب عليها رايات الاسلام الفخيمة . وهو إلى الآن بمقابلة الحبشة يأخذ منهم مدينة بعد مدينة ،وهم يهربون أمامهم قاصدين كرسي ملكهم النقس. قلت وفي علمي أن هذا شيء لم يسبق لغير حمدان أبي عنجة منذ جاء الله بالاسلام إلى وقتنا هذا ، وهو جدير بقول من قال وأجاد في المقال :

آثاره تنبيك عن أخباره ... حتى كأنك بالعيان تراه
تالله لا يأتي الزمان بمثله ... أبداً ولا يحمي الثغور سواه [٣٢٨]

أقول وكل هذا إنما هو بيمن طلعة سيدنا خليفة المهدي عليه السلام المؤيد بالنصر والتمكين من الملك العلام . أدام الله أيامه مشرقة بأنوار الهداية للأمة المحمدية ، مشرقة على البرية بإحياء المراسم الدينية ، آمين .

سرية محمود ولد الحاج محمود إلى مديرية دنقله [1] :

ولما نزل المهدي عليه السلام بالرهد متوجهاً إلى الخرطوم أرسل محموداً ولد الحاج، وهو من أقارب المهدي عليه السلام إلى أهالي دنقله، داعياً لهم إلى الله تعالى وإلى متابعة المهدي عليه السلام والانتظام في سلك أصحاب المهدي عليه السلام . وكتب المهدي عليه السلام إلى أحمد الهدى بجهات دنقله يأمره بالانضمام إلى محمود المذكور ويكون في حزبه . والهدى المذكور أصله من الشايقية وهو من المصدقين المنقادين لجناب المهدي عليه السلام . وكتب المهدي عليه السلام أيضاً إلى محمد الخير عبد الله ، وهو إذ ذاك ببربر ، يأمره بإرسال جيش من عنده لينضم إلى محمود المسير إلى دنقله . فخرج محمود ومن معه من أهل رايته من الرهد مجداً السير إلى أن وصل إلى محل يدعى أم بليلة بنواحي دنقله . وهنالك كتب لمصطفى ياور الذي كان مديراً على دنقله في مدة الترك كتاباً يقول له فيه : قم واحضر لمقابلتنا بأبي قسّي ، وهو محل بينه وبين الأردي مركز مديرية دنقله مسافة يومين تقريباً . وأخبره أيضاً في ذلك الكتاب بأنه بعد حضوره عند محمود المذكور بأبي قسي يتوجه مصطفى المذكور لمقابلة المهدي عليه السلام لأجل البيعة والتأدب بآداب المهدية [٣٢٩] .

ولما ورد كتاب محمود ولد الحاج لمصطفى ياور المذكور وقرأه تشوش من

---

(١) قلنا . جاء في الهامش قوله : مطلب سرية محمود ولد الحاج الى دنقله .

ذلك غاية التشويش . وذلك لأن مصطفى ياور كان المهدي عليه السلام جعله أميراً على دنقله بمقتضى مكاتبة من المهدي عليه السلام له بذلك[1] . لأن المذكور كان مذكوراً بالاستقامة من بين سائر أهـل دولته بجهته المذكورة . ولا سيما وقد وردت للمهدي عليه السلام مخاطبات من أقارب المهدي عليه السلام الذين هم بدنقله يخبرون المهدي عليه السلام بميل مصطفى المذكور إلى متابعة المهدي عليه السلام والتصديق به ، وأنه بعد ما بلغه خبر المهدي عليه السلام صار يأمر جميع أهل حكومته بتقوى الله والاقلاع عما كان عليه الترك ، وألزمهم بالتأدب بآداب الديانة وشدد عليهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأنه من أهل العفة والاستقامة . فبناء على ذلك ، أو ما الله أعلم بحقيقته من ذلك ، كتب له المهدي عليه السلام كتاباً وجعله أميراً كما ذكرنا .

فلما أتاه كتاب محمود المذكور ظن أن ذلك عزل وطرد له عن الإمارة كما كان يعهد مثل ذلك في دولة الترك . فارتاع لذلك وتشوش خاطره وانزعج ، وما درى البعيد الذي هو عن ساحة القرب طريد ، أن مقابلة المهدي عليه السلام ومطالعة أنوار مجلسه المحفوف بالنفحات الربانية ومبايعته أعظم من الدنيا وما

---

(١) قلنا : انظر إشارة المهدي الى تعيينه عاملاً على دنقلة ثم ما جرى منه في رسالة المهدي إلى مصطفى ياور ، المرشد الى وثائق المهدي رقم ٦٤٩ . وقـد ذكر المؤلف أن ياور كان مذكوراً بالاستقامة وهو يشير بذلك إلى تقواه واستقامته ، قال نعوم شقير في تاريخه (ص٧٩٢) مشيراً الى ذلك : من كرام الشراكسة وقد اشتهر بالتعبد والتقوى مع حسن التدبير والاستقلال في الرأي . وقد كتب إليه المهدي من كردفان يسأله التصديق بمهديته فأجابه بما أرضاه وأحسن الى أقاربه في دنقلة قصد مخادعته فكتب اليه المهدي بالامارة على دنقلة . لم نقف على كتاب الامارة التي يشير اليها نعوم .

فيها . وقد يقره المهدي عليه السلام بعد مقابلته إن فاز بها على ما هو عليه من إمارته ، كما خابره المهدي [٣٣٠] عليه السلام بذلك . ولكن من لم يجعل الله له نوراً فما له من نور . فلذلك نكص مصطفى المذكور على عقبيه وصمم على محاربة محمود . فلما تحقق لأقارب المهدي عليه السلام الذين هم مع مصطفى ياور بدنقله ما عليه مصطفى المذكور من التصميم على محاربة الجيش المنصور كتبوا لمحمود كتاباً أخبروه فيه بجميع ما حصل من مصطفى ياور وأرسلوا الكتاب المذكور مع إنسان سراً لمحمود . فلما تحقق لمحمود ذلك ثنى عزمه عن مقابلة مصطفى ياور لكونه أعلن بخروجه عن طاعة المهدي عليه السلام وتوجه محمود (١) إلى محل يدعى كورتي بأرض الشايقية من ملحقات مديرية دنقله واجتمع هناك بالهدى المذكور .

هذا ، وأما مصطفى ياور فإنه جمع جموعه وسير فرقة منهم بالبر وفرقة بالبحر على المراكب وقصد محموداً بجهة كورتي فوصل ورست مراكبه بجهة كورتي . واستعد محمود ولد الحاج ومن معه من أهالي رايته الذين حضروا معه من الرهد ومعه أحمد الهدى ومن كان من أهل التصديق لجناب المهدي عليه السلام بتلك الجهة . وخرج مصطفى ياور من المراكب ورتب قلعته الحربية وقصد جهة محمود. وكذلك محمود انفصل بجيشه من حلة كورتي وقصد مصطفى. ووقع المصاف بينهما بقرب حلة كورتي . وانتشب الحرب بينهم فحمل محمود ولد الحاج بنفسه ومعه أحمد الهدي ومن كان من أهل الجرأة والإقدام من الأصحاب ودخلوا القلعة وخالطوا الترك وقتلوا منهم مقتلة عظيمة (٢) . واستشهد [٣٣١]

---

(١) قلنا : في المخطوط : محموداً .

(٢) قلنا : كانت هذه الواقعة في ٤ سبتمبر ١٨٨٤ .

محمود ولد الحاج والهدى وبعض من الأصحاب المذكورين . ثم رجع مصطفى ياور إلى محل مركزه بدنقلة . ولما تحقق لمصطفى المذكور أنه مطالب بما كسبت يداه ضاقت عليه الأرض بما رحبت فلم يمكنه القرار بدنقله . فاحتال للخروج منها . وبعد مدة يسيرة فر هارباً إلى مصر مع أنه لو جاء بعد هذا كله تائباً نادماً على ما حصل منه لكان يحصل له العفو والقبول، لأن ساحة المهدية مقرونة بالرضا والعفو عن أهل الجرائم . ولا سيما إن خلصت التوبة وصفت السريرة . ولا بد أن يقع في القبضة إن شاء الله تعالى .

ثم بقيت دنقله خالية من حاكم من الأتراك إلا ما كان من الإنكليز عند مرورهم منهزمين من وقعة أبي طليح، كما سيأتي. فانهم مروا على دنقله وأخذوا منها جميع مهمات المديرية من الذخائر الاستعدادية والآلات الحربية . وما عجزوا عن حمله رموه في البحر . وتوجه معهم من كان من الاتراك هناك وبعض من أضله الله على علم من أهالي البلد من مستخدمين وتجار . فصارت مديرية دنقله خالية منهم بالكلية . ثم حضر عمال المهدي عليه السلام ودخلوها بدون ممانع.

هذا وقد أخبرني بهذه السرية الثقة من أصحاب المهـــدي عليه السلام . والله ولي التوفق والهادي إلى سواء الطريق .

ذكر غزوة المهدي عليه السلام الى الخرطوم :

ولما فرغ المهدي [٣٣٢] عليه السلام من أمر كردفان وجميع جهاتها ودار فور وملحقاتها وانتظم جميع أهل تلك البلاد وما انضم إليها في سلك المهدية واندرجوا في الصحبة والتبعية ، وكانت عناية المهدي عليه السلام بتقويم الدين ومجاهدة أعداء الله المارقين عن سنة سيد المرسلين ، عزم المهدي عليه السلام

على غزو الخرطوم وجميع تلك البلاد ، داعياً لأهلها إلى الله وسلوك الطريق المستقيم..

فخرج عليه السلام غازياً للخرطوم . وأوعب معه عليه السلام في هذه الغزوة جميع الأصحاب إلا أصحاب الأعذار [1]، ومن كان تابعاً لراية محمود بن عبد القادر الذي استعمله المهدي عليه السلام على كردفان بعد توجهه للخرطوم . فارتحل عليه السلام من مدينة الأبيض في شهر جمادى الثانية من سنة واحد بعد الثلثمائة والألف [2] ونزل بقرب جبل كردفان بمحل يدعى العين . ثم ارتحل منه ونزل بمحل يدعى السواني . ثم ارتحل ونزل بمحل يدعى الرهد . وفي أثناء الطريق إلى الرهد كان عليه السلام يمشي برجليه مراعاة لحال الضعفاء من الأصحاب الذين معه في السفر نظراً لكونهم راجلين وليس معهم دواب . وذلك كله رفق ورحمة بالعباد . حتى أنه ربما يقف في الطريق للفصيل حتى يرضع في أمه شفقة ورحمة كما هو دأبه عليه السلام فينزل من على الناقة ويمشي على الأرض حصة زمانية . وفي تلك المدة يرضع الفصيل في أمه . ثم يأتونه بالناقة وهو ماش حتى أن رجليه عليه السلام [٣٣٣] من المشي حصل لها الحفا حتى تورمت رجلاه عليه السلام من المشي . فأقام عليه السلام بالرهد بقية جمادي الثانية وشهر رجب وشعبان ورمضان .

وفي إقامته عليه السلام بالرهد المدة المذكورة انتظم أمر جبل الداير ودخل تحت طاعة المهدي عليه السلام وانفصلت عنه السرية راجعة إلى المهدي عليه

---

(١) قلنا : انظر في ذلك المرشد الى وثائق المهدي رقم ٢٧٠ و ٣٦٨ .

(٢) قلنا : يوافق ذلك ما بين ٢٩ مارس و ٢٦ أبريل سنة ١٨٨٤ .

السلام بالرهد كما قدمناه . وفي تلك المدة أرسل المهدي عليه السلام السرايا إلى الجهات كالخرطوم ودنقله والقلابات كما قدمناه . وفي مدة إقامته بالرهد أتاه سلاطين مدير عموم دار فور الذي سماه الآن المهدي عليه السلام بعبد القادر والسيد [1] جمعة مدير الفاشر ومن معهما من أعيان حكومة الترك بعد فتوح دار فور . وأتى أيضاً بالرهد حسين خليفة مدير عموم بربر ودنقله وصالح ولد الملك الشايقي ورجل من أهالي الشام مشهور بالكحال فبايعه المهدي عليه السلام . ثم إن الرجل المذكور أخبر المهدي عليه السلام بأن ببيت المقدس رجلاً صالحاً يؤمل فيه القيام والدعاية إلى الله ، فكتب المهدي عليه السلام للرجل المذكور خطاباً [2] يدعوه فيه إلى الله وإلى الاتحاد مع الرجل المذكور ويدعوان الناس إلى الله .

ثم في التاسع والعشرين من شوال من السنة المذكورة [3] ارتحل عليه السلام من الرهد ونزل بمحل يدعى العفينات . قلت وقد غير المهدي عليه السلام الاسم المذكور بالحليوات كما [٣٣٤] أخبرني به الثقة من أصحاب المهدي عليه السلام . وفيه أسوة نبوية ، فإن النبي عليه الصلاة والسلام كان يغير بعض الاسماء الى بعض كما قدمنا ذلك غير مرة . ثم ارتحل ونزل بمحل يدعى رهد الهايل ثم ارتحل ونزل بمحل يدعى أمان الله . أقول ومن الاتفاق الغريب والفأل العجيب مـــا أخبرني به بعض أصحاب المهدي عليه السلام أن المهدي عليه السلام لما نزل بالمحل المدعو أمان الله كان الرجل الذي أخبرني بذلك مع الجيش السائرين مع المهدي

---

(١) قلنا : في المخطوط : سعيد ، والصواب ما ذكرنا .

(٢) قلنا : لم نقف على هذا الخطاب .

(٣) قلنا : يوافق ذلك ٢٢ أغسطس ١٨٨٤ .

عليه السلام . فقبل وصول الرجل المذكور الى المحل الذي نزل فيه المهدي عليه السلام المدعو أمان الله قابله رجل في الطريق راجعاً للبحث على دابة له انفلتت منه . فقال له أين نزل المهدي عليه السلام ؟ فقال له الرجل المذكور نزل المهدي عليه السلام في أمان الله . فما أعظم هذا الفأل الجميل المخصوص بالمصحوب من الله تعالى بالعناية والرعاية والتبجيل .

هذا ثم ارتحل عليه السلام ونزل بمحل يدعى قضيضيم ثم ارتحل ونزل بمحل يدعى أم بلينجيك ثم ارتحل ونزل بمحل يدعى الأغبش . ثم ارتحل ونزل بمحل يدعى العفينة . قلت وقد غير المهدي عليه السلام اسمه بالعسيلة . وقد أقام عليه السلام بالمحل المذكور نحو خمسة أيام لتلاحق الجيش الذين هم سائرون سير المهدي عليه السلام . ثم ارتحل ونزل بمحل يدعى النورابي . ثم ارتحل ونزل بمحل يدعى أم تابة . قلت وقد غير المهدي عليه السلام اسمها بأم توبة ، وقال تبنا الى الله . [٣٣٥] ثم ارتحل ونزل بمحل يدعى السرحنا . ثم ارتحل ونزل بمحل يدعى أمْ طبيق . ثم ارتحل ونزل بمحل يدعى أم هتاف . ثم ارتحل ونزل بمحل يدعى أم زرزور . ثم ارتحل ونزل بمحل يدعى قوز السيال . ثم ارتحل ونزل بمحل شات ، فأقام بها نحو شهر لاستراحة الجيش وتكامل باقي الجيوش ، لأنها جيوش لا يعلم عددها إلا الله . ومع ذلك لم تتكامل كلها بل بعضها في الطريق الى أن فتحت مدينة الخرطوم .

ثم ارتحل من شات ونزل بمحل يدعى الدويم . ثم ارتحل ونزل بمحل يدعى شبشة حلة يريو . ثم ارتحل ونزل بالترعة الخضرا . وهناك صلى عليه السلام بأصحابه صلاة عيد الاضحى من تلك السنة . ثم ارتحل ونزل بمحل يدعى الرهوات . ثم ارتحل ونزل محل قريب من ولد شلعى. ثم ارتحل ونزل بمحل يدعى الدهسيرة . ثم ارتحل ونزل بمحل قريب من محل يدعى الصديق . ثم ارتحل ونزل بمحل يدعى ايد الدخن . ثم ارتحل ونزل بمحل قريب

من العلقة . ثم ارتحل ونزل بمحل يدعى قيزان المرخ ، وهناك أقام أياماً . وهناك أتى الوابور مشحوناً بالترك ، أرسلوه طليعة ليتحقق لهم خبر المهدي عليه السلام . ثم اطلقت مدافع من الوابور المذكور ورجع على عقبه حالاً ، وذلك بمسافة عن نزول المهدي بالمحل المذكور . فحاصله أن الوابور المذكور لم يصل لمحل نزول المهدي عليه السلام بل رجع لما تحقق أمر المهدي عليه السلام قبل الوصول لمحل نزوله عليه السلام . ثم ارتحل ونزل بمحل يدعى القيعة ، وبها أقام أياماً أيضاً . وهناك أتته الوفود [٣٣٦] من جهات الجزيرة وسواكن وغير ذلك بطلب البيعة ووردت عليه الكتب من أعيان الجهات المذكورة بالتسليم وطلب البيعة والتماس العفو والصفح من المهدي عليه السلام فيما حصل منه من التأخير عن المبادرة لإجابة داعي الله . ثم ارتحل ونزل بمحل يسمى بأبي سعد بينه وبين أم درمان مدينة المهدي عليه السلام تقريباً من مسافة ساعة فلكية . ومن هناك جهز الجيوش وسيرها لمحاصرة خندق أم درمان وأمد عبد الرحمن ولد النجومي ومن معه بالجيوش للتشديد في الحصار على أهل الخرطوم . ثم بعد فتح الخندق أعني خندق أم درمان وفتح مدينة الخرطوم قام المهدي عليه السلام من أبي سعد المذكور ونزل بالمحل الذي أسس فيه مدينته بأم درمان التي صار انتقاله فيها عليه السلام الى دار الكرامة وبها قبره الشريف عليه السلام كما سيأتي بيان ذلك إن شاء الله تعالى .

ذكر فتح خندق أم درمان وما جرى في ذلك :

ولما تحقق للترك بالخرطوم انتشار أمر المهدية بجميع جهات السودان شرعوا في أسباب التحفظ على أنفسهم بحفر الخنادق وإدارة الأسوار على مدائنهم والاستعداد حذراً من سطوة الاصحاب ونزولهم بساحتهم وحصرهم . ولما توقعوا نزول أصحاب المهدي عليه السلام بالجهة الغربية من البحر الأبيض ولا سيما

بمقابلـــة مجمع البحرين المسمى بالمقرن ، وكان المحل المذكور من أعظم المرامي والمشارع التي بتلك الجهة ، وعملوا لهم هناك [٣٣٧] سوراً عظيماً أحكموا بناءه وأتقنوا صنعه وجعلوا فيه ثقوباً بمقدار وضع أفواه البنادق عليها للضرب وبنوا فيه طوابي للمدافع وحفروا حوله خندقاً عميقـــاً الى الغاية وحفروا داخله بئراً للشرب منها حذراً من حيلولة الاصحاب بينهم وبين البحر إذا نزلوا بساحتهم[١] وقد وقع ذلك كما سنذكره قريباً إن شاء الله . وشحنوا السور المذكور بالعساكر والآلات الحربية والمأكولات وغير ذلك .

فلما نزل المهدي عليه السلام بالمحل المدعو بأبي سعـــد المذكور أمر بعض الأصحاب أهل الحزم والإقدام بمحاصرة أهل الخندق المذكور الى أن ينتظموا في سلك أصحاب المهدي عليه السلام أو يقضي الله فيهم أمره. فاستعد الاصحاب الذين أمرهم المهدي عليه السلام بذلك وقصدوا أهل الخندق المذكورين . ولما قربوا من الخندق المذكور أطلق الترك عليهم المدافع وأمطروا عليهم من الرصاص ما يكاد يستر الشمس ، وهم سائرون بدون مبالاة ، والرصاص يفعـــل فيهم الأفاعيل العجيبة ، الى أن خلفوا الخندق المذكور وراء ظهورهم ونزلوا بشاطىء البحر الابيض وحالوا بين أهل الخندق المذكور وبين البحر الأبيض . فأقاموا هناك وعملوا لهم طوابي وجعلوا عليها المدافع وشرعوا في محاربة أعـداء الله . ودار الحرب بينهم أياماً متتابعة تقريباً من شهر ، وشددوا عليهم الى الغايـة . وفي جميع تلك الحروب يقتلون ويقتلون ، ولكن القتل في الأعداء أكثر .

---

(١) قلنا : توجد خريطة وحيدة لنقطة أم درمان وحصونها في دار الوثائق القوميـــة بالقاهرة داخل مظروف أوراق أحمد حمدي . وقد رسمه أحد ضباط الجيش المصري . ومعهـا خريطة كبيرة لمدينة الخرطوم في سنة ١٣٠١ هـ . وخريطة لاستحكاماتها ، وخريطة لمدينة الدويم وأخرى لمدينة سنار .

ومن أعجب ما يسطر وأغرب ما يحرر ما حصل في حصار خنـــدق أم درمان المذكور ، وذلك لأن [٣٣٨] الاصحاب لما نزلوا بالقرب من البحر كما ذكرنا وجعلوا الخندق المذكور وراء ظهورهم ، صاروا يحاربونـه بالرصاص . فالحرب دار بين الفريقين بالرصاص من الجهتين ، جهة الأصحاب وجهة الأعداء . وقد كان الترك عملوا لهم خطاً بجمع البحرين المسمى بالمقرن كما تقدم . فجعلوا يضربون الأصحاب من الخط المذكور أيضاً . وفي أثناء المحاربة تأتي الوابورات المصفحـــة بالفولاذ مشحونة بالترك ومعها الكبكات والمراكب المقطورة بالوابورات، فيحاربون الأصحاب أيضاً. فقد يتفق توارد الحروب على الأصحاب من الترك من جميع الجهات براً وبحراً في آن واحـــد . والحال أن الأصحاب في محل مكشوف لا ساتر له يعول عليه وهم يحاربون الترك بدون مبالاة ولا نكوص. حتى أنهم كسروا بالمدفع بعضاً من تلك الوابورات في بعض الوقعات التي بينهم وبين الترك في حصار قفرة أم درمان فتعطل عن السير وغرق .

ولما رأت الترك الذين بذلك الوابور تلف الوابور المذكور وشاهدوا من الهول دخول[١] الهلاك ما شاهدوه ، شرعوا في أسباب التخلص من هذه الورطة : فبعضهم وقع على البحر يعوم قاصداً جهة الخرطوم ، والأصحاب يرمونه بالرصاص ، فهلك من هلك وسلم من سلم . وبعضهم تشبث ببعض الوابورات التي كانت بصحبة ذلك الوابور التالف فنجا . وبعضهم اختفى في مكامن ذلك الوابور التالف لأن بعضاً من ذلك الوابور باق على وجه الماء إذ لم يرسب كله في قعر [٣٣٩] البحر. فما زال ذلك البعض مختفياً في مكامن الوابور المذكور الى أن أتاه بعض من الترك على الوابورات ليلاً فاختطفوه وخلصوه وتركوا الوابور المـذكور على حاله من الغرق .

(١) قلنا : هكذا في المخطوط .

وإن تعجب فعجب ما حكي أن جماعة من الأصحاب لما رأوا ذلك الوابور قد أصيب بالمدافع تساقطوا على البحر وخاضوا مريـــدين الوصول الى الوابور المذكور ليأخذوه بأيديهم ويجرونه إلى ساحل البحر مما يلي الاصحاب المحاصرين. والحال أن الرصاص نازل عليهم كالمطر وهم غير مبالين بذلك حتى استشهـــد منهم من استشهد بالرصاص وهم في الماء مع أن منهم من لا يحسن العوم أصلاً . وذلك الوابور بـــذاته فيه طائفة من الترك بأيديهم الأسلحة النارية يرمون بها الأصحاب المذكورين بالقرب جـــداً . حتى إن بعضاً من الأصحاب الذين هم بساحل البحر في محل الحصار ناشد الأصحاب المذكورين بالله إلا مـــا رجعوا فرجعوا . وقد جرح منهم من جرح واستشهـــد من استشهد كما ذكرنا . فانظر رحمك الله هذه الجراءة التامة والثبات العظيم .

هذا ورحى الحرب في وقعة قفرة أم درمان المذكورة دائرة على حمدان أبي عنجة ، فإنه القائم بأمرها أتم قيام وملازم لأماكن الحصار المذكورة . حتى أن كل يوم يمضي من أيام الحصار والمحاربة المذكورة يرفع لسيدنا خليفة المهدي عليه السلام جميع ما يحصل في ذلك اليوم من أحوال المجاهدين وبيان المستشهد من المجروح منهم بالبيان الواضح . لأن سيدنا خليفة المهدي عليه السلام من عاداته المستمرة في جميع الأوقات ، بذل عنايته في [٣٤٠] النظر في أمور المهـــدية وإتعاب نفسه في ذلك بالغداة والعشية ، وتفقد جميع أمورها الكلية والجزئية[1] ولا سيما أمور الحرب والنظر في أحوال الجيش وما يلزم ذلك ، فإنه لم يغفل عن ذلك لحظة واحدة . ولا زال يحرض الأصحاب ويصل اليهم بنفسه في أماكن الحصار ليلاً أو نهاراً ويذاكرهم ويحثهم على الصبر وتحمل الشدائد التي تصيبهم في الله من الجوع والعطش والسهر وإتعاب البـــدن في رضاء الله وغير ذلك من أنواع تذكيره رضي الله عنه للناس . وهكذا دأبه رضي الله عنه من كان غائباً

(١) قلنا : في المخطوط الحربية وقد عدلناه الى الجزئية .

عنه من أمراء السرايا والبعوث ، فإنه رضي الله عنه يكرر له المخاطبات ويحثه أيضاً على الصبر وتحمل الشدائد وبذل النفس في رضاء الله الى أن يؤيد الله الدين وينصر حزبه المفلحين ، ويأمرهم بأن يرفعوا اليـــه الأمور ، ولا سيما أمور الحرب ، ليفيدهم في ذلك بما يوافق الصواب . وهكذا حاله رضي الله عنه من حياة المهدي عليه السلام الى يومنا هذا . فالله يبقى أيامه ويقرن بالنصر والتأييد أعلامه ، آمين .

هذا وقد كان المهدي عليه السلام كتب للترك الذين بقفرة أم درمان كتاباً ينذرهم فيه ويحذرهم عاقبة المخالفة ، ولفظ الكتاب المذكور [1] :

بسم الله الرحمن الرحيم .

الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم .

وبعد ، فمن العبد المفتقر الى الله الواثق بما عند مولاه محمد المهدي بن عبد الله الى أحبـــابه المكرمين المعظمين وأهل الدراية ، وهم كبير العسكر وعظيمهم فرج الله وصاحبه عبد النبي ومن انضم اليهم من الأكابر [٣٤١] والأصاغر .

اعلموا وتحققوا أحبابي أني لست قائماً هـــذا المقام إلا بدعوة الخلق الى الله وسعادتهم الكبرى ونيل مراتبهم العلية ومنفرهم عما يضرهم من خسيس فاني اللذات التي تعقب طول الحسرات. وقد بلغني أن المكرم المعظم فرج الله من ضباط أهل فشودة الذين يحبوني سابقاً وأنا بأبا من معرفتهم زهدي في الدنيا وصدقي في الطلب لما عند الله وإرادة الآخرة ودلالتي الى الصلاح والفلاح وإرشاد العباد الى رضاء الفتاح ليكتسبوا دائم المطلوب من النجاح .

---

(١) قلنا : راجعنا النص الذي ينقله المؤلف مع النص الوارد في الانذارات، ص١٩٩/٢٠٠ .

فلا تظنوا اننا نطلب أموالكم وما ملكت أيديكم ان سلمتم لنا وصرتم من أصحابنا[١]. فإن سلمتم لنا فقد حزتم الكرم وصرتم من أحبابنا وأصحابنا الذين بشرنا سيد الوجود صلى الله عليه وسلم بأنهم كأصحابه رضوان الله عليهم . وأدنى أصحابي رتبة ينال مقام الشيخ عبد القادر الجيلاني عند الله تعالى . وفيما ذكرته كفاية لأهل العناية .

وأظن أنه قد بلغتكم إنداراتي سابقاً فلا فائدة حينئذ في التطويل . فان سلمتم فقد عفوناكم ورضينا عليكم وكنتم من الأصحاب المكرمين الذين لهم عند الله حسن المكانة الأبدية . فلا تظنوا فينا إلا نيلكم منا كل خير، فاني المهدي المنتظر خليفة نبيكم صلى الله عليه وسلم . فأبشروا بالكرامة والفخامة ان سلمتم لي واتبعتموني .

وليكن معلوم عندكم أحبابي أن من لم يصدقني ويتبعني يعذب في الدنيا، ولعذاب الآخرة أشد . وإني موعود بملك جميع الأرض . ورأيتم نصرتي في حال الضعف والقلة إلى أن بلغت هذا المبلغ وانجمعت عندي أسلحة راشد بيك [٣٤٢] وولد الشلالي والهكس والأبيض ودارفور وبحر الغزال وجباخينهم. وبشرت بأني لو أردت لقبض الله سلاح الترك بحيث أن أصحابي يقتلونهم ولا يقتلون . ولكني اخترت توفيقاً من الله أن ينال أصحابي الشهادة ويبلون في الله لينالوا عظيم المكانة عند الله كما في كتاب الله واقتداء برسول الله صلى عليه وسلم وأصحابه كما علمتم .

---

(١) قلنا : سمح المهدي لهم بعد التسليم بممتلكاتهم الخاصة وأمر ألا يؤخذ إلا ما يخص الدولة . انظر المرشد الى وثائق المهدي رقم ٥٠٠ .

ولتعمدوا هذا زيادة كتبت هذا بخطي [1] ، والسلام .

غاية محرم ١٣٠٢ [2].

ومع هذا الانذار البليغ لم يزالوا متمادين على الشقاق . ولم تزل الحرب بينهم وبين الأصحاب مع ما ينضم الى ذلك من محاربة أهل الوابورات وغيرهم للأصحاب الى أن ضاقت على أهل الخندق الأرض بما رحبت ونفد زادهم واضمحل استمدادهم . وقد كانوا جعلوا بينهم وبين الترك الذين هم بالخرطوم علامات يستدلون بها على مقاصدهم. أخبرني بعض الثقات أن العلامات هي شبه الرايات معلقة على محل عال بالخرطوم ومثلها أيضاً عندهم بداخل الخندق بأم درمان . فلما عجزوا عن الحرب وخافوا حصول الهلاك استعملوا تلك العلامات المعلومة بينهم على وضع مخصوص راغبين ارسال نجدة تأتي اليهم من الخرطوم في الوابورات يشغلون أصحاب المهدي عليه السلام عنهم بالمحاربة حتى يتمكنوا من الخروج من القفرة ويحتالون على الوصول اليهم والدخول معهم في الوابورات ليتوصلوا معهم الى الخرطوم .

فأتت اليهم الوابورات كما رغبوا مقطورة بها الكبكات وهي مشحونة بالترك . فانتشب الحرب بين أهالي الوابورات والأصحاب . وبينما هم على ذلك إذ خرج أهل القفرة المذكورة على ثلاث قلعات طالبين الوابورات ليتمكنوا من [٣٤٣] الدخول فيها . فانفصلت طائفة من الأصحاب وقصدت القلعات المذكورة . وانتشب القتال بينهم فولى الأعداء منهزمين نحو القفرة . فأعجلهم طلب الاصحاب لهم والاسراع في أثرهم عن الاعتصام بالدخول في القفرة

---

(١) قلنا : هذا يعني أن الكتاب كتبوا صلب الرسالة وأن المهدي أضاف إليه زيادة بخطه ليعتمده ضباط نقطة أم درمان . ولكننا لم نقف على أصل الخطاب حتى نقف على هذا التصرف ونهتدي إلى حد الخطاب ثم الزيادة . على أننا نعتقد ، اعتماداً على نمط الاسلوب والروح ونفس الكتابة ، أن الزيادة التي كتبها المهدي تبدأ من قوله : وليكن معلوم عندكم أحبابي .

(٢) قلنا : يوافق ذلك ١٨ نوفمبر ١٨٨٤ .

المذكورة ، فقتلوهم قتلاً ذريعاً فلم ينج منهم إلا ما جد في الهرب ودخل القفرة وانضم لمن بقي منهم بداخل القفرة . ورجعت الوابورات الى الخرطوم خائبين .

ولما رأى من بقي من الترك بالقفرة ما حـــل بأصحابهم من الهلاك أذعنوا وانقادوا وسلموا واستسلموا وطلبوا [١] الأمان من المهـــدي عليه السلام على أنفسهم ليخرجوا اليه . فأمنهم عليه السلام على أنفسهم فخرجوا وأتوا الى المهدي عليه السلام فعفا [٢] عنهم وبايعهم. وقد حدثني بهذه الوقعة بعض الثقات فأثبتها على هذا المنوال ، والله أعلم .

ذكر فتح مدينة الخرطوم :

ولما نزل المهدي عليه السلام بأبي سعد كما ذكرنا أمد عبد الرحمن النجومي ومن معه من الاصحاب المحاصرين للخرطوم بالجيوش وأمرهم بالتشديد على غوردون باشا ومن معه من أهل دولته بالخرطوم لينقادوا الى متابعة المهـدي عليه السلام أو يقضي الله فيهم أمره. فاشتد عزم الاصحاب وشددوا الحصار على أهل الخرطوم ومنعوهم من الراحة والقرار وأعـــدموهم الاصطبار وضاقت عليهم الأرض بما رحبت وعميت عليهم أوجه السلامة ووقعوا في الحسرة والندامة وزلت بهم القدم ولم ينفعهم الندم . وقد كان المهـــدي عليه السلام كتب الى غوردون باشا يدعوه الى الله والدخول في دين الإسلام واتباع المهدي عليه السلام. وقد كتب عليه السلام لجميـع أعيان أهل الخرطوم داعياً لهم الى الله تعالى [٣] كما تقدم فلم ينجع فيهم ذلك .

---

(١) قلنا : في المخطوط : وطلب .

(٢) قلنا : في المخطوط : ففي . وقد كان تسليم أم درمان في ٥ يناير سنة ١٨٨٥ .

(٣) قلنا : تبلغ محررات المهدي الى غردون ثمانية رسائل وملحقين كتبهما مع الرسالة =

هذا ولما اشتد على أهل الخرطوم الحصار من جميـع الجهات [٣٤٤] وقـد دوختهم الحزوب ، كما أسلفنا بيان ذلك في سرية عبـــد الرحمن النجومي الى الخرطوم ، رماهم أيضاً الجوع بحيث أحرق أحشاءهم ووقعوا به في الدمـــار حتى صاروا يأكلون ورق الاشجار ويقطعون قلوب النخل ويأكلونها لتسكين حرارة الجوع فلم يغن ذلك عنهم شيئـــاً حتى صار البعض منهم يأكل الكلاب والحمير وغير ذلك من الشناعات والأمور المستبشعات. واشتد بهم الغلاء وتراكمت عليهم أنواع البلاء. وذلك كله شؤم المخالفة واتباع الحظوظ النفسية التي أهلكت القرون الخالية .

ولما تحقق لغوردون باشا عجزه وأعيته الحيل أمر بإخراج المساكين والعواجز والنساء والضعفاء والرقيق وما أشبه ذلك من الخرطوم توفيراً للجيش المستعدين للحرب وتخفيفاً لمـــادة الضيق الحاصل من المجاعة . فخرجوا على المراكب على أشنع حالة وأقبح صفة من الضنك والجوع وتغير الحال حتى كأنهم خرجوا من القبور فتساقطوا على محل نزول المهدي عليه السلام بأبي سعد المذكور يسألون الناس القوت الضروري . فأمر المهدي عليه السلام أمين بيت المال بملاحظتهم والإحسان اليهم فتمعشوا وانتعشوا . هذا ولما تواتر خروج أهل الخرطوم الى

= الأولى. وقد نقل المؤلف هذه الرسالة وملحقيها فيما سلف . أما غردون فلم يكتب للمهدي إلا ما كتبه اليه من بربر . وهناك عدد من المحررات تبادلها الأمراء المحاصرون للخرطوم مع غردون، وتوجد أصولها في مظروف يوميات غردون بالمتحف البريطاني – وقد كتب المهـــدي الى أهالي الخرطوم عدة محررات ، كتب محررين يدعوهم فيهما الى التسليم (المرشد الى وثائق المهدي رقم ٣٩٠ و ٥١٧) وكتب محررين الى أهالي الخرطوم الذين انضموا اليه أيام الحصار (المرشد الى وثائق المهدي رقم ٤٧٧ و ٤٧٩) وكتب محرر الى الناجين من الاهالي بعد سقوط المدينة (المرشد الى وثائق المهدي رقم ٥٤٦).

المهدي عليه السلام كتب المهـدي عليه السلام منشوراً للأصحاب يأمرهم فيه بالتلطف بالخارجين لمقابلة المهدي عليه السلام .

وأما غردون باشا فقد بقي هو ومن معه من أهل دولته وأغلب أعيان أهل البلد ومن كان معه شيء من القوت بداخل البلد مؤملين حصول مقصودهم وذلك لأنه تأكد عند غوردون باشا أن الانكليز أتوا لنجـدته وتخليصه من الورطة التي وقع فيها . فصار يعد من كان معه بالخرطوم ويمنيهم ذلك ، وما يعدهم [٣٤٥] الشيطان إلا غروراً . فإن الانكليز المذكورين لما وصلوا بمحل يدعى أبي طليح قابلهم هناك أصحاب المهدي عليه السلام وقتلوهم شر قتلة . والباقي منهم بعد وصوله بجهات المتمة وتحقق عنده هلاك غوردون فر هارباً الى بلده كما سيأتي ذلك .

هذا ثم إن المهدي عليه السلام أرسل لعبد الرحمن النجومي ومن معه من الأمراء الذين هم بمقابلة محاصرة الخرطوم يأمرهم بالحضور عنده بمحل نزوله أبي سعد فحضروا عنـــده عليه السلام فذاكرهم بكيفية دخول الخرطوم ووقع الإذن بدخوله فاستبشروا بذلك . ثم أمرهم بالرجوع الى أماكنهم بمحـــل الحصار فرجعوا . وخطب عليه السلام الناس بخطبة بليغة حثهم فيها على الجهاد . وذلك بيوم الأحد قبل فتوح الخرطوم . ولما كانت ليلـة الإثنين تاسع ربيع الثاني من سنة اثنين بعد الثلثمائة والألف [١] تجاوز المهدي عليه السلام على المراكب ومعه خليفته الأكبر رضوان الله تعالى عليـــه وباقي الخلفاء ومن كان معهم [٢] من

---

(١) قلنا : يوافق ذلك ٢٦ يناير ١٨٨٥ . والمقصود حقيقـــة مساء الاحد ٢٥ يناير ، وهذه واقعة صحيحة فيما روى الرواة .

(٢) قلنا : في المخطوط : منهم .

الأصحاب . ونزل بمحل قريب من محل الحصار مما يلي شجرة ما حي بيك[١] . فأمر بجمع جميع الأصحاب بين يديه عليه السلام فحضروا بين يديه . وقد كان عبد الرحمن النجومي أرسل لعبد الله ولد جبارة وأبي بكر ولد عامر وغيرهما من الأصحاب الذين في حصار الخرطوم بجهة قصر راسخ بيك[٢] بجهات شرق الخرطوم يأمرهم بالحضور عنده فحضروا على المراكب بجهة النيل .

فاجتمع الجميع بجهة ولد النجومي كون الدخول في الخرطوم غير ممكن بالمشي على الأقدام إلا بالجهة المذكورة . لأن الخندق الذي حفره الترك متصلاً بالبحرين إنما هو مما يلي جهة ولد النجومي. وأما باقي جهات الخرطوم فإن البحرين مانعان من الوصول إليها إلا بواسطة المراكب أو الوابورات . فلذا [٣٤٦] كان دخول الأصحاب في الخرطوم باقتحام الخندق إنما هو من جهة عبد الرحمن النجومي . هذا ولما اجتمع أهل الرايات بحضرة المهدي عليه السلام أمرهم بالدخول على الترك واقتحام خندقهم وعدم المبالاة بذلك لأن الله ناصر مهديه ومؤيد أمره ووعظهم بمواعظ بليغة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون وبشرهم وأنذرهم وحذرهم فاطمأنت النفوس وتشوقت إلى لقاء الملك القدوس .

---

(١) قلنا : يقصد الشجرة الحالية بجنوب الخرطوم ، وقد سبق الكلام عنها .

(٢) هذا قصر بناه محمد راسخ بك مدير الخرطوم وكان على الشاطىء الأيمن للنيل الأزرق في مواجهة قصر الحكمدارية . وكان هذا الموضع من مدينة الخرطوم بحري يطلق عليه اسم قصر راسخ . ومكانه الآن ورشة الوابورات . وعلى البعد منه الى الشمال الشرقي كانت حلة حمد . ووراء الاخيرة الى الشمال الشرقي كانت حلة خوجلي . والاخيرة يشار اليها أيضاً بالقبة . وقد ظلت هذه المواضع منفصلة حتى قامت مدينة الخرطوم بحري في العهد الثنائي وجمعت بينها (انظر كتابنا : تاريخ الخرطوم).

ثم رجع المهدي عليه السلام ومعه خليفته الأكبر رضي الله عنه وبعض من الأصحاب عائداً إلى محل نزوله بأبي سعد وتجاوز البحر على المراكب ووصل في بقية ليلته المذكورة .

هذا وأما الأصحاب ، أعني عبد الرحمن ولد النجومي ومن معه من أهل الرايات والجيوش ، فإنهم باتوا تلك الليلة ما بين مهلل ومكبر ومصلي . ولما قرب طلوع الفجر وهبت رياح النصر حمل الأصحاب حملة رجل واحد ، وقصدوا الخندق المذكور ، فاستشعر الترك بهم في ظلمة الليل بكثرة صياح الأصحاب بالتهليل والتكبير وغير ذلك ، فأمطروا على الأصحاب سحائب الرصاص ووالوا عليهم الرمي بالجلل من الطوابي ، والأصحاب غير مبالين بذلك إلى أن اقتحموا عليهم الخندق وجروا عليه كأنه أرض مستوية ودخلوا عليهم بداخل البلد حول الخندق . فشرع الأصحاب في قتل الترك . فألقى الترك الأسلحة من أيديهم وولوا منهزمين لا يلوي أحد على أحد . وأخذتهم السيوف والرماح وتتبعوهم حول الخندق حتى سالت حول الخندق المذكور النفوس وطارت عن الهام الرؤوس وصرعت هنالك رجال كهشيم المحتظر أو أعجاز نخل منقعر . وكم من قتيل هنالك بحد الصفاح وطريح يتشحط في دمائه بطعن الرماح : سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً . وتبعهم الأصحاب إلى البلد يقتلونهم قتلاً [٣٤٧] ذريعاً . ولبعد البيوت من محل الخندق والسور تمكن الأصحاب منهم فقتلوهم شر قتلة . ولم ينج من القتل إلا من جد في الهرب أو حال دون إهلاكه مجال الطلب . وتتبعوهم إلى منازلهم يقتلونهم . وجالت خيل الأصحاب في داخل البلد وكثر الصراخ والعويل . وسمعت لأهل الخرطوم عند دخول الأصحاب بداخل البلد ضجة هائلة تكاد تنزعج لها القلوب . واستمر القتل في الأعداء من لدن طلوع الفجر إلى قرب الضحى حتى احمر بساط الأرض من دماء الرجال وامتلأت الدروب والسكك بجيف القتلى .

وقتل في هذه الوقعة من الترك وغيرهم ممن انضم إليهم ما لا يعلم عدده إلا الله تعالى . وقتل غوردون باشا وهو في قصره وقطعت رأسه وعلقت بالسوق جزاء له وعبرة لغيره . وهلك جماعة من البواشي والمديرين والقناصل والعمد والتجار وأعيان أهل البلد . وأما الأصحاب فلم يستشهد منهم إلا القليل الذي لم يتجاوز العشرة . ومن سلم من أهل الخرطوم من القتل ، لكونه أغلق بابه عليه واختفى في مكامن البساتين التي هي بقرب البلد ، فقد خرج وبايع المهدي عليه السلام ، وفي يوم الفتوح المذكور كتب المهدي عليه السلام منشوراً للأصحاب بالتحذير عن الغنائم والوعيد الشديد على اخفائها [1] . وهكذا صار يكرر الإنذارات والخطب البليغة بالتحذير عن الغنائم . ثم إن المهدي عليه السلام دخل البلد في يوم الجمعة وصلى [2] فيه الجمعة ثم عاد إلى محل نزوله بأبي سعد المذكور . وفي شهر جمادى الأولى من السنة المذكورة قام المهدي عليه السلام ونزل بأم درمان على مدينته الآن [3] .

هذا وقد حدثني بفتح خبر [4] الخرطوم جماعة من أصحاب المهدي عليه السلام ، وكل منهم حدثني بعض الحديث فاجتمع حديثهم في سياق ما ذكرته ولله الحمد .

---

(١) قلنا : انظر القتلى والناجين ومسألة الغنائم في تاريخ نعوم ص ٨٦٧ - ٨٧٠ .

(٢) قلنا : في المخطوط : وصل .

(٣) قلنا : هذا تاريخ مولد عاصمة المهدية . وهو يوافق ما بين ١٦ فبراير و ١٦ مارس ١٨٨٤ .

(٤) قلنا : هكذا في المخطوط ، والمقصود : بخبر فتح .

سرية موسى ولد محمد حلو إلى أبي طليح[1] :

سرية موسى ولد محمد حلو [٣٤٨] أخي خليفة الفاروق سيدنا علي ولد محمد حلو إلى الانكليز بأبي طليح .

قد كان غوردون باشا أنهى إلى أهل دولته أنه يطلب جيشاً عظيماً للحرب ، وذلك بعد ما أعيته الحيل وانسدت عليه أوجه المقاصد الموصلة له إلى بلوغ مأربه واضمحل أمره وحاق به مكره . فأرسلت له دولته جيشاً عظيماً . وبعد وصول الجيش المذكور بدنقله افترقت منه ثلاث فرق[2] ، كل فرقة فيها من الآلات الحربية والمهمات الاستعدادية والأسلحة النارية التي لم يسبق حصول مثلها في حروب المهدية ، مثل البنادق المرتين ، فإنها أسرع حركة وأبعد سيراً من الرمنتون ، ومثل السلاح السربند وغير ذلك .

فأحد الفرق الثلاث أتت بساحل النيل أيضاً مما يلي جهات ولد قمر ، لكن بالجهة الغربية . والفرقتان المذكورتان اتفقتا على اجتماعها ببربر . ومن ذلك المحل يقصدون الخرطوم . والفرقة الثالثة سلكت الطريق المار على أرض الشايقية بمحل يدعى صنب بخط مروي ، وهي التي أتت بطريق أبي طليح المذكور . ولما تحقق لمحمد الخير عبد الله بمجيء الانكليز كما ذكرنا كتب للمهدي عليه السلام وهو بمحل نزوله بأبي سعد المذكور يخبره بذلك .

---

(١) قلنا : ورد هذا في الهامش مسبوقاً بقوله : مطلب .

(٢) قلنا : يختلف ما يرويه المؤلف هنا عما يرد في تاريخ نعوم ، والمصدر الاخير ثقة في هذا الامر أكثر من المؤلف . فالقسم قد قسم الى فرقتين : فرقة تسير عبر الصحراء الى المتمة وفرقة ثانية تسير بطريق النيل لتأديب المناصير الذين قتلوا استيوارت ثم تلتقي في أبي حمد بفرقة ثالثة تأتي من كورسكو بالمؤن . وتتقدم الفرقتان لفتح بربر .

ثم إن محمد الخير المذكور نادى بالنفير العام للجهاد في سبيل الله فأجابه جميع الجعليين وغيرهم من أهالي تلك الجهات . واجتمعت جيوش لا يعلم عددها إلا الله . فسيرهم إلى أبي طليح لمحاربة الفرقة الانكليزية المارة بأرض الشايقية قاصدة للمتمة ، ليتمكنوا من إهلاكهم قبل وصولهم وورودهم البحر . وجعل محمد الخير على الجيش المذكور عبد الماجد محمد . فوصلوا بأبي طليح ونزلوا بمنهل الماء وأرسلوا الطلائع ليأتوهم بخبر الانكليز . فرجعت الطلائع وأخبرتهم بأن الانكليز أقاموا بمحل يدعى جقدول قاصدين لجهة أبي طليح . فاستعد الأصحاب للحرب . [٣٤٩] ثم حضر الانكليز ليلاً بأبي طليح ونزلوا قريباً من الأصحاب بحيث يكون بينهم مقدار رمي الجلة .

وقد كان المهدي عليه السلام قد أرسل موسى ولد حلو ومعه جيشاً عظيماً[١] من الأصحاب لمحاربة الانكليز المذكورين . فتصادف حضورهم صبيحة تلك الليلة التي حضر فيها الانكليز بأبي طليح . ثم إن موسى ولد حلو حرض الأصحاب وذاكرهم . وأمرهم بأن يكون أهل الأسلحة النارية في جهة وأهل الخيل في جهة والراجلون في جهة ليتمكنوا من الحرب . فلما رأى الأصحاب أعداء الله الانكليز لم يتمالكوا وبادروا بالحملة عليهم عموماً : الفوارس وأهل الأسلحة النارية وغيرهم من غير تعبئة ولا ترتيب ، مسرعين بغاية الجري مع بعد المسافة جداً بينهم وبين الكفار . فأمطر الكفار عليهم من الرصاص ما يكاد يستر الشمس وأظلمت الأرض من شدة الدخان ، والمرتين يفعل في الأصحاب الافاعيل فيتساقطون يميناً وشمالاً من وقع الرصاص عليهم . فما وصلوا إلى الكفار إلا واستشهد منهم عدد وافر . ومع ذلك فقد وصلوا

---

(١) قلنا : في المخطوط : عظيم .

والتحموا مع الكفار واقتتلوا قتالاً شديداً واستنفذ الطائفتان وسعهم في الصبر والقتال : أما أصحاب المهدي عليه السلام فنصرة للدين ، وأما الكفار فمحاماة عن نفوسهم علماً منهم بأنهم إن انهزموا في تلك الحالة يهلكون أجمعين لبعدهم عن ديارهم وعدم محل يكون ملجأ لاستقرارهم .

واشتد الأمر حتى أن أحدهم كان ينزل عن فرسه ويقاتل راجلاً ويتضاربون بالسكاكين للزحمة والالتحام الحاصل بين الفريقين ، حتى يسقط المسلم والكافر على الأرض جميعاً فتجد رجل المسلم على رأس الكافر ، والعمة حول البرنيطة ، والبرنيطة [٣٥٠] حول العمة . وعظم الخطب واشتد الحال . والظفر في ذلك للأصحاب ، فإنهم قتلوا قلعتين للكفار كونهم ترتبوا على ثلاث قلعات .

وقد كاد الأصحاب يعمون القلعة الثالثة بالقتل لولا ما حصل من بعضهم من الاشتغال بنهب الغنائم ، وهو الطامة الكبرى . فعند ذلك تمكن الكفار من الأصحاب وقتلوهم قتلاً شديداً حتى وجدوا لهم مسلكاً وتخلصوا ووردوا البحر بجهة المتمة قريباً منها . واستشهد في هذه الوقعة جماعة من الأصحاب ومنهم موسى ولد الحلو ومحمد ولد بلال وغيرهما . وفي حال مرورهما بأبي طليح إلى جهة المتمة صار الأصحاب يناوشونهم الحرب مرات متتابعة ، فتارة يمنعوهم من السير وتارة يتمكنون من ذلك ، إلى أن ورد الكفار إلى البحر كما ذكرنا ونزل الأصحاب بالمتمة . وفي أثناء ذلك نقل أغلب أهل المتمة أبناءهم ونساءهم إلى شرق النيل بمقابلة المتمة تحرزاً عليهم من معرة الانكليز .

ولقد كان غوردون باشا لما تحقق عنده مجيء الانكليز وقيامهم من دنقله قاصدين جهة الخرطوم أرسل خمسة وابورات حربية مصفحة [1] بالحديد

---

(١) قلنا : في المخطوط : مصحفة .

الفولاذ ، وهي مشحونة بالترك وبعض من الشايقية مثل خشم الموس وغيره ، لانتظار الانكليز ومقابلتهم بعد وصولهم بجهة المتمة والإسراع بهم لينجدوه مما وقع فيه من الورطة . ويأبى الله ذلك ، فقد أهلكه الله تعالى على غاية من الحسرة والكد قبل وصولهم إليه بثلاثة أيام . فبعداً للقوم الظالمين . وبعد وصول الانكليز وورودهم البحر بقرب المتمة أتت إليهم الوابورات المذكورة وانضم الترك الذين هم بها إليهم .

ثم إنهم رتبوا لهم قلعة وافرة وقصدوا الأصحاب بالمتمة لأن بين نزول الانكليز وبين المتمة مسافة ساعة فلكية . فعند ذلك استعد الأصحاب بداخل المتمة وجعلوا حيطان البلد [٣٥١] المذكور كالسور عليهم وفتحوا في الحيطان المذكورة ثقوباً بمقدار وضع أفواه البنادق عليها للضرب ، وهي المعروفة بالمزاغيل . وجعلوا لهم هناك طوابي . ولما قرب الانكليز من البلد وتمكن الأصحاب من ضربهم بالأسلحة النارية أطلقوا عليهم البنادق والمدافع فأصيب من أول مرة رئيس الكفار المدعو وشين نار [١] فأهلكه الله فانهزم الكفار ورجعوا خائبين . فشرعوا في أعمال الطوابي مريدين حرق المتمة وتهديم بيوتها وذلك بمحل يدعى حلة القلعة ، قريباً جداً من المتمة . فصاروا يرمون البلد بالجلل حتى هدموا بعضاً من طوابي الاصحاب من كثرة الرمي بالمدافع والاصحاب كذلك يرمونهم بالجلل فعجزوا عن اتلاف البلد ورجعوا خائبين إلى محل مشهور بوادي أبي رماد .

هذا وقد كان المهدي عليه السلام أمر بدخول الخرطوم وفتحه بعد واقعة

---

(١) قلنا : هذا اسم غريب . ولكن المقصود حسب الوقائع التاريخية هو هربرت استيوارت الذي قاد فرقة الصحراء الى الجكدول ثم أبي طليح وانتصر على الانصار في واقعتها .

أبي طليح ففتح الخرطوم بعد واقعة أبي طليح . وذلك لما تحير الانكليز في أمر غوردون باشا وارتابوا في أمر الخرطوم شحنوا لهم وابورين من تلك الوابورات بأهل الشجاعة منهم ومعهم جملة وافرة من الازواد وغيرها لاحتمال وجود غوردون باشا حياً ليتمين بها على ما هو فيه، حتى يأتوا إليه في زعمهم . وما دري الخبثاء أن غوردون إذ ذاك في أصحاب النار ! .

ولما توجه الوابوران قاصدين الخرطوم وقد قاربوا من محاذاة قفرة أم درمان انتدب لصدهم عن الوصول إلى الخرطوم حمدان أبو عنجة ، لأنه إذ ذاك بساحل البحر الأبيض مما يلي القفرة المذكورة ومعه جمع من أهل الأسلحة النارية ، فأمطر عليهم من الرصاص ما سد عليهم الافق من الظلمة ، فوقفوا وسط البحر لا يدرون كيف الخلاص لا يميناً ولا شمالاً . وبينما هم على هذه [٣٥٢] الحالة والحيرة إذ أتت إليهم الجلل من الاستحكامات التي هي بالقرب مما يلي الخرطوم وهو المحل المسمى بالمقرن . فتحققوا حينئذ أخذ الخرطوم ودخوله تحت طاعة المهدي عليه السلام وهلاك صاحبهم غوردون باشا ، فما تمكنوا من الهرب والرجوع إلى قومهم على الوابورين المذكورين إلا بشق الأنفس ومقاساة [١] الشدائد من الرصاص [٢] الذي أتحفهم به حمدان أبو عنجة . فرجعوا خائبين ومن مداركة غوردون آيسين ، وأخبروا قومهم بما حصل .

وقد كان المهدي عليه السلام لما رجع الانكليز الذين هم على الوابورين المذكورين أرسل عبد الرحمن النجومي ومعه طائفة عظيمة من الجيش للحوق بالأصحاب الذين هم بالمتمة لمحاربة الانكليز . وبعد وصول عبد الرحمن النجومي

---

(١) قلنا : في المخطوط : مقاسات .

(٢) قلنا : في المخطوط : الرصاد .

جهة كرري لحق بهم المهدي عليه السلام بنفسه لمذاكرتهم وتحريضهم على الجهاد في سبيل الله . ولما علم الانكليز وصول المهدي عليه السلام لكرري ظنوا أن المهدي عليه السلام قاصداً للوصول بنفسه لحربهم فحصلت لهم روعة شديدة فشرعوا في أسباب الهروب والتخلص والرجوع إلى بلادهم . فصاروا ينقلون مهماتهم وأثقالهم ليلاً شيئاً فشيئاً إلى أبي طليح وذلك كله على وجه الاختفاء . ولما قدموا مهماتهم وطرحوا جميع المثقلات التي عجزوا عن حملها ، وكذلك المدافع ورموا الجميع في البحر وأتلفوا بعض الوابورات المذكورات بأن خلعوا بعض مسامرها المهمة وآلاتها اللازمة وطرحوها في البحر وتركوا بعضاً من الخيام منصوباً على حاله ، أوقدوا الشموع في داخل الخيام المذكورة ليلاً وتركوها بحالها لإيهام الأصحاب أنهم ماكثون بمحلهم المذكور ، وهربوا ليلاً قاصدين جهة دنقله ليتوصلوا إلى بلادهم .

ولما تحقق الأصحاب الذين بالمتمة هروب الكفار اقتفوا أثرهم إلى أن أدركوهم بأبي طليح ، فناوشوهم القتال . [٣٥٣] وبينما هم على ذلك إذ بلغهم أن عبد الرحمن النجومي حضر بجهة المتمة مدداً للأصحاب المذكورين . ولما وصل عبد الرحمن إلى المتمة وقصد اللحوق بالانكليز لم يتمكن من ترحيل الجيش لداعي عدم تيسر الغلال للزاد اللازم كون البلد فيه صعوبة إذ ذاك من أمر الغلال . فأرسل بعض الجيش للحوق بالأصحاب الذين بأبي طليح . ولما اجتمعوا بمن بأبي طليح من الجيش وعلم الانكليز باجتماعهم هربوا ليلاً وقصدوا جهة دنقله . فما تحقق للأصحاب المذكورين هروبهم إلا بعد مضي يوم . فعند ذلك رجع الأصحاب إلى المتمة .

هذا ما كان من أمر الفرقة التي أتت بأبي طليح وقد اشتهرت هذه الواقعة بواقعة أبي طليح . وأما الفرقة التي أتت بجهة الشرق مما يلي

ولد قمر[1] وهو اسم محل فقابلهم موسى ولد أبي حجل ، وقد كان بعثه محمد الخير مرابطاً في تلك الجهة ، وقاتلهم قتالاً شديداً . وقتل رئيس تلك الفرقة الكفرية واستشهد موسى المذكور . وقد رجعت الفرقة المذكورة بعد هلاك رئيسها منهزمين إلى جهة دنقله . هذا ولما تحقق للفرقة المارة بالجهة الغربية بوادي قمر ما حل بالفرقتين المذكورتين رجعت مهزومة أيضاً ، وصار اجتماعهم بدنقله .

وبعد وصول الانكليز بدنقله منهزمين حملهم الغيظ والغلب والتحرق على أذية أقارب المهدي عليه السلام الذين بدنقله ، فقبضوا منهم جماعة ، وهم : محمد عبد القادر وشريف ساتي علي ومحمد ابراهيم وأحمد النجيب وحاج شريف محمد نور وحاج شريف محمود وعبد القادر عبد الكريم ، وذلك القبض واخذهم بعد ان حاكموا أقارب المهدي المذكورين لدى محكمتهم وأثبتوا نسبهم وقرابتهم من المهدي عليه السلام، وذلك بانتصاب شخص من أهالي دنقله المنضمين إلى الترك [٣٥٤] إذ ذاك خصماً في إثبات النسب المذكور . وأقول إن هذه محاكمة صورية لا وجه لها إلا زعم الكفار الباطل في أنهم لا يؤاخذون إنساناً بريئاً من القرابة للمهدي عليه السلام. فأرادوا بهذه المحاكمة وثبوت النسب المذكور إظهار الإنصاف وأنهم لا يؤاخذون إلا من كان قريباً من المهدي عليه السلام . وساعدهم على هذا الفعل شخص من أهالي دنقله لم يحضرني الآن اسمه . فلا بارك الله فيه ! لأنه صار للكفار على مقاصدهم .

ثم قالوا لأقارب المهدي عليه السلام المذكورين اكتبوا من عندكم للمهدي

---

(١) قلنا : هكذا في المخطوط ، ونحسبه يقصد : وادي . أما مكان الواقعة المذكورة فهو كربكان . والقائد الانجليزي الذي قتل هو الجنرال وليام ايرل . وقد خلفه في القيادة الجنرال بركنبري .

كتاباً ليرسل لنا أهالينا المأسورين عنده ونحن نطلقكم بعد حضور أهالينا عندنا. وقد كتب أقارب المهدي عليه السلام كتاباً للمهدي عليه السلام أخبروه فيه بما حصل لهم وبما رغبته منهم الانكليز من إرسال أهاليهم الذين مع المهدي عليه السلام حتى إنهم يتخلصون بأسباب ذلك من أيدي الانكليز .

ثم سافروا بأقارب المهدي عليه السلام من دنقله قاصدين بلادهم . ولما وصلوا بمحل يدعى عنكش [1] بينه وبين وادي حلفه مسافة نصف يوم تقريباً ورد عليهم كتاب المهدي عليه السلام [2] يقول للانكليز فيه إن أهاليكم المذكورين الذين معنا قد أبدلهم الله ديناً خيراً من دينكم وهداهم للاسلام فدخلوا فيه طائعين مختارين رغبة منهم في ذلك وهم الآن مقيمون معنا للتأدب بآداب الإسلام باختيارهم وصاروا من ضمن المسلمين فما يمكن إرسالهم إليكم حيث أنهم اختاروا دين الإسلام والإقامة معنا للتأدب بآدابه وهذه خطوطهم على آخر كتابنا هذا يخبرونكم بأنهم دخلوا في دين الإسلام راغبين باختيارهم وليس لهم رغبة في الانضمام اليكم ولا الرجوع إليكم بعد ما هداهم الله لدين الاسلام. ثم قال لهم المهدي عليه السلام في الكتاب المذكور وأما أقاربنا [٣٥٥] الذين معكم فافعلوا فيهم ما شئتم ولا يمكن أن نرسل إليكم أهلكم المذكورين لأنهم اختاروا دين الاسلام .

وبصحبة ذلك الكتاب كتاب آخر من المهدي عليه السلام لأقاربه

---

(١) قلنا : هو موضع كان بجنوب مدينة حلفا ، وقد غرق وطواه طوفان السد العالي فيما طوى . والأصل في لغة أهل البلاد هو عنقش ولكنه قلب - أحياناً - في الكتابة وصار يكتب بالكاف بدل القاف ، وهذا نوع من التعريب .

(٢) قلنا : انظر المرشد إلى وثائق المهدي رقم ٧١٦ .

المذكورين [١] يقول لهم فيه كنا سابقاً كاتبناكم بالهجرة إلينا فما هاجرتم ورغبتم في مناولة الجيف . ومن أراد أن يأخذ من الجيف فليصبر على عض الكلاب . وسيجعل الله كيدهم في نحرهم وستكونون قريباً في قبضتنا إلى آخر ما قاله عليه السلام لهم في الكتاب المذكور . ولما وقف الانكليز على ما قال لهم المهدي عليه السلام في كتابه الذي أرسله لهم كما ذكرنا وحصل لهم اليأس من أهاليهم المذكورين أطلقوا أقارب المهدي عليه السلام المذكورين وأكرموهم وأعطوهم رواحل وأزواد وكسوة وغير ذلك ، وقالوا لهم توجهوا إلى بلدكم . فرجع أقارب المهدي عليه السلام إلى دنقله ثم توجه الانكليز إلى بلادهم : ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً [٢] .

هذا وقد كان بعدواقعة أبي طليح المذكورة وفتوح الخرطوم كتب المهدي عليه السلام لمحمد الخير عبد الله كتاباً يأمره فيه بالمسير لمديرية دنقله ودعاية أهلها إلى متابعة المهدي عليه السلام ومحاربة الانكليز ومن معهم من الترك الذين بدنقله[٣]. فأخذ محمد الخير في الاستعداد واستنفار الجيوش وارسال السرايا إلى دنقله يتلو بعضها البعض وهو سائر في أثرهم .

فبينما هو على ذلك إذ أتاه الخبر بهروب الإنكليز ومن انضم اليهم من الأتراك هناك ومن كان معهم من أهل البلد وأنهم أخذوا جميع مهمات الحكومة بدنقله وتوجهوا بها إلى بلادهم وتركوا مديرية دنقله خالية منهم . فكتب محمد الخير

---

(١) قلنا : انظر المرشد الى وثائق المهدي رقم ٧١٤ و ٧١٥ .

(٢) سورة الأحزاب الآية ٢٥ .

(٣) قلنا : انظر باب دنقلة في هذه الفترة في المرشد الى وثائق المهدي لمتابعة محررات المهدى بصدد فتح دنقلة .

للمهدي عليه السلام كتاباً يخبره بذلك . وأخذ محمد الخير المذكور في المسير إلى [٣٥٦] مديرية دنقله فوصلها بجيوشه ودعا أهلها إلى الانتظام في سلك أصحاب المهدي عليه السلام فأجابوه وبايعوا وانتظموا في سلك المهدية بدون حرب ولا ممانعة . وقد أشرنا إلى ذلك فيما تقدم ، والله أعلم .

سرية حمدان أبي عنجة إلى جبال تقلى وجميع جهاتها :

ولما بلغ المهدي عليه السلام بعد فتوح مدينة الخرطوم أن بعضاً من أهالي جبال تقلي وما والاها ومن انضم إليهم من أهالي صعيد كردفان رجعوا من طريق الهجرة إلى أماكنهم واجتمعوا على الفساد وقطع الطريق وإخافة المارين والنهب والسلب أرسل عليه السلام حمدان أبا عنجة ليدعوهم إلى طاعة المهدي عليه السلام والكف عن الفساد في الارض والانتظام في سلك أصحاب المهدي عليه السلام[1] . وأمره بأن لا يبادرهم بالحرب بل يدعوهم إلى الطاعة ويحذرهم عاقبة المخالفة . فان لم يمتثلوا يحاربهم فخرج حمدان أبو عنجة ومن معه من الجيش من مدينة المهدي عليه السلام بأم درمان في شهر الله جمادى الأولى سنة اثنين بعد الثلثمائة والألف ، وذلك بعد فتح مدينة الخرطوم بشهر .

فسار مجداً إلى أن وصل إلى جهات تقلي فنزل بقرب جبل من جبال تقلى يدعى ولد الدوري محل قبيلة التمام ، وهم سكان ذلك الجبل ومعهم جموع لا يعلم عددها إلا الله. فدعاهم إلى الله وإلى طاعة المهدي عليه السلام والكف عن الفساد في الأرض وترك الإضرار بالخلق فلم يقبلوا منه وتصمموا على حربه .

---

(١) قلنا : انظر المرشد الى وثائق المهدي رقم ٦٠٦ .

فناجزهم الحرب وأشعل عليهم نيران الرصاص فانهزموا أقبح هزيمة وتفرقوا في بطون الأودية والكهوف الجبلية . وما زال حمدان يتبعهم إلى أن أجلاهم عن [٣٥٧] الجبل المذكور فتشتتوا في الجبال . وقتل من قتل منهم وسبي منهم من الأولاد والنساء نحو ثلاثمائة وخمسة وثلاثون ومن البقر نحو أربعمائة وخمسة عشر بقرة وغير ذلك من الغلال والغنم . والباقي من الرجال بعد القتل لحق بجبل يدعى ككدة فانضموا إلى أهل ككدة المذكور .

ثم علموا أن حمدان غير تاركهم وهم بالجبل المذكور حتى يدخلوا تحت الطاعة أو يهلكهم الله على يديه فاتفقوا مع أهل الككدة وقاموا بأجمعهم وقصدوا جبلاً يسمى كراية وانضموا على من كان في ذلك الجبل من أولاد ملوك تقلى السالفين .

وقدكان الجبل المذكور كرسي مملكة تقلى أيام الملك آدم الشهير بأم دبالي، فإنه كان من أعظم ملوك تقلى . وقد كان المذكور انخلع عن ملكه لما خاطبه المهدي عليه السلام من الأبيض بكردفان ودعاه إلى الطاعة والهجرة إليه فخرج مهاجراً حتى قابل المهدي عليه السلام بالأبيض وبايعه وانتظم في سلك التبعية للمهدي عليه السلام ، وذلك بعد هلاك الهكسي بنحو خمسة أشهر . وقد خرج المذكور مع المهدي عليه السلام من كردفان غازياً للخرطوم فأدركته المنية بالطريق .

ولما علم حمدان أبو عنجة اجتماع المفسدين المذكور بجبل كراية كتب إلى أولاد الملوك المذكورين ومن كان معهم يدعوهم إلى الطاعة ومتابعة المهدي عليه السلام وينهاهم عن [٣٥٨] الفساد في الأرض ويحذرهم عاقبة المخالفة فامتثلوا وأطاعوا وقام رؤساؤهم وحضروا عند حمدان أبي عنجة بجبل ولد الدوري المذكور طائعين منقادين فعفا عنهم وصاروا في حزبه وجيشه .

ثم قام حمدان مع الجيش المذكور ومع من انضم إليه من أولاد الملوك

المذكورين وقصدوا جبلاً يدعى تكم ، وفيه جمع كثيف من المفسدين فدعاهم إلى الطاعة والتسليم ومتابعة المهدي عليه السلام ، فأبوا . فحاربهم أشد المحاربة ودام الحرب بينهم أياماً ، كون جبلهم المذكور في غاية العلو والصعوبة . فظفر حمدان بهم وقتلهم شر قتلة واغتنم منهم أموالاً كثيرة وسبى نساءهم وذراريهم وأجلاهم عن الجبل المذكور بالكلية : فهم ما بين قتيل وشريد. وأسر ملكهم فمات وهو في الأسر .

ثم لما فرغ حمدان أبو عنجة من أمر الجبل المذكور قصد جبل الكجاجة وهم سكان الجبل المذكور وهو جبل حصين منيع في غاية العلو ، وفيه من الكهوف والغيران والغابات الملتفة ما لا يعلمه إلا الله ، وهو مع اتساعه جداً يحتوي على سبعة مكوك ، كل مك معه طائفة عظيمة تحت تبعيته . فنازل أهل الجبل المذكور بالقرب إليهم ودعاهم إلى الله وإلى متابعة المهدي عليه السلام وكرر عليهم الإنذارات فلم يقبلوا وتصمموا على الحرب . فرتب حمدان أبو عنجة الجيش وصعد [٣٥٩] اليهم في الجبل وحاربهم أشد المحاربة وقتلهم شر قتلة وشتت شملهم ومزقهم كل ممزق . واحتوى على الجبل المذكور واغتنم منهم أموالاً عظيمة وسبا نساءهم وذراريهم . ومن سلم من مكوكه من القتل أطاع(١) وانقاد .

ثم وضع حمدان الديم بجبل الكجاجة المذكور فصار محلاً لعائلات المجاهدين والضعفاء الذين مع حمدان المذكور . وأرسل تلك الغنائم إلى بقعة المهدي عليه السلام ليصير ضمها لبيت مال المسلمين حسبما يلزم هنا .

وقد كان حمدان أبو عنجة بعث جماعة من الأصحاب لجهات قدير لجمع الغنائم

---

(١) قلنا : في المخطوط : طاع .

التي بتلك الجهات فغدر أهالي تلك الجهات بالأصحاب المذكورين فقتلوهم عن آخرهم . ولما بلغ حمدان ذلك قام بنفسه وجرد الجيش وقصد أولئـك العصاة المارقين عن الدين. وبعد وصوله بجهتهم دعاهم الى الله والى متابعة المهدي عليه السلام وكرر لهم الانذارات فامتنعوا وتصمموا على الحرب فناجزهم الحرب وانتشب القتال بينهم[1] أياماً متتابعة. ثم أحلت الحرب عن هزيمة الأعداء فمنحوا الاصحاب أكتافهم يقتلونهم من كل جهة ولم يفلت من القتل إلا الشريد الذاهب في بطون الأودية . ثم عاد حمدان الى محل الديم بجبل الكجاجة المذكور .

ثم ما زال يتتبع أهل تلك الجبال ويدعوهم الى الطاعة ومتابعة المهـــدي عليه السلام فمن سمع وأطاع عفا عنه وتركه وأمنــه ومن امتنع وأبى حاربه وشتت شمله قتلاً وأسراً [٣٦٠] وسبياً .

هذا ولما بلغ حمدان أبا عنجة واقعة الجهادية السودان الذين كانوا مع محمود بن عبـد القادر بالأبيض وأنهم حاربوا الأصحاب بالأبيض وقتلوا من قتلوا وتحيزوا الى الجبال بصعيد كردفان قصدهم حمدان المذكور وأوقع بهم . وذلك أن المهدي عليه السلام كان لما خرج غازياً للخرطوم استعمل محمود بن عبد القادر على كردفان وقد كان معه طائفة من الجهادية السودان وبعد انتقال المهـــدي عليه السلام إلى دار الكرامة حضر محمود بن عبد القادر بمدينة المهدي عليه السلام لمبايعة سيدنا خليفة المهدي عليه السلام . ففي غيبة محمود المذكور اتفقت الجهادية المذكورون وانضم عليهم غالب عبيـــد الأصحاب الذين هم بالأبيض وثاروا على الأصحاب في البلد على حين غفلة وأمطروا عليهم الرصاص وقتلوا منهـــم من قتلوا . وكذلك

---

(١) قلنا : في المخطوط : منهم .

الأصحاب قتلوا منهم مقتلة عظيمة . وتحزبوا وخرجوا من البلد علانية ومعهم الصناديق الجبخانة محمولة على رؤوس الجواري نسائهم ومن نهبوه من أهل البلد . وخرجوا قاصدين جهة الجبال بصعيد كردفان . وكل من عرض لهم في الطريق إما يقتلونه أو ينهبون ما عنده . وهكذا يفعلون إلى أن وصلوا الى جبال كردفان وانضم اليهم المفسدون من أهالي تلك الجبال ينهبون ويفسدون في الأرض .

ولما بلغ محموداً ما ذكر رجع من أم درمان بأمر سيدنا خليفة المهدي عليه السلام . وعند وصوله بالأبيض خرج حالاً وقصد الجهادية المذكورين فأدركهم بالجبال [٣٦١] المذكورة ودعاهم إلى الطاعة فلم يقبلوا . فحاربهم أشد المحاربة واستشهد محمود بن عبد القادر في وقعة الجهادية المذكورين ورجع باقي الجيش الذين مع محمود الى الأبيض .

فلما علم أبو عنجة بذلك قام بنفسه مع الجيش وقصد الجهادية المذكورين فدعاهم الى الطاعة والانقياد ووعدهم بالجميل وأنهم إذا أتوا اليه طائعين يصير العفو عنهم . فلم يقبلوا ذلك وكرر لهم الإنذارات فلم تؤثر فيهم بل صاروا يبدون لحمدان أوجه المحاولة [١] ويعدونه بالتسليم ليتمكنوا من الهروب الى أقاصي الجبال في مدة المجادلة المذكورة . فبينما هم على هذه الحالة إذ قاموا ليلاً من محل تجمعهم الذي كانوا به هاربين لأقاصي جبال الصعيد فانفصلت منهم طائفة وحضروا عند حمدان أبي عنجة وأخبروه بهروب أصحابهم . فعند ذلك أراد حمدان أن يقوم بنفسه ليقفو أثرهم فأتاه رؤساء الأصحاب وأهل الشجاعة

(١) قلنا : هكذا هنا وفي أدناه : المجادلة . وعندنا أن الأخير أقرب الى الصواب .

والإقدام من الجيش وطلبوا منه أن يتأخر . فتأخر في باقي الجيش وقام أهـــل الإقدام من الجيش وقصدوا الجهادية المذكورين فوافوهم بـذروة جبل فأوقعوا بهم في الظلمة قرب طلوع الفجر فأمطروا عليهم سحاب الرصاص فانهزم الجهادية المذكورون وقتلوا شر قتلة ولم ينج منهم إلا القليل ومن سلم من القتـل انضم الى الجيش وتبدد شملهم . وقد أرسل حمدان أبو عنجة رؤوس بعض رؤساء العبيد المذكورين لبقعة المهدي عليه السلام فعلقت بالسوق ثم دفنت .

واستقامت الأحوال بصعيد كردفان واطمأن الناس غاية الاطمئنان ولم يبق هناك من يخشى منه [٣٦٢] حصول مفسدة الا أهلكه الله على يدي حمدان أبي عنجة ، فجزاه الله عن الاسلام خيراً .

ثم إن خليفة المهدي عليه السلام طلب حمدان أبا عنجـــة هو ومن معه من الجيش بالحضور . فحضروا وقابلوا سيدنا خليفة المهدي عليه السلام . والآن حمدان أبو عنجة بمقابلة الجيش . •

هذا وقد حدثني بهذه السرية الثقة من أصحاب المهدي عليه السلام فأثبتها على هذا المنوال ، والله ولي التوفيق .

سرية محمد بن عبد الكريم الى مديرية سنار وملحقاتها (١) :

مدينة سنار آخر مدائن السودان تسليماً ومتابعة للمهدي عليه السلام ، مع أنها أم القرى السودانية ، وذلك لحكمة يعلمها الخبير العلام . وقد استمرت على محاربة أصحاب المهدي عليه السلام تقريباً من ثلاث سنين . وتوالى عليها الحصار

---

(١) قلنا : جاء في الهامش قوله : مطلب سرية محمد بن عبدالكريم الى سنار .

من عدة جماعة من أصحاب المهدي عليه السلام مثـــل عامر ولد عمر المكاشف وأخيه أحمد عمر المكاشف وعبـــد القادر بن الحسنة وغيرهم . وقد جرت بين المذكورين وبين ترك مديرية سنار حروب أريقت فيهـــا دماء كثيرة وحصلت بينهم وقعات شهيرة يطول شرحها إلى أن فتحت مدينة الخرطوم .

فبعث المهدي عليه السلام محمد بن عبد الكريم وهو من أقارب المهدي عليه السلام داعياً للترك الذين بسنار وجميع أهالي تلك الجهات الى الله وإلى الدخول في طاعة المهدي عليه السلام . وأمره عليه السلام بالإحسان اليهم والعفو عمـــا مضى منهم إن جاءوا اليه تائبين ومنقادين . فخرج محمـــد ولد عبد الكريم ومن معه من الجيوش الذين وجههم المهدي عليه السلام معه لسنار وفيهم جماعـة من أمراء قبائل الحمر أهل الشجاعة والإقدام أمرهم المهدي عليه السلام بالانضمام إلى محمد عبد الكريم لفتوح سنار .

فخرج في آخر جمادى الأولى من سنة [٣٦٣] اثنين بعد الثلثمائة والألف [١] مجداً السير . وقد سير الجيوش المذكورة براً وبحراً للاسراع والوصول بـدون تأخير . فوصل لسنار ثالث رجب الفرد من السنة المذكورة [٢] . ونازل البـلد بالقرب اليها بحيث أن الجلة من طوابي الترك تصل إلى قرب محل النزول. وكتب محمد ولد عبد الكريم إلى أهالي سنار من ترك وغيرهم الانذارات ووعـــدهم بالجميل والعفو والصفح عما مضى إن خرجوا اليه طائعين وحذرهم عاقبة المخالفة.

---

(١) قلنا : وجه المهدي خطاباً إلى جماعة محمد عبد الكريم بصدد توجههم إلى سنار في ٢١ جماد أول سنة ١٣٠٢ الموافق ٩ مارس ١٨٨٥ . انظر المرشد إلى وثائق المهدي رقم ٦٠١ . ويبدو أن الجيش تحرك لسنار في ١٠ مارس . انظر المرشد الى وثائق المهدي رقم ٦٠٢ .

(٢) قلنا : يوافق ذلك ١٩ أبريل ١٨٨٥ .

وأرسل لهم الكتب المذكورة فلما قرأوها كتبوا له مظهرين الطاعة والندم على ما فات وأنهم شارعون في المداولة والمراجعة مع بعضهم البعض حتى تتفق كلمتهم على التسليم والطاعة فيأتون اليه منقادين . وما زالت الرسل تتردد اليهم وهم في أثناء ذلك مجتهدون في الاستعداد وتعميق خنـــدقهم وإدارة سورهم وتعلية الطوابي وغير ذلك من أوجه الاستعداد [1] . والقائم إذ ذاك بأمر الترك وتدبير أمورهم ومعاضدة جمهورهم النور بيك محمد وحسن بيك عثمان .

فلما تحقق لمحمد عبد الكريم أن ذلك كله من الترك خداع ومكيدة وأنهم مصممون على الحرب جمع الأصحاب وأعلمهم بجميع مـــا حصل من الترك وذاكرهم فاتضح للجميع غدرهم وتصميمهم على الحرب . فعنــد ذلك أمرهم بالاستعداد للحرب ومحاصرة أهل سنار والقعود لهم بكل مرصد ليمنعوهم من الانتشار والخروج للاحتطاب وما أشبهه . وأمر أصحاب الرايات بالتشديـــد عليهم من الحصار الى الغاية . وأمر مصطفى ولد جبارة ومن معه بالنزول بشرق النيل بمقابلة سنار لأن البلد بتلك الجهة في غاية من الانكشاف وشدة التمكن ممن فيه ، [٣٦٤] وذلك لأن سنار على ساحل النيل [2] ، فالمقيم بجهة الشرق

---

(١) قلنا : بدار الوثائق القومية العربية بالقاهرة خريطة وحيدة لاستحكامات مدينة سنار ، وهي مرسومة باليد ومعها خريطتان للخرطوم إحداهما كبـــيرة والاخرى صغيرة ، وتظهر فيهما استحكامات الخرطوم وأم درمان بشكل لم يظهر في مكان آخر . كما أن بهـــا خريطة لمدينة الدويم .

(٢) قلنا : يقصد النيل الازرق . وقد أنشىء في هذا الموضع خزان سنار المشهور والذي يروي مشروع الجزيرة بالاضافة الى تخزين الماء . وقد خرب الخليفة المدينة بعد فتحها ثم عمرت في العهد الثنائي وسميت بسنار المدينة تمييزاً لها عن سنار التقـــاطع ، والاخيرة ملتقى خطوط السكة حديد - وكانت سنار القديمة عاصمة الفونج على مسافة كيلوين شمال سنار المدينة . =

المذكورة يتمكن منهم غاية التمكن. وأمر بعضاً من الأمراء بالنزول والمحاصرة من جهة البساتين الملاصقة للبلد جداً مما يلي شاطىء النيل، بحيث أن من بالبساتين المذكورة يرى جميع من كان من أهل البلد ممن يكون موالياً للبساتين المذكورة وربما يسمع كلامهم .

وهكذا أمر باقي الأصحاب فنازلوا البلد وجعلوا لهم طوابي قريباً من البلد وجعلوا عليها المدافع وشرعوا في محاصرة أهل البلد والتضييق عليهم وأخذهم بالخناق حتى منعوهم من الورود الى البحر نهاراً، لأنه كلما لاح لهم شخص رموه بالرصاص حتى منعوا من كان موالياً لمحلات الحصار من اهل البلد من الدخول والخروج في المنازل، فصاروا لا يردون البحر إلا ليلاً، فيأخذون من المياه ما يكفيهم جميع النهار الى دخول الليل . ووقعوا بأسباب ذلك في مشقة شديدة. حتى إنه إذا انفلتت من أهل البلد بهيمة ووردت البحر يرميها الأصحاب بالرصاص توهيناً وتضعيفا لأمر العدو، ولأن المكائد لها تأثير في الحروب حتى أن من كان من أهل سنار في المنازل القريبة من محل الحصار إذا أراد الخروج أو الدخول في محل يدب دبيباً حتى يسلم من الرمي بالرصاص، وعلى هذا القياس . فهلك من أهالي سنار جماعة بأسباب ما ذكر .

ثم إن محمد ولد عبد الكريم جمع جميع الأمراء الذين معه بسنار ومن كان من أهل المشورة والرأي واستشارهم فيما يكون من أمر سنار . فاتفق رأيهم على الحملة والدخول [٣٦٥] عليهم ليقضي الله أمراً كان مفعولاً . وقد كان أهل سنار عملوا لهم سوراً عظيماً أداروه على البلد وجعلوا فيه ثقوباً بقدر ما يتمكنون

وعرفت سنار المدينة في أول أمرها بمكوار نسبة الى أن موضع الخزان يعرف بالمكوار وما زال الناس الى الآن يقولون خزان مكوار ثم غلب اسم سنار على المدينة لما أنه اسم عاصمة الفونج وعاصمة الادارة المصرية في الاقليم . وقيل إن أصل الاسم هو سينارتي وهو يعني بلغة النوبة جزيرة سنار وليس من السنار كما رأى البعض .

به من الضرب بالرصاص وحفروا حوله خندقاً عظيماً وبلطوه بلطاً محكماً ليزداد ملاسة وأحكموا أمره غاية الإحكام وجعلوا وراء الخندق المذكور زرباً متينا من الشوك . وقطعوا الأشجار التي حول البلاد من جميع الجهات . فصار ما حول البلد من جميع الجهات في غاية الانكشاف .

ولما اتفقت كلمة الأصحاب واتفق رأيهم على الدخول وأخذ البلد عنوة بالسيف ، أمر محمد ولد عبد الكريم مصطفى ولد جبارة بإحضار جميع أهل الرايات الذين هم معه بالشرق للحصار . فأرسل اليهم يأمرهم بالحضور ، فتجاوزوا البحر على المراكب ليلاً وحضروا بأجمعهم . واجتمع جميع الجيش بالجهة الغربية محل نزول محمد ولد عبد الكريم والجيش . فذاكرهم محمد ولد عبد الكريم وحرضهم على الصبر وصدق النية والوثوق بالله تعالى في جميع الأمور والعزم على الدخول بدون تردد ولا نكول .

فقام جميع الجيش ولم يتخلف منه أحد وقصدوا الخندق المذكور ، وذلك بعد هجعة من الليل . وبينما الأصحاب سايرون نحو الخندق إذ شعر بهم الترك لشدة حركة الجيش ، وربما تكلم متكلم بأعلى صوته فيسمعون صوته ، فاستعد الترك لما علموا بذلك غاية الاستعداد وأكثروا من الأسلحة النارية في الجهة المذكورة ، أعني جهة الخندق مما يلي شاطىء البحر . وعند طلوع الفجر حمل الأصحاب عليهم قاصدين الخندق وصاحوا بالتهليل ، فأمطر الترك عليهم سحائب الرصاص وتوالت عليهم الجلل ، ووالوا عليهم الضرب بغير فاصل ، وتراكمت الظلمات حتى لا يبصر [٣٦٦] الرجل ولا يميز من حوله ، والرصاص يعمل في الأصحاب الأعمال العجيبة ، وهم جادون في السير إلى أن اقتحم أهل السبق منهم الخندق المذكور ومروا عليه كأنه أرض مستوية ، ودخلوا عليهم بداخل البلد ، فقتلوا الطوبجي وأخذوا المدافع وألقوها في الخندق وعطفوا على الترك الذين بالخط الناري حول المدافع المذكورة يقتلونهم . فانهزموا من الخط المذكور وتبعهم الأصحاب الذين دخلوا يقتلونهم إلى أن أدخلوهم البيوت،

وصار الأصحاب يقتلون كل من قابلوه بداخل البلد . وكاد الأصحاب يملكون البلد لولا سابق قضاء الله جل وعلا بتأخير ذلك الى اليوم الذي أراده .

وذلك لأن بعضاً من الأصحاب لما قربوا من الخندق ، تكاثر الضرب عليهم بالأسلحة النارية لسبب أن بعضاً من الترك الذين كانوا حول الخندق بالجهة التي حصل منها الدخول لما رأوا الأصحاب دخلوا في البلد وقتلوا الطوبجي وطرحوا المدفع في الخندق، فروا هاربين إلى النور بيك الذي هو رئيس العساكر إذ ذاك فأخبروه بما حصل فأسرع النور بيك المذكور من جهته التي هو واقف بها بالحضور للجهة التي دخل منها الأصحاب ، لكون الأصحاب لم يدخلوا بها بل دخلوا من الجهة التي ذكرناها ، لأنها أقرب جهة الى البحر وقريبة من المحاصرين من جهة البساتين أيضاً ، فالدخول منها أمكن . فلما حضر النور بيك في الجهة المذكورة ومعه من أهل الشجاعة العارفين [٣٦٧] بقانون الحرب عندهم جملة وافرة ، أمر بالنفخ في البور ليشعر الترك بحضوره في الجهة المذكورة. فاجتمعوا سريعاً وانتظمت صفوفهم بالجهة المذكورة ووالوا الضرب على الأصحاب تباعاً بدون فاصل حتى منعوهم من الدخول واللحوق بإخوانهم الذين دخلوا قبلهم . وجعل النور بيك همه وعزمه في صد الاصحاب عن الدخول واللحوق بأصحابهم ، وأكثر عليهم الضرب حتى منعهم من الدخول . ثم أمر الترك الذين حوله بأن يتتبعوا الأصحاب الذين هم بداخل البلد فتبعوهم وقاتلوهم قتالاً شديداً . وقد أكرم الله أكثر الأصحاب المذكورين بالشهادة . ولولا ذلك لكان الأصحاب يملكون البلد في تلك الدخلة . ولكن كان ذلك في الكتاب مسطوراً . ثم رجع الاصحاب إلى أماكن الحصار. وقد استشهد في هذه الوقعة جماعة من الأصحاب. وأما الترك فهلك منهم كثيرون .

ثم إن الأصحاب شددوا عليهم في الحصر ولزموا المراصد المذكورة ليلاً ونهاراً . وكل يوم يمر محمد ولد عبد الكريم على جميع جهات الحصار ويحرض

الأصحاب المحاصرين ويذاكرهم ويأمرهم بالصبر والثبات وهكذا . وقد اشتد الحال على الترك ومن معهم وعمهم الجوع ، ولا سيما الضعفاء من أهل البلد فانهم هلكوا من شدة الجوع ، وتعذرت عليهم الأقوات حتى أكلوا الجيف والكلاب والحمير والجلود البالية وعدموا المأكول بداخل البلد ، حتى ضار الضعفاء من أهل البلد والنساء والرقيق والأطفال الذين أضربهم الجوع وتقطعت بهم الأسباب ، يخرجون بقرب الخندق لالتقاط الحشيش الأخضر مثل الضريسة وما شابهها ليتقوتوا به ، كون الوقت زمن الخريف ، والترك يرسلون [٣٦٨] معهم الخفراء لحراستهم مخافة هروبهم وانضمامهم للأصحاب بمحل الحصار ، لكونه قريباً منهم. فصار كل من وجد له فرصة وغفلة يهرب من الخفراء ويحضر عند الأصحاب بمحل الحصار فيرسلونه للديم محل نزول الجيش ليتمعش هناك . وربما كان بعض الخفراء يهرب أيضاً إلى جهة الأصحاب لأنهم أيضاً في غاية من الجوع والضنك وهكذا . ولما كثر انتشارهم من البلد بهذه الوسيلة أمر محمد ولد عبد الكريم أهل الخيل من الاصحاب بأنهم يخرجون عند طلوع الفجر ويكمنون لهم في الأماكن المنخفضة من الأرض، لأن أغلب حوالي سنار أماكن منخفضة وبعضها مرتفع كالتلال ، فصاروا يكمنون لهم هناك . فإذا خرجوا لالتقاط الحشيش حملوا عليهم بالخيل فيهرب الخفراء إلى داخل البلد . ومن قاتل منهم يقتلونه . ومن وقف بدون قتال أسروه . حتى بأسباب ذلك تخلص أكثر المستضعفين ومن له غرض في الخروج وانضموا إلى الأصحاب بالديم . وقد يقوم بعض من الرجالة من الأصحاب ويكمنون حول الخندق ، وكل من خرج من أهالي سنار مريداً الوصول للديم يأخذونه ويوصلونه إلى الديم . فتجد الأصحاب يأتون بهؤلاء الضعفاء وهم بمحل أشنع حالة وأقبح صنعة من الجوع ، كأنهم خرجوا من الاجداث [٣٦٩].

ولما اشتد على الترك بسنار الحال وضاقت عليهم الارض بما رحبت وانقطعت آمالهم من طلب نجدة تأتي اليهم من جهة مصر أو غيرها لأن اللعين كان يمدهم

بإتيان نجدة ويمنيهم، وما يعدهم الشيطان إلا غروراً. وكلما أرسلوا لهم بوسطة خفية يريدون توصيلها لأماكن الحكومة في زعمهم تقع في قبضة أصحاب المهدي عليه السلام. حتى أنهم صاروا يجعلون الجوابات بين الفص والخاتم بأن يكتبوها في ورق رفيع جداً ويحتالون على إدخاله بين الفص والخاتم بيد حامل البوسطة، فيهتك الله سترهم ويكشف أمرهم لأصحاب المهدي عليه السلام، فيضبطون حامل البوسطة المذكورة ويبالغون في تهديده والتفتيش عليه حتى يظهرها لهم، حتى أنهم ضبطوا شخصاً فوجدوا عنده البوسطة مجعولة بين نصاب السكين وبين الخشبة التي بداخلها نصاب السكين كون البوسطة أوراقها رفيعة جداً. وهكذا يفعلون ويحتالون ويهتك الله سترهم وزلت أقدامهم وزلت أحلامهم مع ما فيه من شدة الجوع عزموا على الخروج لمحاربة الاصحاب وتصمموا على أخذ الديم ليتمكنوا من أخذ الغلال التي فيه أو يموتوا دون ذلك. فاستعدوا غاية الاستعداد وخرجوا من البلد قاصدين [٣٧٠] جهة الديم بمحل يدعى أم صوينية، ووقع المصاف بينهم وبين الاصحاب وانتشب الحرب بينهم، فاقتتلوا قتالاً شديداً فكانت الدائرة على الترك، فرجعوا منهزمين ولم يظفروا بمقصودهم. واستشهد من الاصحاب في هذه الوقعة من استشهد وهلك من الترك جملة وافرة.

وبعد هذه الوقعة شرع أهل سنار ولا سيما الضعفاء والمماليك يخرجون أفواجاً أفواجاً ويتساقطون على محلات الحصار عليهم غيرة من الضنك والجوع والخوف. ولما تحقق للترك الذين بسنار اختلال أمرهم وأنهم إذا استداموا على هذا الحال إما أن يهلكوا جوعاً أو يأخذهم الأصحاب باليد بدون محاربة، لأن أغلب الناس عدموا القوت بالكلية وأضر بهم أكل الاشياء المسترذلة مثل الجلود والجيف لانه أسقط قواهم وأضى بهم ذلك الى الهلاك.

و[لما] مضى لهم نحو عشرة أيام من وقعتهم المذكورة تصمموا وعزموا على أخذ

الديم أو موتهم دون ذلك . فخرجوا على غاية من الاستعداد مارين على الجهة التي أتوا منها أولاً . فوافاهم الأصحاب هناك والتحم القتال بينهم . ففي أثناء الحرب ضرب محمد ولد عبد الكريم على فخذه بالرصاص إلى أن انكسر فخذه المذكورة . وبذلك تمكن الترك [٣٧١] من الوصول إلى أطراف الديم . واضطربت الأحوال بأسباب الجولة والحركة الحاصلة من النساء والصبيان والعواجز الذين بالديم لأن المحاربة اتصلت بالديم . فتحول أهل الديم ، وحمل محمد ولد عبد الكريم على أعناق الرجال إلى المراكب ، وانحاز الجيش إلى الجهات التي حوالي سنار مثل جهات البرياب وغيرها . وبعض من الجيش تجاوز البحر على المراكب ورجع محل الحصار بجهة الشرق . واجتمعوا هناك . واستولى الترك على الديم واحتاطوا به وأخذوا جميع ما وجدوه فيه من غلال وغيرها . ثم أشعلوا فيه النيران من جميع جهاته حتى احترق .

ومع ذلك فإن الترك في غاية من الجوع لأن ما أخذوه من الديم من الغلال لم يغن عنهم شيئاً . وعادوا لحالتهم الأولى من الضنك والجوع الشديد . ثم اتفق رأيهم على إرسال طائفة منهم الى جهة الشرق لعلهم يتمكنون من تحصيل الغلال من تلك الجهات . فخرج حسن بيك عثمان المذكور ومعه فرقة من العساكر وأهل البلد وتجاوزوا البحر على المراكب ووصلوا بجهة الشرق . فاستعد للقائهم الأصحاب الذين بالشرق من أهل راية مصطفى ولد جبارة وغيرهم من أصحاب الرايات الذين كانوا محاصرين معهم بجهة الشرق ، وقابلوا الترك هناك وحملوا عليهم حملة صادقة ، وقتلوهم قتلا ذريعاً : وقتل حسن بيك المذكور [٣٧٢] ، ولم ينج منهم الا الشريد .

وقد كان محمد بن عبد الكريم لزم الفراش بأسباب انكسار فخذه كما ذكرنا ، وأمر محمد أحمد ولد شيخ إدريس ، وهو من أقارب المهدي عليه السلام أيضاً

وهو من أصحاب الرايات الذين مع محمد ولد عبد الكريم ، أن يتوجه بالجيش لسنار ويرسل لبقية الجيش من جميع الجهات ، كون الجيش كما ذكرنا انحاز إلى جهات متعددة من جهات سنار . ثم بعد اجتماع الجيش يدخلون على الترك في استحكامهم ليقضي الله فيهم أمره . فتوجه محمد أحمد المذكور واجتمعت عليه الجيوش هناك . هذا ولما علم الترك هلاك أصحابهم بالشرق كما ذكرنا ومن فر منهم من القتل ودخل المراكب وأراد الوصول إلى سنار ، تناول الوابور الذي حضر مع محمد أحمد شيخ إدريس بسنار وأوصل الترك الذين هم بالمراكب لمحمد أحمد شيخ إدريس وانسد على الترك الذين بسنار أوجه السلامة ، وخافوا حلول الدمار والهلاك ، وأن الأصحاب عازمون على مناولتهم في أقرب وقت أرسلوا لمحمد أحمد شيخ إدريس يطلبون الأمان ليخرجوا اليه طائعين ومسلمين . فأمنهم فخرجوا اليه من سنار أجمعين تركا وغيرهم وقابلوه فعفا عنهم وبايعهم .

هذا ولقد كان خليفة المهدي عليه السلام سيدنا الخليفة [٣٧٣] عبدالله بن محمد خليفة الصديق لما بلغه ما حصل للأصحاب بسنار أرسل عبد الرحمن ولد النجومي ومحمد عثمان أبا قرجة وغيرهما من الأمراء والأصحاب ومعهم جيوش لا يعلم عددها إلا الله ، وسيرهم في البر والبحر لأخذ سنار وفتحها عند وصولهم حالاً بدون تأخير . فاتفق تسليم سنار قبل وصول الجيش المذكور بيومين .

وبعد تسليم أهل سنار دخل محمد أحمد ولد شيخ إدريس ومن معه من الأصحاب البلد واستولوا عليه . ثم بعد أيام حضر محمد ولد عبد الكريم بالبحر على الوابور من محل يسمى البرياب ودخل البلد .

وتم أمر سنار على الطاعة والدخول في حزب المهدية . والفتح المذكور حصل بعد انتقال المهدي عليه السلام إلى دار الكرامة ، وذلك في أيام سيدنا الخليفة

الأكبر خليفة المهدي عليه السلام، أدام الله أيامه مشرقة بأنوار الهداية مصحوبا من ذي الجلال بكمال العناية والرعاية آمين. هذا وتسليم سنار كان في شهر القعدة من السنة المذكورة [1] . وبالله التوفيق .

هذا وليعلم المحب لجناب هذا السيد المكرم والوسيلة إلى نيل السعد الأفخم أنه لا سبيل لنا إلى استقصاء جميع ما يتعلق [٣٧٤] بسيرة المهدي عليه السلام في هذا الكتاب ، لأن ذلك ليس في الطاقة ، وإنما تكلمنا على اليسير من سيرته عليه السلام حسبما اطلعنا عليه ورويناه من الثقات من أصحاب المهدي عليه السلام على قدر الطاقة والامكان وما فتح به علينا المنان .

نبذة من منشورات المهدي[2] :

وقد آن أن نذكر ما وعدنا من إيراد نبذة يسيرة من منشوراته عليه السلام على وجه التبرك ، لتكون طرازاً لحلة هذه السيرة التي هي بالقبول عند ذوي البصائر جديرة . وأما جميع منشوراته عليه السلام فيضيق عنها نطاق هذه الورقات فإنها تحتوي على عدة مجلدات كما يعلم ذلك من الاطلاع على جامع المنشورات[3] .

---

(١) قلنا : كان تسليم مدينة سنار في ١٩ أغسطس ١٨٨٥ .

(٢) قلنا : هذا العنوان من عندنا مأخوذاً مما يذكره المؤلف .

(٣) قلنا : تبلغ رسائل المهدي عدداً كبيراً . وقد وضع المحقق سجلاً وافياً لها هو المرشد الى وثائق المهدي وفي النية وضع مرشد للمصنفات . أما المنشورات المطبوعة التي يشير إليها الكاتب بقوله جامع المنشورات فهي مطبوعة على الحجر . وهي تتكون من سلسلة رئيسية كبرى تتكون من أربعة أجزاء ، أولها في أسس المهدية ومراميها والثاني في المراسلات والانذارات والثالث في الآداب والاحكام والرابع في الخطب والاخير غير كامل. وقد نشرت دار الوثائق =

فينبغي لأصحاب المهدي عليه السلام الاطلاع على جامع المنشورات والعمل بما فيه لأنه الوسيلة العظمى لأهل السعادة والحظ الأوفر لمبتغي الحسنى وزيادة . فنقول :

ذكر المنشور الدال على بيان أنه المهدي المنتظر(1) كما أخبر بذلك سيد البشر(2). ولفظ المنشور :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم .

= هذه المجموعة مصورة . وهناك كتيبات صغيرة مطبوعة منها مطبوع فيه وصف المهدي لصلاة التراويح وبعض كتيبات فيها منشورات حول مكانة الخليفة . وهناك مجموعة أكبر ترد فيها كل ما كتب المهدي عن الخليفة عبد الله ومكانته وبعض ما وجهه اليه من مكاتبات ، أما جمع المنشورات فلم يكن عمل رجل واحد كما يفهم من كلام المؤلف وإنما تفرغ لاختيار ونسخ كل جزء مصنف . انظر في ذلك مقدمات أجزاء المنشورات (نشر دار الوثائق) وكتاب المحقق : الحركة الفكرية في المهدية .

(1) قلنا : ورد في هامش المخطوط هنا ما يلي :

قوله : « الدال على بيان أنه المهدي المنتظر » بيـــان توجه إعادة هذا المنشور هنا ثانياً وإن ذكر أولاً في باب دعاية المهدي عليه السلام للخلق للدين الخ ا هـ . لجامع السيرة . أي أن هذا التعليق للمؤلف نفسه وهو يعني أنه يعيد نقل هذا المنشور في هـــذا الموضع لدلالته على أنه المهدي المنتظر وقد نقله في المكان السابق لاتصاله بالدعوة .

(2) قلنا : يعرف هذا المنشور بمنشور الدعوة ، أي بيان دعوة المهدية ومراميهـــا وأهدافها والأسس التي تقوم عليها . وقد كتب المهدي في ذلك منشوراً وهو في أبا ، إلا أنه كان قصيراً ، ثم كتب هذا بعد أن بلغ جبال النوبة وهو في طريقه الى قدير . وقد نظر فيه وأجريت تعديلات وظهر بهذه الصورة المعدلة في المنشورات المطبوعة وهي النص الذي ينقله المؤلف . وهناك منشورات أخرى في هذا المعنى الا أن هذا هو المنشور الوحيد الذي يشار اليه بمنشور الدعوة . انظر التعليقات أعلاه (ص ٩٠ وما يلي).

وبعد ، فمن العبد المفتقر إلى الله محمد المهدي بن عبد الله إلى أحبابه في الله المؤمنين بالله وبكتابه .

أما بعد فلا يخفى تغير الزمن وترك [٣٧٥] السنن ولا يرضى بذلك ذوو الإيمان والفطن ، بل أحق أن يترك لذلك الأوطار والوطن لإقامة الدين والسنن . ولا يتوانى عن ذلك عاقل لكون غيرة الإسلام لمؤمن تجبره .

ثم ، أحبابي ، كما أراد الله في أزله وقضائه تفضل على عبده الحقير الذليل بالخلافة الكبرى من الله ورسوله ، وأخبرني سيد الوجود ﷺ بأني المهدي المنتظر ، وخلفني عليه الصلاة والسلام بالجلوس على كرسيه مراراً بحضرة الخلفاء الأربعة والأقطاب والخضر عليه السلام وأيدني الله تعالى بالملائكة المقربين وبالأولياء الأحياء والميتين من لدن آدم إلى زماننا هذا . وكذلك المؤمنين من الجن . وفي ساعة الحرب يحضر معهم أمام جيشي سيد الوجود ﷺ بذاته الكريمة . وكذلك الخلفاء الأربعة والأقطاب والخضر عليه السلام . وأعطاني سيف النصر من حضرته ﷺ ، وأعلمت أنه لا ينصر علي معه أحد ولو كان الثقلين الإنس والجن . ثم أخبرني سيد الوجود ﷺ بأن الله جعل لك على المهدية علامة وهي الخال على خدي الأيمن وكذلك جعل لي علامة أخرى : تخرج راية من نور تكون معي في حالة الحرب يحملها عزرائل عليه السلام فيثبت الله بها أصحابي وينزل الرعب في قلوب أعدائي ، فلا يلقاني أحد بعداوة إلا خذله الله .

ثم قال لي ﷺ : إنك مخلوق من نور عنان قلبي ، فمن له [٣٧٦] سعادة صدق بأني المهدي المنتظر . ولكن الله جعل في قلوب الذين يحبون الجاه النفاق فلا يصدقون حرصاً على جاههم . قال ﷺ : حب المال والجاه ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل . وجاء في الأثر : إذا رأيتم العالم يحب الدنيا

فاتهموه على دينكم . وجاء في بعض كتبه القديمة : لا تسأل عني عالماً أسكره حب الدنيا فيصدك عن طريق محبتي فأولئك قطاع الطريق على عبادي .

ولما حصل لي ، يا أحبابي ، من الله ورسوله أمر الخلافة الكبرى ، أمرني سيد الوجود ﷺ بالهجرة إلى ماسة بجبل قدير . وأمرني أن أكاتب بها جميع المكلفين أمراً عاماً . فكاتبنا بذلك الأمراء ومشايخ الدين فأنكر الأشقياء وصدق الصديقون الذين لا يبالون فيما لقوه في الله من المكروه وما فاتهم من المحبوب المشتهى ، بل ناظرون إلى وعده سبحانه وتعالى بقوله : « تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين » .

وحيث ان الأمر لله والمهدية أرادها الله لعبده الفقير الحقير الذليل محمد المهدي بن عبدالله فيجب بذلك التصديق لإرادة الله . وقد اجتمع السلف والخلف في تفويض العلم لله ، فعلمه سبحانه [وتعالى] لا يتقيد بضبط القوانين ولا بعلوم المتفننين بل يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده [٣٧٧] أم الكتاب . قال تعالى : « ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء ، وعنده مفاتح الغيب ، لا يعلمها إلا هو ، ولا يسأل عما يفعل ، وربك يخلق ما يشاء ويختار ويختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم » . وقد قال الشيخ محيي الدين بن العربي في تفسيره على القرآن العظيم : علم المهدي كعلم الساعة والساعة لا يعلم وقت مجيئها على الحقيقة إلا الله . وقال الشيخ أحمد بن إدريس : كذبت في المهدية أربعة عشر نسخة من نسخ أهل الله . ثم قال : يخرج من جهة لا يعرفونها وعلى حال ينكرونها .

وهذا لا يخفى على علمكم أن التأليفات الواردة في المهدي منها الآثار وكشف الأولياء وغير ذلك . فيتخلف كل منها كما علمتم من أنه : يمحو الله ما يشاء

ويثبت الآية ، ومنها الأحاديث : فمنها الضعيف والمقطوع والمنسوخ والموضوع . بل الحديث الضعيف ينسخه الصحيح ، والصحيح ينسخ بعضه بعضاً كما الآيات تنسخها الآيات . وحقيقة ذلك على ما هي عليها لا يعرفها إلا أهل المشاهدة والبصائر .

[٣٧٨] هذا وقد أخبرني سيد الوجود ﷺ بأن من شك في مهديتك فقد كفر بالله ورسوله ، كررها ﷺ ثلاث مرات . وجميع ما أخبرتكم به من خلافتي على المهدية الخ فقد أخبرني به سيد الوجود ﷺ يقظة في حال الصحة خالياً من الموانع الشرعية ، لا بنوم ولا جذب ولا سكر ولا جنون ، بل متصفاً بصفات العقل ، أقفو أثر رسول الله ﷺ بالأمر فيما أمر به والنهي عما نهي عنه .

والهجرة المذكورة بالدين واجبة كتاباً وسنة . قال تعالي : « يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم » . وقال ﷺ : من فر بدينه من أرض إلى أرض وإن كان شبراً من الأرض استوجب الجنة ، وكان رفيق أبيه خليل الله إبراهيم ونبيه محمد عليهما الصلاة والسلام . وإلى غير ذلك من الآيات والأحاديث . وإجابة داعي الله واجبة ، قال تعالى : « واتبع سبيل من أناب إلي » . فإذا فهمتم ذلك فقد أمرنا جميع المكلفين بالهجرة إلينا لأجل الجهاد في سبيل الله [٣٧٩] أو إلى أقرب بلد منكم لقوله تعالى : « قاتلوا الذين يلونكم من الكفار » . فمن تخلف عن ذلك دخل في وعيد قوله تعالى : « قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم » الخ . وقوله تعالى : «يا أيها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض ، أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة » الخ الآيتين . فإذا فهمتم ذلك فهلموا [إلى الله] للجهاد في سبيله ولا تخافوا من أحد غير الله لأن خوف المخلوق من غير الله يعدم الإيمان بالله والعياذ بالله من ذلك . قال تعالى : «فلا تخشوا الناس واخشون» . وقال تعالى : «والله أحق أن تخشوه» . لا سيما

[وقد] وعد الله في كتابه العزيز بنصر من ينصر دينه . قال تعالى : « إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » . وقال تعالى : « إلا تنصروه فقد نصره الله » .

وحيث إن لم تجيبوا داعي الله وتبادروا لإقامة دين الله تلزمكم العقوبة عند الله تعالى لأنكم أدلة الخلق وأزمتها فمن كان مهتماً بإيمانه ، شفيقاً بدينه ، حريصاً على أمر ربه أجاب الدعوة واجتمع معمن ينصر دينه . وليكن معلومكم أني من نسل رسول الله ﷺ ، فأبي حسني من جهة أبيه وأمه . وأمي كذلك من جهة أمها ، وأبوها عباسي ، والعلم لله أن لي نسبة إلى الحسين .

وهذه المعاني الحسان تكفي لمن أدركه الله بالإيمان ، فلا عبرة لمن يراها ولم يصدق بها . هذا والسلام .

ذكر المنشور الدال على أن سيدنا خليفة المهدي عليه السلام [٣٨٠] سيدنا الخليفة عبد الله بن محمد خليفة الصديق هو من المهدي عليه السلام والمهدي عليه السلام منه ، وأن جميع ما يفعله بأمر النبي ﷺ ، الخ ، ولفظه :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم .

وبعد ، فمن العبد المفتقر إلى الله محمد المهدي بن عبد الله إعلاماً منه إلى كافة الأمراء والمشايخ والتجار والعمار وعامة عباد الله المؤمنين بالله وبكتابه خصوصاً المهاجرين والأنصار الذين اختارهم الله تعالى لإقامة الدين وإحياء سنة سيد الأولين فهم الذين بايعونا على تقويم الدين وبيان حقيقة الإيمان فكانت بيعتهم كبيعة أهل الرضوان ، فجزاهم الله بالنظر إلى

وجهه ، وهل جزاء الإحسان الا الإحسان ! فرحم الله قوماً باعوا نفوسهم لله ونصروا وتركوا الأوطان وهاجروا وتحزبوا لأجل الله في الله وشكروا وآووا لمن أقام الدين ونصروا [١] .

أما بعد ، اعلموا أيها الأحباب أن الخليفة عبد الله خليفة الصديق المقلد بقلائد الصدق والتصديق [فهو خليفة الخلفاء] وأمير جيش المهدية المشار إليه في الحضرة النبوية ، فذلك السيد عبد الله ابن السيد محمد ، حمد الله عاقبته في الدارين .

فحيث علمتم ذلك يا أحبابي [٣٨١] أن الخليفة عبد الله هو مني وأنا منه وقد أشار إليه سيد الوجود ﷺ فتأدبوا معه كتأدبكم معي وسلموا إليه [٢] ظاهراً وباطناً كتسليمكم لي وصدقوه في قوله ولا تتهموه في فعله . فجميع ما يفعله بأمر النبي ﷺ أو بإذن منا لا بمجرد اجتهاد منه ولا هو عن هوى بل هو نايب عنه في تنفيذ أمره صلى الله عليه وسلم والقضاء بإشارته . فإن فعله وحكمه فيكم بحسب ذلك .

واعلموا يقينـــاً أن قضاءه فيكم هو قضاء رسول الله ﷺ كما قال الله تعالى : « وما كان لمؤمن ولا مؤمنـــة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقـــد ضل ضلالا

---

(١) قلنا : هذه البداية لا ترد في كتـــاب المنشورات (ص ٣٠) وانما ترد في بعض المصنفات المخطوطة . ولم أوردها في كتاب منشورات المهدية (ص ٦٦). وهذه الواقعة أي الاختلاف في القراءة بين نص المؤلف وكتاب المنشورات ، تدل على أن المؤلف نقل نصه من مصدر غير كتاب المنشورات . وقد قارنا النص هنا وضاهيناه بنص كتاب المنشورات .

(٢) له : منشورات المهدية .

مبيناً [1] » . فمن كان في صدره حرج لأجل حكمة فذلك لعدم إيمانه وخروجه من الدين بسبب غفلته وذلك بشاهد قوله تعالى : « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً [2] » ولا شك في شرك من استنكف عن حكم الله ورسوله سيما بقوله ﷺ : « إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الخفي » الخ الحديث . مع أنه خليفة [٣٨٢] الصديق وأول المصدقين في المهدية . فانظروا لمكانة الصديق عند الله ورسوله بنص القرآن العظيم وانظروا [لمكانة] من أورثه الله مكان الصديقين وأوزره [3] بالباطن بالخضر عليه السلام . فهو مسدد مؤيد من الله ورسوله ويد من أيادي الله لنصرة دينه بإشارة سيد الوجود ﷺ . وقد ورد في فضله كثير . فحيث فهمتم ذلك فالتكلم في حقه يورث الوبال والخذلان وسلب الإيمان .

واعلموا أن جميع أفعاله وأحكامه محمولة على الصواب لأنه أوتي الحكمة وفصل الخطاب ولو كان حكمه على قتل نفس منكم أو سلب أموالكم . فلا تتعرضوا عليه فقد حكمه الله فيكم بذلك ليطهركم ويزكيكم من خبائث الدنيا لتصفى قلوبكم وتقبلوا إلى ربكم . ومن تكلم في حقه ولو بالكلام النفسي جزماً فقد خسر الدنيا والآخرة ، ذلك هو الخسران المبين ، ويخشى عليه من الموت على سوء الخاتمة والعياذ بالله ، لأنه خليفة الصديق الذي قال الله في حقه : « إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا [4] » وقال ﷺ : « إن آمن الناس علي في

---

(١) سورة الاحزاب الآية ٣٦ .

(٢) سورة النساء الآية ٦٥.

(٣) قلنا : في المخطوط : ووازره ، وهو قراءة .

(٤) سورة التوبة الآية ٤٠ .

الصحبة أبو بكر » . وقال أيضاً عليه السلام : « ما طلعت شمس على أحد بعد النبيين أفضل من أبي بكر » . وحيث علمتم ذلك فهو بمنزلته [٣٨٣] الآن لأن أصحابنا كأصحاب رسول الله ﷺ .

وهو المذكور خليفتنا في الدين وخلافته بأمر من النبي ﷺ . فمن كان منكم يؤمن [١] بالله واليوم الآخر ومصدقاً بمهديتي فليسلم للخليفة عبد الله ظاهراً وباطناً . وإذا رأيتم منه أمراً مخالفاً في الظاهر فاحملوه على التفويض بعلم الله والتأويل الحسن واعتبروا يا أولي الأبصار بقصة موسى والخضر عليهما [الصلاة و] السلام ، حكاها الله في كتابه العزيز كحكم داوود وسليمان عليهما الصلاة والسلام لتسلموا من الشكوك والأوهام .

وإنما أنذرتكم بهذا رحمة لكم وشفقة عليكم . وليبلغ الشاهد منكم الغائب لئلا تسبوه وتنسبوا إليه الظلم والجور فتهلكوا . فاحذروا عن أذية أولياء الله فإنها أذية الله ورسوله . وقد لعن الله ذلك في كتابه فقال : « إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة [٢] » كما أن من آذى لي ولياً فقد آذنته بالحرب ، فإن الله غيور على أوليائه ، فقد علمتم أنه ورد : من نقض الكعبة حجراً حجراً ثم حرقها بالنار أهون عند الله من أن يؤذي ولياً من أوليائه . وإن الخليفة هو قادة المسلمين وخليفتنا النائب عنا في جميع أمور الدين وإياكم والوسوسة في حقه وظن السوء وعدم الامتثال إليه في قوله والمشاجرة له أو لأحكامه والخلاف والحسد . فتوبوا إلى الله وارجعوا قبل أن

---

(١) قلنا : هذه قراءة . والقراءة الاخرى : مؤمناً .

(٢) سورة الاحزاب الآية ٥٧ .

تذهب حسناتكم وتسلبوا ثوب الإيمان . وإني ما حملني على هذا البيان (الا) النصيحة في الله وحمايتكم من الوقوع في هاوية الأنفس والاماني . فمن تاب تاب الله عليه ومن عاد فينتقم الله منه [٣٨٤] ويسلطه عليه .

وهذا (بيان [١]) أمر الله ورسوله ، فليحذر الذين يخالفون عن[٢] أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم . ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، والسلام .

١٧ ربيع أول سنة ١٣٠٠ [٣]

ذكر المنشور الدال على التحذير من إخفاء شيء من الغنائم ، ولفظه [٤] :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم .

وبعد ، فمن العبد الفقير إلى مولاه محمد المهدي بن السيد عبد الله الى أتباعه على سكة رسول الله ﷺ .

إن أمرنا (هذا) أيها المؤمنون إنما هو تبع لا بدع . وإنكم قد كررنا لكم [٥] التذكير بشؤم الدنيا والغنائم وخرجت لكم منشورات في ذلك .

---

(١) قلنا : تسقط قراءة من القراءات لفظ بيان .

(٢) قلنا : في قراءة : من .

(٣) قلنا : يوافق ذلك ٢٧ يناير سنة ١٨٨٣ .

(٤) قلنا : راجعنا نص المؤلف هنا مع النص الوارد في كتاب الانذارات .

(٥) قلنا : في كتاب المنشورات : عليكم .

وليس رزق السعيد في تخبئة الغنيمة ، بل إنما الانتفاع بالمخبأ من الغنيمة إنما هو للأشقياء .

وليكن المعلوم عندكم أن من خبأ شيئاً من الغنائم ولو قليلاً فليس من أصحابنا . إنما هو من أصحاب إبليس والدجال ، والسلام .

٩ محرم سنة ١٣٠١ [١]

(١) قلنا : يوافق ذلك ١٠ نوفمبر سنة ١٨٨٣ .

الخاتمـــة [1]

الخاتمة ، نسأل الله حسنها تشتمل على إتمام نعمته تعالى عليه بنقلته عليه السلام إلى ما أعده [الله] تعالى له من الكرامة لديه، وبيان خلافة خليفته الأكبر الذي أحيا الله به الأنام، وشيد بثاقب عزمه دعائم الإسلام، حجة الله في أرضه، القائم باداء نفله وفرضه، خليفة المهدي عليه السلام سيدنا الخليفة عبد الله بن محمد خليفة الصديق ، أدام الله تصديقه في قلوب البرية وأحيا بأنوار هدايته الملة المحمدية، آمين .

هذه الخاتمة مضمونها يسكب العبرات ويذيب القلب بشدة الحسرات ويجلب الفجائع والأحزان ويلهب نيران الوجد على أكباد ذوي الإيمان . فيا له من خطب جل عن الخطوب وعلم دموع العين كيف تصوب .

واعلم يا ذا اللب السليم الناهج مناهج أهل التسليم أن الله جلت قدرته وعظمت منته قد قال في محكم كتابه المنزل على نبيه المرسل : أتى أمر الله ، وذلك لأن النبي ﷺ لما كان من أهل القيامة يشاهدها ويشاهد أحوالها كما قال ﷺ : بعثت أنا والساعة كهاتين وجمع بين أصبعيه السبابة [٣٨٥] والوسطى ، أخبر الله سبحانه وتعالى عن شهوده ﷺ بقوله : أتى أمر الله . ولما كان ظهور القيامة على التفصيل بحيث تظهر لكل أحد ظهوراً لاخفاء فيه وذلك بوجود المهدي عليه السلام قال سبحانه: « فلا تستعجلوه»لأن هذا ليس وقت ظهورها كما ذكره محيي

---

(١) قلنا : هذه زيادة من عندنا .

الدين بن عربي ، فبظهور المهدي عليه السلام ظهرت القيامة للخاص والعام. وقد تمت مدته المشار اليها في حديث سيد الأنام كما قدمنا ذلك [١] . فلذلك نقله الله تعالى إليه راضياً مرضياً . ولنذكر آخر منشور كتبه المهدي عليه السلام موعظة للخاص والعام ، وفيه إشارة جلية لكل من له بصيرة وروية توذن بقرب انتقال المهدي عليه السلام إلى دار الكرامة . ولفظ المنشور المذكور [٢] :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم .

وبعد ، فيقول العبد لله محمد المهدي :

إن هذا الذي أقبل هو شهر رمضان زمن الاقبال على الرحمن وميدان الاستباق إلى عظيم الشان . فافرغوا أيها الأحباب فيه للديان ووطنوا قلوبكم على الشدائد والرضا بالبلايا والامتحان حيث أوعد بذلك الرحمن لتبين حال أهل الصفوة والوسخان وبشر الصابرين بعظمة الشان وحسن العواقب وتولية الديان .

فتوكلوا على الله وفوضوا له في كل ما يفعل [٣٨٦] لحسن الظن به إذ هو حقيق بالإحسان وهو العالم بما لا يعلمه الأبوان ، قال بعضهم :

---

(١) يشير المؤلف الى ما أورد من الروايات حول فترة إقامة المهدي المنتظر وقد انتهى الى ترجيح الخمس سنوات وذلك على حساب السنوات الهجرية من ١٢٩٨ الى ١٣٠٢ هـ . وهو بذلك يعالج الحرج العظيم الذي شعر به الانصار عندما توفي المهدي قبل أن تتم الفتوحات التي أعلن أنها تتم على يديه . وقد قال الانصار أن تلك الفتوحات تتم على يد أصحابه مثل ما تم من الفتوحات على يد أصحاب الرسول .

(٢) قلنا : راجعنا نص المنشور هنا بالنص الوارد في كتاب الانذارات ص ٣١٥ .

لما رأيت القضا جارياً   بلا شك فيه ولا مرية
توكلت حقاً على خالقي   وألقيت نفسي مع الجرية

فلما كانت المنازعات لقضاء الله إما أوقعت العبد في طلب ما لا يكون وإما أوقعته في طلب ما هو واصل اليه من الله بلا طلب ، فإن طلب ما لا يكون فقد أوقع نفسه في تعب لا حاصل تحته ، وإن طلب المخلوق فيما هو واصل اليه من الله فقد انقطع من الله في ظنه أن الله لا يعطيه وإنما يعطيه الخلق، ومع ذلك يكله الله على ما ظن فيه قضاء حاجته . والمعلوم أنه لا يدوم له . ففوضوا الأمر الى الله وارضوا بقضاء الله واصبروا على بلائه ، فإنه لا إله إلا هو ولا رب غيره ولا حول ولا قوة إلا به .

فتحققوا بذلك أيها الأحباب وانصبوا أنفسكم لله وارفعوا حوائجكم اليه فكلنا عبيد الله والأمور بيده فلا تشغلوني بقضايا ولا بحوائج في هذا الشهر وخلونا للذكر والتذكار والصلوات والدعوات . فإن فقد العبد نور الصبر والرضا والتفويض رأراد أن يرفع حاجته إلى العبيد فها هو الخلفاء نيابة عني والأمناء المعينين والقاضي . فمن شغلني [٣٨٧] بشيء في رمضان بعد هذا فلا يلومن إلا نفسه والسلام .

غاية شعبان سنة ١٣٠٢ (١)

وكان مرضه عليه السلام حمى شديدة . وابتدأت به الحمى المذكورة يوم الاربعاء ثالث شهر رمضان من سنة اثنين بعد الثلثمائة والالف. ولما كان يوم الجمعة خامس شهر رمضان المذكور أمر المهدي عليه السلام خليفته سيدنا الخليفة

(١) قلنا : يوافق ذلك ١٤ يونيو سنة ١٨٨٥ . ويرد بعد التاريخ في المخطوط لفظ : انتهى .

عبد الله بن محمد خليفة الصديق رضي الله عنه أن يصلي بالناس صلاة الجمعة ، فخطب رضي الله عنه وصلى بالناس صلاة الجمعة [1] . ثم استمرت الحمى بالمهدي عليه السلام. ولما كان يوم الإثنين الثامن من شهر رمضان المذكور [2] عند الضحى اشتاقت روحه الكريمة الى دار الكرامة واللقاء . فانتقل عليه السلام إلى دار البقا .. وأظلمت الدنيا لفقد ذي المقام الأسما . وبكت لفقده الأرض والسما . وعند ذلك دهش الناس وطاشت عقولهم . وكان أثبت الناس وأصبرهم على تلقي هذه المصيبة العظمى بالرضا خليفة المهدي عليه السلام . فإنه كشف عن الناس الاضطراب وثبت الألباب وتكلم بكلام بليغ ثبتت به النفوس من الاضطراب والجزع [3] . والحال أن زفراته رضي الله عنه تتردد وغصصه على فراق المهدي عليه السلام [٣٨٨] وأنفاسه بالأحزان تتصعد . وقد جعل الله ثبات الناس على يده رضي الله عنه . فتحمل مرارة الصبر وتجرع كؤوس الحزن على فراق المهدي عليه السلام ، تثبيتاً من الله تعالى له ليجبر به تصدع الدين ويثبت به قلوب المؤمنين .

ثم أمر رضي الله عنه بأن يتولى تجهيز المهدي عليه السلام أقاربه . فجهزوه عليه السلام وحفروا قبره عليه السلام في محل فراشه في بيته [4] . وبعد تجهيزه

---

(١) قلنا : انظر نص خطبة الخليفة في كتابنا : منشورات المهدية ص ٨٠ . وانظر كلامنا عن واقعة تخليفه للصلاة في تحقيقنا لمخطوط توشكي جـ ٢ .

(٢) قلنا : يوافق ذلك ٢٢ يونيو سنة ١٨٨٥ .

(٣) قلنا : هو يريد أن يجمل منه ما يقابل موقف أبي بكر الصديق عند وفاة النبي .

(٤) قلنا : دفن المهدي في نفس الحجرة التي مات فيها أسوة بما فعل الصحابة بالنبي عندما مات وذلك لأنهم قالوا إن المهدي يقفو أثر النبي وإن سيرته تطابق سيرته . وليس في ذلك ما يقوله أعداؤهم بأنهم جعلوا المهدي في مصاف الرسول ، بل هو شدة الاتباع والتشبه والأسوة .

صلى عليه خليفته الأكبر إماما وباقي الخلفاء رضي الله عنهم والناس مؤتمون به . ودفن عليه السلام عند الظهر من ذلك اليوم .

وقد بايع الناس خليفة المهدي عليه السلام سيدنا الخليفة عبد الله بن محمد خليفة الصديق بيعة عامة . فكشف الله به الغمة ورحم به الأمة . وقد كتب رضي الله عنه المنشورات المتضمنة لجميل العظات وبعثها إلى عموم العمال في الجهات وأخبرهم بانتقال المهدي عليه السلام [١] . وبالغ رضي الله عنه في موعظتهم وتذكيرهم وتثبيت قلوبهم بمواعظ حسنة . ونشر مثل ذلك في جميع الجهات وأقطار الأرض . فأمنت البلاد واطمأنت العباد وقام بأمر الخلافة ودعا الناس الى الله والتشمير في الدين وجاهد من أظهر خلافه [٢] . وأتت اليه الوفود من أقطار الأرض ذات الطول والعرض للبيعة وبذل نفسه في الله ولله وأقام شعائر الاسلام وحض ورغب في جميع أعمال البر، ولا سيما الجهاد وصلاة الجماعة . ودعا إلى [٣٨٩] ذلك جميع الأنام وأيد الدين وقاتل البغاة المارقين وبث السرايا في أقطار الأرض وعم بالعدل والرأفة طولها والعرض ، حتى استقامت الأمور وانعقدت على محبته ومتابعته القلوب التي في الصدور ومع القيام بحقوق الله وحقوق العباد وبذل نفسه فيما يرضي الله ودلالة الخلق الى طرق الرشاد . ومن

---

(١) قلنا : انظر منشوره في وفاة المهدي في كتابنا : منشورات المهدية ص ٨١ .

(٢) قلنا : يشير المؤلف بذلك الى نزاع الاشراف وكيف أخضعهم الخليفة عبد الله. وقد أشار اليه إشارة عابرة لأن حركة الاشراف الأولى لم تكن بخطورة الحركة الثانية والتي وقعت في وقت لاحق لوضع هذا الكتاب . والمؤلف لا يذكر أن الخليفتين علي الحلو ومحمد شريف والاشراف وزعوا أيضاً منشوراً في وفاة المهدي وتولية الخليفة عبد الله ، وهو منشور أقوى وأشهر من منشور الخليفة عبد الله نفسه والذي أشار اليه المؤلف . وفي رأينا أنه سكت عنه دفعاً للحرج لما كان بين الخليفة عبد الله وبين الأشراف من خصام .

كراماته رضي الله عنه الباهرة ومعالمه الزاهرة صلاه الجماعة التي أقامها الله تعالى على يده رضي الله عنه في المسجد [1] الذي تشد اليه الرحال وتضرب به الأمثال. فإنه لم يعهد مثل ذلك في سائر الأقطار ولم ينقل الينا ما يماثل ما ذكرناه في سائر الأمصار . وقد أطبقت الجماهير من الأمة على انه لم يعهد مثل هذه الكيفية بهذا الوضع المعلوم من الملازمة عليها في جميع الأوقات، مع ملازمة الأذكار في المسجد المذكور ليلاً ونهاراً . وما وصل أحد من سائر الأقطار النائية إلى مدينة المهدي عليه السلام ورأى المسجد المذكور ، ومـا عليه من الرونق وملازمـة الصلاة والادمان على العبادات المتنوعة من صلاة وتهليل وتسبيح وتلاوة القرآن العظيم مع كثرة الخلق وتزاحمهم على أماكن الصلاة بالمسجد المذكور حتى يكادوا يقتتلون على المسارعة إلى الصفوف [٣٩٠] وحوزهـا الاول فالأول ، اغتناماً لفضيلة السبق والمسارعة إلى فعل الخيرات ونيل المبرات، إلا وقطع جميع من رأى ذلك بأنه لم ير لذلك شبهاً . والاخبار عما ذكرناه متسعة جداً والادلة عليه لا يحيط بها القول حداً . وقد رأينا أن نبين مقدار المسجد المذكور بالمساحة فنقول :

---

(١) قلنا : يقصد المسجد المشهور بجامع الخليفة بأم درمان . وهو فضاء محاط بسور من الحجر ويقع قرب منزلي المهدي والخليفة . وقد اتخذ المقر مسجداً في أيام المهدي الا أن الخليفة هو الذي سوره . وكانت به أسقف من القش في شكل رواكيب وفي طرف منه كانت محكمة الإسلام وهي أكبر محاكم المهدية . والمسجد موجود الى الآن وان كان بعض أجزائه كالمحراب قد تهدم واختفى . وتقام فيه احتفالات المولد وغيرها من الاحتفالات السياسية والاجتماعية الكبيرة لما أنه فضاء واسع ويقع في وسط أم درمان . وكان في العهد الثنائي قد تحول الى ميدان لكرة القدم الا أن الأمر قد استقام في العهد الوطني وصار المكان للاحتفالات كما ذكرنا – وهذا المصدر هو أوفى المصادر في البيانات عن ابعاد المسجد وبنائه . انظر أيضاً سلاطين في كتابه السيف والنار .

أما طوله من الجهة الغربية آخذاً من الجهة الجنوبية يعني الصعيدية إلى الجهة الشمالية فأربعمائة وواحد وسبعون ذراعاًبذراع الحديد المعلوم. ومن الجهة الشرقية آخذاً من الجهة الجنوبية إلى الجهة الشمالية أربعمائة وواحد وستون ذراعاً . فهذا مقدار طول المسجد المذكور بالذراع. أما عرضه من الجهة الشرقية إلى الجهة الغربية من الجهة الجنوبية يعني جهة الصعيد فمائتان وثمانية وتسعون ذراعاً. ومن الجهة الشرقية إلى الجهة الغربية من الجهة الشمالية يعني الجهة البحرية مائتان وخمسة وتسعون ذراعاً . وتكسير ذلك ألف ذراع وخمسمائة وخمسة وعشرون ذراعاً . وذلك بغير اعتبار الأساسات .

وللمسجد المذكور ثمانية أبواب . قلت : وفي ذلك فأل حسن ، فإن أبواب الجنة ثمانية . فله من جهة القبلة بابان ، ومن جهة الغرب بابان ، ومن الجهة الصعيدية [٣٩١] بابان ، ومن الجهة الشمالية بابان .

وقد كان ابتداء بنائه يوم الاربعاء رابع ربيع الأول من سنة خمس بعد الثلثمائة والألف [١] ، وانتهاؤه في اليوم السابع عشر من شهر جمادى الاولى من السنة المذكورة [٢] . فتكون مدة بناء المسجد المذكور ثلاثة وسبعين يوماً .

ومن نظر ذلك الجامع وما عليه من الاتساع البليغ ، يعلم ذلك من المساحة التي ذكرناها ، قضى بأن بناءه في هذه المدة اليسيرة من الكرامات الدالة على عظم شأن سيدنا خليفة المهدي عليه السلام وعلو همته في أمر الدين . إذ مثل هذا المسجد مع اتساعه لا يمكن عادة بناؤه في هذه المدة اليسيرة إلا لذي عناية أزلية وتأييدات ربانية .

---

(١) قلنا : يوافق ذلك ٢٠ نوفمبر سنة ١٨٨٧ .

(٢) قلنا : يوافق ذلك ٣١ يناير سنة ١٨٨٨ .

هذا وقد كان خليفة المهدي عليه السلام سيدنا الخليفة عبد الله بن محمد خليفة الصديق رضي الله عنه يعمل في المسجد المذكور بنفسه. وهو أول واضع للأساس بيده المباركة . حدثني قاضي الإسلام أحمد علي أن سيدنا خليفة المهدي عليه السلام، وضع أول طوبة بيده المباركة وقال عند الوضع : بسم الله الرحمن الرحيم. وقرأ سورة قل هو الله أحد إلى آخرها. وما زال يضع بيده طوبة فطوبة [٣٩٢] إلى أن وضع عشرين طوبة بيده المباركة ، وذلك بمناولة قاضي الإسلام أحمد علي رضي الله عنه بعضاً من الطوب المذكور، والبعض بمناولة بعض الاصحاب له رضي الله عنه . ثم تتابع الناس وجدوا في العمل بعزم وصدق نية إلى أن كمل بناؤه في المدة المذكورة .

ومقدار الاساس في الأرض ذراعان وربع ذراع تقريباً . وعرض الاساس المذكور ذراع ونصف تقريباً .

وبالجملة فإن [1] سنا هذا المسجد وما عليه من الرونق والانوار بملازمة العبادات المتنوعة فيه من صلاة وتسبيح وقراءة قرآن وتهليل وتكبير وغير ذلك ليلاً ونهاراً لا تحصى ، ومزاياه الانيقة وأزهار رياضه الوريقة لا تستقصى . أدامه الله عامراً بالاذكار مشيداً بأنواع القربات على مر الأعصار ، آمين . .

هذا مع ما عليه سيدنا خليفة المهدي عليه السلام من ملابسة أمور العباد والقيام بمصالحهم وإرشادهم ودلالتهم إلى ما فيه صلاحهم ونجاتهم يوم التناد وإتعاب نفسه لأجل راحتهم وسهره في حياطتهم وإصلاح حالهم. وبالجملة فجميع أوقاته رضي الله عنه مشغولة بطاعة الله عز وجل . فلا غرو أن الله أعلى أمره

---

(١) قلنا : في المخطوط : فمن .

وأيد نصره . فان من دفن نفسه في أرض الانكسار والتواضع [٣٩٣] لعظمة الله تعالى والرضا بالمقادير الالهية والصبر على الشدائد وتحمل الأذى والمكاره لا بد أن الله ينبتها نباتاً حسناً .

وهذا حال خليفة المهدي عليه السلام ، ولا سيما بعد مصاحبته للمهدي عليه السلام من قبل ظهور المهدي عليه السلام بالمهدية . فإن الله تعالى قد أفاض على خدمة المهدي عليه السلام خلع الكمالات السنية والأحوال الزكية من الزهد والورع والحلم والعفة والتواضع والانكسار والصبر على مقاساة الشدائد وتحمل الأمور الصعاب التي يعجز عن تحملها فحول كمل الرجال . ولقد كان رضي الله عنه تمر عليه الايام العديدة ولا يذوق شيئاً من الطعام حتى أنه في بعض الاوقات وهو بجزيرة أبا تمر عليه نحو الثلاثة أشهر ولا يذوق فيها طعاماً إلا ثلاث مرات أو أربعاً ، وربما يقتات بالنبات وثمر الشجر وورقة ويصبر على ذلك الصبر الجميل . فانظر رحمك الله تعالى هذا الصبر الذي تعجز عنه القوى البشرية إلا من قواه الله تعالى على تحمل ذلك .

وقد كان رضي الله عنه يخدم الاخوان بنفسه في جزيرة أبا وفي طريق الهجرة إلى قدير [٣٩٤] بل وفي سائر الازمنة والامكنة ويقوم بنفسه في قضاء حوائجهم في السفر والحضر حتى انهم يرسلونه لجلب الحشيش لعلف دوابهم فيذهب لذلك بنفسه ويحمله على ظهره ويحضره لدوابهم ويرسلونه لتحصيل الماء لهم للشرب والوضوء وغير ذلك فيحضره لهم ويقوم على المرضى ويخدمهم بنفسه ويتولى علاجهم ويتعهدهم ويتفقد أحوالهم ليلاً ونهاراً حضراً وسفرا . وربما يكونون في السفر مع المهدي عليه السلام فيتفقد أحوال الاصحاب فاذا وجد منهم مريضاً لازمه وباشر خدمته بنفسه في النزول والارتحال . وربما يكون في حالة السفر ويلزم المريض وهو على الدابة وخليفة المهدي عليه السلام ماش

برجليه والمريض يده على كتفه رضي الله عنه. ويتفق أن يمر به على طريق ضيقة بين الاشجار والاوعار فيصيبه رضي الله عنه الشوك ويؤذيه غاية الاذية وهو على حاله من ملازمة المريض المذكور . وكم في حالة السفر من مشقات على نحو ما ذكرناه وأشد وهو متحمل لجميع ما ذكر ويصبر عليه غاية الصبر حتى إنه ربما يذهب جميع الناس ويتكاملون بمحل النزول [٣٩٥] وهو متأخر مع المريض وحده إلى أن يوصله إلى محل النزول ، وهكذا . وهذا من علامة السيادة قال صلى الله عليه وسلم : سيد القوم خادمهم . وقد كان رضي الله عنه على الغاية من تحمل الاذى من الاخوان وغير ذلك من شمائله الغرر وفضائله التي تخجل نظيم الدرر التي لا يحيط بها العد ولا يقف بحرها الزخار عند حد .

ويكفي ذا اللب السليم السالك مسالك أهل التسليم في بيان فضائل سيدنا خليفة المهدي عليه السلام ما قاله المهدي عليه السلام في حق خليفته رضي الله عنه وكتبه في منشوراته في بيان فضائله ولا سيما منشوره عليه السلام الذي ذكر فيه أن سيدنا خليفة المهدي عليه السلام هو من المهدي عليه السلام والمهدي عليه السلام منه إلى آخر ما قاله في ذلك المنشور . وقد نقلناه قبيل الخاتمة من هذه السيرة فليراجع هناك فان فيه تبصرة لأولى الابصار وتذكرة لمن حفته السعادة فالتحق بالمقربين والأبرار .

وأنى لمثلي مع قصوره وجمود قريحته وفتوره مع قلة اطلاعي وقصور باعي الإحاطة بصفاته وآخر كمالاته ، بل جميع ذلك ليس في الطاقة البشرية ولا يحيط بتفاصيل حمله إلا خالق البرية ، [٣٩٦] فلنمسك عنان الاقلام عن السير في هذا الميدان الذي تاهت فيه أفهام الاعلام ، ونسأله سبحانه وتعالى أن يديم لنا ولسائر الامة أيام سيدنا خليفة المهدي عليه السلام مشرقة بأنوار النصر المبين والظفر والتمكين بجاه سيدنا محمد ﷺ عليه وعلى آله أجمعين .

وقد رأينا أن نذكر بعضاً من المراثي التي رثى المهدي عليه السلام بها بعض الاصحاب ، فنقول : قال ابراهيم بن شريف الكردفاني [1] يرثي المهدي عليه السلام :

كيف التئام فؤادي المفطور	ورقوء دمع محاجري المفجور
أم كيف ينفك الضنا عن مهجة	أحشاؤها تصلى على تنور
أسف على المهدي ، من مهد الصبا	قد كان معصوماً عن المحظور
لا زال في كنف العناية يغتدى	بدقائق التبصير والتنوير
حتى انتهى لمقامه الأعلى الذي	عنه النهى في حيرة وقصور
وأقامه المختار عنه خليفة	خلعت عليه ملابساً من نور
ورقى الى [2] كرسيه متسنماً	في مشهد بالاوليا معمور
فدعا إلى الدين الحنيف مجاهداً	بالسيف والانذار والتبشير
فتح الفتوح ودمر الكفار في	كل البلاد بجيشه المنصور [٣٩٧]
ومن اهتدى بهداه أصبح داخلاً	سور الرضا. أعظم به من سور
ومن انتمى [3] لسواه أمسى حائراً	ضل الطريق بليله ديجور
ما شئت فيه من الثناء فقل ولا	تأخذك لومة لائم مدحور

---

(١) قلنا : هو ابراهيم شريف ، من الدواليب . ولد بقرية خرسي بجنوب شرق بارا ، تعلم بالأزهر بعد أن تلقى كثيراً على يد أساتذة كثيرين بالسودان . صادفت عودته من الأزهر ثورة المهدية فرافق المهدي من الأبيض . في العهد الثنائي أصبح قاضياً وعضواً في مشيخة المعهد العلمي . وقد راجعنا نص الأبيات التي ينقلها المؤلف مع ما ينقله تاريخ نعوم (ص ٩٣٦ — ٩٣٨) وكتاب شعراء السودان (ص ٢٧ — ٢٩) .

(٢) قلنا : في المخطوط : ورقا على ، وفي المصدرين كما روينا .

(٣) قلنا : في المخطوط : التجا : وفي المصدرين كما روينا .

مـا أطنبت مـداحه إلا وهم عن وصف بعض حلاه في تقصير

هو مجمع البحرين : بحر شريعة طام وبحر حقيقة مسجور

سر الوجود وترجمان الحضرة العلـ يا ومظهر غيبها المستور

والله أكرمه بطيـب تحيـة يحذو بها موسى كليم الطور

قد كان قوام الدجى [1] متبتلاً متواصل الاحزان [2] غير فخور

طلق المحيا خاشعاً متواضعاً كهف الفقير وجابر المكسور

وتفيض بالجود الكثير يمينه أبداً بلا منّ ولا تكدير

ويبيت طاوي الكشح جوعاً [3] وهو قد أعطى الكنوز بجمعها الموفور

لا يبتغى جاهاً ولا مالاً ولا عز الملوك ولا ارتقاع [4] الدور

ما همه إلا اجتذاب الخلق من درك الشقاوة عميهم والعور

لما أبان لنا السبيل ولم يدع ايضاح منهي ولا مأمور

والدين عز وأهله بلغوا المنى [5] وتقلبوا [6] في نعمة وحبور

تاقت إلى الذات العلية روحه وسمت لمقعد [7] صدقها المذخور

---

(١) قلنا : في المخطوط : الدجا . وفي المصدرين كما نقلنا .

(٢) قلنا : الأحزان : في المخطوط وتاريـخ نعوم شقير ، وفي شعراء السودان : الاحسان . ونحسب أن في المصدر الأخير بعض التصرف . أما الاصل فما في المصدرين .

(٣) قلنا : في المخطوط : كشحا ، وفي المصدرين الآخرين : الكشح جوعا .

(٤) قلنا : في المخطوط : ارتباع ، وفي شعراء السودان : ارتفاع ، وفي تاريخ نعوم شقير : ارتباع .

(٥) قلنا : في المخطوط : المنا : وفي المصدرين كما روينا .

(٦) قلنا : في شعراء السودان : وتقبلوا .

(٧) قلنا : هكذا في المخطوط ، وفي المصدرين الآخرين : وسمت لمقصد .

فمضى وأودع كل قلب حسرة | وحشا الحشا ببلابل وسعير
تبكي المساجد والمحارب فقده | ومواطن الاذكار والتـذكير
[٣٩٨] يا طيب أرض ضمّ جسمك تربها | تزري بعرف المسك والكافور
يا آل بيت المصطفى صبراً وإن | جل المصاب وعز عن تصبير
فلكم[١] تسل في مصيبة جدكم | خير الأنام الحي والمقبور •
وإذا توارت في الثرى شمس الهدى | فهناك بدر هدى عظيم النور
أبقاه مهـــدي الإله وراءه | خلفاً يسير بسيره المشكور
ويسوق للنهج القويم بحاله | ومقاله وحسامـه المشهور
هو ذاك عبد الله نجل محمد | وسع الورى بالحلم والتدبير
وخليفة الفاروق نجم ثاقب | بضيائه يجـــلو ظلام الزور
وخليفة الكرار سيف منتضى | بالحق يقطع هـام كل كفور
بطل إذا اقتحم الكتيبة غادر الأ | بطال بين مضرج وأسير
فيهم قوام الدين بعد إمامه | وبهم تمام ظهوره المأثور
صلى الإله على ضريح ضمـــه | أزكى صلاة في المسا وبكور

والمراثي كثيرة قد أفردت بالدواوين كأمداح المهدي عليه السلام [٢]. وفيما ذكر كفاية .

---

(١) قلنا : في شعراء السودان : فلكم تجمع .

(٢) قلنا : مبلغ علمنا أن المراثي لم تجمع وكذلك المدائح ولعله يقصد دواوين الشعراء الذين ألفوا القصائد وليس ديواناً جامعاً للمراثي وآخر للمدائح . والحق أن هذه القصائد والمدائح ما زالت مبعثرة وقد ضاع الكثير منها . ويبذل صديقنا قرشي محمد حسن مجهوداً عظيماً في جمعها ونشرها ، وقد نشر حتى الآن مجلدين أو أكثر .

هذا وقد أنعم الله سبحانه وتعالى من فضله وله الحمد بإتمام ما يسره سبحانه وتعالى على يد العبد الحقير المعترف بالعجز والتقصير من جمع هذه السيرة التي هي عند ذوي البصائر [٣٩٩] بالقبول إن شاء الله تعالى جديرة يوم الأربعاء ثاني ربيع الأول من سنة ست بعد الثلثمائة والألف [١] من هجرة من خلقه الله تعالى على أكمل وصف ﷺ وعلى آله ما أشرق هلال وازدهى وإلى غاية كماله انتهى .

أقول وفي يوم إتمام هذه السيرة كان الشروع في بناء قبة المهدي عليه السلام التي بنيت بإشارة خليفة المهدي عليه السلام سيدنا الخليفة عبد الله بن محمد خليفة الصديق أدام الله أيامه [٢] .

فإن خليفة المهدي عليه السلام كان قد استشار الأصحاب كما هي عادته المستمرة الجارية على منهج السنة في الاستشارة في إنشاء قبة على ضريح المهدي عليه السلام . فانشرحت الصدور لذلك وعلموا أن الصواب فيما هنالك . فأشار رضي الله عنه بالشروع في القبة المذكورة وبادر بنفسه في الخدمة . وقد صار الشروع في حفر محل أساس القبة يوم الأربعاء ثاني شهر ربيع الأول من سنة ست بعد الثلثمائة والالف . وأول من شرع في حفر الاساس خليفة المهدي عليه السلام ، فأخذ آلة الحفر بيده المباركة وسمى الله تعالى [٤٠٠] وشرع في الحفر . ثم باقي الخلفاء . ثم تتابع الناس في الحفر وازدحموا على الحفر غاية الازدحام حتى كادوا يقتتلون عليه مسارعة إلى أعمال الخيرات وحوز جزيل المبرات حتى

---

(١) قلنا : يوافق ذلك ٧ نوفمبر سنة ١٨٨٨ .

(٢) قلنا : هذا أوفى ما ذكر عن قبة المهدي وبنائها . وانظر في ذلك أيضاً سلاطين في كتابه السيف والنار .

أن بعضاً منهم أصيب ببعض آلات الحفر فجرح . واستمر الحفر في الاساس إلى يوم الاربعاء تاسع ربيع المذكور ، فشرعوا في البناء . وأول من وضع الاساس أيضاً سيدنا خليفة المهدي عليه السلام . فإنه وضع أول حجر من أحجار الأساس بيده المباركة إلى ثمانية أحجار ، كما أخبرني به من شاهده رضي الله عنه عند الوضع المذكور . ثم باقي الخلفاء ثم تتابع الناس وجدوا في العمل مع علو الهمة والاجتهاد والازدحام على البناء والمسارعة وبذل المهج ولا سيما يوم وضع الأساس. فإنه خرج من الأصحاب كثيرون بالحجارة وغيرها لشدة الزحام وتراكم الناس حتى صاروا يموجون في بعضهم البعض . فلا يكاد الإنسان يتخلص من الزحام المذكور إلا بكل مشقة ، حتى أن أكثر الناس رجعوا إلى بيوتهم في ذلك اليوم ولم يتمكنوا من الخدمة لشدة الزحام .

وهذا وقد رأينا أن نبين مقدار [٤٠١] القبة المباركة بالمساحة ونوضح كيفيتها على الوجه الأتم ، فنقول : قبة المهدي عليه السلام مربعة الزوايا على السواء ، فمقدار كل ركن من أركانها الأربعة سبعة عشر ذراعاً بذراع الحديد من غير زيادة ولا نقصان . ومقدار الأساس داخلاً في بطن الأرض خمسة أذرع في عرض أربعة أذرع . وبعد بروزه على وجه الأرض كان مقدار الأساس ثلاثة أذرع ونصف ذراع . وذهب البناء صاعداً على هذا المقدار . والأساس المذكور جميعه مبني بالحجارة إلى أن ارتفع البناء على وجه الأرض كذلك يعني بالحجارة نحو ذراعين . ثم بنيت إلى آخرها بالطوب المحروق . وطولها ذاهبة إلى جهة العلو خمسون ذراعاً . فما بنى منها ربعاً أخذ أربعة عشر ذراعاً . وما بنى منها متمنة الزوايا بلصق التربيع المذكور في جهة العلو أخذ خمسة أذرع . واما تدويرها إلى منتهى العقد والتمام فقد استوفى بقية الخمسين ذراعاً المذكورة .

وللقبة المذكورة [٤٠٢] بابان مبنيان بالحجار المنحوتة على غاية من الإتقان

وبديع الصنعة ، باب من الجهة الجنوبية يعني جهة الصعيد وباب من الجهة الشمالية يعني الجهة البحرية ، ولها ثمانية شبابيك في كل جهة من جهاتها الأربع شباكان ، ولها ثمانية مناور في محلات التثمين ـ يعني أن في كل تثمينة منوراً بيضاويا ، يعني مدورا . وضريح المهدي [١] عليه السلام بينه وبين جدار القبة من الجهة الغربية أربعة أذرع ، وبينه وبين القبة من الجهة الشرقية يعني جهة القبلة ثمانية أذرع ، وبينه وبين القبة من الجهة الصعيدية خمسة أذرع ، وبينه وبين القبة من الجهة الشمالية أربعة أذرع ، كما أخبرني بجميع ذلك بعض الثقات [٢] .

فجاءت القبة المباركة بحمد الله مع ما عليها من الرونق والأنوار على غاية من الإحكام(٤٠٣) وبديع الصنعة وكمال الإتقان وحسن الانتظام يحار الواصف في بديع مثالها وينقلب البصر كليلاً دون الوصول إلى منتهى بهائها وكمالها .

وقد قلت قصيدة تتضمن تاريخ سنة بناء القبة المباركة فأحببت إيرادها في ذيل هذه السيرة تتميماً للفائدة حيث أن تاريخ تمام هذه السيرة وتاريخ الشروع في القبة التي هي بتنزلات الرحمات من بادىء المسموكات عليها جديرة اتفقا يوماً وشهراً وسنة وهي هذه [٣] :

---

(١) قلنا : وقد دفن بقربه في نفس القبة ابنه السيد عبد الرحمن وحفيده السيد الصديق . وقد تهدم بعض أجزاء القبة عندما ضربت بالقنابل قبل واقعة كرري . ثم جدد السيد عبد الرحمن بناءها . وهي من أظهر معالم مدينة أم درمان . وبجوارها بيت الخليفة عبد الله وقد حول إلى متحف ثم المسجد ثم قصر شيده السيد عبد الرحمن ويسمى عادة منزل المهدي . وقد أضيف مؤخراً (١٩٧٠) إلى مصلحة الآثار .

(٢) قلنا : هكذا أسلوب المؤلف في نسب كل أمر إلى الثقات . وما كان أحراه بأن ينظر في القبة بنفسه ويصفها فهو حاضر مشاهد والقبة كانت على مقربة منه .

(٣) قلنا : راجعنا النص مع كتاب شعراء السودان (ص٤١) وتاريخ نعوم (ص١١٣٣)،

سمت قبة المهدي مجداً وسؤددا ونيطت بها الجوزاء عقداً منضدا
وصيغ من الاكليل تاج لهامها وسال بها نهر المجرة مزبدا
وقد نظمت زهر النجوم قلائدا لجيد علاها حائز السبق مفردا
ولاحت بأنوار الهداية شمسها فأشرق منها الكون وانقشع الردى
بنية مجد شادها الحلم والتقى يطوف بها الزوار مثنى وموحدا
فلله مغناها ومحكم صنعها وروضتها الزهراء بالفضل والندى
ولم لا وقد ضمت لأفضل وارث لخير الورى طه المشفع أحمدا
خلاصة صفو المجد عن آل هاشم وأفضل من في الخير راح أو اغتدى
إمام له في كل مجد وسؤدد مآثر فضل ما أجل وأمجدا
محمد المهدي بشرى محمد شفيع الورى في الحشر من طاب محتدا
ببشراه غنى بلبل السعد مطربا وقام على غصن المسرات منشدا
به الله أحيانا وأظهر دينه وأولاه أفضالاً ونصراً مؤيدا
وقد أحرز الدين الحنيفي بالظبى ودمر جباراً طغى وتمردا
وجاهد من حاد عن شرع أحمد وقد فل جيش المعتدين وشردا
[٤٠٤] (١) ولما دعاه الحق جل جلاله لدار بها الفوز العظيم مخلدا
أجاب الندا فالقلب بعد فراقه يذوب أسا والصبر عز وأبعدا
وقد جبر الله الوجود بأسره وأعلا منار الدين حقاً وشيدا
بهدي الذي قد قام فينا مقامه خليفته هادي الورى قامع العدى
فقام بأمر الدين حق قيامه وأعمل في أهل الضلال المهندا
قلوب الورى تعنو جميعاً لهديه فلا تنثني إلا وعنها انجلى الصدا

(١) قلنا: وقع خطأ هنا في ترقيم الصفحات فنص على ٤٠٥ بدل ٤٠٤.

إمام أجل الله في الكون قدره وتوجه تاج القبول [1] وأيدا

مآثره في الدين يعسر حصرها فغاية ما عندي القصور وقد بدا

وقد أصدر الأمر الكريم مخاطباً لأنصار دين الله حالاً ومبتدا

وقال لهم قوموا بكامل جهدكم لنحرز أجراً في البنية سرمدا

وبادر أبقاه الإله مسارعاً يباشر أعمال البنية مرشدا

ومن بعده الأنصار تحت اشارة له وهو بدر في سماء العلا بدا

فجاءت بحمد الله أعظم قبة حوت كل مجد لا يعد وسؤددا

فيا زائراً تلك البنية لائذا بقبر حوى الفضل الجسيم المؤيدا

توسل ببشرى المصطفى متأدباً لتظفر بالحسنى وتبلغ مقصدا

وقف خاضعاً وارج القبول مؤرخاً بقبة مهدي الأنام ترى هدى [2]

---

(١) قلنا : في المخطوط وتاريخ نعوم : القبول ، وفي كتاب شعراء السودان : القلوب .

(٢) قلنا : يذكر التاريخ بحروف الجمل بالوجه الذي كان شائعاً في زمانه . وتفصيله : بقبة ٥٠٤ ، مهدي ٥٩ ، الأنام : ١٢٣ ترى هدي : ٦٣٠ ، ويكون مجموع ذلك ١٣٠٦ وهو العام الذي يعنيه . وقد بين المؤلف ذلك بالأرقام تحت الكلمات .

ثبت المصادر

كتاب المنشورات : الجزء الأول من منشورات المهدي (طبعة حجرية)

كتاب الانذارات : الجزء الثاني من منشورات المهدي (طبعة حجرية)

: الجزء الثاني من منشورات المهدي (طبعة حجرية ثانية

كتاب الأحكام والآداب : الجزء الثالث من منشورات المهدي (طبعة حجرية)

دفتر وقائع عثمان دقنه

مجموعة وثائق بادي (قصاصات من ورق اشترتها دار الوثائق من أحد أحفاد خليل بادي)

اسماعيل عبد القادر الكردفاني : سعادة المستهدي بسيرة الإمام المهدي (النسخة الخطية المحفوظة بجامعة درم).

اسماعيل عبد القادر الكردفاني : الطراز المنقوش ببشرى قتل يوحنا ملك الحبوش (النسخة الخطية المحفوظة بجامعة درم).

أحمد العوام : نصيحـــة العوام للخاص والعام من إخواني أهل الايمان والاسلام (طبعة حجرية).

حسن سعد العبادي : الانوار السنية الماحية لظلام المنكرين على الحضرة المهدية (طبعة حجرية).

حسين سيد أحمد المفتي : تطور نظام القضاء في السودان الجزء الاول .

رودلف سلاطين : السيف والنار في السودان، تعريب جريدة البلاغ (نشر مكتبة الحرية بأم درمان).

سعد ميخائيل : شعراء السودان .

عبد القادر محمود (دكتور) : الطوائف الصوفية في السودان، أنسابهم وأصول تراثهم وفلسفتهم .

علي المهدي : جهاد في سبيل الله، تحقيق عبد الله محمد أحمد.

محمد ابراهيم ابو سليم (دكتور) : المرشد الى وثائق المهدي

» » » » : منشورات المهدية

» » » » : مجموعة توشكي (النجومي)، مجلد ٢

» » » » : الحركة الفكرية في المهدية

» » » » : تاريخ الخرطوم

» » » » : (بالاشتراك مع الاستاذ محمد سعيد القدال): الطراز المنقوش ببشرى قتـل يوحنا ملك الحبوش (تحقيق)

محمد عبد الرحيم : موسوعة الشخصيات

نعوم شقير : جغرافية وتاريخ السودان – بيروت ١٩٦٧ .

هولت ، ب . م . : الاولياء والصالحون والمهدية في السودان، ترجمة هنري رياض والجنيد علي عمر .

Holt, P. M. : The Mahdist State in the Sudan 1881 - 1898. A Study of its Origins, Development and over throw 2nd ed. (London 1970).

: The Mahdist Archives and Related Documents, Archives, V, 28, 1962.

: The Sudanese Mahdia and the Outside World- BOSOAS, vol. XXI (1956 pp. 276-290).

Mac Michael, H : A History of the Arabs in the Sudan vol. II.

Hill, R. : A Biographical Dictionary of the Sudan (2nd Imp.) Sudan Archives, Provisional Hand-List (of the material kept in University of Durhan).

Shaked. H : A manuscript Biography of the Sudanese Mahdi - BOSOAS, vol. XXXII, part 3, 1969, pp. 527-540.

: The Presentation of the Sudanese Mahdi in a Unique Arabic Manuscript Biography.

SHUQAYR, N : Memorandum to Director of Military Intellegence on Isma'īl 'Abd Al-Qâdir and His Biography of the Mahdi, 25 June 1895 (School of Oriental and African Studies, University of Durham, Sudan Archives, Box 260/12.)

: Memorandum on the Correspendence of the Khalifa.

Slatin, R. : Fire and Sword in the Sudan.

Trimingham, T.S : 'slam in the Sudan (London 1949).

Willis, A : Religious Confraternities in the Sudan.

Wingate, F.R : Mahdiism in the Egyptian Sudan.

: Sudan Intelligence Reports No. 60.